

حوادث شهر رمضان

في مدى الأيام والشهور

لابن تغري بردي
(ت ١٧٤ هـ - ٢١٤٧٠)

تحقيق
د. محمد كمال الدين آل عزالدين

الجزء الأول

عالم الكتب

حَمْدُكَ يَا مُشْرِقَ الْفُجُورِ

فِي مَدَى الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار
الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

لله

إلى أستاذتي الدكتورة

سيدة إسماعيل كاشف

رمز اعتزاز وتقدير

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

* تمهيد

* ابن تغري بردي، دراسة حياة

* مؤلفاته

* حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور

تمهيد

انقسمت الدولة الأيوبية على نفسها عقب وفاة «صلاح الدين الأيوبي» (ت ٥٨٩ هـ. / ١١٩٣ م.) فصارت مصر ودمشق وحلب وبلبك وحمص وحماه والكرك وبصرى.. وغيرها مراكز لإمارات يحكمها بعض أبناء البيت الأيوبي.

لكن سرعان ما اختلفوا وثار بينهم المنازعات والحروب، فضلاً عن خلافاتهم مع البيوت القديمة الحاكمة للموصل وسنجار وكيفا وآمد وخرتبرت وخلاط.. مما كان سبباً في استكثار هؤلاء الملوك والسلاطين من شراء الممالك ليكونوا لهم معتمداً في الاحتفاظ بملكهم، وفي رد عدوان جيرانهم.

فكان من بين هؤلاء «الصالح نجم الدين أيوب» (ت ٦٤٧ هـ. / ١٢٤٩ م.) الذي ترجع المصادر أصول الدولة المملوكية في مصر والشام إليه على اعتبار أنه كان «قد اشترى من الممالك الترك ما لم يشتر أحد من الملوك مثله من قبله حتى عاد أكثر جيشه ممالكه»^(١) فضلاً عن اتخاذه منهم أمراء دولته وبطانته المختصين بدهليزه إذا سافر^(٢).

لكن الحقيقة المستخلصة من استقراء التاريخ تشير إلى أن هؤلاء الذين كان مأمولاً فيهم أن يكونوا عدة وسنداً لملكهم سرعان ما غدوا خطراً يهدده وملكه.

(١) ابن أليك الدواداري. كنز الدرر وجامع الغرر ج ٧ ص ٣٧٠.

(٢) المقرئزي. السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٣٣٩ - ٣٤٠، علي مبارك. الخطط التوفيقية ج ١ ص ٧٩.

ولعل مرد ذلك إلى عوامل منها:

طبيعة تكوينهم التي جعلت منهم قوة تركز عليها الدولة في مهامها الحرجة، بالإضافة إلى انقسام البيت الأيوبي - الحاكم - على نفسه في وقت داهمت فيه البلاد الأخطار الداخلية - من مجاعات وأوبئة - والخارجية متمثلة في تحول الحملات الصليبية إلى مصر لسبب أو لآخر^(١).

ويبدو أن انتصار الأيوبيين في فارسكور (٦٤٧هـ. / ١٢٥٠م.) على الحملة الصليبية السابعة كان بداية النهاية لهذه الدولة، فلقد كان ذلك عاملاً مساعداً في ظهور المماليك «كدولة»، حيث انفردوا بحكم مصر بعد سلسلة من الأحداث السريعة المتتالية: من وفاة ممتلكهم «الصالح نجم الدين أيوب» (في ١٥ من شعبان سنة ٦٤٧هـ. / ٢٣ من نوفمبر سنة ١٢٤٩م.) فمقتل «توران شاه» (ت ٦٤٨هـ. / ١٢٥٠م.) وقد خلفته «شجر الدر» (ت ٦٥٥هـ. / ١٢٥٧م.) على عرشه ممهدة بذلك لتولي «عز الدين أيبك» (ت ٦٤٨هـ. / ١٢٥٠م.) - أول سلاطين المماليك - حكم البلاد.

وساعدت الظروف المحيطة بسلاطين المماليك - آنذاك - على التمكن لدولتهم واستقرارها مما جعلهم يبسطون سلطانهم على مصر والشام ويمتدون بنفوذهم إلى سوبة والحجاز وأطراف آسيا.

بل لقد ذاع صيتهم في الممالك الأخرى ذيوماً كان معه اتحاف ملوكها لهم بالهدايا والتحف.

ويمكن إجمال أهم هذه العوامل في الآتي:

- اعتراض الأيوبيين في الشام على قيام الدولة المملوكية في مصر أثر

(١) يحمل ذلك «يوشع براور» قائلاً: «... وكانت ثمة أسباب عديدة تحفز الصليبيين على الهبوط في دلتا النيل بدلاً من نهر الأردن القريب، أهمها سببان: الأول هو اهتمام المدن التجارية الإيطالية بالسيطرة على السوق الرثيمة في حوض البحر المتوسط، والثاني هو المذهب السياسي والعسكري للصليبيين» (عالم الحروب الصليبية. ط. القاهرة، ٨٣) - وهو ما يفسره د. سعيد عاشور (أضواء جديدة على الحروب الصليبية ص ٣٧) «برغبتهم القضاء - فيها - على قلب المقاومة الإسلامية».

مصرع «تورانشاه» وحربهم إياهم، مما أتاح لسلاطين المماليك فرصة التوسع على حساب ممالكهم، بل وانتزاع اعترافهم لهم بالتبعية.

- مجابهتهم للخطرین المغولي والصليبي .

وهذا العامل الأخير أعطاهم أمتيازاً فاق ما افتقدوه من حق السيادة اسداداً إلى المولد أو الثقافة أو الثراء لكونهم أرقاء اغتصبوا عرش ممالكهم، حيث اعتبروا حماة الإسلام المدافعين عنه .

بل لقد ساقط إليهم الأقدار سوقاً الدعامة الشرعية التي قامت دولتهم عليها - فيما بعد - وجعلتهم يفرضون لأنفسهم مقاماً سامياً على ملوك العالم الإسلامي - آنذاك - باعتبارهم حماة الخلافة والمتمتعين ببيعته. وذلك بعد سقوط بغداد على أيدي المغول (سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م.) وقتل آخر الخلفاء العباسيين بها^(١) وإحياء الظاهر بيبرس للخلافة العباسية بالقاهرة، فلم يعد أي من سلاطينهم - بعد ذلك - في حاجة إلى تلمس الوصول إلى مبرر شرعي لجلوسه على العرش.

وهكذا فإن طبيعة تكوينهم، وما واكب ظهورهم من أحداث كانت سبباً في قيام دولتهم ورسوخها - قد صبغ فترة حكمهم بصفات رئيسة صارت علماً عليهم، وهي :

- طبيعة تكوينهم كأرستقراطية عسكرية، بوصفهم الجهاز الحربي الذي استأثر بحكم البلاد والدفاع عنها، ومن ثم بخيراتها.

- استنادهم إلى مبدأ القوة في صنع وتدبير الدسائس وصولاً إلى المنصب أو جلوساً على كرسي السلطنة، القوة في البطش والمصادرات وتوقيع صنوف العقوبات^(٢)، القوة في المال والجاه تقلداً للكثير من الوظائف في ظل دولتهم.

(١) هو «المستعصم بالله أبو أحمد، عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر العباسي».

(٢) حيث عرفت لهم عقوبات قاسية من: تسمير وتوسيط وتسعيط وعصر.

وهذا أدى بهم للانقسام إلى أحزاب متنازعة وإن جمعت بينهم في آن واحد العصبية .

- التظاهر بحماية الإسلام وتطبيق تعليماته بطرق ربما نبذها الإسلام ذاته، وما واكب ذلك - بالضرورة - من إقامة المنشآت الدينية والعمائر الإسلامية من تمهيد لطرق الحج وإصلاح مواطن مناسكه، وبناء الأسبلة والحمامات والخانات والبيمارستانات والجوامع والخوانق والمكاتب والمدارس . . . وحبس الأوقاف عليها، فضلاً عن تشجيع العلم وأهله بالإغداق على الأساتيد والطلاب، والحرص على حضور مجالس الحكم والسماع وتحصيل الإجازات فيه، ناهيك عن إقامة المواكب والزينات احتفاء ببعض المناسبات الدينية .

- بالإضافة إلى أن إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة - بعد سقوطها ببغداد - جعل مصر محلاً لسكن العلماء ومحط رحالهم بحيث «نفقت فيها أسواق العلم وزخرت بحارها»^(١) على حد قول «ابن خلدون»، فقامت فيها حركة فكرية زاهرة، حيث إرتقاء العلوم والفنون وتنوعها . . . وكان علم التاريخ من أبرز هذه العلوم وأميزها، بما ترك فيه العلماء والمؤرخون - آنذاك - من كم هائل تمثل في السير المفردة، والتراجم المجموعة في أعلام قرن واحد، والمعاجم الجامعة للتراجم حسب حروف الهجاء، والطبقات، والحوليات المشتملة على الحوادث والتراجم، سواء منها ما رتب حسب السنوات المتعاقبة، أو المنتظمة لذلك من خلال تراجم الحاكمين .

وهكذا ظلت هذه الدولة تحكم مصر زهاء قرنين ونصف قرن من الزمان تحت اسم «المماليك البحرية» التي حكمت المدة من ٦٤٨ هـ . / ١٢٥٠ م . - ٧٨٤ هـ . / ١٣٨٢ م . «والمماليك الجراكسة» التي حكمت المدة من ٧٨٤ هـ . / ١٣٨٢ م . - ٩٢٢ هـ . / ١٥١٧ م . وعاش «ابن تغري بردي» في كنفها^(٢) نحواً من ستين عاماً .

(١) ابن خلدون . المقدمة ص ٤٣٥ .

(٢) المقصود بذلك الدولة المملوكية الثانية «المماليك الجراكسة» .

ابن تغري بردي دراسة حياة

ولد جمال الدين، أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله البشباغوي الظاهري بالقاهرة بعد سنة ٨١١هـ. / ١٤٠٩م. - تقريباً^(١) - بدار الأمير «منجك اليوسفي» (ت ٧٦٦هـ. / ١٣٦٤م.) على مقربة من مدرسة «الناصر حسن»^(٢).

فكان أصغر إخوته في الذكور والإناث، وهم على التوالي^(٣):

(١) أشار «ابن تغري بردي» في كل من المنهل الصافي - عطف. عارف حكمت - ج ١ ق ٢٧٤ ب والنجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٨ إلى أن مولده كان بعد سنة إحدى عشرة وثمانمائة - تخميناً - مما يشير إلى عدم تحققه من ذلك على وجه صائب، بينما يعزو إليه تلميذه «المرجي» في ترجمته له مديلاً على نسخته من المنهل الصافي - مخط. عارف حكمت - أنه ولد في حدود السنة التي تليها، قائلاً: «... سألت عن مولده، فقال: مولدي بالقاهرة... في حدود سنة اثني عشرة وثمانمائة تقريباً»، وعنه «ابن العماد الحنبلي» في شذرات الذهب ج ٧ ص ٣١٧.

على حين أشار «ابن الصيرفي» في أنباء المصير ص ١٧٥ إلى أن مولده «في العشر الأخير من شوال سنة ثلاث عشرة وثمانمائة تخميناً في الشهر لا في السنة»، بينما يشير «السخاوي» في الضوء اللامع ج ١٠ تر ١١٧٨ ص ٣٠٥ إلى أنه «ولد في شوال تحقيقاً سنة ثلاث عشرة وثمانمائة تقريباً»، وإن لم يوردا قرينة للتحقيق، أو ترجيحاً للتخمين، مما يجعل تقدير «ابن تغري بردي» أصلاً في التأريخ لمولده.

(٢) المرجعي. مصدر سابق، ابن الصيرفي. أنبله المصير ص ١٧٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٠٥. وبذلك يكون مولده في نطاق حي القلعة الحالي.

(٣) أوردتهم «ابن تغري بردي» في النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٨ بهذا الترتيب.

«فاطمة»^(١)، و«قاسم»^(٢)، و«حمزة»^(٣)، و«بيرم»^(٤) و«هاجر»^(٥)،

(١) ولدت لأم ولد رومية سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م. (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٥ أ)، وعقد عليها الناصر فرج سنة ٨٠٨ هـ. / ١٤٠٥ م. في غيبة أبيها (نفسه ج ١ ق ٢٧٤ ب، والنجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٤١)، وبنى عليها في السنة التالية لها (النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٥٣)، وظلت في عصمته إلى أن قتل في صفر سنة ٨١٥ هـ. / ١٤١٢ م. (ابن تغري بردي. حوادث الدهور. مخط. أيا صوفيا ج ١ ق ١٢٧، والنجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٣٨)، ثم تزوجت بعده من الأمير «سيف الدين إينال بن عبد الله النوروزي»، الذي تولى نيابة غزة، ثم حماه، ثم طرابلس، ومات عنها بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ٨٢٩ هـ. / ١٤٢٦ م. على وظيفة أمير سلاح. (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٢٠٢)، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٣٤-١٣٥، وظلت بعده إلى أن ماتت سنة ٨٤٦ هـ. / ١٤٤٢ م.

(٢) ولد بحلب سنة ٧٩٨ هـ. / ١٣٩٥ م. - تقريباً - وكان من أمراء الطبلخانات في حياة أبيه، ولم يؤرخ «ابن تغري بردي» وفاته. - راجع ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٤ ب، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٨.

(٣) مولده بالقاهرة في أواخر سنة ٨٠٠ هـ. / ١٣٩٨ م. لأم ولد جراكسية، ووفاته بها مطعوناً سنة ٨٤٩ هـ. / ١٤٤٥ م (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٤ ب، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٨).

(٤) ولدت سنة ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٤ م. وزوجها أبوها من الأمير «سيف الدين، يشبك بن أزدمر الطاهري»، وهى في نحو الرابعة من عمرها - تقريباً - لثلاث يصل إلى الزوج من الناصر فرج سوء، ويلاحظ أن يشبك - هذا - قد ولي نيابة حماه، ثم حلب من قبل نوروز الحافظي، وظل على نيابته لحلب إلى أن قتله المؤيد شيخ المحمودي ضمن من قتل من أعيان الأمراء سنة ٨١٧ هـ. / ١٤١٥ م. (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ١٧٥ أ، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٢٩، السخاوى. الضوء اللامع ج ١٠ تر ١٠٧٤ ص ٢٧٠)، وظلت بيرم بعده إلى أن ماتت مطعوناً بدمشق سنة ٨٢٦ هـ. / ١٤٢٢ م. (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٥ أ).

(٥) هى أخته تقيته - إذ كل الأخوة والأخوات سواهما من أمهات متغايرات - ولدت سنة ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٤ م. - تقريباً - وتزوجت في حياة أبيها من قاضي القضاة الحنفي بالديار المصرية «ناصر الدين محمد بن عمر بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن العديم الحلبي»، ومات عنها في ربيع الأول سنة ٨١٧ هـ. / ١٤١٤ م. (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٥ أ، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٧١)، فخلفه عليها قاضي القضاة الشافعي بالديار المصرية «جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني»، وتوفي عنها في الحادي عشر من شوال سنة ٨٢٤ هـ. / ١٤٢١ م. (ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٣٧-١٣٨)، ثم تزوجت بعده من الأمير «حانبك البشمقدار»، منجبة منه «عائشة» التى تزوجها «قلمطاي بن عبد الله الإسحاقى الأشرفى برسباي» (ت ٨٧٧ هـ. / ١٤٧٢ م) أحد أمراء العشرات (د) =

و «إبراهيم»^(١)، و «محمد»^(٢)، و «إسماعيل»^(٣)، و «شقراء»^(٤).

ولد لأب من جنس رومي، جلبه الخوارج «بشباغا» إلى «الظاهر برقوق»

= عبد اللطيف إبراهيم. وقفية ابن تغري بردي ص ٢١٢، ضمن مجموع أبحاث المؤرخ ابن تغري بردي. والسخاوي. الضوء اللامع ج ٦ تر ٧٥٢ ص ٢٢٤)، وبقيت هاجر في الحياة إلى أن ماتت سنة ٨٤٦ هـ. / ١٤٤٢ م. (ابن تغري بردي المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٥).

(١) ولد في حدود سنة ٨٠٨ هـ. / ١٤٠٥ م. لأم ولد رومية، وتوفي بدمشق مطعوناً سنة ٨٢٦ هـ. / ١٤٢٢ م. - ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٤؛ النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٨.

(٢) ولد سنة ٨١٠ هـ. / ١٤٠٧ م. لأم ولد رومية، ونوفي بالقاهرة مطعوناً سنة ٨١٩ هـ. / ١٤١٦ م. (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٤؛ النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٨).

(٣) ولد في أواخر سنة ٨١١ هـ. / ١٤٠٩ م. لأم ولد رومية، وتوفي مطعوناً سنة ٨٣٣ هـ. / ١٤٢٩ م. (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٤؛ النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٨، ٣٤٠).

(٤) وتسمى «عائشة» - كذلك - وأما «خوند حاج ملك» إحدى مطلقات الملك «الظاهر برقوق»، تزوجت من الأمير «آقبا التمرآزي» الذي تقلب في كثير من الوظائف في ظل من عاصرهم من السلاطين، فكان أمير عشرة، ثم أمير آخور ثان في دولة المؤيد شيخ المحمودي، وفي دولة الظاهر ططر تولى إمرة مائة وتقدمة ألف، وصار أمير مجلس في دولة الأشرف برسباني، كما تولى له نيابة الإسكندرية، ثم رقي في سلطنة الظاهر جقمق إلى رتبة أمير سلاح، ثم صار أتابكاً للعساكر، بالديار المصرية، ثم أرسل إلى دمشق نائباً عليها، فمات هناك صبيحة السادس عشر من ربيع الآخر سنة ٨٤٣ هـ. / ١٤٣٩ م.

(ابن تغري بردي. حوادث الدهور ج ١ ق ١٢٧، المنهل الصافي ج ٢ تر ٤٨٤ ص ٤٧٦-٤٨٠، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٨، ج ١٥ ص ٤٧٥).

ثم تزوجت من بعده بالمقام الغرسي «خليل بن الناصر فرج» (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٥).

ويلحظ أن «ابن تغري بردي» لم يؤرخ مولدها، كما أن وفاتها كانت بعده، وهو ما يفهم من قوله في (النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٨): «... ثم شقراء، في قيد الحياة»، ومن ذكره لها في حجة الوقف الخاصة بترتبته (دراسة د. عبد اللطيف إبراهيم ص ٢١٢) ضمن المذكورين فيها المستحقين لربع أوقافها، بقوله: «... والثالث للسيدة المصونة المحجة عائشة، المدعوة: شقراء - الكامل - أخت الواقف لأبيه».

كما يلحظ أنها أنجبت بنتاً من زوجها الأول - آقبا التمرآزي - هي «سارة»، التي تولى «ابن تغري بردي» تربيته وتسويجها من «المقام الناصري محمد بن الظاهر جقمق» (ت ٨٤٧ هـ. / ١٤٤٤ م.) وماتت بعده في الثاني من ربيع الأول سنة ٨٥٣ هـ. / ١٤٤٩ م.

(ابن تغري بردي. حوادث الدهور ج ١ ق ٩٠).

- معتقه - في أوائل سلطنته^(١)، وإليهما نسبته: «البشباغوي»^(٢)، «الظاهري» .

ويبدو أن «تغري بردي»^(٣) - ومعناه: عطية الله - كان حظياً عند مخدومه، ولذا جعله «برقوق» يوم عتقه «خاصكيا»^(٤)، ثم درجه في كثير من الوظائف^(٥) التي كان آخرها - «أمير سلاح»^(٦)، كما تولى له نيابة حلب في ذي الحجة سنة ٧٩٦هـ. / ١٣٩٤م. فسار فيها سيرة حسنة، وأنشأ بها جامعاً، أوقف عليه أوقافاً، وقرر فيه تداريس وطلبة^(٧).

(١) ابن تغري بردي. المنهل الصافي مج ١ ق ٢٧٢ ب، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٥.

(٢) ترددت هذه النسبة لدى السخاوي في الضوء اللامع بين «الكشباغوي» - ج ٣ ص ٢٧ - و«البشباغوي» - ج ١٠ ص ٣٠٥ - ولا شك أن الأولى تحريف.

(٣) تحريف للتسمية التركية: «تنكري وبردي» أو Tengri - verdi - البغدادي. هدية العارفين ج ٢ ص ٥٦٠، د. سعد زغلول عبد الحميد. أهمية ابن تغري بردي لتاريخ المغرب والأندلس، ضمن مجموع أبحاث المؤرخ ابن تغري بردي. ص ١٢٩.

(٤) الخاصكية: هم الذين يلازمون السلطان في خلواته، ويستوفون المحمل، ويتعنون بكوامل الكفال، ويتجهزون في المهمات الشريفة، وهم المعينون للإمرة، والمقربون في المملكة، ومنهم من هو صاحب وظيفة، ومنهم من لا وظيفة له - ابن شاهين. زبدة كشف الممالك ص ١١٥-١١٦.

(٥) أشار ابن تغري بردي في المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٢ ب، والنجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٥-١١٦ إلى أن والده جعل يوم عتقه «خاصكياً»، ثم صار «ساقياً»، ثم «رأس نوبة الجمدارية»، وظل كذلك إلى أن نكب «برقوق» في ملكه وخلع من السلطنة، وفي سلطته الثانية أنعم عليه «ناقطاع إمرة عشرين»، «إمارة طبليخاناه» - دفعة واحدة - ولازال «برقوق» يرقيه إلى أن جعله «أمير مائة مقدم ألف» بالديار المصرية، ثم ولاه «رأس نوبة النوب» في مدة قصيرة، ثم أرسله إلى حلب نائباً، ثم استقدمه إلى مصر على «إمرة مائة وتقدمة ألف»، وقد أنعم عليه - قبل مقدمه - «بإمرة مجلس»، فلما قدم عليه في الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٨٠٠هـ. / ١٣٩٧م. استقره «أمير سلاح»، ودام على ذلك إلى حين وفاة «برقوق».

(٦) أمير سلاح: وظيفة عسكرية كبرى في دولة سلاطين المماليك، لا يشغلها إلا أمير مائة مقدم ألف، وهو أمير السلحدارية، والمشرف على السلاح خاياه بما فيها من أدوات وأسلحة، لا تدخل إليها الأسلحة، ولا تخرج منها إلا بأمره، بالإضافة إلى أنه كان يحمل السلاح الخاص بالسلطان في المحافل العامة، ويناوله إياه في الحرب وفي عيد النحر.

(راجع: المفريزي. الخطط ج ٢ ص ٢٢٢، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٦٦).

(٧) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب ج ١ ق ٢٩٤ ب. ابن حجر إنباء الغمر ج ٢ ص ٥٢٦-٥٢٧، ابن نعري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٢ أ، النجوم الزاهرة ج ١٤ =

وفي سلطنة ابنه «الناصر فرج» صار «تغري بردي» أتابكا^(١) للعساكر بالديار المصرية^(٢)، ثم نقل إلى نيابة دمشق^(٣) في أواخر سنة ٨١٣هـ. / ١٤١١م. ، فكان مشكور السيرة والسريرة في نيابته، يحكم رعاياه بالعدل والانصاف، على منهاج الحق والصواب، وقد شكر العامة والخاصة له ذلك^(٤). وظل على نيابته إلى أن توفي في السادس عشر من المحرم سنة ٨١٥هـ. / ١٤١٢م. بعد أن شارك بقسط وافر في أحداث عصره^(٥)، وأشير إليه بالتعظيم في الدولة^(٦).

= ص ١١٦، ابن الصيرفي. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٢١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ تر ١٣٨ ص ٢٩.

(١) الأتابك (الأطابك): لفظ يتألف من شقين، هما: «أطا» بمعنى أب، و«بك» بمعنى أمير، وهو لقب فخري أطلقه السلاجقة على كبير أمرائهم، ثم أريد به زمن سلاطين المماليك: مقدم العساكر، أو القائد العام، وكانت تلك من أرقى الوظائف العسكرية - آنذاك - بل كثيراً ما مهدت لصاحبها تولي السلطنة.

(القلقشندي. صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٨٦ ج ١٣ ص ٨٣، د. حسن الباشا. الفنون الإسلامية ج ١ ص ١٣ - ٣٠، د. عبد المنعم ماجد. نظم سلاطين المماليك ج ١٤ ص ١٤٤).

(٢) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج ١ ق ٢٩٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٦، المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٣، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٧.

(٣) يشير «ابن تغري بردي» إلى أن أباه قد تولى نيابة دمشق هذه المرة مكرهاً، بعد الحاح من الناصر فرج بهدف إخماد الفتن النوروزية والشيخية المتدلعة بالشام آنذاك، وأن هذه هي النيابة الثالثة له عليها، إذ كان الناصر فرج قد استقر به في نيابته سنة ٨٠٣هـ. / ١٤٠٠م. قبل وبعد غزو تيمورلنك لها (ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٦، المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٣، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٦-١١٧).

(٤) ابن الصيرفي. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٢٠.

(٥) بشأن ذلك يمكن مراجعة مصادر ترجمته فيما يختص بمحاربته من قبل «برقوق» للخارجين عليه بالشام من المنطاشية والناصرية، وحبسه بقلعة دمشق بعد كسرتة هناك، ثم فراره إلى الظاهر برقوق - بعد خروجه من محبسه بالكرك ولما يستفحل أمره - وانضمامه عليه في محاربة المنطاشية، وإرسال برقوق به إلى القاهرة مبشراً بعوده إلى سلطنته، وخروجه على الناصر فرج وقد ظاهر كل من «أيتمش» و«تنم» و«دمرداش المحمودي» عليه، وفراره إلى بلاد التركمان، ثم عوده إلى الناصر فرج ثانية، وأخيراً دوره في أحداث الفتن النوروزية والشيخية بالشام، والتي راح ضحيتها «الناصر فرج» في صفر سنة ٨١٥هـ. / ١٤١٢م.

(٦) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج ١ ق ٢٩٥.

ويبدو أن هذا الدور الذي مارسه، وهذه المكانة التي تقلدها، كانا بفعل عدة عوامل. منها:

* ما اشتهر به من صفات خَلْقِيَّة وخُلُقِيَّة، تمثلت في: حسن صورته وجماله، وكثرة حيائه وسكونه، وحلمه وعقله، وحشمته وحسن سيرته، وحزمه^(١).

* محبته للعلم والعلماء، ومشاركته لهم في بعض المسائل الفقهية، وتواضعه للعلم وأهله^(٢).

* فضلاً عن صلات المصاهرة التي ربطته بكل من «الظاهر برقوق» و«الناصر فرج»، فقد كان أولهما زوجاً لابنة عمه «خوند - شيرين»^(٣)، بينما كان الثاني ابناً لهذه الزوجة، وزوجاً «لخوند - فاطمة» كبرى بنات «تغري بردي»، وهو ما يفسره مخاطبة «الناصر فرج» له بـ «أطا»، بمعنى أب^(٤).

وإلى الأولى منهما يرجع الفضل في الإبقاء عليه من القتل بعد أن هم السلطان بقتله ضمن من تقرر الفتك بهم من الخارجيين عليه، المفلولين مع «أيتمش» و«تتم» سنة ٨٠٢ هـ. / ١٣٩٩ م.، بل وفكه من محبسه^(٥).

(١) المصدر السابق، وابن حجر إنباء الغمر ج ٢ ص ٥٢٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٩.
(٢) ابن الصيرفي نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٢٠.
(٣) يشير السخاوي في الضوء اللامع ج ١٢ تر ٤٢٧ ص ٧٠ إلى أنها كانت بارعة الجمال، سارت سيرة جميلة من الحشمة والرياسة والكرم، مع الاتضاع الزائد والخير والدين، معدداً من مآثرها تجديد رباط الخوزي، بمكة والوقف عليه، وكانت وفاتها في ذي الحجة سنة ٨٠٢ هـ. / ١٤٦٠ م.
وراجع - كذلك - ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ تر ٣٤ ص ١٢٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ تر ١١٩٦ ص ٣٤٨، النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ١٠٦.
(٤) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٨٣.

(٥) يشير «ابن تغري بردي» في النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ٢١٦، ج ١٥ ص ١١٦ إلى أنها كانت أصلاً في الإبقاء على أبيه من القتل، ومنه قوله: «...». وكان الوالد قد انضم إلى أيتمش هو وجماعة من الأمراء... وانهمز الجميع بعد الوقعة، وخرجوا من مصر إلى الأمير تتم - نائب الشام - وعادوا صحبته، فانكسر تتم - أيضاً - وقبض على الجميع وقتلوا بقلعة دمشق إلا الوالد... لشفاة أم الملك الناصر فيه، و(في) آقغا الأطروش، وقتل من عداهما، ودام الوالد بسجن قلعة دمشق إلى أن أطلق، وتوجه إلى القدس بطالا يسهرة أم الملك الناصو أيضاً...».

ويشير «ابن تغري بردي» - مؤرخنا - إلى أن والده كان قد ترك عند وفاته ثروة كبيرة، استولى على معظمها «الناصر فرج»، لكونه صار وصياً على أولاده ووكيلاً عن زوجته «خوند - فاطمة»، تاركاً مؤرخنا وأخوته «فقراء من فقراء المسلمين»، ولما كُلم فيما أخذ وعد برد ما أخذ وأضعافه^(١)، لكن لم يمهله القدر ليفي بوعده أو يحنث فيه، فقد قتل بعد قليل على أيدي الخارجين عليه من النوروزية والشيخية.

ويعلق مؤرخنا على ذلك بقوله: «... فلم يضيعنا الله - سبحانه وتعالى - وأنشأنا على أجل وجه من غير مال ولا عقار، والله الحمد»^(٢).

فلقد نشأ «ابن تغري بردي» بعد وفاة أبيه في حجر شقيقته «هاجر» وقد بلغ الثالثة من عمره - تقريباً - مما لعله يشير إلى افتقاده لأمه - كذلك - في هذه السن المبكرة^(٣)، حيث عاد به صهره عليها قاضي القضاة «ناصر الدين ابن العديم» من الشام إلى القاهرة، وقد تولى تربيته، التي أكملها - بعد وفاته - صهر آخر له عليها، هو قاضي القضاة «الجلال البلقيني»، فأتم «أبو المحاسن» عنده حفظ القرآن - الكريم - وجوده عليه^(٤)، كما حضر عنده في الحديث النبوي وغيره عدة مجالس^(٥).

(١) كرر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة - ج ١٣ ص ١٣٩، ١٤٣، ج ١٤ ص ١١٨ - التصريح بأخذ «الناصر فرج» لجميع تركة والده، بينما ورد في المنهل الصافي ج ١ ص ٢٧٥ قوله: «... وخلف - رحمه الله - من الأموال والخيول والسلاح شيئاً كثيراً، استولى على غالبه الملك الناصر فرج».

(٢) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٨.

(٣) وإلا لما نشأ مؤرخنا في هذه السن المبكرة في حجر شقيقته، ولما كانت إشارته إلى أمه في المنهل الصافي ج ١ ق ٢٧٤ ب بأنها: «مجهولة الجنس».

كما أن عبارته في حوادث الدهور ج ١ ق ٧ بشأن علاقة الخليفة العباسي «المعتضد بالله داود» وزوجه بأمه لا تفيد في هذا شيئاً، وهي:

«... أعرفه قديماً وحديثاً، فإنه كان قد تزوج بزوجة الوالد بعد موته، الست قمر بنت الأمير دمرداش، وكان بينهما وبين الوالدة محبة مستمرة إلى الممات».

(٤) حيث كان قبل ذلك قد قرأ القرآن - الكريم - علي السراج ابن فارس (ت سنة ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥ م) - ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٣٣.

(٥) نفسه ج ١٤ ص ٢٣٧، المرجي. مقدمة النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٠، ابن الصيرفي. أنباء الهصر =

ويبدو أن وفاة «الجلال البلقيني» كانت سبباً في انتقال «ابن تغري بردي» من لون من المعرفة إلى لون آخر مغاير له تماماً، ومن حياة إلى حياة لا تشبهها، من المعرفة الدينية إلى فنون الفروسية، ومن معيشة الفقهاء إلى حياة الأمراء، حيث تعلم في الفترة التالية على وفاة «الجلال البلقيني» طرفاً جيداً من فنون الفروسية، تمثل في لعب الرمح، ورمي النشاب، وسوق البرجاس^(١) ولعب الكرة، ودوران المحمل، في ظل صهر آخر له، هو «آقبا التمرآزي» الذي اشتهر في هذه الفنون بالإنفراد^(٢).

= ص ١٧٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٠٥.

وفي المنهل الصافي ج ٣ ق ٢٠٥: «... تأهل (الجلال البلقيني) بكرميتي، وما نشأت إلا عنده، وقرأت عليه غالب القرآن - الكريم - وهو أنه لما كان يتوجه إلى منزله يأخذني صحبته حيث سار، فإذا أقمنا في المكان المذكور يطلبني، ويقول لي: إقرأ الماضي من محفوظك، فأقرأ عليه ما شاء الله أن أقرأ...».

(١) البرجاس. غرض في الهواء على رمح أو نحوه يرمى به - ابن منظور. لسان العرب ج ١ ص ٢٤٤، الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ط. الرسالة) ص ٦٨٥

(٢) يبدو أن هذه الفترة قد انحصرت بين وفاة الجلال البلقيني (في شوال سنة ٨٢٤هـ. / ١٤٢٢م). واستقرار آقبا التمرآزي في نيابة الشام (في رمضان سنة ٨٤٢هـ. / ١٤٤٠م). ، ويؤيد ذلك: * قول «ابن الصيرفي» - أبناء الهصر ص ١٧٦ - «... واستمر على ذلك إلى أن توفي الجلال المذكور - في سنة أربع وعشرين وثمانمائة، فصار تحت كنف جماعة من أكابر ممالك والده، وذكر أنهم علموه أنواع الفروسية»، مما يشير إلى أن تعلمه لها كان بعد وفاة الجلال البلقيني:

* أن عبارة «ابن تغري بردي» بصدد ذلك قد وردت في المنهل الصافي - ج ٢ ص ٤٨٠ - على النحو التالي: «... أخذت عنه (عن آقبا التمرآزي) ما لم يصل إليه غيري في هذه الفنون لصهارة كانت بيننا»، مما يشير - مع القرينة السابقة - إلى نشأته بعد وفاة الجلال البلقيني في كنف «آقبا» - هذا - وإلا كيف تمكن من أن يأخذ عنه «ما لم يصل إليه غيره» فيه؟

ولا ينفي ذلك تردده إلى غيره - في هذه الفترة - آخذاً فنون الفروسية عنهم، حسبما ورد في ترجمة تلميذه المرجي له - مقدمة النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٦ - وابن الصيرفي. أبناء الهصر ص ١٧٧ - بل ربما يكون تردده إليهم بوساطته وجاهه.

* أن «ابن تغري بردي» يشير في ترجمته لآقبا - المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٧٩ - إلى أنه سأل كرميته «زوجه» عن «كيفية أمره» في تلك الليلة التي أعقبتها وفاة زوجها، مما لعله يشير إلى أنه لم يكن طحبتة عندما رحل إلى نيابته بالشام في رمضان سنة ٨٤٢هـ. / ١٤٣٩م.

ومع ذلك فإن من المشكوك فيه أن يكون تلقّيه لفنون الفروسية أثر وفاة الجلال البلقيني مباشرة ودون تراخ، فابن تغري بردي في ترجمته «لابن الطآزي» (ت سنة ٨٢٣هـ. / ١٤٢٠م). يشير إلى أنه «كان رأساً في لعب الرمح، أستاذاً في الفروسية... وكان من عجائب الله في فنه»، ومع =

ومن المرجح - كذلك - أنه اكتسب في هذه الفترة بعض ما انتهت إليه
الرياسة فيه من « علم النغم، والضروب، والإيقاع »^(١).

وهو ما يفسره حفظه كبيراً بعض مختصرات في علوم عصره، « كمختصر
القدوري » في الفقه، و« ألفية ابن مالك » في النحو، و« ايساغوجي » في
المنطق^(٢). . إذ أن تلك الفترة التي انصرف فيها إلى فنون الفروسية كانت فترة
وسطاً بينهما.

ومهما يكن من الأمر، فإن « ابن تغري بردي » كان حريصاً - الحرص كله -
على الجمع بين الثقافتين: الدينية الأدبية، والعسكرية - شأنه في ذلك شأن أبيه -
ولذا دار على طائفة لا بأس بها من الشيوخ والأساتيد في « الفقه »^(٣)
و« التفسير »^(٤)، و« الحديث »^(٥)، و« النحو »^(٦)، و« الصرف »^(٧)، و« علوم البلاغة »^(٨)،

= ذلك فإنه لم يأخذ عنه شيئاً لصغر سنه، قائلاً: «... نظرته، غير أنني لم آخذ عنه شيئاً للصغر
سني يومذاك». (ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٦٥).

(١) المرجعي. مقدمة النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧.

(٢) نفسه ج ١ ص ١٠، ابن الصيرفي. أنباء المصغر ص ١٧٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠
ص ٣٠٥.

(٣) من شيوخه فيه: « الشمس الرومي »، و« البهاء أبي البقاء الحنفي »، و« البدر العيني »، و« التقي
الشمي ».

(٤) من شيوخه فيه: « الكافيجي »، و« الزين قاسم ».

(٥) سمع فيه علي « ابن قريج »، و« ابن بردس »، و« ابن ناظر الصاحبة »، و« ابن الطحان »، و« ابن
الذهبي »، و« رضوان العقبي »، و« ابن البلقيني »، و« التقي - المقرئ »، و« ابن حجر
العسقلاني ». كما استجاز فيه من القاهرة والحجاز وحلب جلة علماء عصره - راجع: ابن
تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٠٥، ج ٣ ص ٢٥، ٣٤، ٧٣، ٢٢٢، ج ٥ ص ٢٥،
٧٨، ٩٢-٩١، المرجعي. مقدمة النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٤-١٦.

(٦) من شيوخه فيه: « الشمس الشمي ».

(٧) من شيوخه فيه: « العلّاء الرومي ».

(٨) من شيوخه فيها: « الشهاب ابن عرب شاه »، و« المحيي الكافيجي ».

و«فنون الأدب»^(١)، و«العروض»^(٢)، و«الهيئة»^(٣)، و«الرياضيات»^(٤)، و«الطب»^(٥)، و«التاريخ»^(٦)، الذي لازم فيه «التقي

(١) من شيوخه فيها: «ابن حجر العسقلاني»، و«القوام حسن القمني»، و«الجلال ابن ظهيرة»، و«البدر ابن العليف»، و«القطب ابن عبد القوي».

ومن المعلوم أن «ابن تغري بردي» كان ينشد الشعر من قرضه أو من إنشاء غيره، كما كانت له ملكة أدبية ناقدة، تجلت في مواضع متعددة من كتاباته.

(٢) من شيوخه فيه: «الشمس النواجي».

(٣) من شيوخه فيه: «القوام حسن القمني».

(٤) نفسه.

(٥) أشار السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٠٥ إلى أن «ابن تغري بردي» قرأ «أقرباذين في الطب على سلام الله».

(٦) يبدو أن حضور «ابن تغري بردي» مجالس «الأشرف برسبای» حيث مناداة «البدر العيني» له في التاريخ، وصحبته «التقي المقریزی» كانا العامل الرئيس في اتجاهه نحو التاريخ: قراءة وتحصيلاً وتأليفاً. وعن الأول يشير (في المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٣٢ب) إلى أنه: «أعجوبة في التاريخ»، كما أخذ عنه واستفاد منه، وله منه إجازة بجميع مروياته وتصانيفه، بينما يشير (في النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١١١) إلى أن مجلسه مع الأشرف برسبای كان لا ينقضي «إلا في قراءة التاريخ وأيام الناس وما أشبه ذلك»، ومن يوم ذاك حبيب إليه التاريخ ومال إليه واشتغل به.

أما الثاني فقد ورد بصدده (في النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩١) أنه أعظم من أدركه في علم التاريخ وضروبه، (وفي حوادث الدهور ج ١ ق ٩) أنه كانت بينهما صحة أكيدة ومحبة زائدة، وأنه قرأ عليه كثيراً من مصنفاته، وبه انتفع، ومنه استفاد، وهو الذي حبيه في هذا الشأن.

لكن يبدو أن «ابن تغري بردي» لم يشتغل بالكتابة التاريخية إلا بعد وفاة «التقي المقریزی» وانتهاء «البدر العيني» من تصنيف كتابه «عقد الجمان». . . ولا عبرة في ذلك بما ورد (في المنهل الصافي ج ١ ص ٣٩٧) من أنه ذيل على سلوك المقریزی «حوادث الدهور» في حياة المقریزی من سنة أربعين وثمانمائة، إذ يبدو أن ذلك كان من طريق الدربة لا غير، وقرينته:

أولاً: أن سلوك المقریزی قد انتهى بأواخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة للهجرة، كما أن حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور قد استفتح بسنة خمس وأربعين وثمانمائة، أي عقب وفاة المقریزی، وهو ما يشير إليه مؤلفه بقوله في مقدمته: «... أحببت أن أحیی هذه السنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ تقي الدين المقریزی وجعلته كالذيل على السلوك المذكور، وسميته حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور».

وعلى ذلك فإن الفترة المذيلة على السلوك في حياة المقریزی لا تدخل في مادة ما أثبتته «ابن تغري بردي» في مبيضة الكتاب.

ثانياً - أن مؤلفات «ابن تغري بردي» التي تحت أيدينا، من أمثلة البحر الزاخر، وحوادث =

المقريري»، و«البدر العيني»، وحبب إليه، «فاجتهد فيه إلى الغاية... حتى برع ومهر وكتب وحصل وصنف» على حد تعبير تلميذه المرجي^(١).

ومهما يكن من الأمر - كذلك - فإن «ابن تغري بردي» قد انتفع في نشأته وحياته بأصهاره على أخواته وبناتهن - أيما انتفاع - إذ عن طريقهم توجهت ميوله، وتحددت أغراضه الفكرية، واكتسب مهاراته وبعض صفاته، مما انعكس على حياته، وبالتالي على كتاباته - خاصة التاريخي منها - وبفضلهم ارتبط بأسباب العيش الرغد، والجاه الوافر، حيث عُوض عن المسلوب من تركة أبيه، سواء بما جرى عليه من الجوامك والمرتبات^(٢) أو ما خُصص له من إقطاع شُركه فيه «قاسم» أخوه، ثم انفرد مؤرخنا به بعد وفاته^(٣)، أو رد عليه من

= الدهور، والمنهل الصافي، والنجوم الزاهرة... تشير إلى أن تواريخ كتابتها كانت بعد وفاة المقريري.

ثالثاً - بل ربما لم يتوفر «ابن تغري بردي» على دراسة مؤلفات شيخه «المقريري» في التاريخ توفر الدارس المتأني، أو المؤرخ المنقب إلا بعد وفاته، ولعل أوضح الأدلة على ذلك قوله (في النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٩٩) بشأن نقده على بعض مما جاء في ترجمة المقريري «للظاهر ططر» في سلوكه: «... قلت: هذا هو الخطأ بعينه، ولم أقف على هذا النقل إلا من خطه بعد موته، ولم أسمع من لفظه»، ونقده اللاذع «للبدري العيني» في مقدمة حوادث الدهور معللاً لإنشاء كتابه بقوله: «... ولم يكن من بعده (من بعد المقريري) من يُعول عليه في هذا الفن ولا من يرجع إليه إلا الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي، فأردت أن أعلم حقيقة أمره في هذا المعنى، ونظرت فيما يعلقه في تلك الأيام، فإذا به كثير الغلط والأوهام، وذلك لكبر سنه واختلاط عقله وذهنه... ولا يتأتى له إيراد هذا النقد إلا بتصفح تاريخ العيني حتى نهايته، كما لا يتأتى له التصريح به إلا بعد وفاته.

بل ربما كان هذا المعنى مأخوذاً من خط العيني له مؤرخاً بسنة تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة وقد سأله عن شيء من التاريخ معتذراً بكبر سنه وتشتت عقله. (ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٠-١١).

(١) المرجى. مقدمة النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٢، ابن الصيرفي. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٢٠-٣٢١.

(٢) ابن الصيرفي. أنباء المصير ص ١٧٨-١٧٩.

(٣) نفسه ص ١٧٩.

حيث تشير وقفية تربته - الأنف ذكرها - إلى أنه كان تحت يده أرض بناحية «صرد» - مركز قطورة، غربية - وأخرى بناحية أبيار، بجزيرة نصر، وثالثة بناحية الحداد - مركز كفر الدوار - غربية =

عقار^(١) وماليك وعبيد وجواري^(٢) . . مما يسر له حياة هادئة ناعمة ، فُرِغَ فيها للعلم = ويلاحظ أن المعنيين به صغيراً كثيراً ما كانوا يحرضونه على الدخول إلى السلطان ، طلباً لاقطاع برزقه ، وهو ما يفهم من حكاية مؤرخنا عن نفسه بصدد ذلك (في النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٢) قائلاً:

« . . . دخلت إليه (إلى المؤيد شيخ المحمودي) مرة وأنا في الخامسة ، فعلمني - قبل دخولي إليه - بعض من كان معي أن أطلب منه خبزاً ، فلما جلست عنده وكلمني سألته في ذلك ، فغمز من كان واقفاً بين يديه وأنا لا أدري ، فأتاه برغيف كبير من الخبز السلطاني ، فأخذه بيده وناولني ، وقال : خذ ، هذا خبز كبير مليح ، فأخذته من يده وألقيته إلى الأرض ، وقلت : أعط هذا للفقراء ، أنا ما أريد إلا خبزاً بفلاحين يأتونني بالغنم والأوز والدجاج ، فضحك حتى كاد أن يغشى عليه ، وأعجبه مني ذلك إلى الغاية ، وأمر لي بثلاثمائة دينار ، ووعدني بما طلبته وزيادة .
(١) فقد فهم من وثيقة الوقف - المشار إليها سلفاً - أنه كان في ملكه دار كائنة بخط رأس حارة برجوان ، بجوار مسجد الكويك ، وفندق لطبخ السكر ، وبناء قائم على أرض محتكرة بالقرب من جامع الخطيري .

(٢) يشير إلى تمتعه بهذه الحياة الرغدة ، والجاه الوافر منذ وقت مبكر ما ورد في النجوم الزاهرة (ج ١٤ ص ٣٤٠-٣٤٢) مما تعلق بطاعون سنة ٨٣٣هـ . / ١٤٣٠م . من قوله :

« . . . وأما من مات من عندنا من الممالك والعبيد والجواري والخدم فلا يدخل تحت حصر ، ومات من أخوتي وأولادهم سبعة أنفس ما بين ذكور وأناث . . . ومات لشخص بخدمتنا يسمى شمس الدين الذهبي ولد فخرجنا معه إلى المصلى ، وكان سن الميت دون سبع سنين ، فلما أن وضعناه للصلاة عليه بين الأموات جيء بعدة كبيرة أخرى إلى أن تجاوز عددهم الحد ، ثم صلي على الجميع ، وتقدمنا لأخذ الميت المذكور فوجدنا غيرنا أخذه وترك لنا غيره في مقدار عمره ، فأخذه أهله ولم يفتنوا به ، ففهمت أنا ذلك . . . وليس للكلام في ذلك فائدة غير زيادة الحزن ، فلما دفن الصبي وأخذ أهل الخانات التابوت صاحوا وقالوا : ليس هذا تابوتنا ، هذا عتيق وقماشه - أيضاً - خلق ، فأشرت إليهم بالسكات ، وهددهم بعض الممالك بالضرب ، فأخذوه ومضوا . . . وكنا نخرج من صلاة الجمعة إلى بيتنا وقد وقف جماعة من الأصحاب والخدم فتتعدد إلى الجمعة الثانية فينقص مناعدة كبيرة ما بين ميت ومريض . . . وماتت عندنا وصيفة مولدة بعد أن مرضت . . . فأصبحنا وقد عجز الخدم عن تحصيل تابوت لها ، فتولت تغسيلها أمها وجماعة من العجائز ، وكفنوها في أفخر ثيابها ، على أحسن وجه ، غير أننا لم نلق لها نعشاً . . . فوَقَفْتُ على الباب والميثة محمولة على أيدي بعض الخدم إلى أن اجتازت بنا جنازة امرأة ، فأنزلت التابوت غصباً ووضعناها عند الميتة واشتالتا على أعناق الرجال ، وسارت أمها وبعض الخدم معها إلى أن قاربت التربة فأخذوها من التابوت ودفنوها .

وقوله (في النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٠٠-٤٠١) : « . . . والله العظيم ، إنني كنت إذا دخلت على الفقيه الذي أقرأني القرآن في صغري - على أن بضاعته من العلوم كانت مزجاة - استحي أن أتكلم بين يديه بفضيلة أو علم من العلوم ، لكونه كان يعرفني صغيراً لا فقيراً ، فكيف حال هؤلاء مع الناس ؟ . . . »

- درساً ومذاكرة وعرضاً وتأليفاً - بعيداً عن الانشغال بمزاحمة أرباب المناصب والولايات على ما بأيديهم^(١).

فضلاً عن اتصاله برجال القلعة من سلاطين وأمراء^(٢)، ومصاحبته لبعضهم، مما انعكس على القيمة العلمية لكتاباتهِ التاريخية سلباً وإيجاباً.

وهكذا عاش «ابن تغري بردي» هذه الحياة الرغدة إلى يوم الثلاثاء الخامس من ذي الحجة سنة أربع وسبعين وثمانمائة للهجرة (١٤٧٠ م.)، حيث اختاره الله إلى جواره، بعد أن تعلل بالقولنج نحو العام، ليدفن من غده في «تربة هائلة» ابتناها على مقربة من تربة «الأشرف إينال»^(٣)، وقد أوقف عليها أوقافاً، منها كتبه وتصانيفه^(٤). خالفاً وراءه تراثاً تاريخياً وأدبياً جديراً بدراسته

(١) وإن تعين لبعض الوظائف كباشية المحمل سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٦م.، أو رشح لبعضها، كمعلمية المحمل سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م - راجع: ابن تغري بردي. حوادث الدهور ج ١ ص ٤٢، ٢٦٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٢٣، كما يشير ابن الصيرفي. أنباء المهصر ص ١٧٨ إلى أن «ابن تغري بردي» كان يطلع إلى القلعة أيام «الأشرف برسبای» ويسوق المحمل والبرجاس.

(٢) راجع: ابن الصيرفي. أنباء المهصر ص ١٧٨-١٨١، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٦. فقد كان على صلة بالأشرف برسبای وسافر صحبته سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٣م. إلى آمد، وكذا الظاهر جقمق، وبصهارة ابنه «الناصری محمد» «لابن تغري بردي» - تمكن من ملازمته له وحضور كثير من مجالسه، فضلاً عن صحبته لخشقدم، والذي أشار إلى أنه كان يعرفه جندياً إلى أن صار سلطاناً، فلما تسلطن أصبح معظماً لابن تغري بردي، وقد قبل كلامه وقضى حوائجه.. كما كان على صلة ببلاط القلعة من أمراء وغيرهم من موظفي الإدارة في عصره، ومنهم الكمال محمد بن البارزي، وابن كاتب جكم..

(٣) السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٨، ابن الصيرفي. أنباء المهصر ص ١٨٢.

(٤) نفسه، د. عبد اللطيف إبراهيم. وقفية ابن تغري بردي، ضمن مجموع «أبحاث المؤرخ ابن تغري بردي».

وستظل «حجة الوقف» الخاصة بتربته - وإن تلاشت هذه التربة من الوجود - دليلاً على حسن خلقه، ووفاء لكل من اتصل به بقرابة أو بخدمة، ناهيك عن الصلاح والتقوى، والتقرب إلى الله - عز وجل - بما خصص فيها من أماكن لدفن الموق «من الذكور والإناث المالك والمملوك، الغني والصلعوك... على مر الدهور والأوقات، القريب والبعيد... من غير مقابل لذلك ولا شيء فيه، رغبة في ثواب الله تعالى»، وتسهيل الماء «على المارة، ولسكان التربة... في كل يوم من الضحوة إلى مضي النهار، ومن أول الليل إلى الضحوة، بحيث لا ينقطع تسبيل =

والانتفاع به، وسيرة حسنة، وصف صاحبها - على الخصومة بينه وبين ناعته -
بحسن العشرة، وتمام العقل، والسكون، ولطف المذاكرة^(١). وإن لم يعقب^(٢).
كما شهد له تلميذه «المرجى» بالديانة والصيانة، والعفة عن المنكرات
والفروج، والحشمة الزائدة، والحياء الكثير، والسكون، وحسن المحاضرة،
ولطف المناذمة، والحسن في الرأي والسياسة والتدبير، وعدم التكبر^(٣).

= الماء ليلاً ولا نهاراً، إلا في نهار شهر رمضان خاصة»، ومكتب «لتعليم القرآن العظيم للأطفال
من أولاد المسلمين على مر الدهور والأيام والشهور والأعوام». مما جعلها عمارة مدنية ودينية
 واجتماعية وتعليمية في آن واحد.

(١) السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٠٦.

(٢) لم يرد لأولاده ذكر لدى من ترجموه، ويبدو أنه لم يعقب، كما يشتم عما جاء في حجة الوقف -
دراسة د. عبد اللطيف إبراهيم ص ٢٠٥ - من قوله:

«... وقفاً شرعياً على الواقف المؤرخ ابن تغري بردي، يتتبع بذلك... ثم من بعد وفاته
تكون وقفاً على من سيحدثه الله - تعالى - له من الأولاد في المستقبل».

ولا يضعف ذلك كون الوثيقة مؤرخة بالربع عشر من شعبان سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٦م. ، إذ
لو كان رزق بأولاد بعد هذا التاريخ لاستدركهم بنفوامش، ضمن من أستدرك فيها يوم
الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م. قبل وفاته بعشرة أيام. (انظر:
دراسة د. عبد اللطيف إبراهيم الأنف ذكرها ص ٢١٥).

(٣) المرجى، مقدمة النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٦.

مؤلفاته

عُرِفَ لابن تغري بردي تسعة عشر مصنفاً، هي:

- ١ - الأمثال السائرة^(١).
- ٢ - الانتصار للسان التتار^(٢).
- ٣ - البحر الزاخر في علم الأول والآخر^(٣).
- ٤ - البشارة في تكملة الإشارة^(٤).

(١) ذكره بوير «W.Popper» في دائرة المعارف الإسلامية - ج ١ ص ٥٩٦ - دون عزو إلى مظان وجوده.

(٢) ذكره ابن الصيرفي - أنباء الهصر ص ١٧٨ - مشيراً إلى أنه في «بيان معاني اللغة التركية، على نوع علم البديعية»، ولعله هو المشار إليه لدى «بوير» - دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٥٩٦ - باسم: «تخاريف أولاد العرب في الأسماء التركية»، دون عزو إلى مظان وجوده.

(٣) سوف يعرض له تفصيلاً فيما بعد.

(٤) ذكره «المرجى» - مقدمة النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧ - والشوكاني. البدر الطالع ج ٢ ص ٣٥١.

بينما وردت عبارة «ابن الصيرفي» - أنباء الهصر ص ١٧٨ - بشأنه هكذا:

«... ثم كتاب البشارة، ذيله على كتاب الحافظ شمس الدين الذهبي، وله الإشارة، مختصر في مجلد لطيف من سنة سبعمائة إلى سنة سبعين وثمانمائة».

المشهور - إذن - من هذه العبارة أنها كتابان من تأليفه، وليس الأمر كذلك، إذ وقع في العبارة اضطراب - لم ينتبه إليه محقق الكتاب - وتصحيحها على النحو الآتي:

«... ثم كتاب البشارة، ذيله على كتاب الحافظ شمس الدين الذهبي - الإشارة، مختصر في مجلد لطيف من سنة سبعمائة إلى سنة سبعين وثمانمائة».

والاسم الكامل لكتاب «الحافظ الذهبي» هو: «الإشارة إلى وفيات الأعيان، والمتقى من تاريخ الإسلام»، ومحتواه - كما طالعته في مخط. الأحمدي بحلب رقم: ٣٢٨ (٤٢)، وعن مصورة

- ٥ - تاريخ ملوك الغرب^(١).
- ٦ - حلية الصفات في الأسماء والصناعات^(٢).
- ٧ - حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور^(٣).
- ٨ - الدليل الشافي على المنهل الصافي^(٤).

= معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤٠ - تاريخ - وفيات المشهورين من السنة الأولى للهجرة، حتى سنة سبعمائة، وهو من المصادر الهامة «لابن تغري بردي» في كتابه «النجوم الزاهرة».

- (١) أحال إليه «ابن تغري بردي» في المنهل الصافي ج ٢ ق ١٣٥١.
- (٢) أحال إليه «ابن تغري بردي» في كتابه «النجوم الزاهرة» ج ٦ ص ١٩٥، ج ٧ ص ٢٢٥، ج ٨ ص ١٩٥، ج ٩ ص ٢٦٠ بهذا الاسم. وذكره كذلك كل من: «المرجى» - مقدمة النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧ - «والسخاوي» - الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٠٧ - «الشوكاني» - البدر الطالع ج ٢ ص ٣٥١ - «وحاجي خليفة» - كشف الظنون ص ٦٩٠ - «البغدادى» - هدية العارفين ج ٢ ص ٥٦٠ - بهذا الاسم.

بينما الوارد لدى «ابن الصيرفي» - أنباء المصير ص ١٧٨ - بشأنه قوله:
«... وله حلية الصفات في اختلاف الأسماء والصناعات، مرتب - أيضاً - على الأبواب والحروف في مجلد يشتمل على نحو ثلاثة آلاف مقطوع من الشعر، غير القصائد المطولات»، وهو واهم في تسميته.

- (٣) نشر «بوبر» فيما بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٤٢م. مقتطفات منه تشتمل على جميع الفقرات التي رأى أنها لم تذكر في النجوم الزاهرة - راجع: نشرة بوبر. ط. كاليفورنيا، ١٩٤٢، ومقالته عن أبي المحاسن في دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٥٩٥.

- (٤) نشرة الأستاذ «فهم محمد شلتوت» سنة ١٩٨٣م. في مجلدين، ضمن مطبوعات مركز البحث العلمي لإحياء التراث الإسلامي، التابع لجامعة أم القرى، عن مخط. قرة جلبي - بتركيا - رقم: ٢٢٦.

وهو مختصر لكتابه «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي»، جاء في مقدمته قوله:
«... أما بعد، فقد ألفت هذا المختصر، وجعلته لتاريخنا المسمى بالمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي كالديباجة له، ورتبته من أوله إلى آخره، لا يخل عن التاريخ المذكور بترجمة واحدة، واختصرت فيه التراجم جداً، ليكون الناظر في ذلك التاريخ بهذا المختصر على بصيرة، ويعلم من أول الأمر أن الذي يطلبه هو موجود في المستوفي أم لا، وهل هو في أول الكتاب أو في آخره، فيحصل مطلوبه بسهولة، وسميته بالدليل الشافي على المنهل الصافي، وفي هذا الاسم كفاية عما ذكرناه».

لكن أفسد الكتاب ناسخه، مما جعله يحيد عن الغاية التي ألف من أجلها، حيث زيدت عليه ترجمات ليست من مادة المنهل الصافي - وإن كتبت بمداد مغاير لمداد باقي الترجمات - بينما =

٩ - السكر الفاضح والعطر الفائح^(١).
١٠ - الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة^(٢).

= أسقطت منه أخرى مثبتة في المنهل، فضلاً عن تداخل معلومات بعض الترجمات في بعض، وقد أسقطت رؤوسها، أو مخالفة إيرادها في الدليل ترتيبها في المنهل، وزاد على ذلك ورود ثلاث ترجمات في مطبوعة الكتاب وقد بترت.

أما الترجمات الزائدة على مادة المنهل، فكانت خمساً وعشرين ترجمة، هي:
تر. إبراهيم بن أبي الغيث. إبراهيم البراذعي. أحمد بن عاطف. أحمد بن محمود بن صدقة.
أحمد بن إينال العلاني. أرغون العلاني الناصري. أسلم بن إسحاق. إسماعيل بن إبراهيم
الفراء. إسماعيل بن إبراهيم الموصلي. إياس الصرغتمشي. بلق الجمدار. بيارس الأشرفي.
قرازين عبد الله الأشرفي. جانبك النوروزي. جاز بن هبة. جوهر النوروزي. الحسن بن
محمد بن باشك. الحسين بن شاش. خشكلدي الناصري. عامر بن عبد الله. محمد بن
الحسين بن رزين. محمد بن الحسين بن عبد السلام. محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين.
محمد بن الخضر بن عبد الرحمن. يلغا بن عبد الله الكزلي.
على حين كانت الترجمات الساقطة من نخط. الدليل المثبتة في المنهل «ستاً وستين ترجمة»، هي
حسب ترقيم مط. الدليل:

١٣/٥٢/١١٧/١٢٤/١٢٦/١٣٩/١٥٨/١٥٩/٢١٩/٢٢٤/٢٤٢/٢٥٦/٢٧٨/
٣٤٩:٣٥١/٣٧٩:٣٨١/٣٩٨/٤٠٧/٤٢١/٤٥٠/٤٩٤/٥٠٢/٥٥٨/٥٨٨/٦٣٣/
٦٤٩/٧٢٧/٧٢٩/٨٢٢/٨٢٣/٨٤٢/٩٥٨/٩٧٧/١٠١٠/١٠٨٣/
١١٦٢: ١١٦٥/١١٦٧/١١٦٩/١٢٧٩/١٢٨٣/١٤٠٣/١٥٣٢/١٥٤٤/١٥٩٩/
١٧١١/١٩١١/١٩١٤/١٩٣٦/١٩٧٠/٢٠٤٩/٢٠٦٢/٢٢٠٠/٢٢٠٥/
٢٢٨٤: ٢٢٨٦/٢٣٣١/٢٤٦٨/٢٧٩٧.

أما الترجمات المتبررات في المط. فقد أتت تحت أرقام: ٤٠٥، ٧٤٨، ٨٠٠، وهي - على
التوالي - كما وردت في المخط:

* «إسحاق بن داود بن سيف أُرعد الخطي ملك الحبشة. توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة».
* «بيليك الأيدمري المنصوري. توفي سنة ست وثمانين وثمانمائة ودفن بترته بالقرافة بقرب
الإمام الشافعي - رضي الله عنه».
* «توبة بن علي بن مهاجر، الصاحب تقي الدين؛ أبو البقاء الربيعي التكريتي، وزير المنصور
قلاوون بدمشق، توفي سنة ثمان وتسعين وستمائة».

(١) هكذا سماه صاحباً إيضاح المكنون - ج٢ ص١٩ - وهدية العارفين - ج٢ ص٥٦٠ - بينما
يسميه «بوبر»: «السكر القادح والعطر الفائح» - دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص٥٩٦ - مشيراً
إلى أنه «قصيدة»، مضمونها صوفي، ويعزود. محمد مصطفى زيادة - التاريخ والمؤرخون في
مصر ص٣٤ - إلى مكتبة «الاسكوريال» وجود نخط. منه تحت رقم: ٣٦٧.
(٢) أشار «حاجي خليفة» إليه - في كشف الظنون ص ١٩٣٣ - بهذا الاسم قائلاً: «... ولخص المصنف

- ١١ - منشأ اللطافة في ذكر من ولي الخلافة^(١).
- ١٢ - المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي^(٢).
- ١٣ - مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة^(٣).
- ١٤ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة^(٤).
- ١٥ - نزهة الرائي في التاريخ^(٥).
- ١٦ - نزهة الألباب في اختلاف الأسماء والألقاب^(٦).
- ١٧ - كتاب الوزراء^(٧).

= كتابه (النجوم الزاهرة)، وسماه الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة، أوله: الحمد لله الذي زين السماء الدنيا بالنجوم الزاهرة... الخ، ذكر أنه اختصره حذراً من أن يختصره غيره - على تبويبه وفصوله»، وورد بهذه التسمية - أيضاً - لدى البغدادي - في هدية العارفين ج ٢ ص ٥٦٠. بينما يذكره «ابن الصيرفي» - أنباء المصير ص ١٧٧ - باسم «الأنوار الظاهرة من الكواكب الظاهرة»، مشيراً إلى أنه في مجلد لطيف، مختصر من النجوم الزاهرة. ولعله - إن صحت التسمية - مختصر من المختصر المذكور.

(١) موضوعه «مطول تاريخ مصر»، ولكن محتواه يخرج به عن إطار التاريخ بمفهومه الدقيق، إذ هو معلومات عن مصر منذ أقدم العصور تتعلق بالعجائب، وبعض الحكايات الخرافية التي يعوزها دليل أو برهان - نشره عن مخط. باريس «كاريل J. E. Carlyle» - راجع: ط. كامبردج، ١٧٩٨ م.

(٢) نشر جاستون فييت «Gaston Wiet» سنة ١٩٣٢ م، مختصراً لتراجمه، كما نشر القسم الأدبي بدار الكتب المصرية الجزء الأول منه سنة ١٩٥٦ م. بتحقيق الأستاذ «أحمد يوسف نجاتي»، وتوالي - الآن - الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة إعادة تحقيقه ونشره.

(٣) مخط. محقق تحت الطبع.

(٤) نشر كوينبول وماتيس «Juynboll - Matthes» فيما بين سنتي ١٨٥٥ و ١٨٦١ م. - في ليدن - المجلدين الأول والثاني منه (من سنة ٣٦٥: ٢٠ هـ)، ثم نشر «بوبر» - في بركلي - فيما بين سنتي ١٩٠٩ و ١٩٢٩ خمس مجلدات منه (من سنة ٣٦٦: ٥٦٦ هـ، ومن سنة ٧٤٦: ٨٧٢ هـ)، ثم أعيد في مصر نشره كاملاً في ١٦ مج. ط. دار الكتب المصرية، والمؤسسة المصرية (الهيئة العامة للكتاب).

(٥) أشار «جرجي زيدان» - تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٩٦ - إلى أنه «تاريخ مفصل على السنين والشهور والأيام في عدة مجلدات. منها الجزء التاسع في اكسفورد لحوادث سنة ٨٤٧-٦٧٨ هـ».

وراجع: بوبر. دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٥٩٥.

(٦) أشار إليه «ابن الصيرفي» في أنباء المصير ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٧) نسبه «بوبر» - دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٥٩٥ - إليه ضمن ما نعتة «بالمخلصات

كما أشار «ابن تغري بردي» إلى أن له مصنفاً في سوق المحمل واللعب بالرمح^(١)، ويعزو له «ابن الصيرفي»^(٢) كتاباً آخر في «الرياضا والموسيقا»، لعله هو المشار إليه لدى «بوبر»^(٣) بقوله: «ورسالة صغيرة في الموسيقا الصوتية».

تلك هي مؤلفات «ابن تغري بردي»، ترينا عنواناتها كم كان ذواقة في تسميتها^(٤) وإنشاء موضوعاتها، كما ترينا موضوعاتها إلى أي حد تأثر بهذه الثقافة الشمولية التي شكلت فكره صبيّاً وشيخاً، ناهيك عن معرفة ميوله واتجاهاته الغالبة نحو: التاريخ، والأدب، واللغة، والموسيقا، والتصوف.. ووعيه بمبادتها ومواردها.

= والمقتطفات»، بيد أن «ابن تغري بردي» يحيل إليه في النجوم الزاهرة - ج ٤ ص ١٧١، ج ٥ ص ٢٢٢ - مشيراً إلى أنه محل للإطنا ب في الوزراء.

(١) فقد ورد في النجوم الزاهرة - ج ٧ ص ٣١٢ - بشأنه قوله: «... وقد صنف أنا ثمانية ميادين، كل واحد يخالف الآخر في نوعه لم أسبق إلى مثلها قديماً ولا حديثاً، لكنني لم أظهرها لكساد هذا الفن وغيره في زماننا هذا، ولعدم الإنصاف فيه، وكثرة حساده ممن يدعي فيه المعرفة وهو أجنبي عنها، لا يعرف اسم نوع من أندابه على جليلة بل يدعيه جهلاً، ويقوى على دعواه بالشوكة والعصبية».

(٢) أنباء المصير ص ١٧٨.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٥٩٦.

(٤) تنبه «ابن الصيرفي» - أنباء المصير ص ١٧٩-١٨٠ - إلى ذلك قائلاً: «... وأما الذي يستحسن مما نسب إليه، فهو تسميته الكتب المذكورة»، وإن دفع عن «ابن تغري بردي» اختيار عنواناتها قائلاً: «... وقد ثبت عندي بالطريق الصحيح الذي لا يزول من اعتقادي أن سيدنا وشيخنا الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي - عفا الله عنه - هو الذي سماهم له، ولقد سألت الشيخ المذكور عن ذلك فتغافل عن الجواب، فالزمته وألححت عليه فأخبرني بذلك من لفظه».

وعلى الرغم من أن تسمية المصنف من قبل غير مؤلفه، بل وعمل خطبته كان مشهوراً آنذاك ومتعارفاً عليه (راجع: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٧٧) فإنه ليس بعيداً من «ابن تغري بردي» أن يسمى كتبه بنفسه بتلك العنوانات الأنفة، وقد كان شاعراً على أي منزلة من الجودة في شعره.

حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور

ذيل على « السلوك » للمقريري ، أشار إليه مؤلفه في مقدمته بقوله :

« . . . أما بعد ، فلما كان شيخنا الإمام الأستاذ العالم العلامة المفنن ، رأس المحدثين ، وعمدة المؤرخين ، تقي الدين ، أحمد بن علي المقريري - الشافعي ، أتقن من حرر تاريخ الزمان ، وأضبط من ألف في هذا الشأن ، وأجل تحفة اخترعها ، وعمدة ابتدعها ، كتابه المسمى بالسلوك في معرفة دول الملوك ، قد انتهى فيه إلى أواخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، وهي السنة التي توفي فيها^(١) ، ولم يأت بعده من يعول عليه في هذا الفن ، ولا من يرجع إليه إلا الشيخ الإمام العالم العلامة قاضي القضاة ، بدر الدين ، محمود العيني - الحنفي ، فأردت أن أعلم حقيقة أمره في هذا المعنى ، ونظرت فيما يعلقه في تلك الأيام ، فإذا به كثير الغلطات والأوهام ، وذلك لكبر سنه واختلاط عقله وذهنه ، بحيث أن الشخص لا يمكنه الفائدة من ذلك إلا بعد تعب كبير ، لاختلاف الضبط وعدم التحرير ، فلما رأيت ذلك أحببت أن أحيي هذه السنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ تقي الدين المقريري ، وجعلته كالذيل على كتاب السلوك - المذكور - وسميته : حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور .

ورتبته على السنين والشهور والأيام ، وجعلت ابتدائي فيه من افتتاح سنة خمس وأربعين وثمانمائة .

لكن لم أسلك فيه طريق الشيخ المقريري في تطويل الحوادث في السنة

(١) سهو قلم من مؤرخنا ، إذ أن « المقريري » توفي في السنة التالية .

وقصر التراجم في الوفيات ، بل أطنبت في الحوادث وأوسعت في التراجم ، لتكثر الفائدة من الطرفين ، وما وجدته مختصراً من التراجم في هذا التعليق ، راجع فيه كتابنا المسمى بالمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، فإنني هناك شفيت الغلة ، وأزحت العلة ^(١) .

والمستخلص من هذا :

أ - دافعه إلى تأليف الكتاب : انتهاء (السلوك) « أجل تحفة اخترعها ، وعمدة ابتدعها » المقريزي « أتقن من حرر تاريخ الزمان ، وأضبط من ألف في هذا الشأن » بأواخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة للهجرة ، وفقد « من يعول عليه في هذا الفن » - التاريخ - أو « يرجع إليه » ، وفي ذلك إغراء لمؤرخنا بالتذيل عليه ووصله ، إحياء لهذه « السنة » .

ب - محتواه وتنظيمه : « . . . ورتبه على السنين والشهور والأيام ، وجعلت ابتدائي فيه من افتتاح سنة خمس وأربعين وثمانمائة » ، أي من السنة التالية لانتهاؤ مادة « السلوك » .

ج - منهجه في تأليفه : الإطناب في « الحوادث » - متفقاً في ذلك مع السلوك - والتوسعة في « التراجم » - مخالفة لما جاء في السلوك - « لتكثر الفائدة من الطرفين » ، وإن لم تغن هذه التوسعة في التراجم عن مراجعة « المنهل الصافي » ، إذ هو « العمدة » فيها .

د - تسميته للكتاب : « . . . وسميته : حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور » .

ويلي هذه المقدمة عشرون حولية متتابعة ، حُصرت فيما بين سنتي خمس وأربعين وثمانمائة ، وأربع وسبعين وثمانمائة للهجرة ، وقد انقسمت كل منها إلى شطرين - باستثناء آخرها - عني في أولهما بإثبات الكثير من الحوادث المتتابعة ، والمرتبة في حولياتها على الشهور فالأيام ، وفي ثانيها بالترجمة لأعلام المتوفين في كل حولية على حدة ، دون تنظيم لتلك الترجمات ، سواء

(١) ابن تغري بردي . حوادث الدهور (مخط . آياصوفيا) ج ١ ق ٢ .

على الحروف الأولى لأسمائهم أو ألقابهم أو كناههم ، أو حتى حسب تأريخ الوفاة ، مخالفاً بذلك العرف المتبع لدى المؤرخين المعاصرين . وقد يذيل على الوفيات ما فات إثباته من «الحوادث» في صدر بعض الحوليات ، أو يشير من خلال الحوادث إلى كثير من «الوفيات» .

أما «الحوادث» ، فهي متعددة العناصر ، استهلها بقائمة استقرارية ، ذكر فيها أسماء المتولين للوظائف الهامة في الدولة ، ثم نبه من خلال الحوادث تباعاً - في سائر الحوليات اللاحقة - إلى ما قد يحدث فيها من تغاير ، مضيفاً إليها استقرارات وظيفية أخرى .

وهذه القائمة الاستقرارية المتصدرة لأولى حوليات الكتاب (٨٤٥ هـ .) شملت : السلطان ، والخليفة ، والقضاة الأربعة في عاصمة السلطنة (الشافعي ، فالحنفي ، فالمالكي ، فالحنبلي) ، والمحتسب ، وأتابك العساكر ، وأمير سلاح ، وأمير مجلس ، والأمير آخور الكبير ، والخازندار ، وشاد الشراب خاناه ، والزردهكاش ، ونائب القلعة ، والزمام ، ومقدم الممالك ، ووالي القاهرة ، وكاتب السر ، وناظر الجيش ، والوزير ، والأستادار ، وناظر الخاص ، ونائب كاتب السر ، وناظر الدولة ، ونواب الشام وحلب وطرابلس وحماه وصفد وغزة والكرك ومطية والقدس وحمص .

وهو - عادة - ما ينبه إلى الجمع لدى أحدهم بين أكثر من وظيفة ، معللاً لتوليته هذه الوظيفة أو تلك ، وتلك الوظائف المرشحة للأفراد والتي لا يتم استقرارهم فيها ، والعلة في ذلك ، وما يطرأ على هذه الوظائف - وسائر عادات الدولة ورسومها - من تغاير أو تعديل ، وما يلحق الشاغلين لها - في كثير من الأحيان - من نفي ، أو حبس ، ومصادرة أموال ، أو ضرب وتشهير ، أو عزل وتبديل ، وما يتبع تلك العقوبات (خاصة لدى الأمراء أرباب الوظائف العسكرية) من تغاير في الإقطاعات .

كما أنه يشير بالضرورة - تبعاً لذلك - إلى فك المحبوسين والرضا عنهم ، بشفاعة الشافعين من الأمراء ومشهوري العلماء ، وما يحدث في بعض السجون من الثورات ، أو نقب الجدران وقتل السجّانين تمهيداً للفرار .

كما يشير إلى مجهودات (السلطنة) في درء خطر الخارجين عليها من العربان ، والنواب ، ودفع المعتدين على سواحلها من الفرنج ، بتحسين الثغور ، أو إعداد المراكب الحربية لغزوهم في عقر ديارهم (كما في غزورودس ، وحصار قيسارية) جهاداً واحتساباً لوجه الله .

وكذا مجهوداتها في مواجهة الغلاء والتخفيف عن الفقراء والمصابين في ذوبهم بالفقدان نتيجة للطواعين ، من التسعير للمطعومات ، وجلب القمح والشعير وغيرهما ، وبيعهما للناس بالخسران ، وتفريق الدراهم عليهم ، وتكفين الموتى منهم .

وربما عولجت أسباب القحط والغلاء معالجات دينية ، كالخروج للإستسقاء ، وإشهار الدعاء بالكف عن الكبائر والمعاصي ، وكبس الحانات والمعاصر التي للخمور .

ولا يفوت « ابن تغري بردي » - في كثير من الأحيان - التنبيه إلى ارتفاع أو انخفاض سعر بعض السلع ، لتكون مقياساً لغيرها ، ومن هذه السلع : القمح ، والفل ، والشعير ، والأرز ، والبرسيم ، والتبن ، والحب ، واللحوم ، وأنواع الزيوت ، والدهن ، والسمن ، وعسل النحل ، والأجبان ، والدبس ، والدقيق ، والخبز . . . ومن هذه السلع ما يخضع للوزن (بالرطل) ، ومنها ما يخضع للقياس (الفدان أو القيراط) ، ومنها ما يخضع للكيل (القدح أو راوية الماء) .

وكثيراً ما يقارن بين الأسعار في عاصمة السلطنة (القاهرة) وفي غيرها من بلدانها (الشام والحجاز) .

كما أنه يشير - دائماً - إلى ما استقر عليه الحال من تسعير للدراهم والدنانير والفلوس ، وأسعار الميثقال من الذهب أو الفضة ، بل والمناداة بتبديل بعض العملات أو استحداث البعض الآخر منها .

وهو مهتم - كذلك - بالتنبيه إلى ما يقوم به السلاطين من سرحات ومواكب ، عيادة للمرضى من بعض أرباب الوظائف في الدولة ، أو تفقداً لأحوالهم ، أو مجاملة للأقارب ، أو إعلاماً بالتماسك والعافية من الأمراض ، وما يتبع الكثير من هذه الزيارات من الإهداء إلى السلطان ، كل على حسب

طاقته ووظيفته . وكذا ما يكون في القصر من تزواج أو تطليق ، أو إنجاب للأبناء ، أو فقد لهم بالوفاة ، وما يكون من احتفال لشفاء بعض «الخوندات» ، أو تصريح لها بالحج ، وما يتبع الحاليتين من التجميل معها وتكالب الأمراء على خدمتها ، التماساً لرضاها ، وبالتالي رضا السلطان .

وهو مهتم - كذلك - بالتأريخ لوفود القصاد (الرسل) من الممالك ذات العلاقة بدولة سلاطين الممالك - في وقته - على السلطان ، وكذا النواب والأمراء من مختلف أرجاء السلطنة ، ووصف ما حملوه إلى خزانة السلطان من هدايا ، وما خصهم به السلطان من خلع أو هبات ، أو حضور مواكب .

وكذا ما يقع في عصره من نوادر الحوادث ، كإنجاب إحداهن طفلة برأسين ، أو نبع ماء رائق من نخلة جافة ، أو تجاوز من بعض الصلحاء (الصوفية) .

على أنه التزم في سائر الحوليات بالإشارة إلى اكتمال كسوة الكعبة ، ودوران المحمل ، وتعيين أمراء الحاج (حجاً وعُمراً) ، وقدم مبشري الحاج ، وإخبارهم بما يكون في الحج من السلامة ورخص الأسعار ، أو الغلاء والفناء ، أو قطع الطريق على الحجيج ، ونهب وأسر العربان لهم .

وكذا الإشارة إلى احتراق النيل ، أو وفائه ، وما يتبعه من تخليق مقياسه ، وفتح (كسر) خليج السد ، وإفضاء الخلع السلطانية على كاسر الخليج ، والقياس (من ذرية أبي الرداد) ؛ مقررناً ذلك بشاهد شعري مما قيل مستعذباً في أحوال النيل ، بل تأتي أحوال النيل لازمة مذيلة لسائر الحوادث من كل عام ، وقد أشير فيها إلى القاعدة القديمة ، ومبلغ الزيادة .

وتلك الحوادث لم ترد مجردة عن ذات مؤرخنا - في معظمها - وإنما هي ممزوجة بذات مؤرخنا ، سواء بإبرازه عنصر المشاهدة والمشاركة فيها ، أو بالتوجيه النقدي لها .

وأما «التراجم» ، فهي قصيرة قياساً بمثيلاتها الواردة في «المنهل الصافي» ، وهي مع هذا القصر متفاوتة من حيث المادة والمساحة ، تبعاً للأهمية المترجم له ، وصلة مؤرخنا به ، فترجمات الخلفاء والسلاطين ومشاهير

العلماء كالتقي المقريري ، وابن حجر ، والبدر العيني - مثلاً - لا تضاهيها ترجمة سواء في المحتوى أم في المساحة .

وعناصرها تنحصر في : الاسم ، واللقب ، والكنية ، واسم الشهرة ، والنسبة ، والموطن ، والألقاب العلمية والصقات الرئيسة ، والمولد ، والوفاة ، وربما قدر عمر المترجم له حال الوفاة ، والنشأة والتكوين ، ومنزلة المترجم له في مجتمعه ، ووظائفه ، وأعماله ، وسجايه ، وصفاته ، وعلاقاته بذوي قرباه ، أو أقرانه ، وعلاقة مؤرخنا به .

وهي ترجمات لم تقتصر على نوع واحد من الأعلام المشاهير في الجنس ، أو في الأصل ، أو في الديانة ، أو في المنصب ، أو في الوظيفة ، أو في الحرفة ، أو في المعرفة ، وإنما هي «ترجمات» «شمولية النوع» ، «شمولية المكان» - كذلك - بحيث لم تقتصر على المصريين وحدهم ، وإنما هي حاوية إلى جانبهم مشاهير الشام والحجاز واليمن . . . وغيرهم .

وعدها في هذا الجزء - المحقق - «٢٠٤» ترجمة ، كما يوضحه الجدول التالي :

| مسلسل | الحولية | عدد الترجمات فيها | مسلسل | الحولية | عدد الترجمات فيها |
|--------|---------|-------------------|-------|-----------|-------------------|
| ١ | ٨٤٥ | ٦ | ٩ | ٨٥٣ | ٢٩ |
| ٢ | ٨٤٦ | ٨ | ١٠ | ٨٥٤ | ٢٢ |
| ٣ | ٨٤٧ | ٤ | ١١ | ٨٥٥ | ٢١ |
| ٤ | ٨٤٨ | ٤ | ١٢ | ٨٥٦ | ٢٢ |
| ٥ | ٨٤٩ | ٣ | ١٣ | ٨٥٧ | ١٩ |
| ٦ | ٨٥٠ | ٨ | ١٤ | ٨٥٨ | ١١ |
| ٧ | ٨٥١ | ٧ | ١٥ | ٨٥٩ | ١٥ |
| ٨ | ٨٥٢ | ٢٠ | ١٦ | ٨٦٠ | ٥ |
| الجملة | | | | ٢٠٤ ترجمة | |

إحصاء عددي بترجمات حوليات هذا الجزء من الكتاب

لم يرد بها مؤرخنا الموازنة بين الحوليات من حيث الكم، إذ خضع إثباتها في حولياتها للعشوائية المطلقة، ولذا وجد أن أولى حوليات الكتاب قد احتوت على ست ترجمات - فقط - وأن آخر حوليات هذا الجزء قد احتوت على خمس ترجمات - فقط - بينما تفوقت الحوليات المتوسطة لمادة الكتاب باستيعاب أكبر كم منها، على نحو ما يوضحه الجدول التالي :

| مسلسل | الحولية | عدد الترجمات | مسلسل | الحولية | عدد الترجمات |
|-------|---------|--------------|-------|---------|--------------|
| ١ | ٨٤٩ | ٣ | ٩ | ٨٥٨ | ١١ |
| ٢ | ٨٤٧ | ٤ | ١٠ | ٨٥٩ | ١٥ |
| ٣ | ٨٤٨ | ٤ | ١١ | ٨٥٧ | ١٩ |
| ٤ | ٨٦٠ | ٥ | ١٢ | ٨٥٢ | ٢٠ |
| ٥ | ٨٤٥ | ٦ | ١٣ | ٨٥٥ | ٢١ |
| ٦ | ٨٥١ | ٧ | ١٤ | ٨٥٤ | ٢٢ |
| ٧ | ٨٤٦ | ٨ | ١٥ | ٨٥٦ | ٢٢ |
| ٨ | ٨٥٠ | ٨ | ١٦ | ٨٥٣ | ٢٩ |

ترتيب الحوليات حسب الكم التصاعدي للترجمات

الأصول المخطوطة للكتاب

عرف لهذا الكتاب مخط . ثلاث، وهي :

أ - مخط. «برلين»، ذات الرقم : «٩٤٦٢»، وهي نسخة تامة، تنتهي بحوادث حولية ٨٧٤ هـ . التي مات فيها مؤرخنا، كتبت بخط «الشمس السخاوي» - المؤرخ الشهير - لكن لم يقدر لي الاطلاع إلا على لوحتين - فقط - أخذتا عنها، يأتي بينهما في وصف المخط . الثالثة .

ب - مخط. «آيا صوفيا»، ذات الرقم : «٣١٨٥»، والتي اطلعت عليها في مصورتها المحفوظ بها لدى معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة، برقم :

« ٢٢١ - تاريخ » ، وتحتوي على الجزء الأول من الكتاب فقط ، والذي ينتهي
بنهاية حولية ستين وثمانمائة للهجرة ، ويقع في إحدى وأربعمائة صفحة ، ذات
قطع كبير ، مسطرتها نحو أربعة وعشرين سطراً ، فرغ من كتابتها بخط نسخي
حسن « محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب ،
الأخميمي ، الخزرجي الحنفي » يوم الأحد ، الرابع والعشرين من شعبان سنة
(٨٩٨ هـ . / ١٤٩٣ م .) ، عن نسخة « محمد بن أحمد بن محمد ،
الطندي - الشافعي » ، المكتبة من مخط . المؤلف ، والمؤرخة بيوم
الخميس ، حادي عشر ربيع الآخر سنة (٨٢١ هـ . / ١٤٥٧ م .) .

وهي نسخة سليمة في معظمها ، ذيلت صفحاتها بالكثير من الحواشي
والتعليقات ، وقد ميزت عن غيرها من المعلومات المستدركة على المتن ،
والساقطة أثناء النسخ بالرمز «ح» ، أي : حاشية .

ج - نسخة التيمورية ، ذات الرقم : « ٢٤٠٤ » ، المحتفظ بها لدى دار الكتب
المصرية في القاهرة ، والمصورة عن مخط . (المتحف البريطاني) ، وتقع في
« ٤٧٤ » لوحة ، مقاسها : ٢٠ × ٢٤ سم ، ومسطرتها حوالي سبعة وعشرين
سطراً ، ضمتها ثلاث مجلدات ، وقد ألفت الرطوبة الأطراف العليا والسفلى
لأكثر صفحات الأصل ، ومحت الكثير من معلوماتها .

وهي نسخة مجهولة النسخ والتأريخ ، لبت في أولها وآخرها ، كما أنها
كثيرة الخطأ والتحريف ، والخروم ، التي أفقدتها مقدمة الكتاب ، وما تليها من
حوليات حتى حوادث أول رجب سنة ٨٤٨ هـ . وأواخر حوادث سنة ٨٥٩ هـ .
ووفياتها ، وحولية ٨٦٠ هـ . بكاملها ، وأوائل وأواخر حوادث سنة ٨٦٢ هـ .
ووفياتها ، وحوادث سنة ٨٦٣ هـ . وقسماً من وفياتها ، وحوادث المحرم وبعض
صفر سنة ٨٧١ هـ . وقسماً من وفياتها ، وحوادث جمادى الآخرة وشعبان وبعض
ذي الحجة سنة ٨٧٢ هـ . ، وقسماً من وفياتها إلى آخر الكتاب .

ونظراً لضياح أول هذه النسخة وآخرها ، وابتدائها بورقتين من كتاب
« تحفة الظرفاء في مناقب الملوك والخلفاء » « للجلال النوري » ، المعروف بتاج
الملوك الحلبي - ضمتا إليها خطأ - فقد صور « تيمور - باشا » - رحمه الله -
لوحيتين من مخط . برلين . (من حوادث سنة ٨٤٨ هـ .) ، مقاسهما :

٢٩ × ٢١ سم ، ومسطرتهما : ٤١ سطرًا ، ذيل بهما على نسخته في مجلدة رابعة ، أُشير في أولها إلى أنه استحضرهما للتثبت من الكتاب ومؤلفه .

هذه النشرة :

نشرتنا هذه قاصرة على تحقيق الجزء الأول - فقط - من الكتاب ، والمحتوي على مقدمة المؤلف ، وما تليها من حوليات ، إبتداء بحوادث سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، وانتهاء بوفيات سنة ستين وثمانمائة للهجرة ، وما ذيل عليها من أخبار اليمن .

ومادة هذا الجزء تقارب - فيما أرى - نصف مادة الكتاب وحجمه ؛ وسوف تصدر - بإذن الله - في ثلاثة أجزاء ، يضم الأول والثاني منها مقدمة التحقيق والنص المحقق ، بينما يشتمل ثالثها على الفهارس العلمية ومصادر التحقيق .

منهج التحقيق :

اتخذت مخط . «آيا صوفيا» أصلًا لتحريـر هذه النشرة ، رامزاً إليها بالرمز : «أ» ، وقد أُشير إليها - أحياناً - بـ «الأصل» ، مع مراجعة مخط . «التيـموريـة» ، التي رمزت إليها بالرمز «ب» ، وإن لم أتقيد في كثير من المواضع بإثبات سائر الاختلافات - فيما بينهما - لما أشرت إليه - قبل - من شيوع الإسقاطات والتحريفات فيها .

كما اتخذت من «النجوم الزاهرة» للمؤلف ، ومختارات «بوبر» من «حوادث الدهور» أصلًا ثالثاً لتحريـر هذه النشرة ، حيث أفادا كثيراً في ملء ما بها من فراغات ، مع التنبيه - دائماً - إلى ذلك في الحواشي .

وقد أضيف حرفاً ، أو كلمة ، أو جملة ، أو فقرة - من نسخة «ب» ، أو من المصادر - تصويباً للنص ، ومدعاة لاستقامته ، أو أبدل كلمة أو أسقطها - كذلك - لاضطرابها أو تكريرها ، منبهاً إلى ذلك - دائماً - في الحواشي .

وفضلاً عن ذلك ، فإنني نظمت الكتاب ، بجعل أسماء الشهور في وسط السطور - دائماً - كالعنوانات لما يليها من الحوادث ، التي نظمت في فقرات متتابعة ، كما رقمت الترجمات المذيل بها على الحوادث بأرقام متتابعة في

حولياتها ، واضعاً لهذه الأرقام بين قوسين وقد تصدرت مادة الترجمات ، إشارة إلى أنها ليست من أصل الكتاب .

أما الحواشي ، فإنني لم أرد بها إثقال النص المحقق ، ولذا فقد اقتصر فيها على الضروري جداً ، الرامي إلى شرح مصطلح حضاري ، أو تعريف ببلد خفي الشهرة ، أو أثر معماري ، أو تنبيه على خطأ وقع مؤرخنا فيه ، مع تخريج سائر ترجمات الكتاب ، والتعريف بالكثير من أعلامه ، وسياق نسب المترجمين فيه ، ممن اضطرب أو اختصر نسبهم في أصل الكتاب .

على حين تنوعت الفهارس العلمية ، المفردة بجزء مستقل ، خدمة لمادة الكتاب ، وتيسيراً للإستفادة منها .

وبالله التوفيق ، ومنه العون والسداد ، ،

محمد كمال الدين عز الدين علي

المنزلة الأولى من خوارزمية المهور في مباحث الأيام والشهور
تأليف سيدي يوسف بن توفيق في عهد السلطنة
بإمته والمسلمة أخمين أمين



F1/15

مدرسة علمية في علم الحساب
مدرسة علمية في علم الحساب
مدرسة علمية في علم الحساب
مدرسة علمية في علم الحساب
مدرسة علمية في علم الحساب
مدرسة علمية في علم الحساب



بسم الله الرحمن الرحيم
 في تاريخ الفتيحة وشرحها
 في تاريخ الفتيحة وشرحها

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
 الايام والشهور المات بحرمه المنفصل يا حسنة هذا كثير اكا بهن اعظم
 شانهما شنهان محرابين ورسوله سيد البشره صلى الله عليه وسلم
 الده واصحابه الي كبر الصديقين من التاريخ امره على يقينة الصلابة اجمعين
 وكل الناجين الى يوم الدين انا بقدر لكان شيخنا الامام الاستاذ العالم
 العلامة المفتي دامت له العزة وعنه المورثين في الدين احديهم على التبريد
 الشافعي اتفق من حرر تاريخ الزمان واضبط من ات في هذا الشأن واجل
 قسمة اختراعها من ابتداء كتابه السمي بالسلوك في معرفة دول الملوك
 وقامت في في الاخر سنة اربع واربعين وثان مائة وهي السنة التي توفي فيها
 ولهيات بعد من مولده في هذا السنة ولا من رجع اليه الا الشيخ الامام
 العلامة قاضي القضاة جدد الدين محمود الصفي الحنفي ما دلت ان اقام قسمة
 في هذا الحنفي منظر فيها ملقة في تلك الايام ما اذا في كثير الخطات والاهام
 وذلك لكبريتيه واختلاط عقله وذهنيه بحيث انما الحضر لا يكون القايين
 من ذلك الابد تعجب كبير لا خلاص الا لضبط وعدم التوجه فلما ديت في ذلك
 احببت ان احيي هذه السنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ في الدين
 وجعلته كالذي على كتاب السلوك المذكور وسميته حوادث الدهور في
 هذا الايام والشهور ورتبته على السنين والشهور والايام فوجدت
 ابتداء في من افتتاح سنة خمسين واربعين وثاني ما في ملكك لم اسلك فيه
 طريق الشيخ الفقيه في نظير الحوادث في السنة وقصر التراجم في الوفيات
 بل اطنبت في الحوادث واوسعت في التراجم لكثرة الطائفة من الطرمين
 وما وجدته مختصرا من التراجم في هذا التعليل راجع فيه كتابنا المسني المجلد
 الثاني والمستوفي بعد الوافية فان هناك شخيت الطلحة موازنة السلطة
 فانه اسال ان يفتني لما يرضيه ويصفي على ما يشركت فيه اذ ليس
 لكل عتبة وهو على ما يشاء قدره وبالا حجة جدي وهو حسي فيتم الكتاب

سنة



تصا

النَّصُّ الْحَقِيقُ

// الجزء الأول

من

حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور

تأليف

سيدي يوسف بن تغري بردي

تغمده الله - تعالى - برحمته والمسلمين أجمعين، آمين .

// بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله مدبر الدهور، ومدول الأيام والشهور، المانّ بكرمه، المتفضل بإحسانه، حمداً كثيراً كما ينبغي لعظيم شأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيّد البشر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أبي بكر الصديق، ومن بالتاريخ أمر^(١)، وعلى بقية الصحابة أجمعين، وعلى التابعين إلى يوم الدين.

أما بعد، فلما كان شيخنا الإمام الأستاذ العالم العلامة المفضل، رأس المحدثين، وعمدة المؤرخين، «تقي الدين، أحمد بن علي المقرئ الشافعي» أتقن من حرر تاريخ الزمان، وأضبط من ألف في هذا الشأن، وأجل تحفة اخترعها، وعمدة ابتدعها، كتابه المسمى «بالسلوك في معرفة دول الملوك» قد انتهى فيه إلى أواخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة، وهي السنة التي توفي فيها^(٢)، ولم يأت بعده من يعول عليه في هذا الفن، ولا من يرجع إليه إلا الشيخ الإمام العالم العلامة قاضي القضاة «بدر الدين، محمود العيني - الحنفي»^(٣) فأردت أن أعلم حقيقة أمره في هذا المعنى، ونظرت فيما يعلقه في تلك الأيام، فإذا به كثير الغلطات والأوهام، وذلك لكبر سنه واختلاط عقله وذهنه، بحيث إنّ الشخص لا يمكنه الفائدة من ذلك إلّا بعد تعب كبير، لاختلاف الضبط وعدم التحرير، فلما رأيت

(١) في حاشية «أ»: «يقال: أول من دون الدواوين، وأرخ التاريخ وأمر به، الإمام أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه».

(٢) كانت وفاة التقي المقرئ في السنة التالية (سنة ٨٤٥ هـ)، كما هو مذكور في الترجمة رقم (٥) من وفيات أولى حوлий هذا الكتاب.

(٣) راجع ترجمته ضمن وفيات حولية خمس وخمسين وثمانمائة للهجرة من هذا الكتاب.

ذلك أحببت أن أحيي هذه السنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ «تقي الدين المقريري»، وجعلته كالذيل على كتاب السلوك المذكور، وبسميته:

« حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور »

ورتبته على السنين والشهور والأيام، وجعلت ابتدائي فيه من افتتاح سنة خمس وأربعين وثمانمائة.

لكن لم أسلك فيه طريق الشيخ المقريري في تطويل الحوادث في السنة وقصر التراجم في الوفيات، بل أطنبت في الحوادث وأوسعت في التراجم لتكثر الفائدة من الطرفين، وما وجدته مختصراً من التراجم في هذا التعليق راجع فيه كتابنا المسمى «بالمهل الصافي والمستوفى بعد الوافي»، فإني هناك شفيت الغلة، وأزحت العلة.

والله أسأل أن يوفقني لما يرضيه، ويعينني على ما شرعت فيه، إنه الميسر لكل عسير، وهو على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وهو حسبي ونعم الوكيل.

استهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والأقطار الحجازية والبلاد الشامية الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلاني الظاهري ، والخليفة المعتضد بالله أبو الفتاح داود^(١) - وهو مريض - (و) القضاة : الشافعي : قاضي القضاة حافظ العصر شهاب الدين ، أحمد بن حجر العسقلاني ، والحنفي : قاضي القضاة سعد الدين ، سعد بن الديري ، والمالكي : قاضي القضاة بدر الدين ، محمد بن التنسي ، والحنبلي : قاضي القضاة : بدر الدين ، محمد بن عبد المنعم البغدادي ، ومحتسب القاهرة الشيخ بدر الدين ، محمود العيني ، والأمراء : أتابك العساكر^(٢) : يشبك السودوني المشد ، وأمير سلاح^(٣) : الأمير تراز القرمشي الظاهري برقوق ، وأمير مجلس^(٤) : الأمير جرباش الكريمي الظاهري برقوق ، المعروف بقاشق ،

(١) راجع ترجمته ضمن وفيات هذه السنة من هذا الكتاب .

(٢) أتابك العساكر : لفظ يتألف من شقين ، هما : « أتا » أو « أطا » بمعنى أب ، و « بك » بمعنى أمير ، وهو لقب فخري أطلقه السلاجقة على كبير أمرائهم ، ثم أريد به زمن سلاطين المماليك : مقدم العساكر ، أو القائد العام ، وكانت تلك أرقى الوظائف العسكرية - آنذاك - بل كثيراً ما مهدت لصاحبها تولى السلطنة .

(٣) أمير سلاح : وظيفة عسكرية كبرى في دولة سلاطين المماليك ، لا يشغلها إلا أمير مائة مقدم ألف ، وهو أمير السلحدارية ، والمشرف على السلاح خاناه بما فيها من أدوات وأسلحة ، لا تدخل إليها الأسلحة ، ولا تخرج منها إلا بأمره ، بالإضافة إلى أنه كان يحمل السلاح الخاص بالسلطان في المحافل العامة ، ويأوله إياه في الحروب وفي عيد النحر .

(٤) أمير مجلس : إحدى الوظائف المملوكية الهامة ، لا يشغلها إلا واحد فقط ، كان يختار - دائماً - من بين أمراء المثمين مقدمي الألوف ، ومهاؤها : القيام بترتيب مجلس السلطان ، وتدبير أمر حراسته ، والتحدث على الأطباء والكحالين والجراثيين والمجبرين ومن شاكلهم .

والأمير آخور الكبير^(١): الأمير قراقجا الحسني الظاهري برقوق، ورأس نوبة النوب^(٢): الأمير تمرباي التمرغاوي، وحاجب الحجاب^(٣) الأمير تنبك البرديكي الظاهري برقوق، والدودار الكبير^(٤) الأمير تغري بردي البكلمشي المؤذى، ورأس مقدمي الألوف^(٥): المقام الناصري محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق، ثم جماعة آخر.

وجميع أرباب الوظائف من المذكورين وغيرهم من أمراء الألوف، وعدتهم اثني عشر أميراً، بنصف ما كان في سالف الأعصار.

وأما وظيفة أمير جاندار^(٦)، فقد أبطلها الملك الأشرف برسباني في سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة عندما أخرج إقطاع الأمير قرا مراد خجا الشعباني الظاهري برقوق، ونفاه إلى القدس الشريف، وهي الآن يتولّاها الأجناد، فلا حاجة في ذكر من يليها - انتهى .

والخازندار^(٧): الأمير قانبك الأشرفي، أحد أمراء العشرافات^(٨) - وهو

(١) أمير آخور كبير : هي الوظيفة السادسة بين الوظائف العسكرية الكبرى لدى سلاطين المماليك ؛ وإلى متوليها أمر الدواب من خيل وبغال وإبل . . في الإسطبلات السلطانية والجشارات وخيل البريد والركائب المعدة للسفر .

(٢) رأس نوبة النوب : تعد الوظيفة الثالثة في عداد خمس وعشرين وظيفة يشغلها عسكريون بحضرة السلطان ؛ وموضوعها الحكم على المماليك السلطانية ، والأخذ على أيديهم .

(٣) حاجب الحجاب : كبير الحجاب ورئيسهم .

(٤) الدودار الكبير : هو كبير الدوادارية . والدودار لفظة ذات شقين ، هما : دواة ، ودار بمعنى ممسك ، ومتوليها هو الذي يحمل دواة السلطان ويتولى أمرها ، ويبلغ عنه الرسائل والأوامر ، كما يقدم له الرسائل والقصص ، ويقطع بطاقات (رسائل) الحمام . . إلخ .

(٥) مقدمو الألوف : هم الذين يكون تحت قيادتهم ألف من أمراء المئين ، أو ألوف من الجنود .

(٦) أمير جاندار أو أمير جندار : هو المشرف على الزردخانه [معتقل أرفع من السجن ، لا تطول به مدة المعتقل سواء بالإفراج أو بالقتل] ، وهو المتولي تنفيذ العقوبة حسب رغبة السلطان . فضلاً عن الاستئذان لدخول الأمراء على السلطان للخدمة وأيام المواكب ، وعند الجلوس بدار العدل ، وتقديم البريد إلى السلطان مع الدودار وكتب السر ، كما كان إليه الإشراف على البرددارية والجاندارية والخازندارية .

(٧) الخازندار : هو المشرف على خزائن الأموال السلطانية بما فيها من نقد وقماش وغيره .

(٨) أمير عشرة ، والجمع أمراء العشرافات : إحدى رتب الأمراء في عصر المماليك ، التالية للأمير =

مريض - وشاد الشراب خاناه^(١): قاني باي الجاركسي، أحد أمراء الطبلخاناه^(٢)، والزردهكاش^(٣): الأمير تغري برمش السيفي يشبك بن أزدمر، ونائب القلعة: الأمير معجق النوروزي، والأمير آخور الثاني: الأمير جرباش المحمدي الناصري فرج، المعروف بكرد، ورأس نوبة الثاني: الأمير يلخجا من مامش الناصري الساقبي، والحاجب الثاني: الأمير سودون السودوني// الظاهري [٤] برقوق، والدوادار الثاني: الأمير دولات باي المحمود المؤيدي، والزمّام^(٤) والخازندار: الأمير صفّي الدين جوهر القنقبائي الحبشي، ومقدم^(٥) الممالك السلطانية: الأمير عبد اللطيف المنجكي الرومي، المعروف بالعثماني، ونائبه: جوهر المنجكي، ووالي القاهرة: الأمير قراجا العمري.

مباشرو الدولة: كاتب السر^(٦): القاضي كمال الدين ابن البارزي، وناظر

= أربعين. ويتبع متوليها - عادة - عشرة فرسان إلى مادون الأربعين، إذ إن ما دون الأربعين معدود في العشرات، كما كان إليه قيادة عدد من جنود الحلقة في الحرب أكثر من عدد فرسانه. وإلى جانب تلك المهام الحربية الموكلة به، كانت بعض الوظائف في خدمة السلطان - كما هو مبين في المتن - أو خارج الحضرة السلطانية مستند إليه.

(١) شاد الشراب خاناه: الوظيفة الثالثة عشرة في عداد الوظائف العسكرية بحضرة السلطان، وموضوعها التحدث في أمر الشراب خاناه السلطانية، وما عمل إليها من السكر والمشروب والفواكه... إلخ.

(٢) أمراء الطبلخاناه: هم الطبقة الثانية من طبقات الأمراء في العصر المملوكي، ويؤلفون عصب دولتهم سواء من الناحية الحربية لتوليهم قيادة معظم جنود الحلقة، بالإضافة إلى فرسانهم هم؛ أو الإدارية حيث كانت تسند إليهم وظائف إدارية كبرى، ذات صبغة عسكرية في القصر السلطاني وخارجه.

وهم على قسمين: خاصكية، يعينون في الوظائف السلطانية، وخارجية، يشغلون وظائف خارجة عن الحضرة السلطانية.

(٣) الزردهكاش: هو صانع الزرد وأنواع الأسلحة، والقائم على إصلاحها وتجديدها.

(٤) الزمّام: المشرف، وتحدد هذه الوظيفة بما يضاف إليها، حيث أن «زمّام الأدر» أو «الدور السلطانية» يعد من أكبر الخدام الطواشي، وإليه مهمة الإشراف على حريم الأمير أو السلطان ومخاطبته بشأن متعلقاتهم ومتعلقات أولاد الملوك، والتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير.

(٥) مقدم الممالك السلطانية: إليه الإشراف العام على طباق الممالك، ومن حقه معائبة غير الطائعين منهم، ولذا كانت له - غالباً - هبة قوية على الممالك.

(٦) كاتب السر: هو الذي يُوقع على القصص بدار العدل وبغيرها، ويقرأ الرسائل على السلطان ويتلقى الأخبار عارضاً لها على السلطان - كذلك - متولياً الإجابة عنها، وإليه تعريف النواب في ' =

الجيش^(١): القاضي محب الدين ابن الأشقر، والوزير: صاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، والأستادار^(٢): الأمير قيز طوغان، وناظر الخااص^(٣): صاحب جمال الدين يوسف بن كاتب حكم، ونائب كاتب السر: القاضي شرف الدين الأشقر، وناظر الدولة: صاحب أمين الدين، إبراهيم بن الهيصم، وناظر ديوان المفرد^(٤): القاضي زين الدين يحيى الأشقر، وناظر الإسطبلات^(٥).. السلطانية: القاضي تقي الدين، ابن نصر الله، وكاتب الممالك^(٦): فرج بن ماجد بن النحال.

نواب البلاد: نائب الشام: الأمير جلبان السيفي إينال حطب، المعروف بالأمير آخور، ونائب حلب: الأمير قانباي الحمزاوي، ونائب طرابلس: الأمير برسباي الناصري الحاجب، ونائب حماه: الأمير بردبك الحكيم العجمي

= الوصايا، والنظر في تجهيز البريد والنجابة، ومعرفة حقوق ذوي الخدمة والنصيحة، وأجرائهم في رسوم الرواتب والعوائد، وكان يجلس على يسار السلطان في دار العدل.

(١) ناظر الجيش: كان إليه النظر في أمر الجيوش وضبطها، والنظر في أموالها وفي أمر الإقطاعات بمصر والشام.

وكان له حتى عهد «الظاهر برقوق» مكان معد بالقلعة يجلس فيه هو وسائر كتاب الجيش، كما كان له حق الدخول على السلطان في مجلسه للنظر في مصالح ملكه عارضاً عليه الأشغال المتعلقة بعمله، والجلوس مع السلطان بدار العدل لخلاص المظالم.

(٢) الأستاذار: لقب علي متولي قبض مال السلطان أو الأمير، وصرفه، وتمثل أوامره، وهي إحدى الوظائف العسكرية في الدولة المملوكية.

(٣) ناظر الخااص: هو الذي ينظر في خاص أموال السلطان، سواء كان ذلك من إقطاعه، أو من نصيبه من أموال الخراج وبلاد الجباية، وإليه التحدث - كذلك - في أمر الخزانة السلطانية بالقلعة، على أن لا يستقل بأمر إلا بمراجعة السلطان.

(٤) ديوان المفرد: كديوان الخاص، يعنى ببعض شئون السلطان المالية.

(٥) تعددت الإسطبلات [الإسطبلات] لدى الممالك، فكان منها ما يوجد داخل القلعة وخارجها، وإن كان من أهمها تلك التي توجد برسم الخيل التي تسير في المواكب، وتعرف باسم: اسطبل الخاص الشريف، وفي السباق الرياضي، وتعرف باسم اسطبل الحجورة، ولتنظيم العمل فيها أوجد لها ديوان خاص بها، يشرف عليه القاضي «ناظر الإسطبلات» يتبعه مباشرون.. وإن كان الإشراف الفني العام عليها موكولاً بالأمير آخور.

(٦) كان مختصاً بتسجيل الممالك السلطانية في سجلات خاصة بهم، وهو تابع لصاحب ديوان الممالك.

الأعور، ونائب صفد: الأمير قاني باي الأبوبكري الناصري، المعروف بالبهلوان، ونائب غزة: الأمير طوخ الأبوبكري المؤيدي، ونائب الكرك: الأمير مازي الظاهري برقوق، ونائب ملطية: صاحب خليل بن شاهين الشихي، ونائب القدس: الأمير طوغان العثماني، ونائب حمص: الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي، المعروف بالأعرج.

المحرم

أوله الأحد.

لم يقع فيه شيء من الحوادث، وكذلك صفر.

شهر ربيع الأول

أوله الأربعاء.

في يوم السبت رابعه، استقر الشيخ علي الخراساني^(١) في حبة القاهرة بعد عزل قاضي القضاة بدر الدين العيني.

وفي أول هذا الشهر أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الناصري عمداً بن الملك الظاهر جقمق من قلعة الجبل حتى عدي النيل وخلق المقياس، ثم عاد وفتح خليج السد، وركب وطلع/ إلى القلعة، وخلع عليه والده خلعة [٥] عظيمة على العادة.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، رحمه

الله :

قَالُوا: عَلَا نِيلٌ مِصْرَ فِي زِيَادَتِهِ حَتَّى لَقَدْ بَلَغَ الْأَهْرَامَ حِينَ طَمَا
فَقُلْتُ: هَذَا عَجِيبٌ فِي بِلَادِكُمْ مِنْ ابْنِ سِتَّةَ عَشَرَ يَبْلُغُ الْهَرَمَ

[البسيط]

(١) ويسميه « السخاوي » - التبر المسبوك ص ٤٦ - « يار على ».

وفي يوم الخميس تاسعه استقر سليمان ابن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد في الخلافة، وبويع بحضرة السلطان، وفوض عليه التشريف على العادة، وذلك بعهد من أخيه المعتضد داود - رحمه الله .

وفي يوم الخميس سلخه استقر قاضي القضاة عز الدين بن عبد العزيز البغدادي الحنبلي، قاضي قضاة الحنابلة بدمشق، عوضاً عن القاضي زين الدين ابن مفلح بحكم عزله .

شهر ربيع الآخر

لم يقع فيه شيء .

جمادى الأولى

أوله الأحد .

في يوم الاثنين سادس عشره خلع السلطان على الشريف علي بن حسن بن عجلان باستقراره أمير مكة المشرفة بعد عزل أخيه الشريف بركات بن حسن بن عجلان، وعين السلطان معه مائة وخمسين مملوكاً من المماليك السلطانية، ومقدمهم الأمير يشبك الصوفي المؤيدي . أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، لمساعدته على أخيه بركات بن حسن .

وكان سبب عزل بركات - المذكور - عدم حضوره إلى بين يدي السلطان بالديار المصرية .

جمادى الآخرة

أوله الثلاثاء .

في يوم الخميس رابع عشرينه سافر الشريف علي إلى محل ولايته بمكة المشرفة، وسافر معه الأمير يشبك الصوفي بمن معه من المماليك السلطانية .

شهر رجب

أوله الأربعاء.

في يوم الاثنين سادسه قدم إلى ظاهر القاهرة الأمير برسباي الناصري فرج نائب طرابلس، ونزل السلطان الملك الظاهر جقمق وتلقاه من المطعم خارج القاهرة على العادة.

وفي يوم الثلاثاء سابعه قبض السلطان على الأمير قيز طوغان العلاني، الأستاذار، وعلى زين الدين الأشقر ناظر ديوان المفرد، وسلمهما للأمير دولاباي المحمودي الدوادار الثاني.

وفي يوم الخميس سادس عشره استقر الأمير زين الدين عبد الرحمن بن الكويز آستاداراً عوضاً عن قيز طوغان، واستقر زين الدين الأشقر/ على عادته [٦] في نظر ديوان المفرد، وأنعم على الأمير قيز طوغان بإمرة مائة بمدينة حلب، وخرج في يوم السبت خامس عشرينه.

وفي يوم الاثنين سابع عشرينه استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن أمير علي ابن الأتابك إينال اليوسفي، أحد الأمراء العشرات في نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير أسنبغا الناصري الطياري عنها وقدمه إلى القاهرة من جملة مقدمي الألوفا بها.

شهر رمضان

أوله السبت.

فيه قدم إلى القاهرة الشيخ شمس الدين الخاقاني^(١) - الحنفي من مدينة سمرقند قاصداً الحج في هذه السنة، وهو أحد أعيان فقهاء القان شاه بن تيمورلنك وولده ألوغ بك صاحب سمرقند، ولما طلع إلى السلطان أقبل عليه وأكرمه، وأنعم عليه بأشياء كثيرة.

(١) في الأصل : « الخافي ».

شوال

أوله الاثنين.

في يوم الخميس ثامن عشره برز أمير الحاج الأمير تغري برمش الشبكي الزردكاش بالمحمل إلى بركة الحاج^(١) دفعة واحدة، وكانت العادة أن أمير حاج المحمل يبرز إلى الريدانية^(٢)، ثم يتوجه في ثانية إلى بركة الحاج، فبطل ذلك. وأمير الركب الأول الأمير يونس الأقبائي المعروف بالبواب، أحد أمراء العشرات.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه قبض السلطان على الأمير جانبك المحمودي المؤيدي^(٣) أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وحسبه بالبرج من قلعة الجبل، وأنعم بإقطاعه على خير بك المؤيدي أحد الدوادارية. وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه حُمل جانبك المحمودي - المقدم ذكره - إلى ثغر الإسكندرية ليحبس بها.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - عشرة أذرع ونصف، (و) مبلغ الزيادة عشرون ذراعاً وخمسة عشر إصباعاً.

(١) بركة الحاج: عرفت بذلك لنزول الحاج بها عند مسيرهم من القاهرة إلى الحج، وعودهم من حجهم كل عام، وكانت تعرف قديماً باسم: «بركة الجب»، أو «أرض جب عميرة»، ومحلها اليوم «قرية البركة»، التابعة لمحافظة القليوبية.

راجع: المقرئزي. الخطط ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٠، ج ٢ ص ١٦٣.

(٢) الريدانية: أطلق هذا الاسم - قديماً - على بستان لريدان الصقلي (ت ٣٩٣ هـ) - أحد خدام الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار - وموضعه الآن المنطقة فيما بين الحسينية ومصر الجديدة. راجع: المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٩، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ٢، حاشية رقم ٢.

(٣) علل لذلك ابن تغري بردي (في النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٣٥١) بقوله:

«... ثم في يوم الثلاثاء، ثالث عشرى شوال، أمسك السلطان الأمير جانبك المحمودي المؤيدي، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وحسبه بالبرج من قلعة الجبل، وكان السلطان قصد مسكه قبل ذلك، فخشى عاقبة خجداشيته، فلما زاد جانبك - المذكور - عن الحد في التكلم في الدولة ومداخلة السلطان في جميع أموره، بعدم دربة وقلة لباقة، مع حدة وطيش وخفة وسوء خلق، أمسكه في هذا اليوم، وقصد بذلك حركة تظهر من خجداشيته المؤيدية، فلم يتحرك ساكن، بل خاف أكثرهم، وحسن حاله مع السلطان، وانكف أكثرهم عن مداخلة السلطان... ومن يومئذ عظم أمر السلطان في ملكه، وهابته الناس، وانقطع عن مداخلته جماعة كبيرة».

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الخليفة أمير المؤمنين المعتضد^(١) بالله أبو الفتح داود ابن الخليفة المتوكل على الله محمد ابن الخليفة المعتضد بالله أبي بكر ابن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسين بن أبي بكر بن علي بن الحسين ابن الخليفة الراشد بالله منصور ابن الخليفة المسترشد بالله الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله // أحمد ابن الخليفة [٧] المقتدي بالله عبد الله ابن الإمام ذخيرة الدين محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد بن^(٢) الموفق طلحة ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهدي محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، العباسي ، الهاشمي المصري - في يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول ، بعد مرض تمادي به مدة . وحضر السلطان الملك الظاهر جقمق الصلاة عليه بمصلاة المؤمني تحت قلعة الجبل ، ودفن بالمشهد النفيسي .

(١) له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني . إنباء الغمرج ٩ ص ١٧٣ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٦ تر ١٠١٧ ، المنهل الصافي ج ٢ ق ٥٩ ب - ٦٠ ب ، مورد اللطافة ق ٧٦ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٨٩ - ٤٩٠ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٥ - ٢٦ ، الدليل التام على دول الإسلام ق ٨٣ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢١٥ تر ٨٠٥ ، السيوطي . تاريخ الخلفاء ص ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) في هامش « أ » : « الأمير إسحاق بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد الموفق ابن المتوكل - سقط هذا من النسب ، ولعله سهو من الكاتب » .

وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين^(١) سنة وأياماً، فإنه بويع بالخلافة بعد القبض على أخيه المستعين بالله العباس في يوم الخميس سادس عشرين دي الحجة سنة ست عشرة وثمانائة، واستمر في الخلافة دهرأً، وطالت أيامه، وتسلمن في خلافته عدة سلاطين.

وكان المعتضد بالله خليفاً بالخلافة^(٢)، سيد بني العباس في زمانه، أهلاً لها بلا مدافعة، وكان كريماً عاقلاً ديناً خيراً حلو المحاضرة، كثير الصدقات والبر للفقهاء والفقراء، وكان يحب مجالسة العلماء وأهل الفضل، وكان جيد الفهم، ذكياً، وكان يجتهد في السير مع ندمائه وجلسائه على قاعدة الخلفاء فيضعف موجوده عن إدراك ما يقصده، فبسبب ذلك حمل جملة من الديون، وكان له محاسن شتى.

أعرفه قديماً وحديثاً، فإنه كان قد تزوج بزوجة الوالد - بعد موته - الست قمر بنت الأمير دمرداش، وكان بينهما وبين الوالدة محبة مستمرة إلى الممات، رحمهم الله.

(٢) وتوفي الشيخ الأديب المقرئ المفضل شمس الدين محمد، المعروف بابن زين التحريري^(٣)، في مستهل شهر ربيع الأول.

وكان قد مدح النبي ﷺ بما ينيف على عشرة آلاف قصيدة، وكان من الشعراء المعدودة، وشعره كثير بأيدي الناس.

وكان يستحضر القراءات السبع^(٤)، وكان به صمم عظيم حتى لا يكاد

(١) في «أ»: «تسعة وعشرون».

(٢) في «أ»: «للخلافة».

(٣) هو «محمد بن زين بن محمد بن زين بن محمد بن زين، شمس الدين، أبو عبد الله الطنبدائي الأصل، الشافعي» - له ترجمة في: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٠، السخاوي. البتر المسبوك ص ٣١-٣٢، الذيل التام على دول الإسلام ق ٨٢ ب، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٤٦-٢٤٧ تر ٦٠٩، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢٩.

(٤) في «أ»: «السبعة».

يسمع // الطبول العظيمة ، ومع ذلك كان إذا قرأ عليه أحد القرآن يرد عليه [٨] الغلط^(١) - رحمه الله تعالى .

(٣) وتوفي القاضي زين الدين عبد الرحمن - الحنفي^(٢) ، أحد نواب الحكم في يوم السبت الحادي والعشرين من شهر رجب ، وكان مشكور السيرة .

(٤) وتوفي الشيخ محب الدين الأوجاقي^(٣) - الحنفي في يوم الاثنين لسبع بقين من شهر رجب بعد مرض طويل ، وكان مشكور السيرة وعنده فضيلة وتدين ، وكان قليل الاجتماع بالناس ، ولهم فيه اعتقاد ومحبة - رحمه الله .

(٥) وتوفي الشيخ الإمام العالم المتقن ، عمدة المؤرخين ، ورأس المحدثين ، تقي الدين^(٤) ، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن تميم بن عبد الصمد المقرئ الشافعي ، مؤرخ الديار المصرية ، في يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان ، ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وقد وهم القاضي بدر الدين محمود العيني في تاريخ وفاته ، وقال ما صورته : « وتوفي الشيخ تقي الدين أحمد المقرئ في يوم الجمعة التاسع

(١) فسر ذلك السخاوي (الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٤٦) قائلاً : « . . . وبلغنا أنه كان أصم ، فإذا قرئ عليه يدرك الخطأ والصواب بحركات شفاه القارئ ، لوفور ذكائه مع صلاحه » .

(٢) ترجمه ابن حجر العسقلاني في إنباء الغمر ج ٩ ص ١٧٨ وقد سماه « عبد الرحيم بن أبي بكر الرومي » ، كما ترجمه السخاوي في التبر المسبوك ص ٣١ ، والضوء اللامع ج ٤ ص ١٩١ تر ٤٨١ ، منبهاً إلى أن تسميته « عبد الرحمن » سهو من « البدر العيني » ، وأنه « ابن الإمام » ، « والإفليس في بني الرومي في هذا الوقت من اسمه عبد الرحيم » .

(٣) هو « محمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين ، المحب ، أبو عبد الله ، القاهري ، الشافعي ، المعروف بابن الأوجاقي » - له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٠ ، السخاوي ، التبر المسبوك ص ٣٤ ، الذيل التام على دول الإسلام ق ٨٢ ب ، الضوء اللامع ج ٩ ص ٤٩ - ٥٠ تر ١٢٧ .

(٤) له ترجمة في : ابن حجر العسقلاني . إنباء الغمر ج ٩ ص ١٧٠ - ١٧٢ ، المجمع المؤسس ق ٢١٤ أ ، ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ج ١ ص ٦٣ تر ٢١٧ ، المنهل الصافي ت . نجاتي ج ١ ص ٣٩٤ - ٣٩٩ تر ٢١٧ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٠ - ٤٩١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٢١ - ٢٤ ، الذيل التام على دول الإسلام ق ٨٢ أ - ٨٣ ب ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢١ - ٢٥ تر ٦٦ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

والعشرين من شعبان. وكان مشغلاً بكتابة التاريخ وضرب الرمل». قلت: لا يسمع كلام الأقران في أقرانهم. وأما التباين الذي كان بينهما فمعروف، رحمهما الله تعالى.

قلت: سألت الشيخ تقي الدين - المذكور - عن مولده فقال: بعد الستين وسبعمائة بسنيات^(١). وكان مولده بالقاهرة^(٢)، وبها نشأ، وتفقه على مذهب أبي حنيفة - رضي الله عنه - وهو مذهب جده لأمه الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ - الحنفي^(٣)، ثم تحول شافعيًا لأمر اقتضى ذلك ذكره لي، ثم اشتغل في مذهب الشافعي - رضي الله عنه - وسمع الكثير من الحديث على الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد التتائي^(٤)، ومن ناصر الدين محمد بن علي

(١) بينما يشير «المقريزي» [الخطط ج ١ ص ٤] إلى أن مولده «بعد سنة ستين وسبعمائة من سني الهجرة»، وينبه «ابن تغري بردي» [هنا، وفي النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩١] إلى أنه سأل «المقريزي» عن مولده، فقال: «بعد الستين وسبعمائة بسنيات»، يحدد «ابن حجر العسقلاني» [إنباء الغمر ج ٩ ص ١٧١] مولده بسنة «ست وستين وسبعمائة»، وإن بيض لسنة «ست» في ترجمته من المجمع المؤسّس ق ٢١٤ أ.

ويعمل «السخاوي» [التبر المسبوك ص ٢٢ - ٢٣] لما ذهب «ابن حجر» إليه قائلاً: «... وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين. وقال شيخنا إنه رأى بخطه ما يدل على تعيينه في سنة ست وستين، لكونه قد حضر وهو في الثالثة على ابن الصائغ مع أبي هريرة ابن الشرف المقدسي وهو في الرابعة، وكان مولد أبي هريرة سنة ٧٦٧، فيكون مولد المقريزي في سنة ست».

ويترجع ما ذهب إليه «ابن حجر العسقلاني» - بما أشار إليه [ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ١٦٦، ج ٢ ص ٣٣] من اقتران «أم المقريزي» بأبيه سنة خمس وستين، إذ لا يبعد أن يكون إنجابها له في السنة التالية لزوجهما، فيكون بذلك بكر أولادهما.

(٢) أشار المقريزي [الخطط ج ٢ ص ٣ - ٤] إلى أنه ولد بحارة برجوان بالقاهرة [بقسم الجمالية الحالي].

(٣) هو «محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن، المعروف بالزمرددي، ويا بن الصائغ الحنفي» [ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م].

له ترجمة في: ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ ص ١٦٣ - ١٦٤ تر ٣١١١، المقريزي، السلوك ج ٣ ق ١ ص ٢٤٥، ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر ج ١ ص ٩٥ - ٩٦، الدور الكامنة ج ٣ ص ٤٩٩ - ٥٠٠ تر ١٣٤٧، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٧١ تر ٤١.

(٤) كذا بالأصل، ولعله «إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعيد بن علوان بن كامل التنوخي» [ت ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م] له ترجمة في: ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء

الحراوي^(١)، والشيخ برهان الدين الأمدي^(٢)، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني^(٣)،
والحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي^(٤)، والهيثمي^(٥)، وسمع بمكة من ابن

ج ٢ ص ٧-٨ تر ١٣، ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج ١ ق ١٧ ب-١٨ ب،
المقريزي.. السلوك ج ٣ ص ٩١٠، ابن قاضي شهبة. التاريخ ج ١ ص ٦٦٧-٦٦٩، ابن حجر
العسقلاني. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٢-٢٣ تر ٢، الدر الكامنة ج ١ ص ١١-١٢ تر ١٤،
المجمع المؤسس ق ٢ أ-١٢ ب، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ١٦٦
السخاوي. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ق ٣٥ ب، الذيل التام على دول
الإسلام ق ٤٨ ب.

(١) هو «محمد بن علي بن يوسف بن إدريس الحرّاي ناصر الدين، سبط العماد الدميّطي، المعروف
بالطبردار» [ت ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م].

له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ١ ص ٢٠٨، تر ٣٩، الدر الكامنة ج ٤
ص ٩٩ تر ٢٦٢، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٠٠.
(٢) هو «إبراهيم بن داود، أبو محمد» [ت ٧٩٧ هـ / ١٣٩٥ م].

له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ١ ص ٤٩٦ تر ١، الدر الكامنة ج ١
ص ٢٥-٢٦ تر ٦١.

(٣) هو «عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن عبد الحق الكناني،
البلقيني - نسبة إلى بلقينة، من أعمال المحلة الكبرى - سراج الدين» [ت ٨٠٥ هـ / ١٤٠٣ م].

له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٣ ص ١١٠٨، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية
ق ١٨٩ أ-١٩١ أ، ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٤٥-٢٤٧، تر ٢١، المجمع
المؤسس ق ١١٨ ب-١٢٣ ب، ابن فهد المكي. لفظ الألفاظ ص ٢٠٦-٢١٧، ابن تغري
بردي. المنهل الصافي ج ٢ ق ٤٧٣، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٢٩-٣٠، ابن الصيرفي، نزهة
النفوس والأبدان. ج ٢ ص ١٧١-١٧٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٩، الضوء اللامع
ج ٦ ص ٨٥-٩٠ تر ٢٨٦، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٩-٣٣٥ تر ٧٦، طبقات
الحفاظ ص ٥٣٨ تر ١١٧٦.

(٤) هو «عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم، أبو الفضل
العراقي» [ت ٨٠٦ هـ / ١٤٠٤ م]. له ترجمة في: ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء ج ١
ص ٣٨٢ تر ١٦٣، المقريزي. السلوك ج ٣ ص ١١٢٨، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية
ق ١٨٧ ب-١٨٨ ب، ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٧٥-٢٧٩ تر ١٩، ابن
فهد المكي. لفظ الألفاظ ص ٢٢٠-٢٣٩، ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ٢ ص ٣١٢،
النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٣٤-٣٥، ابن الصيرفي. نزهة النفوس والأبدان ج ٢
ص ١٩٠-١٩١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٧١-١٧٨ تر ٤٥٢، السيوطي. حسن
المحاضرة ج ١ ص ٣٦٠-٣٦٢، طبقات الحفاظ ص ٣٧٠-٣٧١.

(٥) هو «علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح، الهيثمي، نور الدين، أبو =

سكر^(١) والنشاورى^(٢) وغيرهما ، وأجاز له الشيخ شهاب الدين الأذرعى^(٣) والشيخ بهاء الدين أبو^(٤) البقاء^(٥) والشيخ جمال الدين الأسنوى^(٦) وغيرهم .

وكان إماماً فاضلاً ، بارعاً ، متقناً ، مُفَنِّناً ، ضابطاً ، ديناً ، خيراً ، منقطعاً [٩] عن الناس . هذا مع الدين // المتين وكثرة الأوراد والتهجد في الليل وصيام النهار ، وكان حلو المحاضرة ، فكاهة المنادمة ، لا سيما إذا ذكره الشخص بالتاريخ وأيام السلف من القرون الماضية ، فكان أعجوبة في ذلك ، وكان معظماً في الدول ، مبعجلاً عند الأكابر إلى الغاية ، كان إذا دخل إلى بيت الصاحب بدر

= الحسن [ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م] . له ترجمة في : ابن حجر العسقلاني . إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١٠ ، المجمع المؤسس ق ١١٣ ، ابن فهد المكي . لحظ الألاحظ ص ٢٣٩ - ٢٤١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٠٠ - ٢٠٣ تر ٦٧٦ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٢ تر ٩٧ ، طبقات الحفاظ ص ٥٤١ تر ١١٨٠ .

(١) هو «شمس الدين ، محمد بن علي بن محمد بن علي بن ضرغام البكري» [ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م] .

له ترجمة في : ابن حجر العسقلاني . إنباء الغمر ج ٢ ص ٩٥ تر ٨٢ ، المجمع المؤسس ق ١٧٣ ب - ١٧٥ أ .

(٢) هو «موفق الدين ، علي بن عبد الله النشاورى ، الزبيدي ، المكي» [ت ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م] .

له ترجمة في : ابن حجر العسقلاني . إنباء الغمر ج ١ ص ٥١٨ تر ٣٠ .

(٣) هو «شهاب الدين ، أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد القادر الأذرعى» [ت ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م] .

له ترجمة في : ابن حجر العسقلاني . إنباء الغمر ج ١ ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، تر ٢ ، الدرر الكامنة ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٨ تر ٣٥٤ .

(٤) في «أ» : «أبي» .

(٥) هو «أبو البقاء ، بهاء الدين ، محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام السبكي» [ت ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م] .

له ترجمة في : ابن الملقن . العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ق ١٧٠ ب ، ابن حجر العسقلاني . إنباء الغمر ج ١ تر ٦٠ ص ١٢١ - ١٢٣ .

(٦) هو «جمال الدين ، أبو محمد ، عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم القرشي ، الأسنوى ، الشافعي» [ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م] .

له ترجمة في : ابن الملقن . العقد المذهب ق ١٦٠ أ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٣ تر ٦٤٦ ص ١٣٢ - ١٣٥ ، ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ج ٢ تر ٢٣٨٦ ص ٢٥٤ - ٢٥٦ .

الدين ابن نصر الله ناظر الخواص جلس بينه وبين ابنه الأمير صلاح الدين محمد بن نصر الله آستادار العالية على تيه كان في بني نصر الله .

أفنى عمره في كتابة التاريخ والتصانيف، وله المصنفات المفيدة النافعة في عدة فنون، يضيق هذا المختصر عن ذكرها، استوعبناها في تاريخنا المسمى بالمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي^(١).

وكان بيني وبينه صحبة أكيدة ومحبة زائدة، وقرأت عليه كثيراً من مصنفاته، وبه انتفعت، ومنه استفدت، وهو الذي حببني في هذا الشأن، وسمعت عليه كتاب فضل الخيل، تأليف الحافظ شرف الدين الدمياطي^(٢) بكماله، وغيره، وأجازني بجميع ما يجوز له وعنه روايته وبجميع مصنفاته.

وتولى حسبة القاهرة غير مرة، وأول ولايته لها من قبل الملك الظاهر برقوق في شهر رجب سنة إحدى وثمانمائة إلى أن عزل بقاضي القضاة محمود العيني، وهو أول ولاية العيني - أيضاً - لحسبة القاهرة في ذي الحجة من السنة، ثم وليها بعد ذلك، وسئل بقضاء دمشق في الدولة الناصرية فرج فامتنع.

وكان كثير الفضائل لولا تعصب كان فيه على السادة الحنفية، وكان ينسبه بعض الناس إلى الميل لمذهب الظاهر - والله أعلم بالباطن - لأنه كان يعظم ابن حزم^(٣) المغربي إلى الغاية، وليس في ذلك ما يُعاب، لأن ابن حزم كان رجلاً

(١) راجع : ابن تغري بردي . المنهل الصافي ج ١ ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٢) هو «شرف الدين، أبو محمد، عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي» [ت ٧٠٥ هـ / ١٣٠٦ م].

له ترجمة في: الذهبي . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٧٧ - ١٤٧٩ تر ١١١٦ ، ابن شاکر الكتبي . فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٧ - ٣٩ تر ٢٦٤ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ٤٠ ، المقرئ . السلوك ج ٢ ص ٢١ ، ابن حجر العسقلاني . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤١٧ - ٤١٨ تر ٢٥٢٥ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٤٣١ تر ١٤٨٧ ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٢١٨ - ٢١٩ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٥٧ ، طبقات الحفاظ ص ٥١٢ تر ١٣٤ .

(٣) هو «علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، الأندلسي، القرطبي، أبو محمد» [ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م].

حافظاً عالماً ولو كان ظاهرياً لم ينكر فضله .

انتهت ترجمة المقرئزي باختصار ، وقد ذكرناها في المنهل الصافي
مطولة^(١) ، وذكرنا تصانيفه - رحمه الله تعالى - .

(٦) وتوفي قاضي القضاة بالإسكندرية جمال الدين عبد الله بن
الدمامي^(١) الإسكندري المالكي بها في يوم الأحد رابع ذي القعدة، وتولى
عوضه قاضي الإسكندرية محمد بن عامر - المالكي أحد نواب الحكم بالقاهرة .

[١٠] وكان // القاضي جمال الدين هذا معظماً في بلده، مشهوراً بالسماحة
والكرم إلا أنه كانت بضاعته في العلم مزجاة، رحمه الله تعالى .

* * *

= له ترجمة في : الحميدي . جذوة المقتبس ص ٣٠٨ - ٣١١ تر ٨٠٧ ، الفتح ابن خاقان . مطمح
الأنفس ومسرح التأنس ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ابن بشكوال . الصلة ج ١ ص ٤١٥ - ٤١٧ تر ٨٩٤ ،
ياقوت . معجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٣٥ - ٢٥٧ ، تر ٦٢ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٤
ص ٣٢٥ - ٣٢٨ .

(١) راجع : ابن تغري بردي . المنهل الصافي ج ١ ص ٣٩٤ - ٣٩٩ تر ٢١٧ .

(٢) هو «عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر بن يحيى بن حسين
ابن محمد بن أحمد بن أبي بكر، المخزومي، والدمامي الأصل، السكندري، المالكي» .
له ترجمة في : ابن حجر . إنباء الغمر ج ٩ ص ١٧٤ - ١٧٥ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة
ج ١٥ ص ٤٩١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٥ ص ٥٣ تر ١٩٨ .

سنة ست وأربعين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر أبو سعيد جقمق، والخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، وباقي أرباب الدولة على ما تقدم في العام الماضي.

المحرم

أوله الجمعة.

ففي يوم السبت تاسعه، استقر الشيخ علي المالكي - القادم من دمشق قبل تاريخه - قاضي قضاة الإسكندرية.

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه سافر جماعة كثيرة من المماليك السلطانية وغيرهم إلى الغزاة في سبيل الله تعالى، وعليهم عدة من الأمراء.

صفر

أوله الأحد.

ففي يوم الاثنين تاسعه ولي قضاء الحنفية بدمشق شخص من ذرية أبي حنيفة، يقال له حميد الدين، عوضاً عن قاضي القضاة الصفدي بحكم عثله.

وفي يوم الاثنين سادس عشره وقعت فتنة عظيمة، وهو أن جماعة من المماليك السلطانية الجلبان الذين بالأطباق من قلعة الجبل صعد منهم طائفة كبيرة سطح الأطباق ورجعوا الناس، ومنعوا الأمراء والخاصكية من الدخول إلى الخدمة السلطانية، وأفحشوا في ذلك، وبلغ الملك الظاهر الخبر، فأرسل إليهم

بالأمير الطواشي عبد اللطيف العثماني الرومي مقدم الممالك السلطانية في عمل مصالحهم، فأبوا وصمموا على إقامة الفتنة، وطلبوا ما لا يمكن عمله، واستمروا على ما هم عليه بحيث إنهم منعوا الناس من الدخول إلى السلطان إلا النادر وصار أمرهم في زيادة، على أن للممالك القرانيس^(١) الذين بالقاهرة عليهم في الظاهر وعلم الباطن إلى الله، واستمروا على ذلك إلى ليلة الأربعاء كسروا باب الزردخاناه السلطانية، وأخذوا منها شيئاً كثيراً من السلاح الهائل، وبلغ السلطان ذلك فطلب الممالك القرانيس إلى عنده من باب السلسلة وندبهم لقتال ممالكه الجلبان، فمنعه من حضر من الأمراء وخوفوه عاقبة ذلك، وأيضاً لم توافقه القرانيس على ما ندبهم إليه لمعرفتهم أنه ما يهون عليه ذلك في آخر الأمر، كل ذلك والممالك الجلبان على حالهم من منع الناس من طلوع القلعة، حتى إن [١١] السلطان طلب كاتب سره القاضي // كمال الدين ابن البارزي فلم يقدر على الطلوع من باب المدرج - أحد أبواب الفتنة - فأراد الطلوع من باب الميدان الذي تحت القلعة، ففطن به بعض الممالك الجلبان والقرانيس وضربه بالدبوس^(٢) أراد هلاكه بذلك، فأنجده بعض من حضر وخلصه حتى ساق فرسه والدم على ثيابه من شجة أصابته بالدبوس، وطلع إلى القلعة على هيئة مزعجة، ووقع منهم في حق أستاذهم الملك الظاهر جقمق من الشناعة والبهذلة ما لا مزيد عليه، واستمر إلى يوم الجمعة عشرينه، سكنت الفتنة؛ لاختلاف وقع بينهم^(٣).

(١) القرانيس: طائفة من الأجناد دون المائة، من الممالك قديمى الهجرة، أصحاب الأرزاق الثقال، في منزلة أمراء الخمسאות، ومنهم المرشحون للإمرة.

راجع: ابن شاهين. زبدة كشف الممالك ص ١١٥.

(٢) الدبوس، والجمع دبائيس: عصا من خشب أو حديد، في رأسها شيء كالكرة.

Dozy : Suppl. Dict - dr p. 424.

راجع: المنجد في اللغة والأعلام ص ٢٠٦،

(٣) وراجع بشأن ذلك - أيضاً - النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٣٥٢.

شهر ربيع الأول

أوله الثلاثاء .

في يوم الخميس عاشره قدم إلى القاهرة الأمير مازي الظاهري برقوق نائب الكرك ومعه مقدمة هائلة قدمها إلى السلطان، وأنزله السلطان بالميدان وأكرمه .
وفي يوم الاثنين رابع عشره أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الناصري محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق من القلعة في وجوه الدولة حتى عدى النيل وخلق المقياس، ثم فتح خليج السد على العادة، وركب إلى القلعة، وخلع عليه والده - على العادة - فوقاني بطرز ذهب .
وفي هذا المعنى يقول ابن النقيب^(١) مضمناً:

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا كالروض تطفو على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه خلق تملأ الدنيا بشائره
(البسيط)

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه استقر السيفي قراجا الظاهري جقمق الخازندار الصغير - خازنداراً كبيراً عوضاً عن الأمير قانبك الأشرفي بحكم مرضه بداء الأسد^(٢)، عافانا الله مما ابتلى به كثيراً من خلقه .

وفيه - أيضاً - استقر ابن الحاضري في قضاء الحنفية بحلب عوضاً عن محب الدين ابن الشحنة بحكم عزله بعد أن مكث مدة في القضاء .

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه - أيضاً - ندب السلطان الأمر تغري برمش السيفي يشبك بن أزدمر الزردكاش أن يجهز حاله ويتوجه إلى حصار

(١) هو «ناصر الدين، أبو محمد، حسن بن شاور بن طرخان الكناني، المعروف بابن القفيسي، وبابن النقيب» (ت ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) له ترجمة في: ابن شاکر الکتبی. فوات الوفیات ج ١ ص ٣٢٤ - ٣٣١ تر ١١٥، الصفدي. الوافي بالوفیات ج ١٢ ص ٤٤ - ٥٣ تر ٣٩، الزركشي، عقود الجمان ق ٩٢ - ٩٤ ب، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ تر ٨٩٩، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٧٦ - ٣٧٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

(٢) المقصود بذلك: الجذام - راجع: السحاوي. التبر المسبوك ص ٤٢ .

قيسارية^(١) ومعه آلات الحرب والحصار من المكاحيل^(٢) والمناجنيق^(٣) وغيرها، وأعطاه خمسمائة دينار، وسافر بعد أيام إلى أن وصل إلى حلب، ثم عاد إلى [١٢] الديار / / المصرية من غير أن يتوجه إلى قيسارية ولا غيرها.

شهر ربيع الآخر

أوله الأربعاء.

ففي يوم الأحد ثاني عشره قدم الأمير سودون المحمدي من مكة المشرفة إلى القاهرة وهو مجروح في مواضع من بدنه، من قتال كان بين الشريف علي صاحب مكة وبين أخيه بركات.

وفي ليلة الخميس ثالث عشرينه قبض على جماعة من ممالك الأمير «تغري بردي البكلمشي المؤذي» الدوادار الكبير، لأنهم كانوا قصدوا قتل أستاذهم المذكور، وحاصروه في هذه الليلة إلى أن أصبح النهار، وبلغ السلطان ذلك فأرسل إليه جماعة من الرؤوس النوب، فمسكوا منهم جماعة كبيرة وضربوهم ضرباً مبرحاً، ثم أرسلهم أستاذهم تغري بردي - المذكور - إلى حبس المقشرة^(٤) مع والي القاهرة .

(١) قيسارية : مدينة كبيرة تقع على نهر «قاراصو» ، كانت عاصمة بني سلجوق .

راجع : ياقوت . معجم البلدان ج ٤ ص ٤٢١ - ٤٢٢ ، البغدادى . مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١١٣٩ .

(٢) المكاحل : مدافع يُرمى عنها بالنفط، وهي أنواع، فمنها ما يرمى بأسهم عظام تكاد تخترق الحجر، ومنها ما يرمى ببندق من حديد زنته ما بين عشرة أرتال إلى ما يزيد على مائة رطل .
راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٤ .

(٣) المناجنيق أو المنجنيق : آلة من خشب لها دفتان قائمتان، بينهما سهم طويل، رأسه ثقيل وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه، فما أصاب شيئاً إلا أهلكه .

نفسه، وراجع : ابن أرنؤبا الزردكاش . الأنيق في المناجنيق . حلب، ١٩٨٥ م .

(٤) حبس المقشرة : أشار إليه المقرئ (الخطط ج ٢ ص ١٨٨)، وعنه علي مبارك (الخطط ج ٢ ص ٨) بقوله :

«... هذا السجن بجوار باب الفتوح - فيما بينه وبين الجامع الحاكمي - كان يقشر فيه القمح ... نقل إليه أرباب الجرائم، وهو من أشنع السجون وأضيقها، يقاسي فيه المسجون من الغم والكرب ما لا يوصف» .

وفي يوم الأحد سابع عشرينه أمسك السلطان الزيني عبد الرحمن بن الكويز الأستاذار وعزله عن الأستاذارية .

وفيه استقر ابن الرسام ناظر جيش حلب عوضاً عن القاضي زين الدين عمر بن السفاح بحكم عزله .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه استقر زين الدين يحيى الأشقر ناظر ديوان المفرد - المعروف بقريب ابن أبي الفرج - آستاداراً عوضاً عن الزيني عبد الرحمن .
وفي هذه الأيام استقر محمد الصغير نديم السلطان وجليسه : فيانفس جدي إن دهرك هازل . قلت :

خلت الرقاع من الرخاخ فتفرزنت فيها البيادق
وتصاهلت عرج الحمير فقلت : من عدم السوابق
(مجزوء الكامل)

ولما تولى زين الدين - المذكور - الأستاذارية استمر على لبسه أولاً بعمامة وفرجية ، لكنه نعت بالأمير .

وفيه خلع السلطان على الأمير آقبردي المظفري الظاهري برقوق أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، وندبه إلى التوجه إلى مكة المشرفة ، وصحبته من المماليك السلطانية نيف على خمسين مملوكاً ، ليستعين بهم الشريف علي صاحب مكة على من خالفه .

وفيه استقر الأمير الطواشي عبد اللطيف المنجكي ثم العثماني مقدم المماليك السلطانية أمير الركب الأول من الحجاج ، وأما أمير المحمل فهو الأمير تنبك حاجب الحجاب كما تقدم ذكره .

جمادى الأولى

أوله الخميس . فيه // قبض السلطان على الأمير جوهر التمرآزي الخازندار [١٣]
ورسم عليه عند الأمير تغري برمش الجلالى الفقيه نائب القلعة ، بل كان السلطان رسم بأن يجبس بالبرج حتى شفّع فيه ، وطلب منه مال كثير .

وفيه - أيضاً - استقر الطواشي فيروز الرومي النوروزي رأس نوبة
الجمدارية خازنداراً عوضاً عن جوهر المذكور.

وفي يوم الجمعة تاسعه سافر الزيني عبد الرحمن بن الكويز إلى القدس
منقياً بعد أن أخذ منه شيء كثير من الذهب.

وفي يوم الأحد حادي عشره استقر القاضي نور الدين علي بن سالم أحد
نواب الحكم الشافعية في قضاء صفد.

وفي يوم الأحد ثامن عشره طلب السلطان خازندار الأمير تغري برمش
نائب حلب كان ودواداره، ورأس نوبته وضربهم ضرباً عظيماً، ثم أمر بنفيهم إلى
البلاد الشامية.

ثم أمر السلطان كاتب الممالك أن يحو اسم اثني عشر مملوكاً من
الممالك السلطانية الذين كان عينهم إلى مكة المشرفة، لعدم حضورهم يوم
العرض، ثم شفع فيهم بعض الأمراء فردهم إلى ما كانوا عليه أولاً.

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه خلع السلطان على الأمير الطواشي فيروز
النوروزي الخازندار، واستقر زمناً مضافاً إلى الخازندارية، بعد عزل هلال
الطواشي الظاهري برقوق.

جمادى الآخرة

أوله السبت.

ففي يوم الأحد ثانيه خلع على علاء الدين علي بن آقبرس ناظر الأوقاف
باستقراره في مشيخة خانقاه قوصون التي بالقراة الصغرى عوضاً عن القاضي
معين الدين عبد اللطيف ابن القاضي شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر بغير
طريق شرعي.

وفي يوم السبت ثامنه وصلت مقدمة الأمير جلبان نائب الشام وقدمت إلى
السلطان، وكانت تشتمل على أشياء كثيرة منها خيول نحو مائتي فرس، منها
ثلاثة بسروج ذهب وكنابيش زركش، وعشرة ممالك وعشرة آلاف دينار على ما

قليل ، وأشياء كثيرة من الصوف والفراء والثياب البعلبكي والمخمل والقسي .
وفي يوم الخميس ثالث عشره استقر الأمير إينال العلائي الناصري دوا داراً
كبيراً بالديار المصرية بعد وفاة الأمير تغري بردي / المؤذي البكلمشي . [١٤]

شهر رجب

أوله الاثنين .

ففي يوم الاثنين ثاني عشرينه خلع على قاضي القضاة شهاب الدين
أحمد بن حجر باستقراره في مشيخة قبة الإمام الشافعي بعد عزل الشيخ علاء
الدين القلقشندي .

وفي يوم الخميس خامس عشرينه حضر جماعة من عرب نجد إلى القاهرة ،
وكان السلطان أرسل يطلبهم ليولي كبيرهم إمرة المدينة النبوية ، فإنهم أهل
السنة ، وكان قصد السلطان إقماع الرافضة ، وأنزلهم السلطان بالميدان
وأكرمهم ، فلم يتم للسلطان ما أراد لغرض بعض أهل الدولة .

شعبان

أوله الثلاثاء .

ففي يوم السبت رسم السلطان بنفى الأمير سودون السودوني الحاجب إلى
قوص ، ثم شفع فيه ، فرسم بتوجهه إلى طرابلس على إقطاع هين ، ثم شفع فيه
ثانياً فأقام بالقاهرة .

وفيه حضرت قصاد من عند أولاد شاه رخ بن تيمورلنك فعمل لهم
السلطان الخدمة بالقصر الكبير من القلعة ، وأبطل خدمة الإيوان .

شوال

أوله السبت .

ففي يوم الاثنين ثالثه خلع السلطان على الشريف أبي القاسم بن
حسن بن عجلان بإمرة مكة ، عوضاً عن أخيه علي بن حسن بن عجلان بحكم
القبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن حسن بن عجلان بمكة المشرفة ، قبض عليهما
الأمير قمرآز البكتمري المؤيدي أحد الدوادارية المعروف بالمصارع .

وفي يوم الاثنين سابع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير تنبك البردبكي
الظاهري برقوق حاجب الحجاب بالمحمل إلى بركة الحاج، وأمير الركب الأول
الأمير الطواشي عبد اللطيف المنجكي العثماني مقدم الممالك السلطانية.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه استقر قاضي القضاة بدر الدين محمود
العيني محتسب القاهرة عوضاً عن ير علي الخراساني بحكم عزله وتوجهه إلى
الحجاز.

ذو القعدة

أوله الاثنين.

فيه قدم الأمير أركماس الظاهري الدوادار الكبير - كان - من ثغر دمياط
بطلب من السلطان ، وتمثل بين يديه ، وأخلع عليه السلطان كاملية^(١)
بفروسمور بمقلب سمور ، ورسم له بأن يقيم بالقاهرة بطلاً ، وأذن له بالركوب
والنزول إلى حيث شاء .

[١٥] وفي يوم الاثنين خامس عشره رسم // السلطان لقاضي القضاة شهاب
الدين ابن حجر بلزوم بيته .

وفيه استقر القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن تاج الدين بن نصر الله في
نظر الإصطبل السلطاني ، عوضاً عن شمس الدين نصر الله الشهير بالوزة .

وفي يوم الخميس أُعيد قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر إلى القضاء
على حاله .

(١) الكاملية: لباس ضيق الكمين، مفرج الذيل من خلف، يبدأ من الحافة السفلى مرتفعاً إلى أعلى،
يُلْبَس فوق القباء .

راجع: القلقشندي . صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٧٦ ، ماير . الملابس الملوكية ص ٢٥ .

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه خلع على القاضي بهاء الدين محمد بن حجي باستقراره ناظر الجيش بالديار المصرية مضافاً إلى ما بيده من نظر جيش دمشق، عوضاً عن القاضي محب الدين ابن الأشقر بحكم عزله وتوجهه إلى الحج، وذلك بمال كبير بذله ابن حجي في ذلك.

ذو الحجة

أوله الثلاثاء.

ففي يوم الاثنين رابع عشره خلع السلطان على الأمير طوغان العثماني نائب القدس - كان - بإعادته إلى نيابة القدس على عادته بعدما كان صودر ونفي إلى حلب.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - ثمانية أذرع وخمسة أصابع، وكان مبلغ الزيادة عشرون ذراعاً وأحد وعشرون إصباعاً^(١).

* * *

(١) في هامش «أ»: «صوابه: وثلاثة وعشرين إصباعاً».

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الشيخ الإمام العالم العامل الصالح نور الدين عبادة بن علي بن صالح بن عبد المنعم بن سراج بن نجم بن فضل الزواوي المالكي المعروف بالشيخ عبادة^(١)، شيخ المالكية وعالمها بالديار المصرية في يوم الجمعة سابع شوال، وصلى عليه صاحبه المعتقد مدين^(٢) بجامع الأزهر، وكثر أسف الناس عليه، ومات ولم يخلف بعده مثله علماً وزهداً وعبادة وورعاً.

ومولده في جمادي الأولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ببند زرزا^(٣)، وقرأ القرآن بها، ثم انتقل إلى القاهرة وحفظ عدة مختصرات في مذهبه، ثم أقبل على طلب العلم، ولازم علماء عصره^(٤) حتى برع، وصار هو إمام وقته ووحيد دهره في

(١) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٩٣، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧٩ - ٣٨٠ تر ١٣٠٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٧٤، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٢ - ٤٩٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٥١ - ٥٣، الذيل التام ق ٨٣ ب، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٦ - ١٨ تر ٦٦، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٦٢ تر ٩٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) هو «مدين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن يونس، الحميري، المغربي، ثم الأشموني، القاهري، المالكي»، (ت ٨٦٢ هـ / ١٤٥٨ م).

له ترجمة في ابن تعري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٩١، السخاوي. الذيل التام ق ١٠٣ أ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٥٠ - ١٥٢ تر ٦٠٣.

(٣) زُرزا أو زُرِّي: بكسر ثم سكون، قرية من الصعيد الأدنى، غربي النيل.

راجع: ياقوت. معجم البلدان ج ٣ ص ١٣٦، البغدادی. مرصد الاطلاع ج ٢ ص ٦٦٢، ابن الجيعان. التحفة السنية ص ١٤٤.

(٤) راجع تسميتهم لدى السخاوي. التبر المسبوك ص ٥١ - ٥٢، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٦ - ١٧.

المنقول والمعقول، مع الصلابة في الدين والورع المتين، وانتهت إليه رياسة العلم بالقاهرة في زمانه، وكان قد طلب الحديث في مبدأ أمره وسمع الكثير.

وقد استوعبنا جماعة كبيرة من مشايخه في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي

[١٦] . لأنه معتد للتراجم^(١) // لا غير.

وكان - رحمه الله - يلزم طريق السلف من التقشف وعدم التردد^(٢) للناس، وصحب الشيخ مدين في آخر عمره فزاد تقشفه وورعه.

وكان رحل إلى مكة^(٣) واليمن^(٤) في شببته، وتولى عدة تداريس في الديار المصرية^(٥)، وتصدى للإشغال سنين، وانتفع به غالب الطلبة من كل مذهب.

ولما مات قاضي القضاة شمس الدين البساطي^(٦) المالكي طلبه السلطان إلى المنصب فامتنع أشد امتناع، حتى قال السلطان للقاضي كمال الدين ابن البارزي^(٧) كاتب السر: قل له السلطان يقول لك: هو ولي السلطنة مغضوباً، وهو - أيضاً - يوليكَ

(١) في هامش «أ»: «صوابه معد للتراجم» .

(٢) في الأصل: «الترداد» .

(٣) أشار السخاوي (الضوء اللامع ج ٤ ص ١٧) إلى أنه كان في مكة سنة عشرين وثمانمائة للهجرة.

(٤) أشار السخاوي (نفسه) إلى أنه دخلها سنة تسع عشرة وثمانمائة للهجرة.

(٥) أشار ابن تغري بردي (المنهل الصافي مج ٢ ق ١٧٤ ب)، والسخاوي (التبر المسبوك ص ٥٢،

الذيل التام ق ٨٣، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٧) إلى أنه كان بيده تدريس الفقه المالكي في

الشيخونية والبروقية والأشرفية برسباي.

(٦) هو «شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن محمد بن حسن بن

غنام، البساطي» (ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٩ م). له ترجمة في: المقرئ. السلوك ج ٤ ص ١١٥٠،

ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٨٢ - ٨٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٩٧ تر

٢٠٥٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ٧٦ ب - ١٧٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٦٦، السخاوي.

الذيل على رفع الإصر ص ٢٢٠ - ٢٣٨، الضوء اللامع ج ٧ ص ٥ - ٨ تر ٧، السيوطي. حسن

المحاضرة ج ١ ص ٤٦٢ تر ٩١، ابن العماد الخنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٧) هو «كمال الدين، أبو المعالي، محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن

عبد الرحيم بن هبة الله البارزي».

راجع الترجمة رقم «٩» من حولية ست وخمسين وثمانمائة للهجرة.

القضاء غصباً. فلما سمع ذلك قال: حتى أستخير الله، وتسحب من وقته وسافر من القاهرة^(١)، ولم يعد إليها حتى ولي قاضي القضاة بدر الدين التنسي^(٢) المنصب.

قلت: هكذا تكون العلماء والزهاد.

واستمر على ما هو عليه من الإشغال والاشتغال بالعبادة إلى أن توفي - رحمه الله وعفا عنا وعنه.

(٢) وتوفي قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن [علي بن أبي] العز^(٣) البغدادي الحنبلي قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية ثم بدمشق، وبها توفي في أواخر هذه السنة^(٤)، وتولى عوضه القضاء ابن مفلح^(٥) على عادته.

(١) أشارت مصادر ترجمته إلى أنه اختفى في «دمياط».

(٢) هو «بدر الدين، أبو الإخلاص، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عوض بن نجار بن حمود بن نهار».

راجع الترجمة رقم «٩» من حولية ثلاث وخمسين وثمانمائة.

(٣) هو «عبد العزيز بن علي بن أبي العز بن عبد العزيز بن عبد المحمود البكري، التميمي، القرشي، البغدادي، ثم القدسي».

له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٩٤ - ١٩٦، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤١٦ - ٤١٧ تر ١٤٣٤، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢٢٤، النجوم الزاهرة مج ١٥ ص ٤٩٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٥٤ - ٥٥، الذيل التام ق ٨٣ ب، الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٢٢ - ٢٢٤ تر ٥٧٠، ابن المبرد. الجواهر المنضد ص ٦٧ - ٦٨ تر ٧٢، الذيل على طبقات ابن رجب ص ٤٩ تر ٧٢، العليمي. الأئس الجليل ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٢، ابن طولون. قضاة دمشق ص ٢٩٤، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٩.

(٤) تردد في مصادر ترجمته أنه توفي «ليلة الأحد، مستهل ذي القعدة منها».

(٥) هو «نظام الدين، أبو حفص، عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج بن عبد الله الراميني، المقدسي، ثم الصالحي».

اختلف في التأريخ لوفاته بين سنتي ٧٠، و٨٧٢ هـ.

له ترجمة في: السخاوي. الذيل التام ق ١١٤ أ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٦٦ - ٦٧ تر ٢٢٢، ابن المبرد. الجواهر المنضد ص ١٠٦ - ١٠٧ تر ١١٨، الذيل على طبقات ابن رجب ص ٦٧ - ٦٨ تر ١٠٧، النعمي. الدارس ج ٢ ص ٥٥ - ٥٩، ابن طولون. قضاة دمشق ص ٢٩٦ - ٣٠٠، القلائد الجوهريّة ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٣١١.

وكان القاضي عز الدين هذا قد ولي القضاء بالديار المصرية بعد عزل شيخ الإسلام محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي^(١) مدة أشهر في الدولة الأشرفية برسباي، ولما ولي صار يتقشف في ملبسه ومركبه، وبقي في غالب أوقاته يمشي على قدميه^(٢) في الشوارع لقضاء حوائجه، وإذا ركب بغلته أردف ولده خلفه، وفي بعض الأحيان^(٣) يردف عبده - أيضاً - وأشياء كثيرة من هذا النموذج، ورق حتى زك^(٤)، واستمر على ذلك حتى عزله السلطان^(٥) وأعاد قاضي القضاة محب الدين - المذكور - ثانياً.

وكانت ولايته القضاء بمصر والشام من غير سعي، وكان فيه سلامة باطن في الظاهر، مع معرفة ودهاء ومكر، وكان عارفاً بالفقه وفروعه، وله مشاركة في عدة فنون بحسب الحال، وكان بينه وبين والدي صحبة ومحبة، وكان يلزم الوالد في كل يوم إذا كان بالقاهرة، وكان الوالد يستجوده ويعجبه ما يفعله من هذه الأشياء، واستمرت الصحبة بيننا - أيضاً - بعد وفاة // الوالد إلى أن سافر [١٧]

(١) هو «محب الدين، أبو الفضل، أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد البغدادي، الحنبلي» (ت ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م).

له ترجمة في: المقرئزي. السلوك ج ٤ ص ١٢٣١ - ١٢٣٢، ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج ١ ق ١٣٣ أ - ١٣٤ ب، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٣٩ - ١٤١، رفع الإصر ج ١ ص ١١١ - ١١٢، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ تر ٣٢٧، المنهل الصافي ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٩ تر ٣٢٩، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٨٣ - ٤٨٤، السخاوي. الدليل التام ق ٨١ ب - ٨٢ أ، الدليل على رفع الإصر ص ١٠٩ - ١٢٢، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٩ تر ٦٥٦، السيوطي. حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٩٢، ابن طولون. القلائد الجوهريّة ج ٢ ص ٥٠٥ - ٥٠٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٢) في الأصل: «أقدامه».

(٣) في «أ»: «الأعيان».

(٤) يبدو أن المقصود: «ضعف وهزل» - راجع: الفيروزآبادي. القاموس المحيط ص ١٢١٥ - ١٢١٦.

(٥) كانت ولايته قضاء مصر في المدة ما بين الثالث عشر من جمادي الآخرة سنة ٨٢٩ هـ. والثاني عشر من صفر سنة ٨٣١ هـ.

راجع: ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

إلى دمشق قاضياً ومات بها، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه .

(٣) وتوفي جمال الدين عبد الله^(١) أخو شهاب الدين الأذرعي^(٢) الشافعي الإمام بالقاهرة في يوم الاثنين سابع عشر شوال .

وكان عارياً من كل علم وفن، عفا الله عنه .

(٤) وتوفي الشيخ الواعظ جمال الدين السنباطي^(٣) الشافعي - أحد نواب الحكم الشافعية - في يوم الخميس تاسع عشرين شهر رمضان عن نحو الثمانين سنة، بعد مرض طويل، وكان قد ترك الحكم قبل ذلك بمدة، وكان له مدة سنين يعمل المواعيد في المساجد والربط، وكان على وعظه أنس، ولكلامه موقع في النفوس، وكان يقرأ على كرسي بين يدي شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقيني^(٤) الشافعي في صبيحة^(٥) كل يوم جمعة، ثم لما يسكت من

(١) هو «جمال الدين، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الرحمن، الدمشقي الأصل، القاهري» .

له ترجمة في: ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٣ - ٤٩٤، السخاوي . التبر المسبوك ص ٥٣، الضوء اللامع ج ٥ ص ١٧ تر ٦١ .

(٢) نسبة إلى «أذرع» ، بلدة في أطراف الشام، اشتهرت قديماً بالخمر، وترددت في أقوال الشعراء .

راجع: ياقوت . معجم البلدان ج ١ ص ١٣٠ - ١٣١، البغدادى . مرصد الاطلاع ج ١ ص ٤٧ .

(٣) هو «جمال الدين، عبد الله بن أبي بكر بن حسن (أو حسين) السنباطي - الواعظ» .

له ترجمة في: ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٤، السخاوي . التبر المسبوك ص ٥٣ الذيل التام ص ٨٣ ب، الضوء اللامع ج ٥ ص ١٤ - ١٥ تر ٥٠، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٤٥٩ .

(٤) هو «عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني» ت ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م .

له ترجمة في: المقريزي . السلوك ج ٤ ص ٦٠٠، ابن قاضي شعبة . طبقات الشافعية ج ٤ ص ١١٢ - ١١٥ تر ٧٦٨، ابن حجر . إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٥٩ - ١٦٠ تر ٩، رفع الإصر ج ٢ ص ٣٢٢ - ٣٣٦، ابن فهد المكي . لحظ الألفاظ ص ٢٨٢ - ٢٨٤، ابن تغري بردي . الدليل الشافعي ج ١ ص ٤٠٣ تر ١٣٨٩، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢٠٤ ب - ٢٠٥ ب، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ٢٣٧ - ٢٣٨، الجوهري : نزهة النفوس ج ٢ ص ٢٢٣ تر ٦١٢، السخاوي . الضوء اللامع ج ٤ ص ١١٦ - ١١٣ تر ٣٠١، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٣٨ - ٤٣٩، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٥) في الأصل : « صبيحة » .

القراءة يبدأ قاضي القضاة جلال الدين في عمل الميعاد ويستمر السنباطي هذا جالساً على الكرسي إلى أن يفرغ قاضي القضاة جلال الدين . وكنت أحضر الميعاد في كل يوم جمعة لصهارة^(١) كانت بيني وبين قاضي القضاة جلال الدين رحمه الله .

(٥) وتوفي صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله بن حسن بن محمد الإدكوي ثم الفوي ثم المصري^(٢) ، كاتب سر الديار المصرية ، وناظر جيشها وخاصها ، ووزيرها ، وأستادارها ، ومحتسبها في يوم الثلاثاء سلخ شهر (ربيع) ^(٣) الأول ، ودفن بتربته بالصحرَاء عند ولده صلاح الدين محمد بن نصر الله .

وكان أصل صاحب بدر الدين هذا من قرية إدكو من قرى المراحيتين^(٤) بالوجه البحري ، ثم انتقل والده إلى فوه فولد له بها صاحب بدر الدين هذا في ليلة الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول سنة ست وستين وسبعمائة ، وبها نشأ وباشر فيها بالطالع والنازل ، ودخل القاهرة فقيراً مملقاً .

(١) إذ كان «الجلال» زوجاً لهاجر كريمة مؤرخنا ، ومتولياً لتربيته آنذاك .

(٢) هو «بدر الدين» حسن بن نصر الله بن حسن بن محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن عبد السلام .

له ترجمة في : ابن حجر . إنباء الغمر ج ٩ ص ١٩١ - ١٩٢ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٧١ تر ٩٣٢ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢٧ ب - ٢٨ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٤ - ٤٩٥ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٤٩ - ٥٠ ، الذيل التام ق ٨٣ ب - ٨٤ أ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٣٠ - ١٣١ تر ٥٠٥ .

(٣) ساقط من «أ» ، مثبت من النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٤ .

(٤) المَراحِييْن : عمل يجاور خليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر المتوسط ، وبعضه بالبر الشرقي من النيل ، وحاضره مدينة فوه .

راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٠٣ .

حكى لي من لفظه أنه لما قدم القاهرة جعله قاضي القضاة ناصر الدين ابن التنسي^(١) موقعاً^(٢)، فحسده الناس على ذلك أمداً كبيراً .

قلت : ثم خدم صاحب بدر الدين شاهداً في ديوان الأمير أرغون شاه^(٣) أمير مجلس في الدولة الظاهرية برقوق نحو الشهرين ، وعزل ، ثم انضم إلى [١٨]ادوار الأمير بكلمش^(٤) العلاني أمير سلاح / / فحسن حاله عنده ، ثم ترقى (في) الخدم حتى ولي نظر الجيوش بالديار المصرية في الدولة الناصرية فرج ، ومن يومئذ أخذ أمره في غو إلى أن باشر عدة وظائف سنية حسبما ذكرناه مفصلاً في المنهل الصافي ، حتى لم يترك وظيفة من الوظائف حتى باشرها ، حتى كتابة السر ، فإنه باشرها في آخر عمره بعد موت ولده صلاح الدين محمد في أواخر سنة

(١) هو « ناصر الدين ، أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عوض بن نجا » ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م .

له ترجمة في : المقرئزي . السلوك ج ٣ ص ٩٧٦ ، ابن حجر . إنباء الغمر ٢ ص ٦٣ - ٦٤ تر ١٤ ، رفع الإصر ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٨٢ تر ٢٨٩ . المنهل الصافي ج ٢ ص ١٥٢ - ١٥٣ تر ٢٩١ ، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٠ ، الجوهرى . نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٢٩ تر ٣٠٨ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ١٩٢ - ١٩٣ تر ٥٢٥ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٦١ تر ٨٧ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٥ - ٦ .

(٢) الموقع : هو الذي يكتب المكاتبات والولايات وغيرها في ديوان الإنشاء . راجع : الفلقشندي . صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٥ .

(٣) هو « أرغون شاه بن عبد الله البيدمري الظاهري » ت ٨٠٢ هـ / ١٣٩٨ م .

له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ١٠٥ تر ٣٦٣ ، المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٤ تر ٣٦٥ ، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٣ ، الجوهرى . نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٦٢ تر ٣١٣ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٧ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ١ ق ٢ ص ٥٨٢ .

(٤) هو « بكلمش بن عبد الله العلاني » ، أمير سلاح الظاهر برقوق . ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م .

له ترجمة في : المقرئزي . السلوك ج ٣ ص ١٧ - ١٨ تر ٨٠ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ٢ ص ٦٩ تر ٢٣ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٧ تر ٦٨٩ ، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤١٤ - ٤١٦ تر ٦٩١ ، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٥ ، الجوهرى . نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥ تر ٢٩٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ١٧ - ١٨ تر ٨٠ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ١ ق ٢ ص ٥٥٠ .

إحدى وأربعين وثمانائة إلى أن عزله الملك الظاهر جقمق بالقاضي كمال الدين ابن البارزي في أوائل سنة اثنتين وأربعين وثمانائة، ثم بطل ولزم داره إلى أن اختلط عقله قبل موته بمدة سنين.

وبالجملة إنه كان من أعيان رؤساء الديار المصرية لولا حدة كانت فيه وبادرة، وكان منهمكاً في اللذات، وكان يتغالى في المأكل والمشرب.

وكان صفته شيخاً جليلاً، طوالاً مليح الشكل والشيبة، كريماً جواداً، وعنده شهامة وإقدام على الملوك، رحمه الله تعالى.

(٦) وتوفي الأمير سيف الدين تغري بردي بن عبد الله البكلمشي^(١) الدوابدار الكبير - المعروف بالمؤذي - في يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الآخرة بعد مرض طويل، وصلى عليه بمصلاة المؤمني. وحضر السلطان الملك الظاهر جقمق الصلاة عليه وغالب أعيان الدولة، ودفن بتربة الأمير طيغنا الطويل^(٢) بالصحراء، وطيغنا - المذكور - هو أستاذ الأمير بكلمش أستاذ تغري بردي هذا.

ولما مات أستاذه بكلمش صار تغري بردي هذا من جملة المماليك، وترقى حتى صار من جملة أمراء العشرات في الدولة الناصرية فرج، واستمر على ذلك حتى قدم الأمير شيخ المحمودي أتابك المستعين بالله إلى الديار المصرية بعد قتل الملك الناصر فرج أخرج إقطاعه، ثم أعاده بعد مدة من سلطنته، واستمر

(١) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ١٩٢ - ١٩٣، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٧ - ٢١٨ تر ٧٦٣، المنهل الصافي ج ٤ ص ٥٤ - ٥٦ تر ٧٦٥، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٦ - ٤٩٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٩، الذيل التام ق ٨٤ أ الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧ - ٢٨ تر ١٣٣، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣٥.

(٢) هو «طيغنا بن عبد الله، الناصري حسن، المعروف بالطويل»، ت ٧٦٩ هـ / ١٣٦٨ م. له ترجمة في: ابن حجر. الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٣١ تر ٢٠٥٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧٥ تر ١٢٨٨، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٧١ ب - ١٧٢ أ.

تغري بردي على إمرته كآحاد الأجناد دهرًا طويلًا لا يؤبه إليه حتى إنني كنت إذا رأيته في الدولة الأشرفية أحسبه من جملة الأجناد، إلى بعد سنة ثلاث وثلاثين أنعم عليه الملك الأشرف بإمرة طبلخاناه، وكان جعله قبل ذلك بمدة يسيرة من جملة رءوس النوب، ثم صار رأس نوبة ثانيًا بعد سنيات، // فلما ولي هذه الوظيفة ومسك العصاة في يده صار يضرب هذا وينهر هذا ويدفع هذا، وأظهر ما كان خفيًا عن الناس من شهرته بالمؤذي، والملوك تحب من يفعل ذلك بين أيديهم لإقامة الناموس، فلم يكن غير سنين إلا وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، واستمر على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى حجوبة الحجاب بالديار المصرية بعد انتقال الأمير يشبك السوداني^(١) إلى إمرة مجلس بعد آقبغا التمرازي^(٢) في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فلم تطل مدته حتى جعله دوادارًا كبيرًا بعد نفي الأمير أركماس الظاهري برقوق^(٣) إلى ثغر دمياط. ولما ولي الدوادارية عظم أمره وتضاحم. وسلك طريق السلف من الحرمة وإقامة الناموس - لا في كثرة الممالك والسماط - وقصده الناس لقضاء حوائجهم، وعظم في الدولة، ونالته السعادة، وعمر مدرسته^(٤) التي بالشارع بالقرب من صليبة جامع ابن طولون، وجعل فيها خطبة ومدرس وشيخ وصوفية، ووقف عليها أوقافًا كثيرة.

(١) هو « سيف الدين » يشبك بن عبد الله السوداني، المعروف بالمشد.

راجع الترجمة رقم « ٢ » من حولية تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة.

(٢) هو « آقبغا بن عبد الله التمرازي »، نائب دمشق. ت ٨٤٣ هـ. / ١٤٣٩ م.

له ترجمة في: المقرئ. السلوك ج ٤ ص ١١٩٦، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١١٥، ابن تغري بردي. التذليل الشافي ج ١ ص ١٣٨ تر ٤٨٣، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٧٦ - ٤٨٠ تر ٤٨٤، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٧٥ - ٤٧٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٦ - ٣١٧ تر ١٠١٢.

(٣) هو « سيف الدين، أركماس الظاهري برقوق ».

راجع الترجمة رقم « ١٧ » من حولية أربع وخمسين وثمانمائة للهجرة.

(٤) راجع بشأنها: علي مبارك. الخطط ج ٢ ص ١١٥ - ١١٦.

وكان عارفاً بالأحكام، ويقصد في أحكامه خلاص المظلوم من الظالم، ولا يسمع في ذلك رسالة مرسل كائناً من كان، وكان يكتب الخط الذي يقارب المنسوب، ويتفقه، ويذاكر بأشياء من التواريخ، ويسأل الأسئلة من الفقهاء، وكان عفيفاً عن القاذورات، إلا أنه كان سباباً فحاشاً في لفظه، قل أن يتبسم.

وكان معتدل القد، ضخماً، مدور اللحية، عبوساً، وفي لقه ما يغني عن ذكره.

وكان ينسب إلى التتر، وهو رومي الجنس، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه.

(٧) وتوفي الأمير سيف الدين أيتمش بن عبد الله الخصري الظاهري^(١) بعد أن تعطل في بيته سنين من بياض ابتلي به - في آخر ليلة السبت العشرين من شهر رجب - ودفن في تربة الأمير قطلوبك بالصحراء.

وكان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، ومن صار من جملة الدوادارية في الدولة الناصرية فرج، ثم تأمر عشرة في الدولة المؤيدية // شيخ، ودام على [٢٠] ذلك إلى أن ولي الأستادارية في أوائل الدولة الأشرفية برسباي فلم ينتج أمره فيها، وعزل بعد مدة يسيرة، واستمر على إمرة عشرة سنين إلى أن ابتلي، أخرج الملك الأشرف إمرته وجعله بطالاً، ونفاه غير مرة إلى القدس وغيره، ودام على ذلك إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق داخله أيتمش - المذكور - وتقرب إليه إلى الغاية، فلم يكن إلا أيام قلائل وسئمه الملك الظاهر جقمق ومقتته، ثم نفاه إلى القدس، ثم رسم بعوده، وانقمع بعد ذلك ولزم داره حتى توفي كما تقدم ذكره.

وكان ضخماً، للقصر أقرب، كث اللحية، فحاشاً سباباً، سريع الحركة، مقداماً، وعنده بطش وجبروت، ويتفقه، ويعف عن المسكرات، وينبل طلبة الجامع الأزهر شراً.

(١) له ترجمة في : ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ١٩٢، ابن تغري بردي. التلليل الشافي ج ١ ص ١٧٤ تر ٥٨٥، المنهل الصافي ج ٣ ص ١٣٩ - ١٤١ تر ٥٨٦، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٨ - ٤٩، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ تر ١٠٦٠.

وبالجملة كانت مسلوؤه كثيرة، ولم أدر ما أقول فيه، غفر الله لنا وله.

(٨) وتوفي الأمير ناصر الدين بك بن دلغادر^(١) صاحب أبلستين^(٢) وأمير التركمان في أوائل جمادي الآخرة، وقيل: إنه قتل على فراشه، والأول أصح.

كان أول أمره من جملة أمراء حلب، لما^(٣) كان الوالد نائباً بها، ثم ترقى حتى صار نائباً لأبلستين على عادة آبائه وأجداده، ولما وليها طغى وتجبّر، وخرج عن طاعة ملوك مصر إلى أن أباده الملك الأشرف برسبائي، وحصل لناصر الدين بك محن من كثرة من يجرد إليه من قبل الملك الأشرف، ولم تزل العداوة بينهما إلى أن توفي الملك الأشرف وآل الأمر إلى سلطنة الملك الظاهر جقمق، أظهر ناصر الدين بك هذا الطاعة له، وقدم الديار المصرية في سنة ثلاث وأربعين، ولبس خلعته، وأكرمه الملك الظاهر غاية الإكرام، وتزوج ابنته التي كان تزوجها الأتابك جانبك الصوفي^(٤)، لما كان هارباً عنده، ثم عاد إلى بلاده بعد أن أنعم عليه الملك الظاهر بأشياء كثيرة، واستمر بأبلستين إلى أن توفي وأراح الله المسلمين منه.

وكان كثير الشرور والفتن، ووقع في أيامه حروب كثيرة بتلك البلاد، وكان ظالماً جباراً مسرفاً على نفسه، عامله الله بما يستحق.

* * *

(١) هو «ناصر الدين»، محمد بك بن خليل بن قراجا بن دلغادر»، له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٩، السخاوي. التبر المسبوك ص ٥٨، الدليل التام ق ٨٤ أ.

(٢) أبلستين: مدينة مشهورة ببلاد الروم، شرقي قيصرية. تعد من مدن الثغور.

راجع: ياقوت. معجم البلدان ج ١ ص ٧٥، البغدادى. مراصد الاطلاع ج ١ ص ١٧ - ١٨.

(٣) في «أ»: «كما».

(٤) هو «جانبك بن عبد الله الصوفي، الظاهري برقوق» ت ٨٤١ هـ / ١٤٣٨ م.

له ترجمة في: المقرئزي. السلوك ج ٤ ص ١٠٦١، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ تر ٨١٧، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٢٤ - ٢٣٠ تر ٨١٩، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢١١ - ٢١٣، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٤٣٠ تر ٧٧٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٧ تر ٢٣٠.

سنة سبع // وأربعين وثمانمائة

استهلت هذه السنة والسلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري، والخليفة أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، وباقي القضاة وأرباب الدولة على ما تقدم ذكره في سنة خمس وأربعين (وثمانمائة)، إلا الدوادار الكبير فإنه الأمير إينال العلائي الناصري، وليها بعد موت الأمير تغرى بردى المتقدم ذكره.

المحرم

أوله الخميس.

ففي يوم الجمعة ثانيه أمر السلطان بحبس الفرنج الذين قدموا من رودس، وجماعة آخر من النصاري في المقشرة، فحبسوا الجميع بها.

وفي يوم السبت عاشره استقر القاضي سراج الدين عمر بن موسى الحمصي الشافعي في قضاء طرابلس، بعد عزل القاضي شهاب الدين ابن الزهري، وأضيف إليه نظر جيشها.

وفي أوائل المحرم نقل القاضي جمال الدين يوسف الباعوني الشافعي من قضاء حلب إلى قضاء دمشق، بعد عزل القاضي شمس الدين محمد الونائي، وتولى قضاء حلب القاضي شمس الدين ابن الجزري.

صفر

أوله الجمعة.

ففي يوم الثلاثاء ثاني عشره استقر ير علي الخراساني في حسبة القاهرة مضافاً على حسبة مصر القديمة، بعد عزل قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني عنها.

شهر ربيع الأول

أوله الأحد.

ففي يوم الاثنين سادس عشره خرجت الغزاة من القاهرة ونزلت في المراكب من ساحل بولاق وتوجهوا إلى ثغر الإسكندرية ودمياط، ومنهم من توجه إلى الإسكندرية في البر، والجميع قصدهم غزو رودس، وقيل: تسمى أريدس، والأول أشهر.

وكانت الغزاة جمعاً كبيراً إلى الغاية من الأمراء والخاصكية والمماليك السلطانية، وكان رأس العسكر في هذه السنة - أيضاً - الأمير إينال العلائي الناصري الدوادار الكبير، وكان في العام الماضي - أيضاً - هو والأمير ترمباي رأس نوبة النوب رءوس العسكر - أيضاً - لما غزوا قشتيل وأخذوها^(١)، انتهى.

[٢٢] وكان في هذه السنة مع الأمير إينال // من الأمراء الأمير يلخجا الساقى الناصري ثاني رأس نوبة، ومن العشرات جماعة كبيرة، منهم الأمير تغري برمش الشبكي الزاردكاش، والأمير تغري برمش الجلالى المؤيدى الفقيه نائب قلعة الجبل وهو مستمر على وظيفته، ورسم للأمير يونس العلائى أن يجلس بباب القلعة حتى يعود تغري برمش - المذكور - من الغزو، والأمير سودون الإينالى المؤيدى المعروف بقراقاش أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، والأمير ترمبغا الظاهرى جقمق، والأمير نوكار الناصري، والأمير تراز النوروزى المعروف بتعريض، والسيفى يشبك الفقيه المؤيدى. وفيها تأمر بعد موت تراز النوروزى، أحد الباشات من جرح أصابه في رودس، وجماعة أخر من أعيان الخاصكية،

(١) في هامش «أ»: «قال المؤلف رحمه الله تعالى: هذه الوقعة في هذا الشهر - أعني ربيع الأول - لكن ليست السنة سنة سبع وأربعين (وثمانائة)، وإنما كانت الوقعة في شهر ربيع الأول من سنة ثمان وأربعين، ولكن وقع الوهم في المسودة التي بيضت منها هذه النسخة، وقد ذكرتها مشبوبة في سنتها في غير هذه النسخة، وهي سنة ثمان وأربعين، فلتراجع هناك».

كل منهم مقدم على غراب^(١)، ومعه جماعة من المماليك السلطانية في هذه الغزوة تزيد على ألف مملوك، هذا خارج عن مَنْ توجه من المتطوعة من الفقهاء والفقراء وأولاد الناس، وأضيف إليهم - أيضاً - جماعة من الأمراء الشامية كما فعل الملك الأشرف برسباني في غزوة قبرس.

ورسم لهم بأن يتوجهوا الجميع من ساحل طرابلس وينضافوا إلى العسكر المصري، ويتوجهوا إلى رودس بأجمعهم عسكرياً واحداً، ففعلوا ذلك، وسافر الجميع في البحر المالح بعد أن أقاموا بثغر الإسكندرية ودمياط أياماً لعمل مصالحهم، وحصل منهم غاية الضرر بطول إقامتهم في الثغور المذكورة. وكان يوم سفرهم من الثغر الإسكندري في يوم الخميس حادي عشر شهر ربيع الآخر، وسافروا بالأمن والسلامة إلى أن وصلوا إلى بر رودس ونزلوا عليها بالقرب من مدينتها بالخيم، وأخذوا في حصار أسوارها، ونصبوا المناجنيق والمكاحل على أبراجها، وأخذوا في القتال في كل يوم.

هذا، ومنهم فرقة كبيرة قد تفرقت في قرى رودس وبساتينها وضياعها ينهبون ويسبون، واستمروا على ذلك أياماً كثيرة.

على أن أهل رودس تأهبوا للقتال والحصار وحصنوا أبراج رودس بالآلات والسلاح والمقاتلة، وصار القتال بينهم في كل يوم // وقتل من الطائفتين خلق كثير [٢٣] إلى الغاية.

على أن جماعة من عسكر المسلمين استمروا في المراكب مع الأمير يلخجا، كما رسم السلطان أن يكون باشا في البحر لحفظ المراكب، وكان في ذلك

(١) الغراب، والجمع أغربة وغربان: نوع من أنواع الشني، يسير بالقلع والمجاديف، ومنه الصغير والكبير، إذ يتحدد حجمه بضخامة عدد مجاديفه، فأحفله ما كان يجره مائة وثمانون مجدافاً، وأصغره تجدف به عشرة مجاديف، وهو مركبة حربية شديدة البأس، ولعل تسميتها بذلك لشبه مقدمها برأس الغراب إلى حد كبير.

راجع: سعاد ماهر. البحرية في مصر الإسلامية ص ٣٥٣، ماجد. نظم القاطمين ورسومهم في مصر ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣، درويش النخيلي. السفن الإسلامية ص ١٠٤ - ١١٢، إبراهيم حسن سعيد. البحرية في عصر سلاطين المماليك ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

مصلحة، فإنه طردهم في بعض الأيام جماعة من الفرنج في المراكب، وحصل بين الفريقين قتال عظيم، ونصر الله المسلمين وغنموا منهم وسبوا.

كل ذلك وحصار رودس على حاله عمال في كل يوم إلى أن وقع للمسلمين في بعض الأيام محنة كبيرة، قتل فيها جماعة من الفرسان الأعيان، وهو أنهم كانوا في كنيسة تجاه رودس، وكان بينهم وبين العسكر مخاضة في البحر المالح، وبينهم وبين رودس طريق سالكة على البر، وتعباً الفرنج لتبيت هؤلاء المسلمين إلى أن أمكنتهم الفرصة خرجوا عليهم على حين غفلة وطرقوهم بالسيوف وغيرها، وكانت المسلمون في أمن من جهة أهل رودس، وغالبهم جالس بلا سلاح، وهم - أيضاً - في قلة، والفرنج في كثرة، فلما وقع العين في العين قام المسلمون إلى السلاح، فمنهم من وصل إلى سلاحه، ومنهم من قتل قبل أخذ السلاح، ومنهم من ألقي بنفسه إلى الماء ونجا بنفسه، وهم القليل، على أنه قتل من الفرنج جماعة كبيرة، قتلوهم من قتل من المسلمين لما عاينوا الهلاك، فلما أن وقع العايط^(١) قام كل واحد من العسكر إلى نجدة هؤلاء، فلم يصل إليهم أحد حتى فرغ القتال، وقتل من قتل، إلا أن بعض الخاصكية لحق جماعة من الفرنج قبل دخولهم إلى مدينة رودس ووضعوا السيف فيهم.

وكنت قد وضعت هذه الواقعة وغزوة قشتيل مبسوطة في مسودة ضاعت مني في جملة مسودات، فاحتجت إلى اختصارها على هذه الصورة، وكذلك أشياء كثيرة من سنة خمس وست وأربعين (وثمانائة).

وكان من قتل من أبطال المسلمين نيفاً على عشرين نفساً، أثابهم الله الجنة بـمه وكرمه.

(١) العيظ : صوت الفتيان النزين إذا تصايحوا ، أو كلمة ينادى بها عند الغلبة، وعليه فالعائط في هذا الموضع هو: الصياح والمناداة.
راجع : الفيروزآبادي . القاموس المحيط ص ٨٧٧.

ودام القتال بعد ذلك في كل يوم أياماً كثيرة إلى أن طال عليهم الأمر، ومدينة رودس لا تزداد إلا قوة لكثرة مقاتلتها وكثرة الميرة التي بها، فأجمع المسلمون على العود، وركبوا المراكب، // وعادوا إلى أن وصلوا إلى ثغر [٢٤] الإسكندرية ودمياط، ثم قدموا إلى ساحل بولاق، فكانت غزوة العام الماضي - أعني غزوة قشتيل - التي أخربوها وسبوا أهلها أبهج من غزوة هذه السنة، والله الأمر من قبل ومن بعد.

وكان وصولهم إلى القاهرة في يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب من السنة.

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين.

ففي يوم السبت سادسه أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الناصري محمد ابن السلطان حتى خلق المقياس وفتح خليج السد على العادة، ثم ركب وطلع إلى القلعة، وخلع عليه على العادة.

وفي هذا المعنى يقول النصير المناوي:

النيل قال وقوله إذ قال ملء^(١) مسامي
في غيظ من طلب الغلا عم البلاد منافي
وعيونهم بعد الوفا ءقلعتها بأصابعي

[مجزوء الكامل]

جمادي الأولى

أوله الثلاثاء. فيه قدم القاضي زين الدين عمر بن السفاح إلى القاهرة والأمير حطط الناصري نائب قلعة حلب وغريب أستاذار السلطان بحلب، بطلب من السلطان، فلما حضروا بين يدي السلطان رسم عليهم الأمير تغري برمش نائب القلعة وأمر بحاسبتهم، وأمره أن يحتفظ بهم أو يحبسهم بالبرج، فأخذهم تغري برمش عنده، وطلب منهم الأموال التي تصرفوا فيها من مال تغري برمش نائب حلب لما عصى وخرج على السلطان، وكان ما طلبه السلطان

(١) في «أ»: «ملا».

من ابن السفاح مبلغ ثلاثين ألف دينار، ومن حطط خمسين ألف دينار، ومن غريب قريب من ذلك، وداموا في الترسيم عند تغري برمش مدة طويلة حتى أخذ منهم مبلغاً كبيراً.

وفي يوم السبت خامسه استقر ابن الرسام كاتب سر حلب وناظر جيشها وناظر قلعتها عوضاً عن ابن السفاح بحكم عزله ومصادرته، واستقر شاهين [٢٥] الطوغاني الأشقر دوا دار السلطان / / قديماً والدوا دار الثالث الآن - في نيابة قلعة حلب عوضاً عن حطط - المذكور - بحكم عزله ومصادرته .

وفي يوم الخميس سابع عشره استقر القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الديري في نظر الحرمين: القدس والخليل - عليه السلام - بمال وعد به بعد وفاة غرس الدين خليل السخاوي .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه استقر القاضي عز الدين ابن البساطي المالكي في قضاء دمشق عوضاً عن يحيى المغربي بحكم عزله .

جمادى الآخرة

أوله الأربعاء .

ففي يوم السبت رابعه عزل ابن البساطي عن قضاء دمشق .

وفي يوم الأربعاء ثامنه قدم إلى القاهرة القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل من دمشق بعد أن احتفل الناس لملاقاته، ولم يتأخر أحد من أعيان الدولة عن الخروج له، وكان لقدمه يوم مشهود، وطلع إلى القلعة وقبل الأرض بين يدي السلطان، ومعه أولاده، ثم تقدم وباس رجل السلطان، فقال له السلطان: أهلاً، وكررها بصوت خفي، ولم يزد على ذلك، ثم ألبسه كاملية بيضاء بسمور بمقلب سمور، وأخلع على أولاده كل واحد كاملية سمور بطوق عجمي، ونزل إلى داره المعروفة به .

وفي يوم الجمعة عاشره قدم الزيني عبد الباسط تقدمته على أربعة وأربعين قفصاً من أقفاص الحمالين، مشحونة بالهدية، مردومة بأنواع الفراء والصوف والمخمل والشقق الحرير والسلاح وطبول بازات مذهبه، موخيول نحو مائتي فرس

وأربعين فرساً، منها اكديشا خاص بسروج ذهب وبدلات وعبي حرير، ومنها عشر خيول عليها بركستوانات ملونة وسروج مغرقة، ومنها ثمانية بسروج سُذَج برسَم الكرة، وبغال ثلاثة أقطار، وجمال بخاتي قطار واحد.

وفي يوم الاثنين عشرينه قدم الأمير الوزير خليل بن شاهين الشيعي نائب ملطية، وخلع عليه خلعة الاستمرار، وقدم هديته.

وفي يوم الاثنين سابع عشرينه وصل إلى القاهرة قاصد القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك وقاصد جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز.

[٢٦]

// شهر رجب

أوله الجمعة.

في يوم الاثنين رابعة استقر الأمير خليل بن شاهين أتاك حلب عوضاً عن الأمير قيز طوغان العلائي الأستاذار، واستقر قيز طوغان المذكور نائب ملطية عوضه.

شعبان وشهر رمضان

لم يقع فيهما شيء.

شوال

أوله الأربعاء.

ففي يوم السبت ثامن عشره برز الأمير شادبك الحكمي أحد مقدمي الألوفاً وأمير حاج المحمل بالمحمل إلى بركة الحجاج، وأمير الركب الأول الأمير سونجبغا اليونسي الناصري فرج أحد أمراء العشرات ورأس نوبة.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه خلع على القاضي محب الدين ابن الأشقر بوظيفة نظر الجيوش المنصورة على عادته قديماً، عوضاً عن القاضي بهاء الدين محمد بن حجي بحكم عزله وعوده إلى دمشق ناظر جيشها، فإنها كانت بيده مضافاً إلى نظر جيش مصر.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه خلع على بدر الدين محمد ابن فتح الدين صدقة المحرقى باستقراره في نظر الجوالي^(١) عوضاً عن والده بحكم ضعفه وكبر سنه ، واستقر - أيضاً - في جميع وظائف والده .

وفي يوم الخميس سلخه قدم القاضي بهاء الدين ابن حجي إلى السلطان مقدمة هائلة تشتمل على خمسة وأربعين قفصاً من أقفاص الحمامين ما بين ثياب بعلبكي وقسي وأنواع الفراء والصوف وغير ذلك .

ذو القعدة

أوله الجمعة .

ففي يوم الاثنين رابعه خلع على القاضي بهاء الدين ابن حجي خلعة الاستمرار بنظر جيش دمشق ، وأضيف إليه نظر قلعة دمشق .

وفي يوم الأحد رابع عشرينه نزل السلطان من قلعة الجبل وسار حتى وصل إلى ساحل بولاق ، ثم عاد حتى علم الناس أنه طيب ، وكان قد توقعك توعكا هيناً ، فأشيع بضعفه .

ذو الحجة

أوله الأحد .

ففي يوم الاثنين ثانيه وصل الأمير جلبان نائب الشام ، ونزل السلطان إلى ملاقاته بمطعم الطير على المسطبة بالريدانية ، وتلقاه ، وأخلع عليه خلعة الاستمرار .

وفي يوم الثلاثاء ثالثه قدم الأمير جلبان تقدمته إلى السلطان ، (و)تشتمل

(١) الجوالي : ما يؤخذ من أهل الزمة عن الجزية المقررة على رقابهم كل سنة ، وهي على قسمين : ما في حاضرة الديار المصرية ، وما هو خارج عن ذلك .
ونظر الجوالي هو المتولي - في حاضرة الديار المصرية - شئون أهل الزمة من نشو وطارىء ، والقائض ما على رقابهم من جزية سنوية ، يعاونه في ذلك : الشاد والعامل والحاشر والشهود .
راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

على (أقفاص على رءوس) عدة حمالين، منها سمور^(١) خمسة أبدان، ووشق^(٢) بدنين، وقاقم^(٣) خمسة أبدان، وسنجاب^(٤) // خمسون بدنأً وقرضيات^(٥) خمسون [٢٧] قرضية، ومحمل ملون أربعين ثوباً، ومحمل أحمر وأخضر وأزرق حلبي خمسون ثوباً، وصوف ملون مائة ثوب، وثياب بعلبكي خمسمائة ثوب، وبطائن خمسمائة ثوب، وقسي حلقة ثلاثمائة قوس، منها خمسون خاص وطبول باز مذهبة عشرة، وسيوف خمسون سيفاً، وخيول مائتا رأس، منها واحد بسرج ذهب وكنبوش، وبغال ثلاثة أقطار، وجمال أربعة أقطار، وعشرون ألف دينار، على ما قيل.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - ستة أذرع وعشرون إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة تسعة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرين إصبعاً.

* * *

-
- (١) السَّمُور والجمع سمامير : حيوان بري، لونه أحمر مائل الى السواد، يشبه السنور، لا يؤخذ إلا بالحيل. خص باتخاذ الفراء من جلوده، للينها وخفتها ودفائها وحسنها.
راجع : الدميري. حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ٣٤، المنجد ص ٣٥٠.
- (٢) الوشق : حيوان من السباع، على شكل عناق الأرض (راجع : الدميري). حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ١٥٦، إلا أنه أكبر منه قليلاً يؤخذ منه الفراء. راجع المنجد ص ٩٠٢.
- (٣) القاقم : حيوان جميل الوجه، أبيض اللون، يشبه السنجاب، يتخذ منه الفراء.
راجع : الدميري. حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ٢٣٩، المنجد ص ٦٤٧.
- (٤) السنجاب : حيوان أكبر من الجرذ، كث الشعر ناعمه، أزرق رمادي اللون، يتخذ من جلده الفراء.

- راجع : الدميري. حياة الحيوان ج ٢ ص ٣٤، المنجد ص ٣٥٤.
- (٥) لعله الفراء المتخذ من ابن مقرض، وهو أبيض اللون مائل إلى الصفرة.
راجع : الدميري. حياة الحيوان ج ٢ ص ٣٢٧، المنجد ص ٦٢٠.

ذكر من مات في هذه السنة من الأعيان

(١) توفي الشيخ شمس الدين محمد الحنفي^(١) المعتقد في أوائل شهر ربيع الأول، وهو في حدود الثمانين سنة، ودفن بزاويته خارج قنطرة طقزدمر، خارج القاهرة .

وكان رجلاً ديناً خيراً ، يعمل المواعيد الهائلة ، ويعلم الناس ويسلكهم ، وأفنى عمره في العبادة والعلم ، وكان في مبدأ أمره فقيهاً يقريء الممالك بأطباق القلعة ، ثم فتح له حانوتاً يبيع فيه الكتب ، ثم ترك ذلك كله وانقطع عن الناس بالكلية وعرف بالخير والديانة . وكانت الأكابر تتردد إليه .

وكان بينه وبين الوالد صحبة وهو أتاكب العساكر ، وصحب بعده جماعة كبيرة ، وكان بينه وبين الأمير ططر صحبة أكيدة ، وله فيه اعتقاد عظيم إلى الغاية ، حتى إنه لما تسلطن أنعم عليه بإقطاع هائل ، وجعله رزقة^(٢) محبسة على زاويته ، وأعطاه مبلغاً كبيراً من الذهب مع دولة الملك الظاهر ططر اليسيرة .

(١) هو « محمد بن حسن بن علي » ، له ترجمة في :

ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٠ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٨٤ - ٨٥ ، الذيل التام ق ٨٤ ب .

(٢) رزقة ، والجمع رزق ، الأطيان الممنوحة إلى بعض الناس من قبل الخلفاء أو الملوك والسلاطين ، وهي معفاة من الضرائب ، بمقتضى حجج شرعية أو تقاسيط ديوانية .

راجع : د . إبراهيم طرخان . النظم الإقطاعية ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .

وكان الشيخ شمس الدين سمحاً، يبذل ما في يده للفقراء في إطعام طعام وإيصال معروف لهم. وكانت زاويته مشحونة بالفقهاء والفقراء، ودام على ذلك سنين إلى أن توفي.

اجتمعت به غير مرة، فكانت له محاضرة حسنة، ومذاكرة حلوة، إلا أنه كان لا يقوم لأحد يقدم عليه كائناً من كان حتى ولا قضاة القضاة، وعيب عليه / [٢٨] ذلك.

وكان مليح الشكل، منور الشيبة، بشوشاً، فصيحاً، والناس فيه على قسمين، ما بين معتقد إلى الغاية، وما بين منتقد إلى الغاية، رحمه الله.

(٢) وتوفي الأمير تماراز بن عبد الله النوروزي^(١) أحد أمراء العشرات ورأس نوبة^(٢) من جرح أصابه في حصار رودس، فحمل إلى أن مات بالقرب من ثغر دمياط، فدفن به في أواخر جمادي الآخرة أو أوائل شهر رجب.

وكان الأمير تماراز هذا يعرف بتعريض^(٣)، وهو من مماليك الأمير نوروز الحافظي^(٤) نائب الشام، وتآمر في الدولة الظاهرية جقمق، وكان متجماً في

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٢٦ تر ٧٩١، المنهل الصافي ج ٤ ص ١٥٠ - ١٥١ تر ٧٩٣، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٣٦٠، السخاوي . التبر المسبوك ص ٧٩، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٨ تر ١٥٧.

(٢) رأس نوبة : وظيفة لصاحبها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم، وتعتبر الوظيفة الثالثة من خمس وعشرين وظيفة يشغلها عسكريون بحضرة السلطان، ومن يشغلها مستقل - عادة - بتدبير أمور الدولة .

راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨، ٢٣، ٦٠ حسن الباشا . الفنون الإسلامية ص ٥٤٥ - ٥٤٩.

(٣) علل لذلك ابن تغري بردي (المنهل الصافي ج ٤ ص ١٥٠ - ١٥١) قائلاً :

« . . . وكان قد غلب عليه هذا اللقب القبيح، وقد سأله عن تسميته بتعريض، وما السبب في ذلك، فقال : كنت صغيراً في الطبقة، وكنت إذا كلمني أحد من العوام، أقول له : في تعريضك، أقصد بذلك المزح والدعابة، فلقبوني خجداشيتي بتعريض، وغلب عليّ هذا الاسم » .

(٤) هو « سيف الدين، نوروز بن عبد الله الحافظي، الظاهري برقوق »، نائب الشام، قتل في ربيع الآخر سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م .

ملبسه ومركبه وعنده كرم وحشمة، وكان كبير اللحية حسن الشكل، رحمه الله تعالى.

(٣) وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة زين الدين أبو بكر بن إسحاق بن خالد الكختاوي^(١)، الحنفي، المعروف بالشيخ باكير^(٢)، شيخ الشيوخ بخانقاة شيخون في ليلة الأربعاء ثالث عشرين^(٣) جمادى الأولى، وصلى عليه من الغد بمصلاة المؤمني تحت القلعة، وحضر السلطان الصلاة عليه، ودفن في الفسقية بجامع شيخون، واستقر عوضه الشيخ الإمام العلامة كمال الدين محمد بن الهمام^(٤). وكان الشيخ باكير إماماً بارعاً مفنناً في عدة علوم، غير أنه كان في لسانه شبه لكثة^(٥).

(٤) « وتوفي المقام الناصري محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق^(٦)، في ليلة السبت ثاني عشرين ذي الحجة بقلعة الجبل، بعد مرض

له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٦٢ - ٧٦٣ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٦٧ ب - ٢٦٩ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٢٨ - ١٢٩ ، الجوهرى . نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٤٥ تر ٥٢٣ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ تر ٨٧١ .

(١) الكختاوي : نسبة إلى كخته ، على نهر كختاصو في آسيا الصغرى .

(٢) هو « أبو بكر بن إسحاق بن خالد الكختاوي الحلبي ، ثم القاهري » ، له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٧٨ ، الذيل التام ق ٨٤ ب ، الضوء اللامع ج ١١ ص ٦٩ - ٧٠ .

(٣) هكذا في الأصل ، وصوابها « ثالث عشري » أو الثالث والعشرين .

(٤) هو « كمال الدين ، محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود » . ت ٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م .

له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٥٠ تر ٢٢٣٦ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٣٧ ب - ١٣٨ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٧ - ١٨٨ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٨ ص ١٢٧ - ١٣٢ تر ٣٠١ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٥) يأتي بعدها سقط بقدر نصف الصفحة في ذيل هذه الصفحة ، وثلاثي الصفحة في رأس الصفحة التالية لها .

(٦) له ترجمة في : ابن حجر . إنباء الغمر ج ٩ ص ٢١٦ - ٢١٧ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٦١٠ تر ٢٠٩٦ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٩٢ - ٩٣ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٢ - ٥٠٥ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٨٢ - ٨٤ ، الذيل التام ق ٨٤ ب ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢١٠ - ٢١٢ تر ٥١٩ .

طويل ، وصلى عليه من الغد بباب القلة من قلعة الجبل ، وحضر والده السلطان الملك الظاهر جقمق الصلاة عليه ، ودفن بتربة عمه جاركس القاسمي المصارع^(١) ، التي جدها مملوكه قاني باي الجاركسي^(٢) عند دار الضيافة ، تجاه سور القلعة . ومات وهو في حدود الثلاثين تخميناً ، وأمه الست قراجا بنت الأمير أرغون شاه^(٣) أمير مجلس الملك الظاهر برقوق ،^(٤) .

// وكان عاقلاً سيوساً ، عارفاً مدبراً ، حريصاً ، متجماً في ممالكه وحشمه . [٢٩] يسير على قاعدة السلاطين في ركوبه وجلوسه ، ويخاطب في ركوبه للصيد [من]^(٥) أمير شكار^(٦) وغيره بالسلطان ، ولقبه جماعة من الشعراء بالملك الناصر في مخلص قصائدهم ، وكان أهلاً للسلطنة بلا مدافعة ، ولو تسلطن لما اختلف عليه اثنان . لما كنت أعرفه من همته ومعرفته .

(١) هو « جاركس بن عبد الله القاسمي ، الظاهري برقوق » ، ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م . له ترجمة في : ابن حجر . إنباء الغمرج ٢ ص ٣٩٠ تر ٦ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٣٤ تر ٨٠٩ ، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٠٩ - ٢١١ تر ٨١١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٦٧ تر ٢٧٣ .

(٢) هو « قاني باي بن عبد الله الجاركسي » ، الأمير آخور الكبير . ت ٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م . له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٢٩ - ٥٣٠ تر ١٨١٨ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٥ ب - ٦ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣١٥ - ٣١٦ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٤ - ١٩٥ تر ٦٥٧ .

(٣) هو « أرغون شاه بن عبد الله البيدمري الظاهري » ت ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م . له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ١٠٥ تر ٣٦٣ ، المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٤ تر ٣٦٥ ، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٣ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٧ ، تر ٨٢٦ .

(٤) ساقط من الأصل ، مثبت من النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٢ .

(٥) إضافة لاستقامة المعنى .

(٦) أمير شكار : أحد أمراء العشرات ، وهو المتحدث في سائر أمور الصيد السلطاني ، من جوارح وصيود وأحواش وغيرها .

راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٢ .

وكان يحب اللهو والطرب على قاعدة العقلاء والرؤساء من الملوك، مع إقامة الناموس والحرمة لشهامة كانت فيه. وكانت غالب الأمراء وأعيان الخاصكية يترقب سلطنته يوماً بيوم، ولو ملك لسار على قاعدة عظماء الملوك لما كنت أعلمه منه.

وأنا أخبر بحاله من غيري لصحبة كانت بيننا قديماً، ثم صارت بيننا صهارة لما تزوج بنت كريمي. بنت الأتابك آقبا التمرآزي نائب دمشق، وكنت أنا توليت تربيتها وعمل شوارها^(١) بعد موت والدها، فتأكدت الصحبة لذلك.

[٣٠] وفي الجملة كان أجل أولاد السلاطين وأولاد الناس // الذين أدركناهم، رحمه الله تعالى.

* * *

(١)، الشوار: عامية، تعني جهاز العروسين.

سنة ثمان وأربعين وثمانمائة

استهلّت هذه السنة والسلطان والخليفة على حالهما كما تقدّم في السنة الماضية، وكذلك القضاة وأرباب الوظائف.

والأسعار متوسطة، وسعر الدينار الذهب مائتا درهم وخمسة وثمانون درهماً في الصرف، وتسعون في المعاملة، والإفرنتي^(١) بأنقص من الأشرفي^(٢) بخمسة دراهم في الحالتين، والمثقال الذهب بثلاثمائة وثلاثين وخمسة وثلاثين، والدرهم من الفضة بأربعة وعشرين درهماً من الفلوس، وكل درهم من الفلوس بثمانية أعداد مخلوطة بالنحاس وغيره.

وكان سعر القمح في وسط السنة الماضية بثلاثمائة درهم الأردب، ثم هو الآن بمائتي درهم الأردب، وما دونه، وبقية الأسعار رخيصة.

غير أن الطاعون كان ابتداءً في أوائل ذي الحجة من السنة الخالية، وقد فشا الآن في أوائل هذه السنة، فنسأل الله حسن الخاتمة بمنه وكرمه.

(١) الإفرنتي: هو الدينار الذهبي المشخص، والمضروب في «البندقية».

راجع: د. عبد الرحمن فهمي. النقود العربية ص ٩٥ - ٩٦، د. إبراهيم طرخان. النظم الإقطاعية ص ٥٢٦.

(٢) الأشرفي: المقصود به - هنا - الدينار البرسبيهي - نسبة إلى الأشرف برسبائي - وهو أشهر وأجود الأشرفيات المنسوبة إلى غيره، كالقايتباي، والغوري والأشرفي العثماني.

راجع: د. إبراهيم طرخان. النظم الإقطاعية ص ٥٢٦.

المحرم.

أوله الاثنين. فيه فشا الطاعون، وصار يزيد في يوم وينقص في آخر إلى أن أخذ في التزايد، وبلغ من يموت في كل يوم أكثر من ثلاثمائة نفس.

وفي يوم الجمعة ثاني عشره ركب المحتسب يرعى الخراساني وكبس المعاصر بساحل بولاق، فتكاثر العبيد عليه ورجموه وكادوا يقتلونه عدماً، ولولا أنه التجأ إلى بيت القاضي كمال الدين كاتب السر لكان هلك.

صفر

أوله الأربعاء. فيه تزايد الطاعون حتى بلغ من يموت في كل يوم أكثر من خمسمائة نفس، وكان غالب من يموت الأطفال والخدم.

وفي يوم الخميس ثانيه استقر ابن ظهير ناظر الأوقاف عوضاً عن علاء الدين ابن أقبرس بحكم عزله.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه نفى السلطان كسباي الششماني المؤيدي أحد الدوادارية الصغار إلى صفد.

وفيه - أيضاً - نفى شاهين أحد المماليك السلطانية.
وفي آخر الشهر تناقص الطاعون.

شهر ربيع الأول

أوله الجمعة. فيه نفى السلطان يونس // الأمير آخور. [٣١]

وفي هذه الأيام خف الطاعون من القاهرة وكثر في ضواحيها.

وفي يوم الأحد ثالثه ضرب السلطان القاضي أبا البركات محب الدين الهيثمي أحد نواب الحكم الشافعية، وحبسه بحبس المقشرة لا لأمر اقتضى ذلك، ولما بلغ ذلك قاضي القضاة ابن حجر عزل نفسه، ثم أعاده السلطان بعد ذلك وأطلق أبا البركات المذكور من الحبس.

وفي يوم السبت تاسعه نفى السلطان سودون مملوك طوغان - أمير آخور كان - إلى حلب.

قلت : ولو أبعد به (١) لكان أحسن .

وفي يوم السبت سادس عشره نفى السلطان الأمير سودون السودونى الحاجب إلى قوص ، وأنعم بإقطاعه على الأمير الطنبغا المعلم اللفاف الظاهري برقوق المعزول عن نيابة الإسكندرية قبل تاريخه ، زيادة على ما بيده .

وهذه ثالث نفية نفاها السلطان لسودون المذكور .

وفي هذه الأيام أمر السلطان بنفي الشيخ شمس الدين محمد بن العطار الحنفي أحد الصوفية بخانقاه شيخون (٢) إلى ملطية ، وخرج إلى أن وصل إلى خانقاه سرياقوس (٣) ، ثم تكلم فيه فعاد إلى القاهرة على حاله .

وكان سبب هذه القضية شمس الدين الكاتب ، فإنه كان واسطة سوء عند الملك الظاهر جقمق ، وأما شمس الدين ابن العطار فإنه من خيار الناس ومن أعيان فقهاء الحنفية .

شهر ربيع الآخر

أوله السبت ، وقيل : الجمعة .

ففي يوم الاثنين ثالثه خلع السلطان على الأمير سودون المحمدي أحد أمراء العشرات باستقراره في نيابة قلعة دمشق بعد نقل الأمير جانبك الناصري منها إلى حجویية حجاب دمشق بعد موت الأمير سودون النوروزي رحمه الله .

(١) «به» : مكررة في «أ» .

(٢) خانقاه شيخون : أنشأها الأمير الكبير « سيف الدين شيخو العمري » في خط الصليبية ، خارج القاهرة - سنة ست وخمسين وسبعمائة للهجرة ، ورتب فيها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة : الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ، ودرسا للحديث النبوي ، وآخر للإقراء بالسبع ، وجعل لكل درس مدرسا ، شارطا عليهم حضور الدرس ووظيفة التصوف كذلك .

راجع . المقرئزي . الخطط ج ٢ ص ٤٢١ ، اس تغري بردي . مورد اللطافة ق ١١٨ .

(٣) خانقاه سرياقوس : أنشأها الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من قرية سرياقوس الحالية (التابعة لمحافظة القليوبية) في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة للهجرة ، وافتتحت في جمادي الآخرة سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

راجع : المقرئزي . الخطط ج ٢ ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

وفيه استقر الأمير قانصوة النوروزي - الذي خرج على الملك الظاهر جقمق في نوبة إينال الجكمي^(١) ثم اختفى مدة وظهر بالأمان - في نيابة ملطية بعد عزل الأمير قيز طوغان عنها وقدمه إلى حلب أتابكا بها عوضاً عن صاحب خليل بن شاهين بحكم عزله ونفيه .

وفيه - أيضاً - أمر السلطان الأمير شادبك الجكمي والأمير طوخ من تراز المدعو بيني بارق - أعني غليظ الرقبة - وكلاهما أمير مائة مقدم ألف بالديار المصرية بالسفر إلى بلاد / / الصعيد لدفع فساد العربان . [٣٢]

وكان قبل تاريخه أرسل السلطان الأمير أيتمش بن أذرباي المؤيدي أستاذار الصحبة^(٢) ومعه خمسون مملوكاً من المماليك السلطانية إلى الصعيد - أيضاً - فضعف أيتمش بمن معه عن قتالهم ، وهم عرب الكنوز .

وفي يوم السبت خامس عشره استقر الأمير سودون البردبكي أمير خازندار وأحد الحجاب في نيابة ثغر دمياط ، وخلع عليه في يوم الاثنين عوضاً عن السيقي طوغان السيقي أقبردي المنقار بحكم عزله وتوجهه إلى البلاد الشامية على إمرة . وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره استقر الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الثاني ناظر جامع الأزهر .

وفيه أوفى النيل ستة عشر ذراعاً ، ونزل المقام الفخري عثمان ابن السلطان الملك الظاهر جقمق من قلعة الجبل وبين يديه أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم حتى عدى النيل وخلق المقياس ، وعاد فتح الخليج ، وركب وطلع إلى القلعة ، وخلع والده عليه فوقاني بطرز ذهب على العادة .

(١) كان ذلك سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة للهجرة .

(٢) أستاذار الصحبة : هو المتحدث على المطبخ السلطاني والمشرف على الطعام والمشي أمامه ، والوقوف على السماط ، والعادة أن يكون أمير عشرة .

راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٤ ص ٢١ .

وفي هذا المعنى يقول بعض الشعراء (١) :

واهاً لهذا النيل، أي عجيبة بكر بمثل حديثها لا يُسمع!
يلقى الثرى في العام وهو مسلم حتى إذا ما عاد وهو مُودع
مستقبل مثل الهلال فدهره أبداً يزيد كما يزيد ويرجع

[الكامل]

الجمادان

لم يقع فيهما شيء .

شهر رجب

أوله الأربعاء .

ففي يوم الخميس ثانيه وصلت إلى القاهرة عدة رءوس على رماح من
العرب أهل الكنوز .

وفي يوم السبت رابعه وصل إلى القاهرة الأمير (١) بردبك العجمي الحكمي
نائب حماه، وطلع إلى القلعة، فلما تمثل بين يدي السلطان وقبل الأرض نهره
السلطان وأمر بالقبض عليه ، فأمسك وحبس بالقلعة (٢)، ثم أرسل إلى
الإسكندرية لما وقع منه في حق أهل حماه .

وسبب ذلك أنه كان وقع بينه وبين أهل حماه كلام بسبب أمر ما، فأفحش
بردبك هذا عليهم في القول، فنفرت قلوبهم منه حتى عظم ذلك بينهم (٣)، ووقع
القتال، فركب بردبك هذا بماليكه عليهم وقاتلهم حتى قتل منهم جماعة كبيرة
أكثر من مائة وعشرين // نفساً، قتل غالبهم صبراً، ولم يقتل من جماعته غير [٣٣]
أربعة أنفس أو أقل . ولما وقع منه ذلك عصى وخرج عن الطاعة، ونزل في برية

(١) وردت هذه الأبيات دون نسبة إلى قائلها - كذلك - في النويري . نهاية الأرب ج ١ ص ٢٦٥ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) «بالقلعة» - ساقط من «ب» .

حماء أياماً فلم ينتج أمره، فأرسل سأل نائب الشام الأمير جلبان في الأمان، فسأل نائب الشام السلطان في ذلك، فأرسل إليه بالأمان، فحضر.

وتولى من بعده نيابة حماء الأمير قاني باي الأبوبكري الناصري فرج المعروف بالبهلوان نائب صفد، وتولى صفد بعد قاني باي الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي الأعرج نائب حمص.

وفي يوم الاثنين سادسه خلع على الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي المعزول عن حسبة القاهرة باستقراره في نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير الطنبغا اللفاف عنها، وحضر الطنبغا المذكور على إقطاعه، وقد زاده السلطان عدة زيادات وجعله كالمقدمين بالديار المصرية، وأمر بأن يسكن في بيت الأمير نوروز الحافظي الذي في الرملة^(١) تجاه مصلاة المؤمنين.

شعبان

أوله الخميس.

في يوم الاثنين ثاني عشره وصل الأمير علي باي الأشرفي إلى القاهرة، وكان علي باي المذكور ممن قبض السلطان عليه وحبسه ثم أطلقه بطلاً بالبلاد الشامية، لم يحضر إلى القاهرة.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره قدم إلى القاهرة القاضي بهاء الدين محمد بن حجي ناظر جيش دمشق، وطلع إلى السلطان، وأخلع عليه كاملية بسمور.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه قدمت إلى السلطان مقدمة الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب صحبة دواذره السيفي تغري برمش، وكانت تشتمل على مائة رأس من الخيول وعدة أقفاص حمالين فيها من أنواع الفراء والصوف الملون والمخلل والبعلبكي وغير ذلك.

(١) « بينهم » - ساقط من « ب » .

(٢) لعل المقصود: « الرملة »، ميدان صلاح الدين الآن .

وفي يوم الخميس^(١) قدم إلى القاهرة قاصد القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك ومعه في خدمته نحو المائة نفر، ومعه - أيضاً - أتباع كثيرة، وكان معه امرأة عجوز من نساء تيمورلنك قدمت برسم الحج إلى بيت الله الحرام، أقامت بدمشق تتوجه صحبة الحاج الشامي، ومع القاصد المذكور كسوة الكعبة التي من جهة شاه رخ.

كان القاصد الذي قدم القاهرة في العام الماضي قد استأذن السلطان في ذلك، واعتذر أن شاه رخ نذر على نفسه أنه يكسو الكعبة كما كان ذكر للملك الأشرف برسباني، وكان ذلك // سبباً لضرب قصاده والإهانة لهم من الأشرف. [٣٤] ولما استأذن القاصد - الملك الظاهر جقمق في العام الماضي أذن له في ذلك وقال: هذه قربة لا نمنعها، ويجوز أن يكسو الكعبة كائن من كان، وعظم ذلك على المصريين إلى الغاية.

ونزل القاصد - المذكور - في بيت جمال الدين الاستادار إلى يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان على ما سيأتي.

شهر رمضان

أوله الجمعة. فيه طلع القاضي بهاء الدين ابن حجي ليلي وظيفة نظر الجيوش بالديار المصرية، فلم يتم له ذلك.

وفي يوم الاثنين حادي عشره طلع قصاد شاه رخ بن تيمور المتقدم ذكرهم إلى القلعة، وكان السلطان قد احتفل لطلوعهم، ونادى أن أحداً من أجناد الحلقة لا يتأخر عن الطلوع، وعمل السلطان الخدمة بالحوش السلطاني، فلما مثلوا القصاد بين يدي السلطان ومعهم التقدمة والكسوة، أمر السلطان بإدخال ما معهم إلى البحرة لثلاث يفتن أحد بذلك، ثم إن السلطان كلم القصاد ورحب^(٢) بهم،

(١) أريخ لذلك في النجوم الزاهرة (ج ١٥ ص ٣٦٤) للمؤلف بالخامس عشر من شعبان.

(٢) في الأصل: «وترحب».

وعادوا إلى أن وصلوا إلى باب القلعة، أخذهم الرجم من العامة والسب واللعن، واستمروا خلفهم وهم على ذلك إلى أن وصلوا بيت جمال الدين الأستاذار حيث هو سكنهم، نزل في الحال من الممالك السلطانية مقدار ثلاثمائة مملوك، وانضاف إليهم جماعة كبيرة من العوام، وكبسوا على القصاد - المذكورين - في بيت جمال الدين ونهبوهم حتى أخذوا كل شيء كان معهم، وكان شيئاً كثيراً، وأفحشوا في ذلك حتى أخذوا خيولهم وبغالهم، وكان ما أخذ لهم شيء كثير إلى الغاية من الذهب والفصوص والشقق الحرير والمخمل والمسك وأنواع الفرو وغير ذلك، ولولا أن الأمير يلخجا الرأس نوبة الثاني كان سكنه بالقصر بجوار بيت جمال الدين - المذكور - فركب وأنجدهم حتى وصل - أيضاً - إليهم الدوادار الكبير إينال العلائي والأمير تنبك حاجب الحجاب ويرعلي الخراساني المحتسب ومنصور الطبلاوي والي القاهرة ومسكوا جماعة من العامة وغيرهم وأخذوا منهم شيئاً كثيراً مما نهبوه وإلا كان الأمر أعظم من ذلك، ولما بلغ السلطان الخبر غضب غضباً شديداً وأمسك جماعة من العامة وضربهم بالمقارع وأبدع فيهم، [٣٥] وقطع أرزاق بعض الممالك السلطانية الذين استضعفهم، كأولاد // الناس وما أشبه ذلك. وأما الممالك الجلبان فلم يكلمهم البتة، وأعطى السلطان القصاد شيئاً كثيراً وطيب خواطرهم، وسكن أمر الكسوة.

وفي أواخر هذا الشهر نفى السلطان الأمير آقطة الموسوي الظاهري برقوق أحد أمراء الطبلخانة إلى طرسوس، ثم شفع فيه فتوجه إلى دمشق بطلاً.

شوال

أوله الأحد.

ففي يوم الثلاثاء عاشره خلع السلطان علي القاضي سراج الدين عمر بن موسى الحمصي الشافعي باستقراره في قضاء الشافعية بحلب عوضاً عن ابن الجزري بحكم عزله.

وفي يوم الاثنين سادس عشره ورد الخبر على السلطان من خوندكار مراد بك بن عثمان متملك بلاد برصا وغيرها من بلاد الروم أنه وقع بينه وبين طائفة

من بني الأصفر^(١) قتال عظيم لم يشهد مثله في هذه الأيام ، حتى إنه قتل من المسلمين أكثر من عشرة آلاف نفس ، وأما من بني الأصفر فخلأوا لا تحصى ، وفي آخر الأمر نصر الله المسلمين على بني الأصفر ، وأسروا منهم وقتلوا وسبوا وغنموا - والله الحمد - وقض ابن عثمان - المذكور - على خمسة من عظماء بني الأصفر المذكورين من الذين إليهم الحل والعقد في ممالكهم ، وأنه أسر أكثر من عشرة آلاف أسير ، وغنم المسلمون منهم أموالاً كثيرة إلى الغاية .

وفي يوم الخميس تاسع عشره برز أمير المحمل ، الأمير تمرباي التمربغاوي رأس نوبة النوب بالمحمل إلى بركة الحاج ، وأمير حاج الركب الأول الأمير قائم التاجر المؤيدي أحد أمراء العشرات .

وفي هذه السنة أبطل السلطان الرماحة الذين يلعبون في دوران المحمل في شهر رجب من كل سنة ، فعظم ذلك على الناس إلى الغاية ، وتم ذلك ، وقد كان أبطله السلطان في رجب ، ووعد أنه يعمل في شوال عند خروج الحاج ، فلم يفعل ، فتحقق الناس بطلانه .

ذو القعدة

أوله الاثنين . فيه استقر محب الدين ابن الشحنة قاضي قضاة حلب الحنفية وكاتب سرها وناظر الجيش بها بمال كبير بذله في ذلك .

قلت : وهذا لسوء حظ أهل حلب ، وبذنوب سلفت منهم^(٢) :

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره ، قدم زين الدين يحيى الأستاذار إلى السلطان مقدمة هائلة تشتمل على ثلاثمائة رأس من الخيول العربية .

(١) بنو الأصفر : ملوك الروم ، سموا بذلك لدى العرب لاعتقادهم أنهم أبناء « الأصفر بن روم بن يعصوبن إسحاق » ، أو لأن جيشاً من الحبش غلب عليهم ، فوطئ نساءهم ، فولد لهم أولاد صفر ومرج ، وهو تمليل لا يثبت أمام التقويم العلمي ، والدوق السليم .
راجع : الفيروزبادي . القاموس المحيط ص ٥٤٦ .

(٢) في « ب » : « وفيه استقر عبد الله الكاشف على عادته ، بمال بذله في ذلك . قلت : وهذا بسوء حظ أهل بلبس ، بذنوب سلفت منهم » .

[٣٦] وفي يوم الخميس خامس عشرينه، // قدم القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل من دمشق إلى القاهرة بطلب من السلطان، وهذه ثاني مرة قدمها في الدولة الظاهرية جقمق.

وفي يوم السبت سابع عشرينه طلع الزيني عبد الباسط إلى السلطان وقبل الأرض بين يدي السلطان، وخلع عليه كاملية بفرو سمور بمقلب سمور.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه قدم الزيني عبد الباسط مقدمة إلى السلطان، وكانت تشتمل على شيء كثير، وهي من الخيول أربعون فرساً، منها عشرة مشدودة بسروج مغرقة، ومنها أربعة بسروج ذهب، وثلاثون جمالاً بأقفاص مردومة ما بين سمور ووشق وقاقم وسنجاب وصوف وخمّل وبعليكي وغير ذلك، ومبلغاً كبيراً من الذهب في أكياس تختلف في قدره.

ذو الحجة

أوله الأربعاء.

ففي يوم الخميس سادس عشره خرجت من القاهرة تجريدة إلى البحيرة ومقدم العسكر الأمير قراخجا الحسيني الظاهري برقوق الأمير آخور الكبير، وصحبته ستة من الأمراء وجماعة كبيرة من المماليك السلطانية.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه قدم قاصد مراد بك بن عثمان متملك بلاد الروم ومعه جماعة من الأسرى الذين قبض عليهم من بني الأصفر حسبها ذكرناه آنفاً، وكان لدخولهم القاهرة يوم مشهود، وحكى القصاد ما تقدم ذكره، وأن ابن عثمان - المذكور - أرسل بمثل هؤلاء الأسرى إلى جماعة من ملوك الأقطار.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - ستة أذرع وخمسة عشر إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً^(١).

(١) في هامش الأصل : «صوابه : تسعة عشر ذراعاً، وتسعة عشر إصبعاً».

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الواعظ شمس الدين الحموي^(١) خطيب الجامع الأشرفي برسباي^(٢) في يوم الأربعاء الثالث من ذي القعدة .

وكان يعظ الناس في الأماكن، ويعمل المواعيد الحسنة البليغة، وعليه قبول من العامة، وكان فصيحاً في خطبته، غير أنه قليل البضاعة من العلم ، على أنه كان يستحضر الكثير من التفسير والحديث النبوي، رحمه الله تعالى .

(٢) وتوفي الأمير // الطواشي فيروز^(٣) الرومي الجاركسي الساقى في [٣٧]

(١) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ٢٢٩، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٠٨ - ١٠٩، الذيل التام ق ٨٥ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٧٠ تر ٤٤٩ .

وقد ترجمه « السخاوي » باسم « زين الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمود بن علي بن أبي الفتح بن الموفق، الحموي، القادري، الشافعي، المعروف بابن الأديم »، مشيراً إلى أن تسميته لدى البعض (راجع : ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٦) بشمس الدين، محمد - خطأ .

(٢) ما يزال موجوداً حتى الآن، في تقاطع شارع الموسكي والمعز لدين الله الفاطمي. أنشأه الأشرف برسباي في أوائل سلطنته، وأقيمت الجمعة به في السابع من جمادي الأولى سنة ٨٢٩ هـ / ١٤٢٦ م .

راجع: المقرئزي. الخطط ج ٢ ص ٣٣٠ - ٣٣١، علي مبارك. الخطط ج ٢ ص ٢٣ .

(٣) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ٢٢٩، ابن تغري بردي. الذيل الشافعي ج ٢ ص ٥٢٣ تر ١٨٠٢، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣٥٣ ب - ٣٥٤ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٦ - ٥٠٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ١١٠، الضوء اللامع ج ٦ ص ١٧٦ تر ٥٩٧ .

يوم الأربعاء رابع عشر شعبان، ودفن في مدرسته^(١) التي أنشأها بالقرب من داره عند سوق القرب.

(و) كان أصله من خدم الأمير جاركس القاسمي المصارع، وترقى من بعده حتى صار ساقياً في أواخر الدولة الناصرية فرج، ثم في الدولة المؤيدية شيخ، ودام على ذلك في الدولة الأشرفية برسبائي، وحظي عند الأشرف في أوائل دولته، ثم انحط قدره ونفاه إلى المدينة، ثم عاد بعد مدة وتولى وظيفة السقاية ثانياً، واستمر على ذلك إلى أن غضب عليه في مرض موته^(٢) بعد أن وسط^(٣) الطبيب ابن العفيف^(٤) وخضر^(٥)، وأخرجه من السقاية، فلزم فيروز داره مترقياً للتوسيط إلى أن مات الأشرف.

وكان سبب غضب الأشرف عليه في هذه المرة أن كان قد قوي عند الأشرف أنه دس عليه السم، وأن الأطباء لا ينصحونه في العلاج، فبينما هو في بعض الأيام إذ دخل فيروز هذا بمغلي ليشربه، فقال الأشرف لفيروز: اشرب منه الششني^(٦)، فامتنع فيروز من الشرب لأنه كان صائماً، فلما رأى الأشرف توقف فيروز عن الشرب تحقق ما كان ظنه، واتهم فيروز هذا فيمن اتهمه، ولولا كان له أجل لكان وسطه مع الأطباء - أيضاً.

(١) راجع بشأنها: علي مبارك. الخطط ج ٦ ص ١٣.

(٢) راجع ذلك في حوادث سنة ٨٤١ هـ/١٤٣٨ م. لدى كل من: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٠ - ١١، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٠٠ - ١٠٢.

(٣) التوسيط: نوع من القتل، وطريقته أن يعري المحكوم عليه من الثياب، فيضرب بالسيف بقوة تحت السرة لينقسم الجسم نصفين.

راجع: ابن منظور. لسان العرب ج ٧ ص ٤٨٣٣، الفيروزآبادي. القاموس المحيط ص ٨٩٤، د. سعيد عاشور. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ٩٩.

(٤) هو «شمس الدين، أبو البركات بن عفيف بن وهبة بن يوحنا الأسلمي».

راجع: السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٦١.

(٥) هو «زين الدين، خضر الإسرائيلي الزويلي».

له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٨٩ تر ٩٩٢، المنهل الصافي مج ٢

ق ١٢ ب - ١٣ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨١ تر ٧٠٢.

(٦) الششني: معرب، بمعنى تذوق الطعام والشراب أثناء تقديمه للسلطان أو الأمير قبل إذاقته إياه.

واستمر فيروز هذا ملازماً لداره إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق، طلبه وولاه الزمامية عوضاً عن الأمير جوهر الجلباني^(١)، بعد عزله ومصادرته في أحد الربيعين من سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فظن فيروز هذا أنه لا يعزل من هذه الوظيفة في هذه الدولة البتة، فلم يكن غير أشهر وهرب الملك العزيز من قاعة البربرية من دور الحرم السلطانية، ولم يعلم فيروز بذلك، وبلغ السلطان تسحب الملك العزيز يوسف، فكاد يهلك، وطلب فيروز هذا وأوسع سباً، ثم عزله بجوهر الخازندار القنقباتي^(٢)، وذلك في أوائل شهر رمضان من السنة، ولزم فيروز داره خاملاً إلى أن توفي، رحمه الله تعالى.

(٣) وتوفي الأمير حمزة بن قرايلك عثمان - المدعو قرايلك بن طر علي^(٣) - صاحب ماردين وغيرها // من ديار بكر بن وائل في أوائل شهر رجب [٣٨] من هذه السنة، ووصل الخبر بموته إلى القاهرة في يوم العشرين من شعبان .

وكان غير مشكور السيرة على قاعدة التركمان كأبيه وإخوته، وقد أخرب غالب مدن ديار بكر في أيام أبيه قرايلك، عليه من الله ما يستحقه، وألحق الله به من بقي من ذريته، فإنهم شر عصابة.

-
- (١) هو « صفي الدين، جوهر بن عبد الله الجلباني » ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م . له ترجمة في : المقرئزي . السلوك ج ٤ ص ١١٤٨ - ١١٤٩ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ٩ ص ٨٠ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٥٤ تر ٨٦٩ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٨ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٦٥ - ٤٦٦ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٨٤ تر ٣٢٨ .
- (٢) هو « صفي الدين، جوهر السيفي القنقباتي » ت ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م . له ترجمة في : المقرئزي . السلوك ج ٤ ص ١٢٣٤ ، ابن حجر إنباء الغمر ج ٩ ص ١٤٢ - ١٤٥ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٥٤ تر ٨٧١ ، المنهل الصافي مج ٢ ص ٨ - ٩ ب ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٨٥ - ٤٨٦ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٨٢ - ٨٤ تر ٣٢٧ .
- (٣) له ترجمة في : ابن حجر . إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٢٩ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٨ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ١٠٨ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٦٥ تر ٦٣٣ .

(٤) وتوفي الأمير طوخ أبو بكري المؤيدي^(١) نائب غزة بها قتيلاً بيد العربان الخارجة عن الطاعة في أواخر ذي الحجة .

وكان أصله من ممالك الملك المؤيد شيخ وخاصكيته ، ومن تأمر بعد موته بالبلاد الشامية . وكان قد صار أتابك غزة مدة سنين إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق بعد واقعة الأتابك إينال الحكمي ، وقدم إلى القاهرة وأكرمه السلطان ، ثم توجه إلى دمشق فلم تطل مدته بها ، ونقل إلى نيابة غزة بعد الأمير طوخ مازي الناصري^(٢) في أواخر سنة ثلاث وأربعين ، فقدم إلى غزة وباشر نيابتها إلى أن قتل في التاريخ المذكور .

وكان أميراً ضخماً جليلاً شجاعاً معظماً في الدول على طمع كان فيه .

وتولى نيابة غزة من بعده الأمير يلخجا من مامش^(٣) الساقى الناصري رأس نوبة ثاني ، وأحد أمراء الطلبخانات بالديار المصرية .



(١) تأرجحت مصادر ترجمته في التاريخ لوفاته بسنتي ٨٤٨ و ٨٤٩ هـ .

راجع : ابن حجر . إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٢٩ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧١ تر ١٢٧٤ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٦٧ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٠٨ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ١٠٨ ، ١٢٩ ، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٠ تر ٣٢ .

(٢) هو سيف الدين ، طوخ بن عبد الله الناصري ، ت ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م .

له ترجمة في : المقرئزي . السلوك ج ٤ ص ١١٩٦ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧١ تر ١٢٧٣ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٦٦ ب - ١٦٧ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٧٧ ، السخاوي الضوء اللامع ج ٤ ص ٩ - ١٠ تر ٣١ .

(٣) راجع تر ٧ من حولة ٨٥٠ هـ .

سنة تسع وأربعين وثمانمائة

استهلت هذه السنة والسلطان والخليفة والقضاة كل منهم على حاله .

المحرم

أوله الجمعة .

في ليلة الجمعة ثامنة سقطت مئذنة المدرسة الفخرية^(١) القديمة التي بالقرب من سوق الرقيق داخل القاهرة، وقعت على الفندق الذي بجوارها، وعلى عدة أماكن قتل فيها عالم كبير من الخلائق .

ولما بلغ السلطان ذلك، وموت هذه الخلائق، سأل: من هو ناظر هذا الجامع؟ ف قيل له: نور الدين القليوبي، أحد نواب القاضي الشافعي وأمين الحكم . فطلبه في الحال وأمر بتوسيطه، فشفعوا فيه . وكان ممن شفع فيه الأمير إينال العلائي الدوادار، وذلك بعد أن سبه ولعنه وألزمه بمال كبير لعمارة المدرسة المذكورة . ثم التفت السلطان إلى قاضي القضاة الشافعي، وخاطبه مخاطبة منكبة يستحى // من ذكرها وعزله عن القضاء من وقته، وولى عوضه الشيخ شمس [٣٩] الدين القاياتي .

(١) المدرسة الفخرية: نسبة إلى الأمير فخر الدين، أبي الفتح، عثمان بن قزل البارومي أستاذار الكامل محمد بن العادل، والذي عمرها فيما بين سوقة الصاحب ودرب العداس سنة اثنتين وعشرين وستمائة

راجع: المقرئزي . الخطط ج ٢ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

قلت : لا يعاب على الملك الظاهر ما وقع منه في حق القاضي ومستنيه، فإن من شأن القضاة عدم الالتفات إلى عمارة الأوقاف والمدارس التي يتولون أنظارها، وما أدري بماذا يعتذرون عن ذلك بين يدي الله تعالى، وما حجتهم عند الله، وهذا الأمر مما يقبح على عامي جاهل، فكيف الفقهاء والقضاة، وقد شاع ذلك في الأقطار عن قضاة زماننا، حتى إن غالب الناس في عصرنا صار إذا وقف وقفاً على مدرسة أو رباط أو ذرية وغير ذلك لا يجعل النظر إلا للحاجب أو للدوادار أو للزمام، ولا يجعل نظره لتعمم قط، لما ثبت عند الناس من عدم التفات المتعممين إلى مصالح الأنظار، فلا حول ولا قوة إلا بالله^(١).

وفي يوم الخميس رابع عشره رسم السلطان لقاضي القضاة شمس الدين محمد القاياتي باستقراره^(٢) في قضاء الشافعية عوضاً عن الحافظ شهاب الدين ابن حجر، ونزل إلى داره بغير خلعة - بطيلسانه^(٣) - وبين يديه أكابر الدولة من القضاة والأمراء.

(١) هذا النقد المرير الصادر من ابن تغري بردي في حق قاضي القضاة الشافعي «ابن حجر العسقلاني» فيه تحامل على القاضي - رحمه الله - إذ تقرر في المصادر أن السلطان تغيظ على ابن حجر ظناً منه أن الناظر على المدرسة ينوب عنه، وقد انكشف الغطاء بأنه ليس في ذلك ولاية ولا نيابة، ولا عرف بشيء من ذلك منذ ولي وإلى تاريخه. لكن انتهز الأعداء الفرصة وأوصلوا إلى السلطان ما أوغر صدره عليه، فغضب زيادة على الغضب الأول، وراسله بأن ينعزل عن الحكم ويغرم دية الموتى، ولهذا راسله ابن حجر مع العلاء ابن أقبرس بقوله: «القاضي جلال الدين قتيل ططر، والقاضي ولي الدين ابن العراقي قتيل الأشرف برسبائي، وأنا قتيلك، وأرجو أن الله - تعالى - يقضي للمظلوم من الظالم»، أو معنى هذا. ولكن لم تصل رسالة ابن حجر إلى السلطان لإشارة الخليفة على العلاء بعدم تبليغها خوفاً على ابن حجر.

راجع : ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ٢٣٢ - ٢٣٣، السخاوي الجواهر والدرر ق ١٦٤ ب - ١٦٥ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٣ - ٨٤، محمد كمال الدين. ابن حجر العسقلاني مؤرخاً ص ٧٠.

(٢) في «أ»: «واستقراره».

(٣) الطيلسان، والجمع طيالس وطيالسة: كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعماء.

راجع : السيوطي. الفضائل الحسان في فضل الطيلسان، المنجد ص ٤٦٩.

ولما نزل إلى مدرسة الصالحية لم يسمع الدعوى التي يدعيها بعض رسل الشرع على العادة، وقال: هذه حيلة، ثم قام وتوجه إلى داره.

وفي يوم الاثنين ثامن عشره خلع على الأمير يلخجا من مامش الساقى الناصري ثاني رأس نوبة النوب باستقراره في نيابة غزة بعد موت الأمير طوخ الأبو بكري المؤيدي.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه وصل أمير حاج^(١) المحمل بالمحمل إلى القاهرة، وهو الأمير تمرباي - كما تقدم ذكره - في شوال من هذه السنة.

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه غضب السلطان على الأمير قراجا العمري الناصري أحد أمراء العشرات وأمير الحاج الرجبي في هذه السنة، والمعزول عن ولاية القاهرة قديماً، وأمر بنفيه إلى حلب، بسبب سوء سيرته في الحاج وغير ذلك.

صفر

أوله الأحد.

في يوم الاثنين ثانيه خلع على ماماي السيفي بيبغا المظفري أحد الدوادارية، ورسم له بأن يتوجه إلى طرابلس ويحاسب ناظر جيشها يوسف بن موسى الكركي على ما كان تحت يده بها من تعلقات السلطان.

شهر ربيع الأول

أوله الاثنين.

// في يوم الاثنين ثاني عشرينه سافر زين الدين يحيى الأستاذار إلى ناحية [٤٠] بلبس ومعه جماعة كبيرة من المماليك السلطانية لقتال العرب الخارجة عن الطاعة.

(١) في الأصل: الحاج.

شهر ربيع الآخر

أوله الأربعاء.

في يوم السبت ثامن عشره وصل زين الدين الاستادار إلى القاهرة ومعه جماعة كبيرة من العرب.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر ولدت امرأة سكنها بالقرب من جامع أحمد بن طولون بنتاً لها رأسان، رأس فوق رأس، إحداهما بشعر والأخرى بغير شعر.

وفي يوم الاثنين عشرينه خلع السلطان على الأمير شادبك الحكمي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية باستقراره في نيابة حماه عوضاً عن الأمير قاني باي البهلوان بحكم انتقاله إلى نيابة حلب، عوضاً عن الأمير قاني باي الحمزاوي بحكم عزله وانتقاله إلى القاهرة، على إقطاع الأمير شادبك - المذكور - أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية.

جمادى الأولى

أوله الخميس.

في يوم الخميس خامس عشره نفى السلطان الأمير علي باي العجمي المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة إلى صفد، ثم حول إلى دمشق بطالاً، وأنعم بإمرته على الأمر جانبك الشبكي والي القاهرة، وأنعم بإقطاع جانبك المذكور على جماعة من الخاصكية الأشرفية الذين كانوا بدمشق وغيرها.

وفي يوم الثلاثاء عشرينه خلع على قاضي القضاة شمس الدين القياقي الشافعي باستقراره شيخ خانقاه بيبرس الجاشنكير^(١) عوضاً عن الحافظ شهاب الدين ابن حجر.

(١) خانقاه بيبرس الجاشنكير: بناها قبل أن يلي السلطنة سنة ست وسبعمائة للهجرة، واكتملت في السنة التالية لها. وهي ما تزال موجودة حتى الآن، بخط الجمالية، تجاه درب الأصفر، بجوار جامع سنقر.

راجع: المقرئزي. الخطط ج ٢ ص ٤١٦ - ٤١٨، علي مبارك. الخطط ج ٦ ص ٥٠.

وفي يوم السبت رابع عشرينه أرسل السلطان - الشريف علي بن حسن بن
عجلان من برج القلعة إلى ثغر الإسكندرية ليحبس بها.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه حبس السلطان الأمير بيبرس بن بقر شيخ
العرب بالوجه الشرقي بالبرج من قلعة الجبل لأمر نقمها عليه قديماً وحديثاً.

وفي أوائل هذا الشهر أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الفخري
عثمان ابن الملك الظاهر جقمق حتى عدى النيل وخلق المقياس، ورجع فتح
الخليج على العادة، وعاد إلى القلعة، وأخلع عليه.

[٤١]

وفي هذا المعنى // يقول الصفدي:

لم لا أهيم بمصر وأرتضيها وأعشق
وما ترى العين أحلى من مائها أن تخلق

جمادى الآخرة

أوله السبت.

ففي يوم الاثنين رابع عشرينه وصل الأمير قاني باي الحمزاوي المعزول عن
نيابة حلب إلى القاهرة، وكان قد كثر الكلام في أمره، وطلع إلى القلعة، وأنعم
عليه السلطان بإقطاع الأمير شادبك الحكمي كما تقدم ذكره.

شهر رجب

لم يقع فيه شي

شعبان

أوله الثلاثاء.

في يوم الخميس ثالثه خلع السلطان علي الأمير إينال العلائي الناصري
الدوادار الكبير باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية بعد موت الأمير الكبير
يشبك السودوني المعروف بالمشد، واستقر الأمير قاني باي الجاركسي شاد الشراب

خاناه عوضه دواداراً كبيراً، واستقر في المشدية الأمير يونس السيفي آقباي نائب الشام، أحد أمراء العشرات على إقطاعه، وأنعم بإقطاع الأمير إينال العلائي على الأمير شهاب الدين أحمد بن علي ابن الأتابك إينال اليوسفي، وصار أمير مائة ومقدم ألف، فإن الأمير قاني باي الجاركسي كان قد أخذ إمرة مائة وتقدمة ألف زيادة على المشدية، فاستمر لما ولى الدوادارية على إقطاعه، ووقع بسبب تولية الأمير إينال أتابكية العساكر كلام كثير في الباطن، لكون السلطان قدمه على الأمير تمتاز القرمشي أمير سلاح وعلى الأمير جرباش الكريمي أمير مجلس وعلى الأمير قراقجا الحسيني الأمير آخور الكبير، وهؤلاء كلهم ظاهرة برقوقية ووظائفهم تقتضي النقل إلى الأتابكية بخلاف الدوادارية، ولكن هذا لأمر أراده الله في الأزل^(١).

وفي يوم السبت خامسه نزل السلطان إلى خليج الزعفران في خيمه وأكل السماط، ودام هناك إلى قريب الظهر، ثم ركب ووصل إلى القلعة قريب العصر، ولم تنتطح فيها شاتان.

وفي يوم الخميس سابع عشره خلع السلطان على الأتابك إينال العلائي بنظر البيمارستان المنصوري^(٢) على العادة، وعلى الأمير قاني باي الجاركسي باستقراره فيما يتعلق بالدوادارية الكبرى من الأنظار.

(١) في هامش الأصل : «حاشية : وكان السبب في ذلك قانباي الجركسي حتى أخذ الدوادارية عن إينال».

(٢) البيمارستان المنصوري : شرع المنصور قلاوون في بنائه بخط بين القصرين من القاهرة في أول ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمئة للهجرة، وفرغ منه في أقل من السنة، ورتب فيه العقاقير والأطباء وسائر ما يحتاج إليه من به مرض، وجعل فيه الأسرة المفروشة بالفرش المحتاج إليها في المرض، مفرداً لكل طائفة من المرضى موضعاً، فضلاً عن قاعة لإلقاء الدروس على الأطباء وطلبة العلم. . وقد وقف عليه من الأملاك ما يقارب ريعها في السنة مليون درهم! وقد جعله وقفاً على «الملك والمملوك، والجندي والأمير، والكبير والصغير، والحر والعبد الذكور والإناث». راجع : المقرئزي . الخطط ج ٢ ص ٤٠٦ - ٤٠٨ .

شهر رمضان

أوله الأربعاء.

ففي يوم السبت حادي عشره استقر القاضي // محب الدين ابن الأشقر [٤٢] ناظر الجيوش المنصورة في مشيخة الصرغتمشية بعد وفاة ابن التفهني .

شوال

أوله الخميس .

في يوم السبت ثالثه وصلت إلى القاهرة مقدمة الأمير محمد بك بن مراد بك بن عثمان على يد قاصده، وأخبر القاصد - المذكور - أن الأمير مراد بك نزل لولده هذا عن مملكته وأقامه مقام نفسه ، وأرسل يعلم السلطان بذلك، وأن محمد - المذكور - يكون تحت نظر السلطان .

وفي يوم الاثنين ثاني عشره قدمت المغاربة تقدمتهم إلى السلطان، والتقدمة ثلاثون فرساً أكثرها حجورة، وأشياء غير ذلك .

وفي يوم السبت سابع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير دولاب باي المحمودي المؤيدي الدوادار الثاني بالمحمل إلى بركة الحجاج، وأمير الركب الأول الأمير تمرغا الظاهري أحد أمراء العشرات، وحججت أنا في هذه السنة باشا في المحمل، والأمير علي باي الأشرفي باشا في الركب الأول .

ذو القعدة

أوله السبت .

وفي يوم السبت خامس عشره قدم الأمير زين الدين الآستادار إلى السلطان أربعمائة فرس، منها ستون فرساً بسروج مغرقة، ومنها أربعون بسروج سُدَج .

وفيه - أيضاً - توجهت جماعة من المماليك المفسدين وهم أكثر من عشرين نفرًا إلى بيوت النصارى لأخذ الخمر منها، فوثب عليهم الناس، وأخذت النصارى في الدفع عن بيوتهم، فوقع بينهم قتال، قتلت منه ثلاثة من المماليك إلى سقر .

ذو الحجة

أوله الاثنين.

في هذا الشهر وقعت حادثة غريبة، وهو أن الغلمان العبيد الذين في الربيع ببر الجزيرة وبنابة^(١) لما توجهوا بخيول أستاذينهم وأقاموا هناك مدة يسيرة أقاموا من بينهم عبداً وجعلوه سلطاناً، وأقاموا له أرباب دولة وأرباب وظائف، وجعلوا يحكم فيهم ما شاء، ونصبوا له تختاً يجلس عليه، وصار العبد - المذكور - يفعل ما شاء، ولا يقدر على رده أحد، حتى خالفه رجل آخر من العبيد فحشد كل منهم وتقاتل مع الآخر، فانتصر الذي تسلطن ووسط من تلك الطائفة جماعة.

(واتفق أن عبداً لملوك من ممالك السلطان هرب، وخرج سيده في طلبه فدل عليه، فلما وصل إليهم استؤذن له في الدخول على قاعدة الرؤساء، فأذن له ودخل، فرأى هيئة مهولة، بحيث خاف، فلما مثل بين يدي ذاك العبد قال له: ما الذي تطلب أيها المملوك؟ قال: أطلب عبداً لي هرب ودخل في عسكريكم. فقال لمن هو واقف في خدمته: احضروا لهذا عبده، فأحضروه له وهو في الحديد، فقال له: أهذا هو عبدك؟ قال: نعم. فقال: وسطوه، ففي الحال وسط قطعتين^(٢) ولم يقدر أستاذ العبد المقتول أن يتكلم.

وقيل: إنه توجه إلى هناك وكلم العبد الذي تسلطن، فمن الناس من [٤٣] قال: // إنه أراد أن يوسط المملوك صاحب العبد - أيضاً - ومن الناس من قال: إنه أرضاه في ثمنه.

وبلغ ذلك السلطان، وأخبروا بأنه ولي نائب الشام ونائب حلب، وهم إلى الآن على حالهم، فسكت السلطان عن ذلك، وقال بعض أكابر الدولة: هذا أمر فشروى، إذا فرغ الربيع تفرق كل واحد إلى حال سبيله، وإنما فعلوه على طريق المزاح، ومشى ذلك وتم. وهذا شيء لم يسمع بمثله في سالف الأعصار.

(١) المقصود: امبابة.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ»، مثبت من السخاوى. التبر المسبوك في ذيل السلوك مخط.

أمر النيل فى هذه السنة
كانت القاعدة - أعني الماء القديم - خمسة أذرع وخمسة عشر إصبعاً، وكان
مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وتسعة أصابع.

* * *

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي القاضي شمس الدين، محمد^(١) بن إسماعيل بن محمد الونائي^(٢) الشافعي، قاضي قضاة دمشق - بالقاهرة في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر، ودفن من الغد بالقرافة، وصلى عليه رفيقه قاضي القضاة شمس الدين محمد القاياتي الشافعي^(٣).

وكان مولده في شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ببلده، ثم انتقل إلى القاهرة وطلب العلم، وحفظ التنبيه^(٤) في الفقه وعدة مختصرات آخر، وأقبل على الاشتغال ولازم علماء عصره، وأول اشتغاله كان في سنة سبع وثمانمائة، وأخذ عن الشيخ سراج الدين الدموشي^(٥)، وهو أحد مشايخه، والشيخ شمس

(١) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ٢٤٢ - ٢٤٣، ابن تغري بردى. الدليل الشافعي ج ٢ ص ٦٠٥ تر ٢٠٧٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٨٧ ب - ٨٨ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٩، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٣٢ - ١٣٤، الذيل التام ق ٨٦ أ، الضوء اللامع ج ٧ ص ١٤٠ - ١٤١ تر ٣٤١، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٠ تر ١٩٧، ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٦٥.

(٢) الونائي: نسبة إلى «ونا»، قرية بصعيد مصر الأدنى. راجع: السخاوي. التبر المسبوك ص ١٣٢، الضوء اللامع ج ٧ ص ١٤٠.

(٣) راجع تر ١ من حولية ٨٥٠ هـ.

(٤) هو «التنبيه في فروع الفقه الشافعي»، شرع الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م). في تصنيفه أوائل رمضان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة للهجرة، وراج بعده، بحيث كان أكثر كتب الشافعية تداولاً، وحظي بعدد وافر من الشروح والمختصرات.

راجع: حاجي خليفة. كشف الظنون ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٣.

(٥) هو «سراج الدين، عمر بن عمر بن عبد الرحمن بن يوسف، الأنصاري، البساطي، الشافعي»، ت ٨٢٩ هـ / ١٤٢٦ م.

الدين البرماوي^(١)، والشيخ بدر الدين الدماميني^(٢) المالكي، والشيخ شمس الدين الشطنوفي^(٣) وحضر دروس العلامة الشيخ نظام الدين يحيى السيرامي^(٤) الحنفي، وقرأ على قاضي القضاة شمس الدين محمد البساطي^(٥) المالكي، ثم على العلامة فريد عصره علاء الدين^(٦) محمد البخاري الحنفي ولازمه كثيراً،

= له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٣٥٠ تر ١١١.

(١) هو «شمس الدين، محمد بن عبد الدائم بن موسى بن عبد الدائم بن فارس»، ت ٨٣١ هـ. / ١٤٢٨ م.

له ترجمة في: المقرئزي. السلوك ج ٤ ص ٧٨٨، ابن حجر. إنباء الغمرج ٨ ص ١٦١ - ١٦٤، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٣٣ تر ٢١٧٦، المنهل الصافي مج ٣ ق ١١٥ ب - ١١٦ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٥٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٨٠ - ٢٨٢ تر ٧٢٥.

(٢) هو «بدر الدين، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر السكندري، المالكي»، ت ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م.

له ترجمة في: المقرئزي. السلوك ج ٤ ص ٧٠٢، ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٦١ - ٣٦٢ تر ٢٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٨٣ - ٥٨٤ تر ٢٠٠٣، المنهل الصافي مج ٢ ق ٦٢ ب - ٦٣ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٨٤ - ١٨٧ تر ٤٤٠.

(٣) هو «شمس الدين، محمد بن أحمد بن بن صالح بن محمد بن عبد الله بن مكي»، ت ٨٧٣ هـ. / ١٤٦٨ م.

له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٣١٣ - ٣١٤ تر ١٠٣٦.

(٤) هو «نظام الدين، يحيى بن يوسف بن محمد بن عيسى، الحنفي»، ت ٨٣٣ هـ. / ١٤٣٠ م.

له ترجمة في: المقرئزي. السلوك ج ٤ ص ٨٤٤، ابن حجر. إنباء الغمرج ٨ ص ٢٢٤ - ٢٢٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٨٢ تر ٦٤١، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٨٦، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٦٢، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٢٠٨ تر ٢٨٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ تر ١٠٥٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٠٧.

(٥) هو «شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن مقوم بن محمد»، ت ٨٤٢ هـ. / ١٤٣٩ م.

له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ٨٢ - ٨٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٩٧ تر ٢٠٥٠، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٦٦، السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٢٢٠ - ٢٣٨، الضوء اللامع ج ٧ ص ٥ - ٨ تر ٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٦) هو «علاء الدين، أبو عبد الله، محمد بن محمد بن محمد البخاري، الحنفي»، ت ٨٤١ هـ. /

=

١٤٣٨ م.

وبه اشتهر، ودأب في طلب العلم حتى برع في الفقه والأصولين والعربية والمعاني والبيان، وتصدى للإفتاء والتدريس سنين عديدة.

وكان أولاً يتكسب بتحمل الشهادة بباب القرافة، ثم ترك ذلك، وأقبل على الاشتغال إلى أن ولي مشيخة التربة التنكزية^(١) بالقرافة، ثم تدريس الفقه بالشيخونية، واستمر على ذلك إلى أن طلبه السلطان الملك الظاهر جقمق، وولاه قضاء الشافعية بدمشق في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، فولى القضاء. وباشره [٤٤] بعفة، وعرف بالصيانة والديانة مدة إلى أن عزل وقدم القاهرة، // ثم وليها مرة أخرى، وباشر - أيضاً - مدة إلى أن عزل وقدم القاهرة وتولى تدريس (الصلاحية بجوارقة) الإمام الشافعي^(٢)، وأقام إلى أن توفي بعد مرض طويل في التاريخ المذكور، رحمه الله تعالى.

(٢) وتوفي الأمير الكبير يشبك الأتابكي السوداني المعروف بالمشد^(٣)

= له ترجمة في: المقرئ. السلوك ج ٤ ص ١٠٦٢، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٩ - ٣٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٩٨، تر ٢٣٨٦، المنهل الصافي مج ٣ ص ١٩٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢١٤، الجوهري. تزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٤٢٨ تر ٧٧٣، السخاوي. الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٩١ - ٢٩٤ تر ٧٥١، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(١) التربة التنكزية: نسبة إلى «تنكزغا»، لا تزال قائمة في القرافة القبلية.

راجع: د. عبد الرحمن زكي. القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٥٨.

(٢) وتعرف باسم «الناصرية» - كذلك. أنشأها «الناصر صلاح الدين الأيوبي» بجوارقة الإمام الشافعي، ورتب فيها معيدين وطلبة، ومدرساً لتدريس الفقه الشافعي، وأوقف عليها أوقافاً مغللة، وأشار السيوطي إلى أنه «ينبغي أن يقال لها: تاج المدارس، وهي أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق، لشرفها بجوار الإمام الشافعي، ولأن بانيها أعظم الملوك».

راجع: المقرئ. السلوك ج ٢ ص ٤٠، السيوطي. حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٧.

كان تدريسها بيد «ابن حجر العسقلاني»، ولما رجع «الونائي» من الشام منفصلاً عن قضائها سعى في تدريسها لكونها وظيفة صهره «التلواني»، فتركه «ابن حجر» له اختياراً في صفر سنة ثمان وأربعين وثمانمائة.

راجع ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٤٣، السخاوي. الجواهر والدرق ١٥٦.

(٣) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٤٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ =

في أوائل شعبان من السنة، وصلى عليه بمصلاة المؤمني، وتولى عوضه أتابك العساكر الأمير إينال العلائي الناصري في يوم الخميس ثالث شعبان.

وكان يشبك هذا أصله من مماليك الأمير سودون الجلب^(١) نائب حلب في الدولة الناصرية فرج، وتنقل من بعده في الخدم حتى اتصل بخدمة الأمير ططر، وصار عنده شاد الشراب خاناه، واستمر على ذلك حتى تسلطن ططر أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وجعله شاد الشراب خاناه دفعة واحدة، ودام يشبك - المذكور - مشداً عدة سنين إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف برسباي بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية بعد سنة ثلاث وثلاثين، ثم ولاه حجوبية الحجاب بالديار المصرية - أيضاً - بعد الأمير قرقماس الشعباني الناصري^(٢) لما ولي نيابه حلب في يوم الخميس تاسع عشرين شهر رجب سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، فاستمر في الحجوبية إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى إمرة مجلس في أحد^(٣) الربيعين من سنة اثنتين وأربعين بعد آقبغا التمرآزي^(٤) بحكم انتقاله إلى إمرة سلاح بعد

= ص ٧٨٥ تر ٢٦٤٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٩١ ب - ٢٩٢ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٩ - ٥١١، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٣٩، الذين التام ق ٨٦ ب، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ تر ١٠٨٩.

(١) هو «سودون بن عبد الله - الجلب، الظاهري برقوق»، ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م. له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٥٣٧ تر ٣٧، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٣١ تر ١١٣٧، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٠٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٢ تر ١٠٧٠.

(٢) هو «سيف الدين، قرقماس بن عبد الله الأتابكي، الشعباني، الناصري فرج»، ت ٨٤٢ هـ. / ١٤٣٨ م.

له ترجمة في: المقرئزي. السلوك ج ٤ ص ١١٤٩ - ١١٥٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٤١ - ٥٤٢ تر ١٨٥٩، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٦ ب - ١٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢٨١ - ٢٨٢، ٤٦٦ - ٤٦٨، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٢١٩ - ٢٢٠ تر ٧٢٩.

(٣) في «أ»: «إحدى».

(٤) هو «آقبغا بن عبد الله التمرآزي»، نائب الشام، ت ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م. له ترجمة في: المقرئزي. السلوك ج ٤ ص ١١٩٦، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٣٨ تر ٤٨٣، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٧٦ - ٤٨٠ تر ٤٨٤، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٧٥ - ٤٧٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٦ - ٣١٧ تر ١٠١٢.

قرقماس الشعباني بحكم انتقاله إلى الأتابكية عوضاً عن الملك الظاهر جقمق، فلم تطل مدته، وصار أمير سلاح بعد أيام، ونقل إلى إمرة سلاح آقبغا، وآقبغا عن قرقماس - المذكور - بحكم عصيانه، فأقام يشبك في إمرة سلاح أشهراً ونقل إلى الأتابكية بعد تولية الأمير آقبغا التمرازي نيابة دمشق بعد عصيان الأتابك إينال الحكمي^(٧)، وذلك في أواخر سنة اثنتين وأربعين، ولما صار يشبك هذا أتابك العساكر بالديار المصرية عظم وضعف ونالته السعادة، وطالت أيامه، وصارت كلمته نافذة وشفاعته مقبولة عند الملك الظاهر جقمق، وسار على طريق السلف في الحرمة وكثرة المال، بحسب الوقت، واستمر على ذلك سنين إلى أن مرض في أوائل سنة سبع وأربعين وثمانمائة، وطال مرضه سنين، واختلفت // الأقاويل في مرضه، فمن الناس من قال: إنه اغتيل بالسم، ومنهم من قال غير ذلك، فإنه كان قد حصل له استرخاء في أعضائه وصار لا يطيق حركه يديه ولا رجله، ثم عوفي قليلاً وصار يمشي، وركب إلى الخدمة غير مرة ثم انتكس ولزم الفراش إلى أن مات في التاريخ المذكور، وهو في حدود الخمسين من العمر تقريباً.

وكان أشقر، للطول أقرب، ساكناً، قليل الكلام، وفي لسانه لكنة، مع عجمة، وكان قليل المعرفة، مهملاً، عارياً من كل فن، مع ظلم وشح وسوء خلق وطمع زائد. علمت ذلك منه لما أخذ إقطاع الأتابك آقبغا التمرازي، وكنت أنا متحدثاً على تركة آقبغا - المذكور - فكنت إذا كلمته في أمر المستحق من الإقطاع لأجل أيتام^(٢) يكاد يخرج من حال إلى حال، هذا مع الثروة الزائدة والمكانة^(٣) العظيمة. ومات ولم تتخلص منه؛ ولم نأخذ استحقاق الأيتام إلا من تركته، عفا الله عنه.

(١) هو «إينال بن عبد الله الحكمي»، نائب الشام، ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م.

له ترجمة في: المقرئزي. السلوك ج ٤ ص ١١٥١ - ١١٥٢، ابن تغري بردي. الدليل الشافي

ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ تر ٦٠٦، المنهل الصافي ج ٣ ص ١٩٦ - ٢٠٠ تر ٦١٧، النجوم الزاهرة

ج ١٥ ص ٤٦٩ - ٤٧٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٧ تر ١٠٧٤.

(٢) هم أولاد «آقبغا التمرازي» من «شعراء» أخت مؤرخنا.

(٣) في الأصل: المكنة.

ومع هذا التمكن العظيم لم يفعل في حياته من المعروف ما يذكر به، من سُبُل ومساجد على عادة عظماء الملوك، بل أنشأ تربة بالصحراء بجوار تربة الأشرف برسباي ولم تكمل إلى الآن. ومات ودفن بها من غير تكملة، رحمه الله تعالى.

(٣) وتوفي الأمير قاني باي الجكمي^(١) حاجب الحجاب بحلب - على هيئة نسأل الله حسن الخاتمة - في أواخر هذه السنة بحلب، وهو أنه سكر حتى غلب عليه السكر ونام، وكان ذلك في فصل الشتاء، وعادة أهل تلك البلاد يؤرثون النار بالفحم للدفء، ويجعلون ذلك بينهم ويدورون حوله، ففعل ذلك قاني باي - المذكور - ونام هو ومملوكه، فعظم الدخان عليهم في البيت وهما من غلبة السكر لا يستطيعون الحركة، فماتا. وكتب بذلك محضر وأرسل إلى القاهرة.

وقاني باي - المذكور - أصله من ممالك الأمير جكم من عوض^(٢) المتغلب على حلب في الدولة الناصرية فرج، وصار من جملة الخاصكية سنين إلى أن ولاه الملك جقمق حجوبية الحجاب بحلب دفعة واحدة غلطاً، ولامه على ذلك كل أحد، فلما مات على تلك الهيئة صار يسبه ويلعنه، ويلعن من أشار عليه بتوليته، لأن قاني باي - المذكور - كان مهملاً إلى الغاية.

(١) ويعرف - أيضاً - بـ «قاني باي طاز». له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٤١، ابن نغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٣٠ - ٥٣١ تر ١٨٢٠، المنهل الصافي مع ٣ ق ٦ ب - ٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١١ - ٥١٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٣٠، الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٥ تر ٦٥٨.

(٢) هو «سيف الدين، جكم بن عبد الله الظاهري»، ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م. له ترجمة في: ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج ١ ق ٢٤٧ أ - ٢٥١ أ، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٦٤ - ٣٢٦ تر ١٤، الجوهرى. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٦ تر ١٤، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤٧ تر ٨٤٨، المنهل الصافي ج ٤ ص ٣٠٣ - ٣٢٤ تر ٨٥٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٧٦ تر ٢٩٢.

// سنة خمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة والسلطان والخليفة على حالهما، وكذلك القضاة ما عدا القاضي الشافعي، فإنه الشيخ شمس الدين محمد القياقي، وأرباب الوظائف كذلك إلا الأمير الكبير، فإنه الأتابك إينال العلائي الناصري، ولي الأتابكية بعد موت الأتابك يشبك السودوني، والدوادار الكبير الأمير قاني باي الجاركسي وليها بعد الأمير إينال العلائي، ونائب الإسكندرية الأمير تنم، وليها بعد الأمير الطنبغا اللفاف، ونائب غزة الأمير يلخجا، وليها بعد طوخ الأبوبكري، وباقي أرباب الدولة على ما هم عليه في سنة خمس وأربعين (وثمانمائة).

المحرم

أوله الثلاثاء.

في يوم الخميس ثالثه خلع على الأمير الوزير غرس الدين خليل بن شاهين المعزول عن نيابة ملطية قبل تاريخه باستقراره في نيابة القدس عوضاً عن الأمير طوغان العثماني، بحكم عزله وتوجهه إلى حجوية حلب بعد موت قاني باي الحكمي.

وفيه استقر القاضي برهان الدين إبراهيم بن الديري في نظر الجوالي مضافاً لما بيده من نظر الإسطبلات السلطانية عوضاً عن بدر الدين محمد بن المحرقى بحكم عزله.

صفر

أوله الخميس .

في يوم الاثنين خامسه استقر قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر في القضاء بعد موت القاياتي .

وفي يوم الثلاثاء سادسه خلع على ولي الدين السفطي باستقراره في تدريس قبة الشافعي - رضي الله عنه - بالقرافة ، عوضاً عن القاياتي بحكم وفاته .

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه خلع على السويني باستقراره في قضاء الشافعية بحلب عوضاً عن القاضي سراج الدين عمر الحمصي بحكم عزله .

شهر ربيع الأول

أوله السبت .

ففي يوم السبت ثامنه وصل ابن الشريف بركات بن حسن بن عجلان من مكة إلى القاهرة ومعه مقدمة من عند أبيه إلى السلطان ما بين خيول وغيرها ، وأقام بالقاهرة إلى سلخ هذا الشهر ، وعاد إلى مكة ، وقد أعطاه السلطان أماناً لوالده بركات ووعدته بكل خير ، وقد انبرم أمره في ولاية مكة .

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين .

فيه خلع على ولي الدين السفطي باستقراره في نظر / / البيمارستان [٤٧] المنصوري عوضاً عن القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيش بحكم عزله ، وسار السفطي في النظر سيرة سيئة^(١) ، وهو أنه أخذ ما لا يستحقه أعطاه لمن لا يستحق ، وغير ذلك من المساوىء ما يطول ذكره ، وحسابه على الله .

وفيه استقر مملوك ابن كلبك شاد الشون السلطانية في نيابة بعلبك ، وهذا شيء لم يسمع بمثله من أن السلطان يولي نيابة بعلبك ، وإنما نيابة بعلبك مضافة

(١) في هامش الأصل : «حاشية : أجمع الناس على أن السفطي كان يخرب الأوقاف ، يأخذ منها شيء لنفسه» .

إلى نيابة دمشق يوليها لبعض مماليكه - هذا في زماننا هذا - وأما في زمان والدي فإنه كان يولي - أيضاً - نائب القدس والرملة وما دونها

وفي يوم الخميس رابعه خلع على القاضي محب الدين ابن الأشقر خلعة الاستمرار على وظيفته نظر الجيش، وسبب ذلك أن إبراهيم بن الديرى كان قد سعى في وظيفة نظر الجيش سعياً كثيراً ووعد بمال كثير، نحو مبلغ ثمانية آلاف دينار ليحملها إلى السلطان، وأذعن السلطان لذلك، وطلع في هذا اليوم على أن يستقر في وظيفة نظر الجيش، فأخلع السلطان على القاضي محب الدين هذا باستمراره، ولم يلتفت إلى غيره، ونزل إلى داره في موكب هائل .

جمادى الأولى

أوله الثلاثاء. فيه خلع على القاضي محب الدين ابن الشحنة باستقراره في وظائفه: قضاء حلب، وكتابة سرها، ونظر جيشها - بعد أن حمل للسلطان من الأموال والهدايا ما يطول الشرح في ذكره، فعظم ذلك على أهل حلب، فإنه أكثر فيهم المكث عليهم، وسار في هذه الوظائف بحرمة وافرة.

وفي يوم الجمعة رابعه^(١)، الموافق لخامس مسرى أوفى النيل سنة عشر ذراعاً، ونزل المقام الفخري عثمان ابن السلطان من القلعة حتى عدى النبل وخلق المقياس، ثم عاد ففتح خليج السد على العادة.

وفي هذا المعنى يقول القاضي شهاب الدين ابن فضل الله العمري:

لمصرف فضل باهر لعيشها الرغد النضر

في كل يوم يلتقي ماء الحياة والخضر

[الرجز]

وفي العشر الأخير توغر خاطر السلطان على الأمير شاد بك الحكمي نائب حماه وعزله عن نيابتها، وعين مكانه لنيابة حماه الأمير يشبك من جانبك المؤيدي المعروف بالصوفي، أحد أمراء الألو ف بحلب، وأنعم بإقطاع يشبك - المذكور - على

(١) في هامش الأصل : «حاشية : يوم السبت صَحَّة ذلك اليوم».

الأمير علي باي المؤيدي العجمي . ويشبك وعلي باي كان السلطان قد نفاهما قبل تاريخه بسنين من القاهرة، ورسم بأن يتوجه شادبك - المذكور - إلى القدس بطالاً، وحمل تقليد^(١) الأمير يشبك وتشريفه^(٢) // بناية حماه على يد الأمير [٤٨] تمرىغا الظاهري جقمق أحد أمراء العشرات .

وفي هذا الشهر رسم السلطان بإطلاق جماعة من المماليك الأشرفية الذين كان قد حبسهم في أوائل دولته بالبلاد الشامية، ورسم بقدمهم إلى القاهرة .

جمادى الآخرة ورجب

لم يقع فيهما شيء .

شعبان

أوله السبت .

ففي يوم السبت خامس عشره اتفق المحابيس الذين بحبس المقشرة وقتلوا السجان وخرجوا الجميع إلى حال سبيلهم .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره نزل جماعة من المماليك السلطانية الجلبان وتبعوا زين الدين يحيى الأستاذار وضربوه بالدبابيس إلى أن كاد يهلك، لولا أنه دخل بيت الأمير طوخ من تراز - أحد مقدمي الألف - وإلا كانت ذهبت روحه .

(١) التقليد: هو المرسوم السلطاني بالتعيين في إحدى الوظائف .

(٢) التشريف، والجمع تشاريف: الملابس الخاصة بأرباب الوظائف في الدولة، والمعتمدين بها عليهم من قبل السلطان .

راجع: القلقشندي . صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٢ - ٥٤ .

شوال

أوله الثلاثاء.

في يوم الجمعة رابعه عزل السلطان قاضي القضاة بدر الدين التنسي المالكي بسبب حبسه لشخص مدة طويلة، ثم أخلع عليه باستمراره.

وفي يوم الخميس سابع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير سونجبغا الناصري أحد أمراء العشرات بالمحمل إلى بركة الحجاج، وأمير الركب الأول في هذه السنة الأمير سمam الحسني أحد أمراء العشرات - أيضاً - وسافرت في هذه السنة - أيضاً - خوند مغل بنت القاضي ناصر الدين ابن البارزي زوجة السلطان الملك الظاهر جقمق في الركب الأول، وحج صحبتها أخوها القاضي كمال الدين محمد بن البارزي كاتب السر الشريف ومعه جماعة كبيرة من حواشيه، وكلاهما حج بتجمل زائد إلى الغاية، وفعل ابن البارزي - المذكور - في هذه السفرة من المعروف والإحسان ما لعله يذكر عنه إلى الأبد.

ذو القعدة

أوله الخميس.

ففي يوم السبت ثالثه وصل الأمير إسماعيل بن عمر الهواري من بلاد الصعيد إلى القاهرة طائعاً، وخلع السلطان عليه خلعة الرضا وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش.

وفي يوم السبت عاشره خلع السلطان على الأمير جاني بك الشبكي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة باستقراره في ولاية القاهرة، بعد عزل منصور بن الطبلاوي على كره منه.

[٤٩] . وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره /٠/ خلع على جانبك - المذكور - باستقراره حاجباً من جملة الحجاب، زيادة على ولاية القاهرة.

ذو الحجة

أوله الجمعة .

في يوم الاثنين رابعه خلع على ابن النويري باستقراره قاضي القضاة الشافعية بحلب بعد عزل السوييني .

وفي يوم السبت ثالث عشرينه ، فيه وصل مبشر الحاج أحمد بن جانبك (و) أخبر بالأمن والسلامة .

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - ستة أذرع وستة وعشرين إصبعاً ، وكان مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً واثنين وعشرين إصبعاً .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

(١) توفي العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتي^(١) الشافعي، قاضي قضاة الديار المصرية وعالمها في العشر الأخير من محرم هذه السنة، وصلى عليه بمصلاة المؤمني، وحضر السلطان الصلاة عليه، ودفن بترية الصوفية خارج باب النصر^(٢).

ومولده بقايات^(٣) في سنة خمس وثمانين وسبعمائة تقريباً، ثم انتقل إلى القاهرة مع والده، وكمل حفظ القرآن العزيز بها، وحفظ عدة مختصرات في مذهبه، وأقبل على طلب العلم، وحضر دروس شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني^(٤)، وتفقه بعمه الشيخ ناصر الدين القاياتي، وأخذ عن الشيخ بدر الدين

(١) في هامش الأصل : «صرابه» خارج بابي زويلة .

(٢) له ترجمة في : ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٤٧ - ٢٤٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافعي ج ٢ ص ٦٥٦ تر ٢٢٥٥، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٤٤ أ - ١٤٥ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٣ - ٥١٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٥٩ - ١٦٧، الدليل التام ق ٨٦ أ - ٨٧ ب، الدليل على رفع الإصر ص ٢٧٨ - ٢٩٥، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢١٢ - ٢١٤ تر ١٥٥٦، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٠ - ٤٤١ تر ١٩٨، ابن العماد الحنبل. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٦٨.

(٣) نسبة إلى «قايات» من أعمال البهنساوية، بصعيد مصر.

راجع : السخاوي. التبر المسبوك ص ١٦٠، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢١٢.

(٤) هو «سراج الدين، عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن عبد الحق، الكناني، البلقيني، الشافعي»، ت ٨٠٥ هـ / ١٤٠٣ م.

له ترجمة في : المقرئ. السلوك ج ٣ ص ١١٠٨، ابن قاضي شهاب. طبقات الشافعية ج ٤ ص ٤٢ - ٥٢ تر ٧٣٧، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٧ تر ٢١، المجمع المؤسس ق ١١٨ ب - ١٢٣ ب، ابن فهد المكي. لحظ الألاحظ ص ٢٠٦ - ٢١٧، ابن تغري بردي =

الطنبدي^(١) والشيخ شمس الدين العراقي^(٢) والشيخ تقي الدين ابن العز الحنبلي والشيخ قنبر العجمي^(٣) ونور الدين الأدمي^(٤) والشيخ قطب الدين الأبرقوهي^(٥) والشيخ همام الدين الخوارزمي^(٦) والعلامة عز الدين ابن جماعة^(٧) - في العلوم

= الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٧ تر ١٧٢٧، المنهل الصافي مج ٢ ق ٤٧٣، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٢٩ - ٣٠، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٩ أ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٨٥ - ٩٠ تر ٢٨٦، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٩ - ٣٣٥ تر ٧٦، طبقات الحفاظ ص ٥٣٨ تر ١١٧٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٥١ - ٥٢.

(١) هو «بدر الدين، أحمد بن محمد بن عمر الطنبدي»، ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م. له ترجمة في: المقرئ. السلوك ج ٤ ص ٤٧ - ٤٨، ابن قاضي شعبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٦ - ١٧ تر ٧٢٠، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٦٣ تر ١٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٦٧ تر ٢٣١، المنهل الصافي ج ٢ ص ٥١ - ٥٢ تر ٢٣٣، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٦٤، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٥٦ - ٥٧ تر ١٦١، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٨٣.

(٢) هو «شمس الدين، محمد بن أحمد بن خليل»، ت ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م. له ترجمة في: المقرئ. السلوك ج ٤ ص ٢٧٥ - ٢٧٦، ابن قاضي شعبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ٦٣ - ٦٤ تر ٧٤٢، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٣١ تر ٢٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ تر ١٠٢١.

(٣) هو «قنبر بن محمد بن عبد الله السبزواني»، ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م. له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٨٠ - ٨١ تر ٧٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٤٩ - ٥٥٠ تر ١٨٨٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٧، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٤، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٥ تر ٧٥٥.

(٤) هو «نور الدين، أحمد بن أبي بكر بن أحمد الأدمي، الشافعي»، ت ٨١٣ هـ / ١٤١٠ م. له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ١٦٣ - ١٦٤ تر ٥٥٩.

(٥) هو «محمد، المعروف بقطب الدين الأبرقوهي»، ت ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م. له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ١٢١ تر ٤٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ١١٤ تر ٤٢٩.

(٦) هو «همام الدين، همام (أو محمد) بن أحمد الخوارزمي»، ت ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م. له ترجمة في: المقرئ. السلوك ج ٤ ص ٣٧٦، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ١٢٢ - ١٢٣ تر ٥١، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٩٤ تر ٢٠٤، المنهل الصافي مج ٣ ق ٧٤ ب - ٧٥ أ، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٤١ - ١٤٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٢٨ تر ٢٩٤، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٧) هو «عز الدين، محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله» =

العقلية وغيرها - والشيخ برهان الدين البيجوري^(١) وقاضي القضاة ولي الدين أحمد العراقي^(٢) ، وتناضي القضاة شمس الدين محمد البساطي المالكي ، والعلامة علاء الدين محمد البخاري الحنفي ، ولازمه كثيراً وبه انتفع ، وعرف بين فقهاء الديار المصرية .

= ت ٨١٩ هـ / ١٤١٧ م .

له ترجمة في : المقرئزي . السلوك ج ٤ ص ٣٧٧ - ٣٧٨ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٤ ص ٦٠ - ٦٣ تر ٧٤١ ، ابن حجر . إنباء الغمرج ٣ ص ١١٥ - ١١٧ تر ٢٢ ، المجمع المؤسس ق ٢٦١ ب - ٢٦٢ أ ، ابن فهد المكي . لحظ الألاحظ ص ٢٦٧ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٤٣ - ١٤٤ ، البقاعي . عنوان الزمان ق ٣٨ ، الجوهري . نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ تر ٥٣٩ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ١٧١ - ١٧٤ تر ٧ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ١ ص ٢٣٠ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٤٨ تر ٤٦ ، عبد الله بن زين . جمان الدرر ق ٧ أ .

(١) هو «برهان الدين ، إبراهيم بن أحمد بن علي بن سليمان بن سليم بن فريج بن أحمد» ، ت ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م .

له ترجمة في : المقرئزي . السلوك ج ٤ ص ٦٢٧ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٤ ص ٩١ - ٩٢ تر ٧٥٦ ، ابن حجر . إنباء الغمرج ٣ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ تر ١ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٨ تر ١٢ ، المنهل الصافي ج ١ ص ٢٧ - ٣٠ تر ١٢ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١١٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ١٧ - ٢٠ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٣٩ تر ١٩٢ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ١٦٩ .

(٢) هو «ولي الدين ، أبو زرعة ، أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم ، المهراني ، العراقي ، الشافعي» ، ت ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م .

له ترجمة في : المقرئزي . السلوك ج ٤ ص ٦٥١ - ٦٥٢ ، التقى الفاسي . ذيل التقييد ق ١٧٤ أ - ١٧٥ أ ، ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٠٣ - ١٠٦ تر ٧٦٢ ، ابن حجر . إنباء الغمرج ٣ ص ٣١١ - ٣١٢ تر ٣ ، ذيل الدرر الكامنة ق ١٩٦ - ١٩٧ ، رفع الإصر ج ١ ص ٨١ - ٨٣ ، المجمع المؤسس ق ١١١ ب - ١١٢ أ ، ابن الغزي . بهجة الناظرين ق ٧٥ ب - ٧٦ ب ، ابن فهد المكي . لحظ الألاحظ ص ٢٨٤ - ٢٩١ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٥٣ تر ١٧٩ ، المنهل الصافي ج ١ ص ٣١٢ - ٣١٥ تر ١٧٩ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١١٨ ، الجوهري . نزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٣٤ - ٣٥ تر ٦١٩ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٤٤ ، السيوطي . ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٧٥ - ٣٧٦ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٣ تر ١٠٠ ، الداودي . طبقات المفسرين ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ تر ٤٣ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ١٧٣ - ١٧٤ ، الشوكاني . البدر الطالع ج ١ ص ٧٢ - ٧٤ تر ٤١ .

وكان سمع الحديث في مبدأ أمره من شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني،
والحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي^(١)، والشيخ سراج الدين ابن^(٢)
الملقن، وغيرهم، وحدث ببعض مسموعاته.

وكان أولاً يتكسب بتحمل الشهادة مدة طويلة بجامع الصالح^(٣)، خارج
بابي زويلة إلى أن قرر طالباً بمدرسة الملك المؤيد شيخ التي عمرها داخل بابي

(١) هو «زين الدين، عبد الرحيم»، ابو الذي قبله، ت ٨٠٦ هـ / ١٤٠٤ م.
له ترجمة في: التقى الفاسي. ذيل التقيّد ق ١٩٤ ب - ١٩٥ ب، ابن الجزري. غاية النهاية
في طبقات القراء ج ١ ص ٣٨٢ تر ١٦٣٠، المقرئزي. السلوك ج ٣ ص ١١٢٨، ابن قاضي
شبهة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ٣٣ - ٣٨ تر ٧٣٢، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٧٥ -
٢٧٩ تر ١٩، ذيل الدرر الكامنة ق ٧٠ - ٧٢، المجمع المؤسس ق ٩٩ أ - ١٠٩ ب، ابن
الغزي. بهجة الناظرين ق ١١٤ أ - ١١٥ ب، ابن فهد المكي. لحظ الألاحظ ص ٢٢٠ -
٢٣٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٠٩ تر ١٤٠٩، المنهل الصافي مج ٢
ق ٣١٢، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٣٤ - ٣٥، الجوهرى. نزهة النفوس والأبدان ج ٢
ص ١٩٠ - ١٩١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٧١ - ١٧٨ تر ٤٥٢، السيوطي. حسن
المحاضرة ج ١ ص ٣٦٠ - ٣٦٢ تر ٩٦.

(٢) هو «سراج الدين، أبو حفص، عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري،
الأندلسي، الشافعي»، ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م.
له ترجمة في: ابن الملحق. العقد المذهب ق ١٧٠، التقى الفاسي. ذيل التقيّد ق ٢٤٣، ابن
قاضي شبهة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ٥٣ - ٥٨ تر ٧٣٩، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢
ص ٢١٦ - ٢١٩ تر ٢٦، ذيل الدرر الكامنة ق ٥٠ - ٥٢، المجمع المؤسس ق ٢٢٥ - ٢٢٧،
ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٥٠٢ تر ١٧٤٧، المنهل الصافي مج ٣ ق ٣٢٤ ب -
٣٢٥ أ، ابن فهد المكي. لحظ الألاحظ ص ١٩٧ - ٢٠٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦
ص ١٠٠ - ١٠٥ تر ٣٣٠، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٣٨ تر ١٨٤، طبقات
الحفاظ ص ٥٣٧ - ٥٣٨ تر ١١٧٥، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٤٤ -
٤٥، محمد كمال الدين. ابن الملحق مؤرخاً.

(٣) جامع الصالح: نسبة إلى «الصالح طلائع بن رزيك»، أنشأه ليدفن فيه رأس الحسين بن علي -
رضي الله عنهما - لكن لم يمكنه الفائز بنصر الله من ذلك، فبقي الجامع معطلاً من الخطبة إلى
أيام المعز أيك التركماني، حيث أقيمت فيه أول خطبة وصلاة جمعة سنة بضع وخمسين
وستمائة للهجرة، واستمرت بعده.

راجع: المقرئزي. الخطط ج ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٤، علي مبارك. الخطط ج ٢ ص ٣٣ - ٣٤.

زويلة، ثم ولي تدريس الحديث بالبرقوقية عوضاً عن الشيخ نور الدين القمني^(١) [٥٠] في سنة // ثلاثين وثمانمائة، ثم استقر في تدريس الفقه بالمدرسة الأشرفية برسباي، ثم ولي مشيخة خانقاه سعيد السعداء بعد موت قاضي القضاة شهاب الدين أحمد الأموي المعروف بابن المحمرة^(٢)، وتصدى للإفتاء والتدريس سنين، وانتفع به الطلبة

وكان بارعاً في فنون كثيرة، عارفاً بالفقه والأصولين، محققاً للفقه وفروعه، إماماً في المعقول وعلمي المعاني والبيان، هذا مع الورع والتقشف في مركبه وملبسه، وكان يمشي على قدميه^(٣) في غالب حوائجه، وإن أبعد ركب حماراً، حتى في يوم طلبه السلطان ليلي القضاء، طلع بعد الظهر على حمار. رأيته على تلك الهيئة وهو نازل من القلعة، ثم طع من الغد وقبل القضاء بعد شروط هيئة، وولي في رابع عشر المحرم سنة تسع وأربعين، ولم يلبس تشريف القضاء، بل نزل بطيلسانه على فرس وبين يديه أكابر الدولة، واعتذر بعدم لبسه الخلعة أنها من عند ناظر الخاص. ولما نزل إلى مدرسة الصالحية وقام بعض الرسل ليدعي على شخص منعه، وقال: هذه حيلة لا أسمعها، ثم ركب وعاد إلى داره، وباشر القضاء بعفة، وحسنت سيرته، غير أنه أحب وظيفة القضاء إلى الغاية، وولى النواب الكثيرة، وراعى الناس، وصار يكرم أرباب الدولة، وتعاظم في سلامه وكلامه.

(١) هو «نور الدين، علي بن عبد الرحمن بن علي» ت ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م .

له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٣٩٠ تر ١٠، السخاوي الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٣٦ تر ٨٠٤ .

(٢) هو «شهاب الدين، أحمد بن صلاح بن محمد بن محمد بن عثمان بن نصر بن عيسى بن عثمان»، ت ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م .

له ترجمة في: المقرئ. السلوك ج ٤ ص ١٠١٤، ابن قاضي شهبه. طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٠٧ - ١٠٩ تر ١٠٧، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٨ ص ٤٣٢ - ٤٣٤، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢٠٦ - ٢٠٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ١٨٦ - ١٨٧ تر ٥١٥، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٠ تر ١٩٥، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٣٤ .

(٣) في الأصل: «أقدامه» .

ومع غزير علمه عيب عليه في خطبته لما خطب في يوم الجمعة وصلى بالسلطان، فإنه كان فيه شبه لكنة وإمساك عن سرعة الكلام حتى في دروسه، رحمه الله تعالى.

(٢) وتوفي القاضي بهاء الدين محمد ابن القاضي نجم الدين عمر بن حجي^(١) الشافعي الدمشقي، ناظر جيش دمشق بالقاهرة بعد مرض طويل في ثالث عشرين صفر، وكانت وفاته بقاعة البرابخية بساحل بولاق، وغسل بها، وحمل إلى أن صلى عليه بمصلاة المؤمني من تحت قلعة الجبل، وحضر السلطان الصلاة عليه، ودفن عند قبر القاضي ناصر الدين ابن البارزي^(٢) تجاه شبك قبة الشافعي - رضي الله عنه - وهو في حدود الأربعين تخميناً.

وكان ولي قضاء الشافعية بدمشق بعد وفاة والده، ثم عزل عنها، وتولي نظر جيشها مدة، ثم قدم إلى القاهرة وتولي نظر جيشها مدة أشهر، مضافاً إلى نظر جيش دمشق، ثم عزل وعاد / / إلى دمشق على نظر جيشها ونظر قلعتها، [٥١] واستمر على ذلك مدة، ثم قدم إلى القاهرة ودام بها عند صهره القاضي كمال الدين كاتب السر حتى مرض ومات في التاريخ المذكور.

(١) هو «محمد بن عمر بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد». له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٤ - ٥١٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٦٧، الذيل التام ق ٨٧ أ، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ تر ٦٥١.

(٢) هو «ناصر الدين، أبو المعالي، محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله»، ت ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م.

له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٥٤٥، ابن قاضي شهبه. طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٣٧ - ١٤١ تر ٧٨٠، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٣٣ تر ١٦٦، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٧٧ تر ٢٣٢١، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٧٣ أ - ١٧٤ أ، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٦١ - ١٦٢، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٤٨١ - ٤٨٢ تر ٥٩٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٩ ص ١٣٧ - ١٣٩ تر ٣٥٠، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ١٦١.

وكان شاباً جميلاً طويلاً جسيماً طويل اللحية أصهبها أبيض اللون، كريماً مفرطاً في الكرم، مات وعليه جملة كثيرة من الديون، أزيد من عشرين ألف دينار، وكان فيه حشمة ورياسة.

على أنه كان قليل البضاعة من العلم بالنسبة إلى والده - رحمهما الله تعالى -.

(٣) وتوفي الشيخ عز الدين^(١) شيخ الصلاحية بالقدس الشريف في أوائل شهر رمضان، وتولى عنه الشيخ جمال الدين عبد الله بن جماعة^(٢) بمال بذله في ذلك على ما قيل.

وكان الشيخ عز الدين عالماً فقيهاً فاضلاً، ولي نيابة الحكم الشافعية بالقاهرة سنين كثيرة، وكان معدوداً من فقهاء الشافعية، رحمه الله تعالى^(٣).

(٤) وتوفي العلامة شهاب الدين أحمد بن رجب بن طيغنا المجدي^(٤) الشافعي في ليلة السبت العاشر من ذي القعدة، وصلى عليه بالجامع الأزهر.

ومولده بالقاهرة في سنة سبع وستين وسبعمائة، وبها نشأ، وتفقه على مذهب الشافعي - رضي الله عنه - ولازم علماء عصره حتى برع في الفقه والعربية والفرائض والحساب والهيئة والهندسة، وتصدى للإقراء والتدريس سنين، وانتفع

(١) هو «عبد السلام بن داود بن عثمان بن عبد السلام، المعروف بالعز السلطي، المقدسي، الشافعي».

له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٥٣ - ١٥٦، الذيل التام ق ٨٧ أ، الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٦ تر ٥١٤.

(٢) هو «جمال الدين، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم»، ت ٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م.

له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ٥١ - ٥٢ تر ١٩٢.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٦ تر ١٥٥، المنهل الصافي ج ١ ص ٢٧٩ تر ١٥٥، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٤٩ - ١٥١، الذيل التام ق ٨٧ أ، الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٠ - ٣٠٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٦٨.

(٤) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٦ تر ١٥٥، المنهل الصافي ج ١ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ تر ١٥٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

به الناس . وكان له مشاركة في علوم كثيرة ، لا سيما الفرائض والحساب ، فإنه كان فيهما إمام عصره ، وله مصنفات كثيرة نافعة ، رحمه الله تعالى .

(٥) وتوفي الشيخ المعتقد يوسف البحيري^(١) الشافعي في ليلة الأحد حادي عشر ذي القعدة ، وصلى عليه بالجامع الأزهر ، وحضرت أنا غسله ودفنه ، وصلى عليه قاضي القضاة بدر الدين العيني^(٢) ، وكان بينه وبين العيني عداوة عظيمة من سنين عديدة .

وكان الشيخ يوسف هذا غالب إقامته بالجامع الأزهر مستقبل القبلة ، وكان بيني وبينه صحبة أكيدة ، وحججنا معاً في سنة ثمان وأربعين ، وعاد من الحج متمزناً إلى أن توفي بالقاهرة في التاريخ المذكور .

وكان آمراً بالمعروف ، وفيه تعصب لمن يقصده من أرباب الحوائج ، وكانت شفاعته مقبولة // عند أرباب الشوكة ، وكان خيراً ، رحمه الله . [٥٢]

(٦) وتوفي الأمير سيف الدين سودون بن عبد الله المحمدي^(٣) نائب قلعة دمشق بها في أوائل صفر .

وكان أصله من مماليك الأمير سودون المحمدي^(٤) المعروف بتلي - أعني مجنون - وبه عرف بالمحمدي على شهرة أستاذه ، ثم ترقى بعد موت أستاذه حتى صار رأس نوبة الجمدارية في الدولة الأشرفية ، وأعطاه الأشرف إمرة عشرة ، فامتنع

(١) هو «جمال الدين ، يوسف بن محمد بن جامع البحيري» ، له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافعي ج ٢ ص ٨٠٩ تر ٢٧٢٢ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٣٢٦ - ٣٢٧ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٦ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ١٦٩ ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٣٣ تر ١٢٦٣ .

(٢) راجع تر ١٩ من حولية ٨٥٥ هـ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافعي ج ١ ص ٣٢٩ تر ١١٣٠ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٠٠ ب - ١٠١ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٦ - ٥١٧ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ١٥٢ - ١٥٣ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ تر ١٠٨٤ .

(٤) قتله «المؤيد شيخ المحمودي» في المحرم سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م .

له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافعي ج ١ ص ٣٢٩ تر ١١٢٩ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٠١ ، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٣٩ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٥ تر ١٠٨٣ .

واستمر على إقطاعه إلى أن مات الأشرف ووقع بين الأتابك جقمق وبين الملك العزيز يوسف، انضم سودون هذا للعزيز، فعظم ذلك على جقمق لصهارة كانت بينهما قديماً، فلما تسلطن نفاه، ثم شفع فيه بعد مدة، فأعاده وأنعم عليه بإمرة عشرة وولاه نظر مكة المشرفة، وكان وليها في الدولة الأشرفية وهدم سقف البيت الشريف وفعل ما لا يجوز فعله، وما كان قصده بذلك إلا مصلحة البيت الشريف، فوقع خلاف ما قصده، وهو أن البيت كان يدلف قليلاً، فصار الآن - أضعاف ما كان، هذا (مع) أنه) جرد البيت الشريف عن الكسوة أياماً، وكشف السقف وهدمه، وفعل ما لا يجوز فعله، حتى إن بعض أعيان مشايخ مكة خرج منها خوفاً من حلول العذاب من الله - عز وجل - ومن يومئذ صار الطير من الحمام وغيره يقعد على ظهر البيت الشريف، وكان أولاً يحوم حول البيت ولا يحط على سقفه ولا على جداره لشيء كان مكتوباً عليه، فلما هدمه سودون - المذكور - بطل ذلك وصار الطير يحط على البيت ويحصل منه الضرر التام، فكان حال سودون في هذا الأمر أحق بقول القائل:

رام نفعاً فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقاً
[الخفيف]

ودام بمكة سنين، ثم قدم إلى القاهرة، وتولى نيابة قلعة دمشق، فتوجه إليها، وأقام بها مدة، وبجده.

وكان ديناً خيراً، وعنده تعاضم وشمم، رحمه الله تعالى.

(٧) وتوفي الأمير سيف الدين يلخجا^(١) بن عبد الله من مامش الناصري الساقى نائب غزة بالقدس الشريف في أوائل جمادى الآخرة وسنه نيف على خمسين^(٢) سنة .

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٩٥ - ٧٩٦، تر ٢٦٧٩، المنهل الصافي مج ٣ ق ٣٠٦ - ٣٠٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٧ - ٥١٨، السخاوي. التبر المسوك ص ١٦٨ - ١٦٩، الذيل التام ق ٨٧ ب، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٩١ تر ١١٤٠.

(٢) في هامش «أ»: «لعله تسعين»، وهو مخالف لما جاء في النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٧ وقد طابقت معلومته هنا ما أثبت في المتر.

وكان أصله من ممالك الملك الظاهر برقوق، أخذه مع أبويه وأعطاهم لولده سيدي عبد العزيز الذي تسلطن ولقب: المنصور، ثم بعد موت عبد العزيز - المذكور - أخذه الملك الناصر /- فرج وجفله خاصكياً ثم ساقياً، [٥٣] واختص بالناصر إلى الغاية. وكان إذ ذاك يضرب بحسنه المثل، ولما تسلطن للملك المؤيد شيخ عزله عن السقاية وجعله من جملة الخاصكية، ودام على ذلك معزراً مكروماً^(١) إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف برسباي بإمرة عشرة. بعد سنة ثلاثين وثمانمائة، ثم جعله من جملة رعوس النوب، وتوجه أمير حاج الركب الأول في سنة أربع وثلاثين، ثم أرسله الأشرف في سنة سبع وثلاثين إلى شد بندرجدة وصحبته صاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ^(٢) لما عزل عن الوزر، ثم عاد إلى القاهرة، ولم يزل يلخجا على ذلك حتى أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمرة طبلخاناه، ثم جعله رأس نوبة ثانياً، ثم ولاء بعد سنين نيابة غزة في أوائل سنة خمسين، فتوجه إليها، ودام بها إلى أن حصل له مرض وطال به^(٣)، أرسل استعفى، فأعفى وتوجه إلى القدس، فمات به بعد أيام قليلة^(٤).

وكان أميراً جليلاً معظماً في الدولة، مليح الشكل، مشهوراً بالشجاعة والإقدام، ساق المحمل خاصكياً ونائباً وباشاً عدة سنين تزيد على عشرين سنة، وكان متجماً في مركبه وملبسه ومماليكه وسلاحه وبركه، وكان منهمكاً في اللذات، مسرفاً على نفسه، مع سلامة باطن على قاعدة أبناء جنسه التتار.

وكان كثير من الناس ينسبه إلى الظلم والعسف، وليس كذلك، إلا أنه كان شديداً على خدمه، ويحب إظهار الحرمة، فلذلك كان من لا يعرفه يقول في حقه ما يقول، ساعه الله وعفا عنه.

(١) في الأصل: «معزوزاً مكوراً».

(٢) راجع تر ٦ من حولية ٨٥٢ هـ.

(٣) في هامش «أ»: «حاشية: وكان أرسله الظاهر إلى ناحية البرلس لقياس أرضها، فقامس الأرض والزمال وظلم أهلها ظلماً فاحشاً، فاستمر - ساعه الله».

(٤) في «أ»: قليلاً.

(٨) وتوفي الطواشي صفي الدين جوهر التمرآزي الحبشي^(١) الخازندار - كان - ثم شيخ الخدام بالحرم النبوي - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام - في أواخر هذه السنة، وقدم خبر موته إلى القاهرة في ذِي الحجة.

وكان أصله من خدام الأمير تمتاز الظاهري^(٢) النائب، ثم رقي من بعده في الخدم حتى صار في الدولة الأشرفية جداراً كبيراً، واستمر على ذلك سنين إلى أن ولاه الملك الظاهر جقمق الخازندارية بعد موت الأمير جوهر القنقبائي، فباشر الخازندارية بتجمل مع الناس وحشمة، فلم تطل مدته وعزل بالأمير فيروز [٥٤] النوروزي الرومي^(٣) وصور، ثم أطلق بطلاً بالقاهرة مدة // وتولى مشيخة الحرم النبوي، فتوجه إلى المدينة الشريفة في سنة تسع وأربعين وأقام بها إلى أن توفي بعد أن ضعف أياماً قلائل في التاريخ المذكور.

وكان حبشي الجنس، مليح الشكل، وفيه كرم وحشمة مع تواضع، وله ذوق، ويحب سماع الطرب^(٤) وتعجبه الرقة والنكتة ويفهمها بسرعة، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ تر ٨٧١، المنهل الصافي

مج ٢ ق ٩ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٨ - ٥١٩، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٥١،
الدليل التام ق ٨٧ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ٨٢ تر ٣٢٠.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٢٤ تر ١٨٠٦، المنهل الصافي مج ٢
ق ٣٥٥ أ - ٣٥٦ ب، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣١٢ - ٣١٣، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦
ص ١٧٦ - ١٧٧ تر ٦٠٠.

(٣) له ترجمة في: المقرئزي. السلوك ج ٤ ص ٢٠١، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٤٩٧ تر ٩،
ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٢٥ تر ٧٨٧، المنهل الصافي ج ٤ ص ١٤٣ - ١٤٦
تر ٨٧٩، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٨٣ - ١٨٤، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢
ص ٢٩٦ - ٢٩٧ تر ٤٩٤، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٨ تر ١٥٦.

(٤) في «أ»: الطيب.

سنة إحدى وخمسين وثمانمائة

استهلت والسلطان والخليفة والقضاة بحالهم إلا قاضي القضاة الشافعي فإنه علم الدين صالح البلقيني، وولايته في أول السنة المذكورة، عوضاً عن قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر بحكم عزله، وأتابك العساكر الأمير إينال العلاني الناصري، وأمير سلاح تمتاز القرمشي الظاهري، وأمير مجلس جرباش الكرمي الظاهري المعروف بقاشق، والأمير آخور قراقجا الحسني الظاهري، وحاجب الحجاب تنبك البردبكي الظاهري، ورأس نوبة النوب ترمباي التمرغاوي، والدوادار قاني باي الجركسي، وبقية أمراء الألوف: ولد المقام الشريف المقام الفخري عثمان وأسنبغا الطياري وطوخ من تمتاز الناصري المعروف بيني بازق والشهابي أحمد بن علي بن إينال والطنبغا المعلم أمير ثمانين فارس، والأمير آخور الثاني جرباش المحمدي الناصري المعروف بكرت، ورأس نوبة ثاني جانبك القرماني الظاهري، والدوادار الثاني دولات باي المحمودي المؤيدي، والحاجب الثاني نوكار الناصري على إمرة عشرة ضعيفة، وهو ممن لا يؤبه إليه، وشاد الشراب خاناه يونس السيفي آقباي، والزردهكاش تغري برمش السيفي يشبك ابن أزدمر، ونائب قلعة الجبل تغري برمش الجلاي المؤيدي الفقيه، والخازندار قراجا الظاهري جقمق، والزماد والخازندار فيروز النوروزي الطواشي الرومي، ومقدم الممالك عبد اللطيف المنجكي العثماني، ونائبه جوهر النوروزي، ومباشرو الدولة: القاضي كمال الدين البارزي كاتب السر الشريف، ونائبه القاضي معين الدين عبد اللطيف بن العجمي، وناظر الجيوش المنصورة القاضي محب الدين محمد بن الأشقر، والوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب

[٥٥] المناخ، وناظر الخواص صاحب جمال الدين // يوسف بن كاتب جكم،
والأستادار زين الدين يحيى قريب ابن أبي الفرج، وناظر الإسطل السلطاني
برهان الدين إبراهيم الديري الحنفي، وكاتب الممالك فرج بن النحال.

نواب البلاد الشامية وغيرها: نائب الشام الأمير جلبان أمير آخور، ونائب
حلب الأمير قاني باي البهلوان الناصري، ونائب طرابلس الأمير برسباي من
هزة الناصري، ونائب حماه الأمير يشبك من جانبك المؤيدي الصوفي، ونائب
صفد الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي الأعرج، ونائب غزة الأمير يشبك
الحمزاوي، ونائب ملطية الأمير قانصوة النوروزي، ونائب الكرك الأمير حاج
إنال الحكمي، ونائب الإسكندرية الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي
المحتسب. وهؤلاء من يطلق عليهم ملك الأمراء. وأما بقية نواب القلاع
والبلدان فكثير.

ذكر ملوك الأقطار: وأمير مكة المشرفة السيد الشريف بركات بن حسن بن
عجلان، وأمير المدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - الشريف
أميان بن مانع بن علي الحسيني، وصاحب ينبع الشريف هلمان، وصاحب
هراة وغيرها من ممالك العجم القان معين الدين شاه رح بن تيمورلنك وجماعه
من أولاده وأحفاده على عدة ممالك، منهم صاحب سمرقند وغيرها القان سيف
الدين ألوغ بك بن القان معين الدين شاه رخ بن الطاغية تيمورلنك، ومتملك
أذربيجان وغيرها من ممالك العراق جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد،
وأصحاب ديار بكر جماعة من أولاد قرايلك، وأعظمهم حفيد قرايلك جهان
كير بن علي بك بن قرايلك، وصاحب برصا من بلاد الروم وغيرها خوندكار
مراد بك بن محمد بن أبي يزيد بن مراد بن عثمان، وصاحب لارنده وغيرها من
بلاد قرمان صارم الدين إبراهيم بن قرمان، وبجانب آخر من بلاد الروم الأمير
أسفنديار، ونائب أبلستين سليمان بن ناصر الدين بك محمد بن دلغادر،
وصاحب تونس وبجاية وسائر بلاد أفريقية السلطان أبو عمرو عثمان بن أبي
عبد الله محمد بن أبي فارس عبد العزيز بن أبي العباس أحمد الحفصي المغربي،
وباقى بلاد المغرب بأيدي عدة ملوك يطول الشرح في تسميتهم.

المحرم

أوله السبت. فيه ولى قاضي القضاة علم الدين صالح قضاء // الشافعية [٥٦] بالديار المصرية عوضاً عن الحافظ شهاب الدين ابن حجر حسبما ذكرناه. وفيه استقر السلطان الملك الظاهر جقمق بساقيه ومملوكه المتوجه إلى البلاد الحلبية قبل تاريخه آقبردي الساقى في نيابة قلعة حلب بعد عزل تغري بردي الجاركسي عنها، وتوجهه إلى دمشق.

وفيه - أيضاً - أنعم السلطان على الغرسي خليل بن شاهين الشيعي بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق بعد مسك الأمير قيز طوغان العلائي وحبسه بقلعة دمشق، بسبب ما وقع منه لما أحرق باب المدينة الشريفة لما توجه أمير حاج محمل دمشق لسبب من الأسباب.

وفيه - أيضاً - كان استقرار الأمير يشبك الحمزاوي - المتقدم ذكره - في نيابة غزة عوضاً عن الأمير حطط، ورسم بتوجه حطط إلى دمشق بطالا، وأنعم بإقطاع يشبك الحمزاوي وإمرته، وهي تقدم ألف بحلب على الأمير سودون من سيدي بك. الناصري المعروف بالقرماني، وأنعم بإقطاع سودون القرماني المذكور على الأمير علي باي الأشرفي، والإقطاع إمرة عشرة بالديار المصرية.

صفر

أوله الاثنين.

ففي يوم الأربعاء ثالثه، مات الأمير أيتمش من أزوباي المؤيدي آستادار الصحبة ، يأتي ذكره في آخر السنة عند ذكر من توفي فيها إن شاء الله (١).

وفي يوم الخميس رابعه أنعم السلطان الملك الظاهر جقمق على مملوكه سنقر الظاهري بوظيفة آستادارية الصحبة عوضاً عن أيتمش المذكور .

وفي يوم الاثنين ثامنه أخلع على الخواجا بدر الدين حسن ابن الخواجا شمس الدين محمد بن المزلق الدمشقي باستقراره في نظر جيش دمشق بعد عزل

(١) راجع ترا ١ من هذه الحولية.

موسى ابن جمال الدين الكركي عنها ، وتوجهه ثانيا إلى نظر جيش طرابلس .
وفي يوم الخميس حادي عشره ، فيه رسم السلطان بنفي الأمير تغري
برمش الجلالى الناصري المؤيدي الفقيه - نائب القلعة الشريفة بالديار
المصرية - إلى القدس الشريف ، وخرج من يومه ، واستقر الأمير يونس العلائي
الناصرى أحد أمراء العشرات في نيابة القلعة عوضه ، وأنعم بإقطاع تغري
برمش - المذكور - على شريكه الأمير جانبك النوروزي المعروف بنائب بعلبك
[٥٧] زيادة على إمرته ، ولبس يونس - المذكور - خلعة نيابة // القلعة في يوم الاثنين .

شهر ربيع الأول

أوله الثلاثاء .

في يوم الخميس ثالثه استقر السلطان بالأمير برسباي السيفي تنبك
البجاسي - أحد أمراء العشرات ورأس نوبة - في نيابة الإسكندرية بعد عزل
الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي عنها .

وفيه - أيضاً - أخلع السلطان على الأمير جانبك النوروزي - المقدم
ذكره - كاملية سمور ، باستقراره أمير حاج الرجبية ، ومقدم المماليك السلطانية
بمكة المشرفة .

وفي يوم الخميس عاشره ، استقر السلطان بالطنبغا مملوك الأمير طرباي في
حجوبية غزة على مال بذله علي بن توالي - وهذا اسم أعجمي غير لقبه ، بضم
التاء ثانية الحروف وفتح الواو بعدها ألف ولام مكسورة .

وفي يوم الجمعة حادي عشره استقر السلطان بالأمير بيبرس بن بقر في
مشيخة العربان على عادته بالوجه الشرقي من أعمال القاهرة ، واستقر - أيضاً -
بابن جمار في مشيخته - أيضاً - على عادته .

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه رسم السلطان بنقل الأمير برسباي
الناصرى من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب بعد موت الأمير قاني باي الأوبكري
الناصرى المعروف بالبهلوان ، وحلّ تقليده وتشريفه على يد الأمير قراجا
الظاهري الخازندار أحد أمراء العشرات .

وفيه استقر الأمير تنم من عد الرزاق المعزول عن نيابة الإسكندرية قبل تاريخه في نيابة حماه عوضاً عن الأمير يشبك الصوفي، وسفر الأمير لاجين الظاهري جقمق، فصالحه الأمير تنم - المذكور - على عدم سفره بثلاثة آلاف دينار.

شهر ربيع الآخر

أوله الخميس .

في يوم الثلاثاء سادسه ويوافقه سادس عشرين بؤنة أحد شهور القبط، فيه أخذ قاع النيل المبارك فجاءت القاعدة أحد عشر ذراعاً واثنى عشرة إصبعاً، وهذا شيء لم يعهد مثله .

وفي يوم الخميس ثامنه أخلع السلطان على الأمير سودون السودوني الظاهري برقوق أحد أمراء العشرات والحجاب، واستقر به حاجباً ثالثاً. وكان سودون - المذكور - قبل تاريخه قد ولي الحجوبية الثانية .

قلت : هذه درجة لأسفل .

وفي يوم الخميس خامس عشره أخلع السلطان علي الشيخ ولي الدين السفطي باستقراره قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية بعد عزل قاضي القضاة علم الدين // صالح البلقيني، مضافاً لما بيده من التدريس بقبة [٥٨] الشافعي، ومن نظر البيمارستان المنصوري ونظر الكسوة^(١) ووكالة بيت المال^(٢) ومشيوخه مدرسة جمال الدين الأستاذار^(٣) ونظرها، وغير ذلك من الوظائف الدينية

(١) نظر الكسوة: هو الإشراف على خزانة الخاص بما فيها من الديباج الملون على اختلاف ضروبه، والشراب الخاص، وغير ذلك من أنواع القماش، واللباس، وكذا الإشراف على صناعة كسوة الكعبة المشرفة .

راجع: القلقشندي . صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٢، ج ٤ ص ٥٤، ٥٨ .

(٢) وكالة بيت المال: وظيفة موضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترياته، والمعاقدة على ذلك، وما يجري هذا المجرى، لا يليها إلا أهل العلم والديانة، ومجلس متوليها في دار العدل، حيث يكون تارة دون المحتسب وتارة فوقه، بحسب رفعة قدر كل منهما في نفسه .

راجع: المصدر السابق ج ٤ ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) مدرسة جمال الدين الأستاذار: أنشأها الأمير «جمال الدين يوسف ألبيري» أستاذار «الناصر فرج» بالقاهرة، برحبة العيد، واكمل نظامها في الثالث من رجب سنة إحدى عشرة وثمانمائة، مرتباً =

والأنظار، وساءت سيرته، وسلك مع الناس طريقاً غير محمود من الخط على الفقهاء والترسيم عليهم، لا سيما المتحدثون على الأوقاف والمباشرون على الأوقاف، فإنهم قاسوا منه خطوباً ومحنًا.

وفي هذا الشهر أخلع السلطان علي أبي الخير النحاس واستقر به في وكالة بيت المال عوضاً عن قاضي القضاة ولي الدين السفطي، وهذا أول دخول السفطي وبداية أبي الخير النحاس، وما سيأتي له أعجب.

جمادى الأولى

أوله السبت. فيه برز المرسوم الشريف إلى دمشق باستقرار الأمير خيربك المؤيدي الأجروود أحد مقدمي الألف بدمشق في أتابكية عساكر دمشق، عوضاً عن الأمير إينال الششمانى الناصري بحكم وفاته، وأنعم بإقطاع خيربك المذكور على الأمير خشقدم الناصري المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بالديار المصرية.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره^(١) ويوافقه سابع مسرى أحد شهور القبط أوفي النيل المبارك ستة عشر ذراعاً، وركب المقام الفخري عثمان ابن الملك الظاهر جقمق من القلعة، ونزل بين يديه وجوه الدولة من الأمراء وغيرهم، وعدي النيل حتى خلق المقياس، وفتح خليج السد على العادة، وكان يوماً مشهوداً، والله در الشيخ كمال الدين ابن نباته^(٢) حيث يقول :

زادت أصابع نيلنا وطمت وطافت في البلاد
وأنت بكل مسرة ما ذي أصابع ذي أياد

[الكامل]

= فيها مدرسين على المذاهب الأربعة، ودرس تفسير، ودرس حديث. وتعرف الآن بزاوية الجمالي أو الجامع المعلق، وموقعها بين حارة القرافة وقصر التوبة في الجمالية. راجع المقرئزي. الخطط ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٣، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٩٩، السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٤٩١، علي مبارك. الخطط ج ٦ ص ٦.

(١) في هامش «أ» : «لعله ثامن عشر».

(٢) هو «جمال الدين ، أبو بكر، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن بن =

جمادى الآخرة

أوله، الاثنين.

في ثامنه أخلع السلطان على صاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة باستقراره في الوزارة بالديار المصرية عوضاً عن صاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ بحكم طول مرضه ولزومه الفراش.

شهر رجب

أوله الأربعاء.

ففي يوم الاثنين سابع عشرينه برز المرسوم الشريف على يد الأمير إينال أخي قشتم باستقرار الأمير تنم // من عبد الرزاق المؤيدي نائب حمه في نيابة [٥٩] حلب، عوضاً عن الأمير برسباي الناصري بحكم استعفائه عن نيابة حلب لتعلله وطلبه التوجه إلى دمشق بطلاً.

وفيه رسم بنقل الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج نائب صفد إلى نيابة حمه عوضاً عن تنم المذكور، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير يلغا الجاركسي أحد أمراء العشرات، رأس نوبة. ورسم باستقرار الأمير يشبك الحمزاوي نائب غزة في نيابة صفد عوضاً عن بيغوث المذكور، ورسم باستقرار الأمير طوغان العثماني حاجب حجاب حلب في نيابة غزة عوضاً عن يشبك الحمزاوي، واستقر في حجووية حلب الأمير جانبك المؤيدي المعروف بشيخ أحد أمراء طرابلس.

شعبان

أوله الخميس. فيه قدم الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة إلى الديار المصرية، ونزل الملك الظاهر إلى لقائه بمطعم الطير بالريدانية خارج

= صالح بن علي بن يحيى بن طاهر المصري، ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م.

له ترجمة في: الصفدي. الوافي ج ١ ص ٣١١ - ٣٣١ تر ١٩٩، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٢٢، ابن حجر. الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢١٦ - ٢٢٣ تر ٥٨٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي، ج ٢ ص ٧٠٠ تر ٣٩١، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٩٥ - ٩٧، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٧١ تر ٧٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٦ ص ٢١٢.

القاهرة، وبالع السلطان في إكرام بركات المذكور إلى الغاية؛ بحيث إنه لم يجلس إلا خارجاً عن مقعده إجلالاً لبركات المذكور، وقام إليه ومشى له خطوات واحتضنه وأجلسه بجانبه، ثم أخلع عليه وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وعاد مع السلطان إلى أن رسم له السلطان بالتوجه إلى محل أنزله به، ورتب له الرواتب السنية، وأكرمه غاية الإكرام.

شهر رمضان

أوله الجمعة.

ففي يوم الخميس سابعه خلع السلطان على الأمير بيسق اليشبيكي أحد أمراء العشرات بالقاهرة نيابة دمياط، بعد عزل الأمير بدخاص الظاهري عنها. وفي يوم الخميس رابع عشره أخلع السلطان على أبي الخير النحاس باستقراره في نظر الجوالي، عوضاً عن القاضي برهان الدين إبراهيم بن الديري الحنفي.

شوال

أوله الأحد.

ففي يوم الخميس خامسه تولى الأمير تمراز من بكتمر المؤيدي المصارع أحد أمراء العشرات نيابة القدس، بعد عزل الأمير خشقدم السيفي سودون من عبد الرحمن، فأقام مدة وتوجه إلى محل ولايته.

ذو القعدة

أوله الاثنين. فيه توفي الأمير إينال أخو قشتم المؤيدي أحد أمراء العشرات، وأنعم بإقطاعه على السيفي أسنباي الساقى الظاهري، وأنعم بسقاية أسنباي المذكور على السيفي جانم الظاهري.

[٦٠] // وفي يوم الأربعاء ثالثه برز المرسوم الشريف بحبس الأميرين المقيمين بالقدس الشريف، وهما شادبك الحكمي وإينال الأشرفي، فحبسا بقلعة صفد.

وفي يوم الخميس رابعه استقر قاضي القضاة ولي الدين السفطي في تدريس الشافعية بالمدرسة الصالحية والنظر على أوقافها، عوضاً عن شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين ابن حجر.

وفي يوم الاثنين ثامنه استقر شاهين الفقيه ساقياً عوضاً عن جكم المؤيدي لتغير خاطر السلطان عليه.

وفي يوم الخميس حادي عشره توفي العلامة تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي الشافعي بدمشق فجاءة ودفن من الغد. وكان أفقه أهل زمانه بمذهب الشافعي - رحمه الله^(١).

ذو الحجة

أوله الثلاثاء. فيه توفي الطواشي صفى الدين جوهر بن عبد الله المنجكي الحبشي نائب مقدم المماليك السلطانية فجاءة، ودفن من الغد، وهو صاحب المدرسة التي أنشأها تجاه القلعة على ما يأتي ذكره^(٢).

وفي يوم الخميس ثالثه حضر شخص من أهل مرصفا إلى القاهرة وأخبر أنه رأى الهلال ليلة الثلاثاء، فاضطرب الناس إضطراباً شديداً، فإنه كان غيم مطبق استمر من ابتداء ليلة الثلاثاء إلى يوم الخميس، فأراد قاضي قضاة الشافعية أن يأذن للرأي في أن يحكم بعلمه بثبوت الشهر، فأخبره شخص من نوابه أنه شاهد زور، وأنه كان منعه من تحمل الشهادة لما كان قاضياً بناحية مرصفا، فشوش القاضي على نائبه لإخباره بهذا الأمر، ثم أمر القاضي بتحصيل رجل آخر مثله حتى حضر شخص وأثبتته في يوم الجمعة الرابع منه، أن أوله الثلاثاء. كل ذلك حتى لا يكون عيد الأضحى يوم الجمعة، فإن أهل مصر تتشاءم بخطبتين في يوم واحد.

وفي يوم الخميس عاشره خلع على القاضي ولي الدين السفطي كاملية بفرو سمور عقيب خطبة العيد.

(١) راجع تر ٥ من هذه الحولية.

(٢) راجع تر ٦ من هذه الحولية..

وفي يوم الخميس سابع عشره وصل الشهابي أحمد بن نوروز الخضري شاد
الأغنام بالبلاد الشامية إلى القاهرة.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه وصل أزيك الساقى الظاهري مبشر الحاج-
وأخبر بالأمن والسلامة، وأن الوقفة كانت يوم الأربعاء.

وفي يوم السبت سادس عشرينه توفي القاضي عز الدين عبد الرحيم بن
الفرات الحنفي^(١).

[٦١] وفي // (يوم) الأربعاء سلخه طلع قاضي القضاة ولي الدين السفطي
بعشرة آلاف دينار إلى السلطان من حاصل البيمارستان المنصوري، وعرضها على
السلطان، فشكره على ذلك.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - (أعني) الماء القديم - إحدى عشرة ذراعاً واثني عشر
إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً.

* * *

(١) راجع تر ٧ من هذه الحولية.

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكرهم

(١) توفي الأمير سيف الدين أيتمش^(١) بن عبد الله من أزوياء الناصري فرج، ثم المؤيدي شيخ، أستاذار الصحبة في يوم الأربعاء ثالث صفر، وتولى استدارية الصحبة من بعده الأمير سنقر الظاهري^(٢)

أصله من كتابية الناصر فرج، ثم أعتقه الملك المؤيد شيخ وجعله من جملة الممالك السلطانية إلى أن صار خاصكياً بعد موته، واستمر على ذلك حتى تأمر عشرة في الدولة العزيزية يوسف، ثم صار في الدولة الظاهرية جقمق أستاذار الصحبة بعد مغلباي الجقمقي^(٣)، واستمر على ذلك إلى أن توفي.

وكان مسرفاً على نفسه، مسيكاً، لم يشهر بشجاعة ولا دين، عفا الله عنه.

(٢) وتوفي الأمير سيف الدين قاني باي الأبوبكري الناصري، المعروف بالبهلوان^(٤)، نائب حلب بها في شهر ربيع الأول من السنة، وتولى حلب عوضه الأمير

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٦٤ تر ٥٨٦، المنهل الصافي ج ٣ ص ١٤٢ - ١٤٣ تر ٥٨٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٨٩، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٤ تر ١٠٥٨، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٧.

(٢) هو «سنقر الظاهري»، المعروف بالعائق - راجع: ابن إياس. نفسه.

(٣) هو «مغلباي بن عبد الله الجقمقي، الأرغون شاوي»، ت ٨٤٤ هـ. له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٣٧ تر ٢٥١٥، المنهل الصافي ج ٣ ق ٢٤٦ ب - ٢٤٧ أ، السخاوي الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٥ تر ٦٧٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٤) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٣٠ تر ١٨١٩، المنهل الصافي ج ٣ =

كان أصل قاني باي - المذكور - من عماليك الملك الناصر فرج، وتنقل في الخدم بعد موت أستاذه بالطالع والنازل، وقاسى خطوب الدهر ألواناً إلى أن اتصل بخدمة الأمير ططر وحظي عنده، فلما تسلطن ططر أمره ورقاه حتى صار في الدولة الأشرفية برسبائي رأس نوبة ثانياً، ثم أمير مائة ومقدم ألف، ثم ولي نيابة ملطية مضافاً إلى تقدمته بالقاهرة، واستمر على ذلك إلى أن أخرج الملك الأشرف لإقطاعه - التقدمة التي بمصر - واستمر على نيابة ملطية إلى أن عزله وولاه أتابكية حلب، ثم نقل بعد موت الأمير تغري بردي المحمودي^(١) إلى أتابكية دمشق في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، ثم نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة صفد بعد الأمير إينال العلائي الناصري، ثم نقل إلى نيابة حماه، ثم إلى (نيابة) حلب [٦٢] بعد الأمير قاني باي الحمزاوي^(٢)، فباشرها إلى أن توفي / / بها في التاريخ المتقدم ذكره .

وكان في وسط الكهولية، وكان جليلاً حشياً مليح الشكل، متوسط السيرة، رحمه الله .

(٣) وتوفي الأمير سيف الدين إينال بن عبد الله الششمان^(٣) الناصري، أتابك عساكر دمشق في جمادى الأولى .

= ق ٦، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٠ - ٥٢١، السخاوي . التبر المسبوك ص ١٩٥ - ١٩٦، الدليل التام ق ٧٨ ب، الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٤ تر ٦٥٣

(١) هو «تغري بردي بن عبد الله المحمودي، الناصري فرج»، ت ٨٣٦ هـ / ١٤٣٣ م . له ترجمة في: المقرئزي . السلوك ج ٤ ص ٩٠٠، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٧ تر ٧٦١، المنهل الصافي ج ٤ ص ٥١ - ٥٤ تر ٧٦٣، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٧٩ - ١٨٠، الجوهري . نزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٢٦٨ تر ٧٢٥، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٩ تر ١٣٩ .

(٢) هو «سيف الدين، قاني باي بن عبد الله الحمزاوي»، أحد مماليك سودون الحمزاوي . ت ٨٦٣ هـ / ١٤٥٩ م .

له ترجمة في: ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٢٩ تر ١٨١٧، المنهل الصافي ج ٣ ق ٥، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٠١ - ٢٠٣، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٥ تر ٦٦١، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٥١ .

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ١٧٥ تر ٦٢٢، المنهل الصافي ج ٣ =

كان أصله من ممالك الملك الناصر فرج، وتأمر في أيام أستاذه المذكور، ثم امتحن من بعده وحبس سنين، ثم أطلق وتأمر - أيضاً - بعد موت الملك المؤيد شيخ وصار من جملة رءوس النوب في الدولة الأشرفية برسباي، ثم ولي حسبة القاهرة بعد قاضي القضاة بدر الدين العيني الحنفي، فباشر الحسبة سنين ثم عزل، وصار بعد مدة أمير الركب الأول مرة أخرى في سنة سبع وعشرين، ثم صار حج - أيضاً - قبلها أمير الركب الأول مرة أخرى في سنة سبع وعشرين، ثم صار أمير طبلخاناه وثاني رأس نوبة، ثم نقل إلى نيابة صفد فباشرها مدة وعزل، وتوجه أمير مائة ومقدم ألف بدمشق، فاستمر بدمشق على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى أتابكية دمشق بعد توجه الأمير قاني باي البهلوان إلى نيابة صفد، فاستمر أتابكاً إلى أن توفي بدمشق في التاريخ المذكور، وتولى أتابكية دمشق من بعده الأمير خير بك المؤيدي^(١).

وكان إينال - المذكور - متديناً، عفيفاً عن القاذورات، إلا أنه كان بخيلاً جباناً، رحمه الله تعالى.

(٤) وتوفي الأمير سيف الدين برسباي بن عبد الله من حمزة الناصري^(٢) نائب حلب في جمادي الآخرة بعدما استعفى من نيابة حلب وخرج منها، فمات في أثناء طريق دمشق.

أصله من ممالك الملك الناصر فرج، ثم انضاف إلى الأمير نوروز^(٣)

= ص ٢٠٧ - ٢٠٨ تر ٦٢٣، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٨٩، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٧ تر ١٠٧٨، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٨.

(١) راجع تر ٦ من حولية ٨٥٩ هـ.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٦ تر ٦٥١، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ تر ٦٥٢، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٢ - ٥٢٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٩١ - ١٩٢، الضوء اللامع ج ٣ ص ٧ تر ٣٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٩.

(٣) هو «سيف الدين، نوروز بن عبد الله الحافظي، الظاهري برقوق»، ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م. له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٦٢ - ٧٦٣ تر ٢٥٩٧، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٦٧ أ - ٢٦٩ ب، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٢٨ - ١٢٩، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٤٥ تر ٥٢٣، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ تر ٨٧١.

الحافظي بعد موت أستاذه، وصار من جملة أمراء دمشق إلى أن خرج نوروز عن طاعة الملك المؤيد شيخ، وافقه المذكور، فقبض عليه شيخ بعد القبض على نوروز وحبسه سنين، ثم أطلقه في أواخر دولته، وبقي بتلك البلاد إلى أن ولاه الملك الأشرف برسباني حجوية حجاب دمشق، فباشرها سنين وعظم فيها وضخم ونالته السعادة، وطالت أيامه في الحجوية إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة طرابلس بعد الأمير قاني باي الحمزاوي بحكم انتقال الحمزاوي [٦٣] إلى نيابة حلب بعد جلبان^(١) المنتقل إلى نيابة دمشق بعد موت الأمير // أقبغا التمرازي في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، فدام في نيابة طرابلس سنين، ونقل إلى نيابة حلب بعد موت قاني باي البهلوان، فلم تطل أيامه فيها، ومريض واستغفى، ومات في التاريخ المذكور.

وكان ديناً خيراً، عفيفاً، رحمه الله تعالى.

(٥) وتوفي قاضي القضاة تقي الدين ابن قاضي شهبة^(٢)، الدمشقي، الشافعي في ذي القعدة فجاءة بدمشق.

وكان عالم الشام بالفقه وفروعه بلا مدافعة.

ولي قضاء دمشق ودرس وأفتى سنين، وانتفع الناس به، وكتب وصنف التصانيف المفيدة، ومات ولم يخلف بعده مثله، رحمه الله.

(٦) وتوفي الأمير صفى الدين جوهر المنجكي الطواشي الحبشي^(٣) نائب

مقدم المماليك السلطانية.

(١) راجع تر ٣ من حولية ٨٥٩ هـ.

(٢) هو «أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب بن مشرف». له ترجمة في:

ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٨٩ - ١٩١، الذيل التام ق ٧٨ أ، الضوء اللامع ج ١١ ص ٢١ - ٢٤ تر ٦١.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافعي ج ١ ص ٢٥٥ تر ٨٧٢، المنهل الصافي مج ٢ ق ٩ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٣ - ٥٢٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٩٢، الذيل التام ق ٧٨ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ٨٥ تر ٣٣١.

كان أصله من خدام أولاد الأمير منجك اليوسفي^(١)، وتنقل في الخدم حتى ولاه الملك الظاهر جقمق نيابة مقدم الممالك السلطانية فحسنت حاله، وعمر مدرسته برأس سوقة منعم تجاه مصلاة المؤمني عمارة بالفقيري، ثم عزل عن نيابة المقدم بالصفوي جوهر النوروزي^(٢)، ودام بطلاً إلى أن توفي أول يوم من ذي الحجة فجاءة، ودفن من الغد .
وكان مطرح الكلفة قليل الحشمة، رحمه الله .

(٧) وتوفي القاضي المسند المعمر عز الدين، عبد الرحيم بن الفرات^(٣) أحد نواب الحكم الحنفية بالقاهرة، في يوم السبت سادس عشر ذي الحجة من السنة . ومات وقد انتهت إليه الرياسة في علو السند، لنا منه إجازة بجميع ما يجوز له وعنه روايته، رحمه الله تعالى .

* * *

(١) هو «سيف الدين، منجك بن عبد الله اليوسفي، الناصري محمد بن قلاوون»، ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م .

له ترجمة في: المقرئ. السلوك ج ٣ ص ٢٤٧، ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١ تر ٩٧، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٦٠ - ٣٦١ تر ٩٨٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٤٣ تر ٢٥٣٧، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٥١ أ - ٢٥٢ ب، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) هو «صفي الدين، جوهر النوروزي الحافظي، الحبشي» .
له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٥٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٨٥ - ٨٦ تر ٣٣٢ .

(٣) هو «أبو محمد، عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد» . له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤١٠ - ٤١١ تر ١٤١٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢١٦، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢٥٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٩٢ - ١٩٥، الذيل التام ق ٧٨ أ، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٨٦ - ١٨٨ تر ٤٧٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦١ .

سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة

استهلّت هذه السنة وجميع أرباب الدولة على حالهم كما تقدم ذكره .
المحرم

أوله الخميس . فيه ورد الخبر بمقتلة عظيمة في الصعيد بين الأمير إسماعيل الهواري وبين بني بكيران ولحيان وغيرهما ، وقتل فيها محمد أخو إسماعيل الهواري وغيره من أقاربه وأتباعه ، ثم حصل له النصر عليهم وقتل منهم نحو الخمسمائة ، وخلع على القاصد .

وفي يوم السبت ثالثه أمر السلطان بنفي قاضي حلب مجد الدين سالم الحنبلي إلى قوص لأجل أنه كان له على القاضي المالكي بحلب دين وأراد أن يتقاضاه منه ، فطلب المديون أن يضع من الدين شيئاً ، فامتنع رب الدين .

وفي يوم الأحد رابعه كانت مقدمة زين الدين يحيى الاستادار إل [٦٤] السلطان ، فكانت عدة // الخيول ستمائة فرس ، منها ستون مسروجة بسروج مغرقة ، ومنها ثلاثة بقماش ذهب عرقيتين زركش وكنبوش زركش ، ومنها نحو الثلاثين بسروج بلغاري .

وفي العشر الأول منه أنعم على الأمير يشبك طاز المؤيدي أحد أمراء دمشق بحجوبية طرابلس الكبرى عوضاً عن يشبك النوروزي .
وفي ليلة الخميس خامس عشره توفي الشيخ برهان الدين إبراهيم بن جعفر العثماني .

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه توفي الشيخ شهاب الدين الريشي .

وفيه وصل الركب الأول من الحجاج وأميره الأمير الطواشي عبد اللطيف العثماني مقدم الممالك.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه وصل أمير حاج المحمل الأمير تنبك البردبكي ببقية الحاج.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه لبس السلطان القماش الأبيض الصيفي .
وفي يوم السبت^(١) سادس عشرينه أمر بنفي الأمير قراجا العمري أحد مقدمي الألوف بدمشق إلى سيس ، وأنعم بإقطاعه على الأمير مازي الظاهري برقوق .

صفر

أوله الجمعة بمقتضى الرؤية .

ففي يوم الاثنين رابعه وصلت رعوس أناس من العرب العصاة ، أرسلها كاشف البهنساوية .

وفيه خرج الأمير تمرباي التمرغاوي رأس نوبة النوب إلى بلاد الصعيد وصحبته الأمير إسماعيل بن عمر الهواري ومائتا مملوك من الممالك السلطانية لقتال العرب الخارجين عن الطاعة من هواره .

وفي يوم الجمعة ثامنه ورد الخبر بأنه حصل بين الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي نائب حلب وبين أهل حلب تشويش وبعض قتال ورجم ، وعين بردبك التاجي لكشف هذا الخبر وتحريره .

وفي ليلة الثلاثاء ثالث عشره توفي الأمير أقطوة الموساوي الظاهري وصلي عليه من الغد .

وفي يوم السبت سادس عشره وصل الأمير جلبان نائب دمشق إلى القاهرة ونزل بالميدان .

وفي ليلة الأحد سابع عشره توفي الشيخ زين الدين عبد الرحمن السنديسي .

(١) في هامش «أ» : «لعله الاثنين» .

وفي الثلاثاء سادس عشرينه وصل السيد الشريف إميان أمير المدينة الشريفة وطلع إلى السلطان، فنزل له السلطان من على الدكة ومشى إليه [٦٥] خطوات يسيرة، وأكرمه وأخلع عليه وأركبه // من الحوش السلطاني .

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه رسم بإطلاق الأمير قيز طوغان من حبسه بقلعة دمشق بشفاعه نائب الشام، ورسم - أيضاً - بمجيء كسباي المؤيدي الدوادار من طرابلس إلى القاهرة بشفاعه الأمير جرباش الكريمي أمير مجلس .

وفي العشر الأخير منه توفي الأمير أسنباي الظاهري برقوق الزردكاش وفرق إقطاعه .

شهر ربيع الأول

أوله الأحد . فيه رسم بتبقيّة الأمير قيز طوغان في الحبس، وردت المراسيم التي كتبت بإطلاقه .

وفي يوم الاثنين ثانيه عاد الأمير جلبان نائب الشام إلى محل كفالتة .
وفي يوم الثلاثاء ثالثه عزل الأمير عبد اللطيف مقدم الممالك السلطانية بسبب أن السلطان طلب الممالك الأجلاب ليفرق عليهم رماح اللعب فامتنعوا .

وفيه ورد الخبر من الأمير تمرباي بأن العرب بالوجه القبلي دخلوا تحت طاعة السلطان ولبسوا الخلع ، وأن العرب العاصية ومن تابعهم فروا ونزحوا عن البلاد .

وفي يوم الأربعاء رابعه كتب جواب تمرباي بأن يقيم هو ومن معه إلى أن يرد عليه المرسوم الشريف بالحضور .

وفي يوم الخميس خامسه ولى الأمير جوهر النوروزي نائب مقدم الممالك تقدمه الممالك السلطانية عوضاً عن عبد اللطيف العثماني، واستقر عوضه في نيابة المقدم الأمير مرجان العادلي الحمودي .

وفي ليلة الأحد ثامنه نقب سجن الرحبة وهرب بعض المحبوسين، فمسك البعض وفاز البعض .

وفي السبت حادي عشرينه ولي أبو الخير النحاس نظر الكسوة عوضاً عن قاضي القضاة ولي الدين السفطي .

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه عزل شيخ الإسلام قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري نفسه عن القضاء، ثم أعيد في يوم الاثنين ثالث عشرينه .

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين . فيه رسم بنفي سنقر الظاهري جقمق الخازندار إلى طرابلس .

وفي يوم الأربعاء ثالثه عزل قاضي القضاة ولي الدين السفطي من قضاء الشافعية .

وفيه شفع في سنقر - المذكور - وأعيد إلى ما كان عليه .

وفي يوم الخميس رابعه ولي برهان الدين إبراهيم بن ظهير نظر الإسطنبول عوضاً عن القاضي برهان الدين إبراهيم بن الديري // واستقر بدر الدين ولد [٦٦] ابن ظهير في نظر الزردخاناه عوضاً عن والده برهان الدين المذكور .

وفيه وصل الأمير تمرباي رأس نوبة النوب من بلاد الصعيد بطلب وأخلع عليه، وحضر صحبتته الأمير إسماعيل بن عمر الهواري .

وفيه ولي الشيخ يحيى المناوي تدريس الشافعي عوضاً عن ولي الدين السفطي .

وفي يوم السبت سادسه أمر السلطان بحضور شمس الدين الكاتب إلى المدرسة الصالحية ليدعي عليه بأنه وقع في حق الإمام الشافعي - رضي الله عنه - وغير ذلك، فأحضر، وادعى عليه عند القاضي ناصر الدين ابن المخلطة المالكي، وثبت عنده ما نسبته إلى الغزالي، فأمر القاضي بكشف رأسه وسجنه وذهابه إلى السجن ماشياً .

وفي يوم الأحد سابعه طلب حافظ العصر شهاب الدين ابن حجر وأعيد إلى قضاء الشافعية ومشيخة الخانقاه البيبرسية والنظر على أوقافها بعد عزل القاضي ولي الدين السفطي .

وفي يوم الاثنين ثامنه لبس ابن حجر تشریف الولاية، ونزل إلى الصالحية.

وفيه خلع على الأمير إينال العلاني الأتابكي فوقاني بطرز ذهب بنظر البيمارستان المنصوري على العادة.

وفيه أُخرج شمس الدين الكاتب من السجن وأمر بنفيه إلى حلب.

وفي يوم الثلاثاء تاسعه لبس الشيخ يحيى المناوي خلعة تدريس الشافعي وتوجه إلى هناك ودرس.

وفيه أُعيد شمس الدين الكاتب إلى السجن بسبب أنه ادعى عليه أنه وقع في حق النبي ﷺ.

وفي يوم الأربعاء عاشره نزل نقيب الجيش محمد بن أبي الفرج إلى السجن وأخذ شمس الدين الكاتب وتوجه به إلى الجامع المؤيدي لسماع الدعوى عند قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري الحنفي.

وفي يوم الخميس حادي عشره لبس أبو الخير النحاس 'نظر البيمارستان المنصوري عوضاً عن ولي الدين السفطي .

وفيه أخلع على زين الدين يحيى الأستاذار كاملية بسمور على عادته، وعلى عبد الله الكاشف بالوجه الشرقي فوقاني باستمراره .

وفي يوم السبت ثالث عشره رسم بأن يتوجه شمس الدين الكاتب إلى منزله ويقيم عشرة أيام يتهيأ فيها إلى التوجه للقدس الشريف ليقيم به .

وفي يوم الأحد رابع عشره رسم بأن يتوجه الشهابي أحمد الكاشف إلى دمشق ويقيم بها .

[٦٧] وفيه ورد الخبر بأنه حصل بين // نائب القدس الأمير تمتاز البكتمري

المؤيدي المصارع وبين الناظر أمين الدين عبد الرحمن بن الديري قتال عظيم بآلة الحرب بسبب أبي طبر، وبرز الأمر السلطاني بالكشف عن ذلك على يد السيافي كزل القردمي .

وفي يوم الاثنين لبس القاضي ولي الدين السفطي كاملية أخضر بسمور

بعد أن حمل خمسة آلاف وخمسمائة دينار، بسبب أنه ادعى عليه أنه تناولها من وقف الكسوة لما كان ناظراً على أوقافها.

وفي الثلاثاء سادس عشره لبس الشيخ على المحتسب كاملية خضراء بسمور ، خلعة الاستمرار على وظيفة الحسبة .
وفيه رسم بأن يقيم شمس الدين الكاتب بالقاهرة ، وأعيد له ما كان بيده .

وفي يوم الأربعاء سابع عشره طلع قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر إلى القلعة ولبس خلعته على العادة ، ومعه القضاة والفقهاء .
وفي يوم الخميس ثامن عشره لبس الأمير دولاب باي الدوادار الثاني كاملية بسمور بنظر الخانقاه البيبرسية .
وفي يوم الجمعة تاسع عشره حضر شهاب الدين أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين القاياتي مشيخة البيبرسية .
وفيه سافر أحمد الكاشف إلى دمشق .
وفي يوم الأحد حادي عشره توفي الصاحب كريم الدين عبد الكريم معزولاً .

وفي يوم الاثنين ثاني عشره عزل الأمير تمتاز البكتمري المصارع من نيابة القدس ، وعين أسنبغا الكلبكي ، ثم تغير ذلك لعدم أهلية أسنبغا المذكور ، ووقع القرار بالتربص حتى يحضر كزل المتوجه لكشف الخبر .

وفي يوم الجمعة سادس عشره توفيت سورباي الجاركسية^(١) - حظية السلطان الملك الظاهر جقمق - ببولاق بعد أن أقامت أياماً للنزهة لما طال مرضها ، ودفنت من الغد . وكانت جنازتها حافلة ، مشى فيها الأمراء المقدمون الألوف وغيرهم من بولاق إلى مصلى المؤمني ، وصلى عليها السلطان ، وأسف عليها أسفاً عظيماً ، ودفنت بتربة الأمير قاني باي الجاركسي تحت القلعة بجوار دار الضيافة .

(١) في هامش «أ» : «بالبربخية ببولاق» .

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه وصل جانم الدوادار المعروف بخمسمائه من سفره بدمشق إلى القاهرة - انتهى .

جمادى الأولى

أوله الأربعاء .

ففي يوم الخميس ثانيه ولي قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر تدريس الشافعية بالمدرسة الصالحية والنظر على أوقافها .

وفي يوم السبت رابعه عقد مجلس للقاضي بدر الدين محمود بن عبيد الله الحنفي بين يدي السلطان، وادعى عليه بأن شخصاً كان يقرأ في كتاب رياض الصالحين للنووي فيما يتعلق بالبعث وكيفياته، فقال: هل يصح هذا؟ أو: لا يصح. وفوض أمره للقاضي الحنبلي، فشهد عليه أربعة، منهم محجون أحمد بن فرج بن أزدمر، والأمير تغري برمش الزردكاش // وجدد القاضي إسلامه [٦٨] وحقن دمه .

وفيه تحولت خوند الكبرى مغل بنت البارزي من القاعة الكبرى إلى البربرية، وأخبر السلطان أنه طلقها من نحو الثمانية أشهر، وذكر أنها كانت السبب لقتل سورباي بالسحر .
قلت: وحاشاها من ذلك - انتهى .

وفي يوم الأحد خامسه ولي عظيم الدولة القاضي كمال الدين البارزي كاتب السر الشريف نظر الخانقاه الجمالية^(١) شريكاً لسارة بنت الواقف، عوضاً عن السفطي .

وفي يوم الخميس تاسعه ولي أبو عبد الله البيدمري قضاء المالكية بدمشق عوضاً عن شهاب الدين أحمد التلمساني .

(١) المدرسة الجمالية: أنشأها الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي، وجعلها مدرسة للحنفية، و خانقاه للصوفية، وتقع بين حارة الفراخة وقصر الشوك .
راجع: المقرئزي . الخطط ج ٢ ص ٣٩٢ - ٣٩٣، علي مبارك . الخطط ج ٦ ص ٥٠ .

وفي يوم السبت حادي عشره ورد الخبر بوفاة شاهين الدوادار السيفي طوغان نائب قلعة دمشق، وعينّ العلاء علي بن عبد الله الزردكاش للحوطة على موجوده .

وفيه وصل كزل القردمي المتوجه للكشف عن ما يتعلق بنائب القدس وعلى يده محضر بما وقع بينهما .

وفي يوم السبت ثامن عشره وصل أمين الدين عبد الرحمن بن الديري منفصلاً، واستمر تمتاز على نيابة القدس .

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه ولي شمس الدين الحموي الموقع نظر القدس عوضاً عن القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الديري .

وفي يوم الاثنين سابع عشرينه ولي الأمير قاني باي الحمزاوي نيابة حلب عوضاً عن الأمير تنم بحكم عزله وقدمه إلى القاهرة على إقطاع قاني باي المذكور، وسفر قاني باي الحمزاوي الأمير يونس نائب قلعة الجبل، فصالحه السلطان عن قاني باي المذكور .

وفيه استقر الأمير بيسق الشبكي أحد أمراء العشرات بالقاهرة في نيابة قلعة دمشق بعد موت شاهين الطوغان، وفرق السلطان إقطاع بيسق على كسباي المجنون المؤيدي الدوادار وغيره .

وفي يوم الأربعاء عشرينه، الموافق لسادس مسرى أحد شهور القبط أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الفخري عثمان لفتح الخليج وتخليق المقياس على العادة . وكانت القاعدة في هذه السنة ستة أذرع وثمانية عشر إصبعاً على ما سيأتي ذكره، والله در الشيخ برهان الدين القيراطي^(١) حيث يقول:

(١) هو «برهان الدين، إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر»، ت ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م .
له ترجمة في: التقي الفاسي . العقد الثمين ج ٣ ص ٢١٧ - ١٢٩ تر ٧٠٢، المقرزي . السلوك ج ٣ ص ٣٧٤، ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ٢٠٠ - ٢٠١ تر ٨٠، الدرر الكامنة ج ١ ص ٣١ تر ٧٧، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ١٨ تر ٤٠، المنهل الصافي ج ١ ص ٨٩ =

[٦٩] // يجري لنا ماض ومستقبلا لا أوقف الله له حالا
و حاله الماشي ما حالا
[السريع]

وفي يوم الخميس سلخه لبس الأمير يلبغا (خلعة) نيابة ثغرد دمياط عوضا
عن بيسق اليشبيكي .

جمادى الآخرة

أوله الجمعة .

ففي يوم الأربعاء سادسه وصل الأمير جانبك الظاهري شاد بندر جده إلى
القاهرة .

وفي يوم الخميس سابعه توفي الناصري محمد بن أمير على نديم السلطان .
وفي يوم الاثنين حادي عشره برز الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب
إلى محل كفالته .

وفي يوم الخميس حادي عشرينه لبس تقي الدين ابن عز الدين الصيرفي
(خلعة) قضاء الشافعية بطرابلس .

وفيه وصل محب الدين ابن الشحنة قاضي حلب إلى القاهرة .

وفي السبت ثالث عشرينه طلع ابن الشحنة إلى السلطان وخلع عليه كاملية
بسمور .

وفيه - أيضاً - خلع على القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الديري كاملية
بسمور .

= ٩٥ تر ٤١ ، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٥٥ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٧٢ تر ٨٠ ،
ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

وفيه تغير خاطر السلطان على شخص يدعى أسد الدين الكيماوي لطول مدة عمله ولم يظهر له نتيجة، وأمر السلطان بإطلاق التاجر ابن شمس وخلاصه منه.

وكان من أمر الكيماوي وابن شمس، أن الكيماوي كان قد نصب على ابن شمس - المذكور - وأخذ منه جملاً مستكثرة، ثم كتب عليه مسطوراً بألفي دينار، فلما وقع بينهما طالبه الكيماوي بألفي دينار وطلع به بعض المناحيس إلى السلطان وقال عنه إنه يعمل الكيمياء، فغضب السلطان الطمع واحتاج أنه يسمع مقالته، فأول ما حكم في ابن شمس المذكور، ومشى له ذلك، وأمر الكيماوي مع ابن شمس يطول الشرح في ذكره، فلما سمع السلطان كلام الكيماوي وظن أنه يحسن ما ذكره من عمل الكيمياء رسم على ابن شمس حتى أخذ منه لأسد الدين الألفي دينار، وأخلى له مكاناً يعمل فيه الكيمياء، وصار أسد الدين يحكم في السلطان وفي حواشيه بعدما كان يحكم في ابن شمس، ومن جملة حكمه أنه قال: لأي شيء أعيان مباشري الدولة ما تتردد إليّ في مكاني؟ فأمرهم السلطان بالتوجه إليه، فتوجه الجميع إليه، وجلسوا بين يديه، فكلّمهم بتعاضم زائد إلى الغاية، وصار لا يتكلم معهم إلاّ بترجمان.

ولما أخذ من ابن شمس الألفي دينار بلغه عن ابن شمس أنه قال: عن قريب يظهر للسلطان كذب أسد الدين. فقال أسد الدين: ما أعمل شيئاً حتى ينفي ابن شمس إلى القدس.

وكان وقع له مع ابن شمس // ما يشبه هذه القضية، وهو أن امرأة ابن شمس قالت لزوجها ابن شمس: والله، هذا يكذب، ولو كان هذا يعرف علم الكيمياء لكان سيداً غنياً ولا يحتاج إلى أحد. فبلغ الكيماوي كلام المرأة، فقال لابن شمس: لا أعمل لك شيئاً حتى تطلق زوجتك. فتوقف ابن شمس عن طلاق زوجته، فقالت له زوجته: طلقني ولا تخلي له عذراً، فطلقها.

ولما أخرج ابن شمس إلى القدس وهلال الأمر على السلطان، وبلغه ما فعل أسد الدين بابن شمس تحقق أنه كاذب، وأنه لا يحسن شيئاً، ولكنه صار يتتبع كلامه.

وفي الجمعة ثاني عشرينه 'أمر بسد باب جسر بشباي المطل على بركة الرطلي، وأن يتقل السكان منه، وتوجه نائب الوالي إلى هناك مع ظلمته، وحصل للناس بذلك تشويش كبير، وبعض نهب، وهدم آلات الحوانيت التي بالجسر.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه توفيت ست الملوك بنت الملك الظاهر ططر، زوجة يشبك الأتابكي، ودفنت من الغد.

وفي يوم الأحد رابع عشرينه عزل تمتاز المصارع عن نيابة القدس وأمر بنفيه إلى دمشق، ثم شفع فيه وأعيد بعد أيام، وأنعم بإقطاعه الذي بالقاهرة على السيفي أزيك من ططخ الساقي، وصار من جملة أمراء العشرات، واستقر بخشقدم السيفي سودون من عبد الرحمن في نيابة القدس عوضاً عن تمتاز، واستقر إينال الخاصكي ساقياً عوضاً عن أزيك المذكور.

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه عزل الحافظ شهاب الدين ابن حجر عن قضاء الشافعية.

وفيه نودي بسكنى جسر بشباي وفتح بابه على العادة.
وفيه نودي على الفلوس أن الرطل يكون بستة وثلاثين درهماً.
وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه ولي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني القضاء عوضاً عن ابن حجر.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه كسفت الشمس من قبيل الظهر إلى بعد الزوال بنحو ثلاثين درجة، وصلى للكسوف بالجامع الازهر.

شهر رجب

أوله السبت.

ففي يوم الاثنين ثالثه رسم بإطلاق الأمير إينال الأبو بكري الأشرفي من [٧١] حبس صفد وتوجهه إلى القدس // بطالاً.

وفيه وقت العصر توفي الشيخ زين الدين رضوان مستملي الحديث، ودفن من الغد

وفي يوم الأربعاء خامسه منع السفطي من طلوع القلعة والاجتماع بالسلطان .

وفي يوم الاثنين عاشره لبس القاضي كمال الدين البارزي - كاتب السر - كاملية بسمور .

وفي يوم الخميس ثالث عشره رسم بتوجه القاضي ولي الدين السفطي إلى بيت قاضي القضاة الحنفي للدعوي عليه ، فتوجه إلى القاضي ، وادعى عليه بحقوق كثيرة شرعية ، فحلف ثلاثة أيمان واعترف بالبعض ، ثم نقل إلى قاضي القضاة المالكي وادعى عليه بين يديّ المالكي بدين فصالح المدعي على ثلاثمائة دينار .

وفي يوم الجمعة تحوّلت خوند بنت الأمير جرباش إلى قاعة العواميد الكبرى عوضاً عن بنت البارزي .

وفيه منعت اليهود والنصارى من طب أبدان المسلمين .
وفي يوم السبت ثاني عشرينه لبس صاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم كاملية بسمور بسبب الجسور .

وفيه لبس القاضي بدر الدين ابن قاضي بعلبك (خلعة) نظر جيش صفد عوضاً عن ابن القف .
وفيه عزل الشيخ ولي الدين السفطي من مشيخة الجمالية ودرس التفسير بها .

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه رسم بمجيء السفطي إلى بيت قاضي القضاة الشافعي لأن يدعي عليه الزيني قاسم الكاشف بسبب حمامه التي بباب الخرق ، التي كان أخذها منه السفطي ، فحضر وادعى عليه بأنها وقف ، وأن الشراء لم يصادف محلاً ، وأنه أكرهه على تعاطي البيع ، وخرج على إثبات ذلك .
ولما خرج السفطي من بيت القاضي عارضه شخص آخر ومسكه وادعى عليه أنه غصب منه خشباً وغيره ، فأنكر السفطي ، فطلب تحليفه والتغليظ عليه .

‘ وفيه طلع أسد الدين الكيماوي إلى السلطان وأكرمه السلطان ، وذكر أنه

صديق فيما ادعاه، وأنه يفعله سريعاً. وكذب والله الذي لا إله إلا هو.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه أعيد السفطي إلى مشيخة الجمالية ودرس التفسير بها، وحضر.

وفيه لبس زين الدين يحيى الأستاذار كاملية بسمور.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه أمر السلطان الأمير ناصر الدين ابن أبي الفرج نقيب الجيش أن يأخذ السفطي ويذهب // به إلى بيت قاضي القضاة الشافعي لسماع بيعة الإكراه منه لقاسم الكاشف في بيع الحمام، فتوجه السفطي وذكر أن له دافعاً، وخرج ليبيديه.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه تولى أبو الخير النحاس نظر المواريث المتعلقة بالوزير.

وفي يوم الأحد سلخه بعد العصر برز المرسوم الشريف على لسان قاني بك السيفي يشبك بن أزدمر الدوادار إلى ولي الدين السفطي بتوجهه إلى حبس المقشرة، فأخذ المذكور وذهب به إلى حبس المقشرة، فحبس بها مع أرباب الجرائم، ولو ظفر به العوام يومئذ لقتلوه في الطريق قبل أن يصل إلى المقشرة.

وذلك بسبب امتناعه من التوجه إلى بيت قاضي القضاة الشافعي لما طلبه ليعذر فيما قامت به البيعة بسبب حمام قاسم الكاشف، كل ذلك وهو يعاند ويعتذر.

ومن لطيف ما وقع له لما دخل إلى حبس المقشرة ودام به، دخل إليه بعض الناس وخاطبه بـ : «يا مولانا قاضي القضاة». فقال له السفطي بعدما استغاث : «تقول لي قاضي القضاة؟ قل : يا لص، يا حرامي، يا مقشراوي». فقال له المتكلم : المرسوم مرسومك. (يا لص، يا حرامي، يا مقشراوي) (١)

(١) ساقط من الأصل، مثبت من النجوم الزاهرة للمؤلف ج ١٥ ص ٣٨٥.

أوله الاثنين.

فيه وصل الأمير تنم المؤيدي نائب حلب - كان - إلى القاهرة، وطلع إلى السلطان، فأخلع عليه وأجلسه تحت أمير سلاح فوق بقية الأمراء، وأنعم عليه بإقطاع الأمير قاني باي الحمزاوي، وأنعم عليه بفرس بسرج ذهب وكنبوش زركش.

وفيه أخرج ولي الدين السفطي من حبس المقشرة، وذهب ماشياً إلى بيت قاضي القضاة الشافعي حسب المرسوم الشريف، ثم توجه راكباً إلى المدرسة الصالحية، وحضر قاضي القضاة، ولم يفصل أمر لعدم حضور الشيخ علاء الدين القلقشندي ومن عين معه من الشافعية لحضور المجلس.

وفيه توفي الشيخ أبو الفتح ابن وفاء، وصلى عليه بجامع عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ودفن بزاويتهم بالقرافة^(١).

وفيه صلى على برهان الدين العرياني^(٢) بالجامع الأزهر، ودفن. وكان قد غرق آخر يوم الأربعاء سادس عشرين شهر رجب بمعدية فريج، وظهر يوم الثلاثاء بالسماسم بالقرب من خانقاه سرياقوس، ودفن هناك، فتوجه أقاربه وأتوا به إلى القاهرة // وقد انتفخ انتفاخاً زائداً وتغيرت رائحته - رحمه الله تعالى. [٧٣]

وفي يوم الثلاثاء ثانيه أطلق السفطي من الترسيم والإقامة بقبة الصالحية، وأمر بتوجهه إلى بيته وبتبقيته حكم القاضي الحنفي له بصحة بيع الحمام.

وفيه أعيد إلى الوزير نظر المواريث المتعلقة به التي كان قد أخذها أبو الخير النحاس، وكذا نظر السواقي التي كانت بيد النحاس.

(١) زاوية آل أبي الوفاء، أو جامع السادات الوفائية: تقع في سفح المقطم، شرقي جامع الإمام الشافعي.

راجع بشأنها: علي مبارك. الخطط ج ٥ ص ١٣٨ - ١٤٦.

(٢) هو «أبو الوفاء، إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد بن القاسم بن صالح بن هاشم». له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٢٦ - ٢٢٧، الضوء اللامع ج ١ ص ٧٠ - ٧١.

وفي يوم الاثنين برز المرسوم الشريف إلى قاضي القضاة بدر الدين الحنبلي بطلب ولي الدين السفطي والترسيم عليه، وسماع الدعوى عليه بسبب الحمامين والفرن والدكاكين التي بحارة زويلة، فإنه ظهر أنهم وقف على المدرسة الطيرسية^(١).

وفي يوم الخميس حادي عشره لبس الوزير كاملية مخمل أحمر بسمور بسبب المواريث والسواقي.

وفي يوم السبت ثالث عشره رسم بتوجه ولي الدين السفطي إلى حبس المقشرة ثانياً بسبب الدكاكين والحمامين التي بحارة زويلة، ثم شفع فيه، ووجد في كتاب وقف الطيرسية المتصل بثبوته، أنهم من جملة أوقاف الطيرسية.

وفي يوم الأحد رابع عشره توفي أحمد بن نوروز شاد الأغنام، وأنعم بإقطاعه على سيدي أحمد ولد المقام الشريف من بنت السلطان مراد بك بن عثمان سلطان الروم، واستقر مكانه أمير الركب الأول قانم من صفر خجا المؤيدي المعروف بالتاجر.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره ضرب شهاب الدين أحمد المدني، الذي ادعى أنه وكيل السلطان بين يدي قاضي القضاة المالكي بالمدرسة الصالحية ما يزيد على مائة سوط، وجعل في رقبتة زنجير، وحبس بحبس الديلم، بسبب ما ادعى به على شمس الدين الكاتب، ولم يثبت عليه شيء، وذلك في مجلس القاضي ناصر الدين ابن المخلطة، بحضور قاضي القضاة المالكي كما ذكرناه. وما ربك بظلام للعبيد.

وفيه حصل مطر عظيم، ونزلت صاعقة قتلت شخصاً من الأجناد بزرية قوصون بساحل جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطانية.

(١) المدرسة الطيرسية: أنشأها سنة تسع وسبعمائة بجوار الجامع الأزهر «علاء الدين طيرس» - الخازندار، نقيب الجيوش، وجعلها مسجداً، زيادة في الجامع الأزهر، مقررأ بها درساً للشافعية وإماماً راتباً، وقد جعل لها خزانة كتب، وميضأة، وحوض ماء سبيل، وبسط منقوشة. راجع: المقرئزي. الخطط ج ٢ ص ٣٨٣، علي مبارك. الخطط ج ٦ ص ٩.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره لبس السلطان القماش الصوف الملون - أعني قماش الشتاء - وألبس الأمراء على العادة.

وفي يوم الأحد حادي عشرينه عقد مجلس بين يدي السلطان بالقاضي الشافعي والشيخ علاء الدين القلقشندي والشيخ شرف الدين يحيى // المناوي [٧٤] وبعض جماعة من علماء الشافعية بسبب الخطيب جمال الدين عبد الله بن جماعة المقدسي شيخ الصلاحية بالقدس، لما قيل: إنه غير أهل للتدريس، وإنه كتب على فتاوى كثيرة غلطاً. وسبب ذلك كله السراج الحمصي، فإنه سأل إحصاره والمناظرة معه، فحضر الجماعة المذكورون والخطيب وتأخر الحمصي عن الحضور، فغضب السلطان على الحمصي، وأبقى الخطابة مع ابن جماعة المذكور، وأمر بأن لا يمكن الحمصي من الطلوع إلى القلعة.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه أمر السلطان بأن يجعل ابن النويري القاضي بحلب قبل تاريخه في الحديد، ويتوجه إلى حلب بسبب دعوى ابن النصيبي^(١) عليه.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه عزل بدر الدين ابن قاضي بعلبك من نظر صفد واستقر ابن القف على عادته .

وفي يوم السبت سابع عشرينه ادعى على الشيخ ولي الدين السفطي بمجلس القاضي ناصر الدين ابن المخلطة المالكي بحضور قاضي القضاة الحنبلي بسبب الحمامين وما معهما، وخرج على الاعتذار بأن يبين الناقل عن الوقفية.

وفي يوم الأحد ثامن عشرينه لبس الخطيب جمال الدين ابن جماعة - شيخ الصلاحية - خلعة الاستمرار، وتوجه في يوم الثلاثاء سلخه إلى القدس.

(١) هو «شرف الدين، أبو بكر بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن أحمد الحلبي الشافعي، ت ٨٦٣ هـ / ١٤٥٩ م.

له ترجمة في السخاوي . الضوء اللامع ج ١١ ص ٨٦ - ٨٧ تر ٢٢٩ .

شهر رمضان

أوله الأربعاء.

فيه وصل البدري حسن بن المزلق ناظر جيش دمشق إلى القاهرة.
وفيه حضر السفطي وغرباؤه والقاضي ناصر الدين ابن المخلطة عند
القاضي الحنبلي، وانفصل المجلس على غير طائل، وادعى السفطي أن السلطان
رسم بأن لا يدعي عليه عند ابن المخلطة، وكان ذلك غير صحيح. ثم صالح
جهة الوقف بألف دينار.

وفي يوم الجمعة ثالثه توفي الأمير تغري برمش الفقيه بالقدس الشريف
بالتعاون بطلاً.

وفي يوم السبت رابعه لبس ولي الدين السفطي كاملية بسمور، وحمل
أربعة آلاف دينار.

وفيه أراد المماليك الجلبان إيقاع فعل بالاستادار ونهب بيته، ففطن لها
الاستادار، فأقام بالدهيشة^(١) ولم ينزل إلى بيته، وأرسل سريعاً حول جميع ما
في داره وقفل دروبه.

ثم إن السلطان أرسل خلف قانصوة، وخلف جماعة، وضرب السلطان
[٧٥] // قانصوة بالتمجاة^(٢) لأنه كان وقع بينه وبين الاستادار مشاجرة بسبب فلاحينه،
ثم أصلح بينهما، وألبس قانصوة سلاري سمور. « فيا نفس، جدي إن دراك
هازل ».

ولما لبس قانصوة السلاري^(٣) توجه إلى المماليك الجلبان ليرجعهم عن

(١) الدهيشة: قاعة كبيرة مرتفعة البناء، كانت مفروشة بأنواع البسط والمقاعد الزركش، بناها الملك
الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون سنة خمس وأربعين وسبعمئة، وبلغ
مصرفها خمسمائة ألف درهم، سوى ما قدم من دمشق وحلب وغيرها من مستلزمات البناء.
راجع: المقرئزي. السلوك ج ٢ ص ٢١٢، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٨٩-
٩٠.

(٢) التمجاة، والنمها، والنمشا: تسمية فارسية معربة، تطلق على خنجر مقروس يشبه السيف القصير.
(٣) السلاري: قباء فوقاني كالمعطف، ضيق الكمين، وربما لس تحت الفرجية، ينسب إلى الأمير

الاستادار، فسبقوه وقالوا: نحن ما فعلنا هذا لأجلك. ثم نزل الاستادار وصحبته الأمير قراجا الخازندار وغيره فوصلوه إلى بيته.

وفيه توفي الأمير صرغتمش القلمطاوي، وأنعم بإمرته على سنقر الخازندار، المعروف بالجعدي زيادة على ما بيده، وهي حصبة من جيبين القصر، وصار من جملة أمراء العشرات.

وفي يوم الثلاثاء سابعه طلع زين الدين الاستادار إلى القلعة وألبسه السلطان كاملية بسمور، ولما خرج من عنده أخبر بأن الممالك السلطانية ينتظرونه، فعاد (و) دخل إلى دهليز البحرة التي بالحوش السلطاني من القلعة، وأرسل السلطان خلف أربك الساقى وأسباني الساقى وأمرهما أن يتوجها معه إلى أن يوصلاه إلى داره، فامتنع من ذلك خشية القتل، وقلع الخلعة، وتكلم المذكوران مع الممالك الجلبان وسألا^(١) أن يتركوه اليوم لأجلهما وبعد هذا يفعلون ما يريدون، فسكتوا عنه. ونزل إلى داره.

وفي يوم الخميس تاسعه عرض السلطان الممالك الجلبان وكلمهم بسبب الاستادار ولاطفهم كل الملاطفة.

وفي يوم السبت حادي عشره لبس زين الدين الاستادار كاملية - خلعة الإستمرار - ورد عدة إقطاعات إلى أربابها، التي كانت دخلت ديوان المفرد. وفي يوم السبت ثامن عشره ورد الخبر بوفاة الشهابي أحمد الكاشف بالغربية - كان - بدمشق.

وفي يوم الاثنين حضر جماعة من أهل بلبس وأخبروا بأنهم صاموا يوم الثلاثاء، وأن تغري بردي القلاوي الكاشف ادعى أنه رأى الهلال ليلة الثلاثاء بالجزيرة، وذكر عن غيره - أيضاً - أنه رآه.

= « سلا ر » المستجد له زمن مخدومه « الناصر محمد بن قلاوون ».

راجع : علي مبارك. الخطط ج ١٠ ص ٣٤ ، دوزي. المعجم المفصل ص ١٧٤ ، ماير. الملابس المملوكية ص ٤٤ .

(١) في « أ » : « وسألاه ».

وفي العشر الأخير منه وصلت أخت السلطان الملك الظاهر جقمق من بلاد الجاركس .

شوال

أوله الخميس .

ففي يوم الخميس خامس عشره لبس الأمير تنبك حاجب الحجاب خلعة كشف التراب .

[٧٦] وفيه // ولي أبو اليمن النويري قضاء مكة عوضاً عن أبي السعادات ابن ظهيرة .

وفيه عُزل أبو عبد الله عن قضاء المالكية بدمشق، وتولى عوضه سالم .

وفي يوم السبت سابع عشره خرج المحمل إلى بركة الحاج، وأميره الأمير سونجبغا اليونسي الناصري، وأمير الأول قانم التاجر .

وفي يوم الاثنين تاسع عشره رحل ركب الممالك من بركة الحاج وصحبتهم الشيخان العلامة أمين الدين يحيى بن الأقصرائي شيخ الأشرفية، وعضد الدين عبد الرحمن بن السيرامي شيخ الظاهرية .

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه رحل الركب الأول، ورحل المحمل عقيبهِ من الغد بعد أن أمطرت عليهم مطراً عظيماً .

وفي يوم السبت رابع عشرينه لبس يار على العجمي محتسب القاهرة خلعة الإستمرار - كاملة بسمور .

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه رحل الأمير جانبك الظاهري شاد جدة بمن معه من حواشيه .

ذو القعدة

أوله السبت .

ففي يوم السبت خامس عشره تغير السلطان على العبيد الذين بالقاهرة، وذلك أن بعضهم هجم على حمام النساء بمنية عقبة، وأفتاه بعض الفقهاء بأنهم

يحاربون، فصمّم وأمر بمسك العبيد وإيداعهم السجن .

وفي يوم الاثنين سابع عشره أمر السلطان الشيخ راجع بن الرفاعي وجماعته بأنهم لا يفعلون في زواياهم ما لا يجوز كالمزمار والطار والشعبية ؛ تتضى مرسوم شريف سألّه فيه أولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وادعوا أنهم ادعوا على الشيخ راجع المذكور عند القاضي الحنبلي، وأنه حكم عليه بذلك .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره استقر الأمير خير بك النوروزي حاجب صفد في نيابة غزة بعد عزل طوغان العثماني نائب غزة، ثم وصل الخبر بموت طوغان المذكور .

ذو الحجة

أوله الأحد .

ففي ليلته توفي المعلم محمد بن حسين الطولوني مهندس السلطان، وصلّى عليه بسبيل المؤمني، وحضر السلطان الصلاة عليه .
وفي يوم الاثنين ثانيه لبس قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني كاملية بسمور باستمراره على وظيفة القضاء .
وفي يوم الثلاثاء ثالثه توفي الشريف أحمد النعماني .
وفيه ظهر الطاعون بالديار المصرية .

// وفي يوم الخميس خامسه لبس على بن إسكندر ابن أخي زوجة [٧٧] كمشبغا الفيسي (خلعة) معلم السلطان عوضاً عن محمد بن الطولوني .

وفي يوم السبت حادي عشرينه رسم بالقبض على أسد الدين الكيماوي، ونزل الأمير دولا (ت) باي الدوادار الثاني وجانبك الوالي ونقيب الجيش فاحتاطوا على داره وأخذوا موجوده، فوجدوا له مائتين واثنين وأربعين ديناراً وبعض كتب قليل بالعجمي والتركي فيما يتعلق بالكيمياء، وأربعة قراريط ماس، وبعض قماش البدن، وحق فيه بعض حشيش ومعجون وجوزة طيب، وطلع به إلى السلطان، فجعل في رقبتّه جنزير وباشتان، ووضع في البرج .

وتغيّرت الخواطر الشريفة على يار على المحتسب ورسم عليه، فإنه كان هو الذي طلع به إلى السلطان ونوه بذكره وقوى عزم السلطان على تقريب هذا الكذاب.

وفيه استقر الحكيم ابن العفيف الشهير بقوالح في رياسة الطب والكحل بمفرده بعد عزل جماعة من هذه الوظيفة في رتبة مشايخ مشايخه. وفي يوم الأحد ثاني عشرينه وصل مبشر الحاج العلائي علي بن عبد الله الخواجا الزردكاش، وأخبر أن الوقفة كانت يوم الاثنين بعرفات، وأن الأسعار متوسطة.

وفيه أخلع على القاضي علاء الدين علي بن محمد بن آقبرس باستقراره في حسبة القاهرة بمال^(١) بذله عوضاً عن ير^(٢) على العجمي الخراساني الطويل.

وفيه عقد مجلس بسبب أسد الدين الكيماوي بين يدي السلطان، ورأى قاضي القضاة بدر الدين ابن التنسي المالكي أن يحبس، فطيف به ونودى عليه وحبس بحبس المقررة.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه وصل تمتاز البكتري المؤيدي المصارع نائب القدس - كان - إلى القاهرة، ورسم بإقامته بالقاهرة بطالاً.

وفي ليلة السبت ثامن عشرينه توفي شيخ الإسلام قاضي القضاة الحافظ شهاب الدين ابن حجر.

وفيه ولى الشيخ علاء الدين القلقشندي تدريس الحديث بجامع ابن طولون، وولى تدريس الفقه بالجامع المؤيدي الشيخ جلال الدين المحلي، وولى قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني تدريس المدرسة الصالحية والنظر عليها، وولى الشيخ شمس الدين ابن حسان تدريس الحديث بقبة الخانقاه البيبرسية. كل ذلك عوضاً عن ابن حجر بعد موته.

(١) في هامش «أ»: «حاشية: قيل: ثلاثة آلاف دينار».

(٢) تردد هذا الاسم في «أ» بين: «يار علي» و«ير علي».

وفيه عقد مجلس بالعلماء والقضاة بسبب // أسد الدين الكيماوي [٧٨]
بحضرة السلطان، وادعى عليه بأمور منها أنه دهري، وأنه ينكر البعث. فقال
قاضي القضاة المالكي: «مذهبي: تقبل توبته». فانتدب شخص من فضلاء المالكية
يقال له شمس الدين^(١) انديسطي المالكي فقال: المذهب أنه زنديق. وساعده
على ذلك أبو الفضل المغربي والشيخ أحمد الأبدى وغيرهم، وأوسع أبو الفضل
الكلام في ذلك، وقال: إن أذن له بالحكم فعل. فأذن له القاضي المالكي
والسلطان، ونزل الجميع إلى الصالحية، فلم يفعل في ذلك اليوم شيء.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - ستة أذرع وثمانية عشر إصبعاً، وكان
مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) في هامش «أ»: «حاشية: كان يؤدب الأطفال بالمقسم».

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكره

على سبيل الاختصار

(١) توفي الشيخ برهان الدين إبراهيم بن خضر العثماني^(١) الشافعي في ليلة الخميس خامس عشر المحرم .

وكان فاضلاً، ذكياً، تفقه بشيخ الإسلام قاضي القضاة ابن حجر^(٢) وبغيره، ودرّس وأقرأ، وعدّ من الفقهاء، إلّا أنه كان دنس الثياب غير ضوئي، رحمه الله .

(٢) وتوفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن عثمان [الكوم] الريشي^(٣) الشافعي في يوم الأربعاء حادي عشرين المحرم .

وكان له بعض اشتغال قديم مع توقف زائد في ذهنه، وآخر الأمر ترك الاشتغال بالعلم وتردد إلى أعيان الناس، وخرج في قالب الساخر بمجالس الأكابر لأجل البلغة والقوت .

(١) هو «إبراهيم بن خضر بن أحمد بن عثمان بن جامع بن محمد بن فؤاد بن فضالة بن عكاشة بن يحيى بن إبراهيم»، له ترجمة في :

ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٥ ، السخاوي ، التبر المسبوك ص ٢٢٢ - ٢٢٥ ، الذيل التام ق ٨٨ ب - ٨٩ أ ، الضوء اللامع ج ١ ص ٤٣ - ٤٧ .

(٢) راجع تر ٢٠ من هذه الحولية .

(٣) هو «شهاب الدين، أحمد بن عثمان بن محمد القاهري»، له ترجمة في :

ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٥ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، الذيل التام ق ٨٩ ب ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢ - ٣ تر ٢ .

(٣) وتوفي الأمير سيف الدين آقطورة بن عبد الله الموساوي الظاهري^(١) بطالاً في ليلة الثلاثاء ثاني عشر صفر، وصلى عليه من الغد.

كان أصله من المماليك الظاهرية برقوق، وصار دواداراً صغيراً في الدولة المؤيدية شيخ، ثم تأمر بعد ذلك عشرة، وولي المهندارية في الدولة الأشرفية برسباي، ثم جعله الملك الطاهر أمير طبلخاناه، ثم نفاه أولى وثانية إلى أن مات بطالاً مقهوراً بالقاهرة.

وكان تركي الجنس، بخيلاً، جباناً، عبوس الوجه، لا للسيف ولا للضيف - عفا الله عنه.

(٤) وتوفي الشيخ زين الدين عبد الرحمن السندبيسي^(٢) الشافعي - أحد الفقهاء الشافعية - في ليلة الأحد سابع عشر صفر، ودفن من الغد، رحمه الله.

(٥) وتوفي الأمير سيف الدين أسنباي بن عبد الله الظاهري الزردكاش^(٣) // - أحد أمراء العشرات - بالقاهرة في العشر الأخير من صفر . [٧٩]

وكان من أعيان المماليك الظاهرية برقوق، ثم صار زردكاشاً في الدولة المؤيدية شيخ إلى أن عزله الملك الأشرف بالأمير قجقار جقطاوي^(٤)، واستمر به على

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٤٤ تر ٥٠٩، المنهل الصافي ج ٣ ص ٦ - ٩ تر ٥١٠، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٥ - ٥٢٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٧، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٨ - ٣١٩ تر ١٠٢٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٢.

(٢) هو « زين الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن يحيى، السندبيسي، الشافعي ». له ترجمة في:

السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٤٢ - ٢٤٣، الذيل التام ق ٨٩ أ، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٥٠ - ١٥٢ تر ٣٩١، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٢.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٣١ تر ٤٥٩، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٣٢ - ٤٣٥، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٦ - ٥٢٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٧، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١١ تر ٩٨٠، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٢.

(٤) هو « قجقار بن عبد الله البكتيري الزردكاش »، ت ٨٣١ هـ / ١٤٢٨ م . =

إمرة عشرة على عادته، ودام على ذلك دهرًا، وولى نيابة ثغر دمياط غير مرة.
وكان من محسن الدنيا، كان عارفًا بأحوال الممالك، أسر مع تيمورلنك
سنين، وحظي عنده، وكان له إلمام بالتاريخ مما رآه، ومحاضرة حسنة وسكون،
مع عقل وحشمة.

وقيل: إنه كان أصله من أشراف بغداد، وأخذ صغيراً - والله أعلم -
وكنت أريد أن أسأله عن ذلك لأنه كان لي به صحبة، فأنساني الله ذلك.
ومات وهو في عشر التسعين تخميناً، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٦) وتوفي صاحب الوزير كريم الدين عبد الكريم ابن صاحب الوزير
تاج الدين عبد الرزاق ابن شمس الدين عبد الله المصري المعروف بابن كاتب
المناخ^(١)

ولى الوزير سنين، وياشر الاستدارية وكتابة السر، وصور وأخذ منه نحو
العشرين ألف دينار، ثم ولي كشف الوجه القبلي، ثم عُزِلَ وتوجه إلى بندر جدّة
بالبلاذ الحجازية لضبط ما يتحصل من البندر رفيقاً للأمير يلخجا من مامش
الناصرى الساقى، ثم عاد وولى الوزير، واستمر فيه إلى أن تعلل ولزم الفراش
أشهرًا، واستعفى فأعفى واستقر عوضه صاحب أمين الدين إبراهيم بن
الهيصم^(٢)، واستمر هو في مرضه إلى أن توفي يوم الأحد حادي عشرين جمادي
الآخرة.

= له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٧٨٨، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٨ ص ١٥٩، ابن
تغري بردي. الدليل الشافى ج ٢ ص ٥٣٤ - ٥٣٥ تر ١٨٣٢، المنهل الصافى مج ٣ ق ١٩،
السخاوى. الضوء اللامع ج ٦ ص ٢١١ تر ٦٩٩.

(١) هو كريم الدين، عبد الكريم بن عبد الرزاق بن عبد الله بن عبد الوهاب. له ترجمة في:
ابن تغري بردي. الدليل الشافى ج ١ ص ٤٢٥ تر ١٤٦٧، المنهل الصافى مج ٢ ق ٢٣٥ ب -
٢٣٦ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٧، السخاوى. التبر المسبوك ص ٢٤٣ - ٢٤٤، الذيل
التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٤ ص ٣١٣ - ٣١٤ تر ٨٤٨، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢
ص ٢٦٣.

(٢) هو إبراهيم بن عبد الغنى بن إبراهيم بن الهيصم. راجع تر ٥ من حولى ٨٥٩ هـ.

وكان لا بأس به بالنسبة إلى أبناء جنسه من القبطة، عفا الله عنه .

(٧) وتوفيت سورباي^(١) موطوءة السلطان الملك الظاهر جقمق وحظيته بعد مرض طويل في بولاق يوم الجمعة سادس عشرين شهر ربيع الآخر.

وكانت جاركسية الجنس، ووجد السلطان عليها وجداً عظيماً، رحمها الله تعالى .

(٨) وتوفي الأمير سيف الدين شاهين بن عبد الله الطوغاني^(٢) نائب قلعة دمشق في جمادي الأولى بها .

وكان من مساوىء الدهر بخلاً وحمقاً وجبناً. كان أصله من ممالك الأمير طوغان الحسني^(٣) الدوادار في الدولة الناصرية فرج، واتصل بخدمة الملك الظاهر جقمق في أيام إمرته // وصار دواداره، فلما تسلطن جعله من جملة الدوادارية [٨٠] الصغار، ثم ولاه نيابة قلعة حلب، ثم عزله وولاه بعد مدة نيابة قلعة دمشق إلى أن توفي، وتولى نيابة القلعة من بعده الأمير بيسق الشبكي^(٤)، عفا الله عنه .

(٩) وتوفي الناصري محمد بن علي بن شعبان ابن الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون^(٥) في يوم الخميس سابع جمادي الآخرة .

(١) لها ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٤١، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ٦٦ تر ٤٠٣، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٤١، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ تر ١١٣٨ .

(٣) هو «طوغان بن عبد الله الحسني، الظاهري برقوق»، ت ٨١٨ هـ. / ١٤١٥ م. له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٨١ تر ٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ تر ١٢٧٨، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٦٨، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ تر ٥٣١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١١ - ١٢، تر ٤٠ .

(٤) راجع تر ٢٥ من حولية ٨٥٣ هـ.

(٥) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٦٣ - ٦٦٤ تر ٢٢٨٠، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٧ - ٥٢٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٥١، الضوء اللامع ج ٨ ص ١٨٤ - ١٨٥ تر ٤٧٠، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٤ .

وكان محمد - المذكور - في مبادئ أمره من جملة أولاد الأسياد، وبه فاقة عظيمة إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق داخله المذكور، فحظي عنده وصار من ندمائه، ونالته السعادة، وكثر ماله وأملاكه.

وكان بشوشاً متواضعاً، عارفاً بفن الموسيقى ورمي النشاب، كلاهما بحسب الحال، إلا أنه كان بخيلاً جداً، ذاق الغنى بعد فقر، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(١٠) وتوفيت خوند ست الملوك بنت الملك الظاهر ططر^(١) وزوجة الأتابكي يشبك السودوني^(٢) في يوم السبت ثالث عشرين جمادي الآخرة، ودفنت من الغد. وكانت من خيار الخوندات، وأمها خوند بنت سودون الفقيه^(٣) أم الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر، وهم من بيت دين وعفة.

(١١) وتوفي الشيخ الإمام العلامة المحدث الرحلة زين الدين رضوان بن محمد بن يوسف العقبي^(٤) الشافعي مستملي الحديث في يوم الاثنين ثالث شهر رجب.

وكان فاضلاً، عالماً، مفنناً في كل علم، رحمه الله تعالى.

(١٢) وتوفي الشيخ المعتقد أبو الفتح ابن أحمد بن محمد^(٥)، وفاء

(١) راجع: السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٤١ ، الذيل الثام ق ١٩٠ ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ٥٨ تر ٣٤٨ .

(٢) راجع تر ٢ من حولية ٨٤٩ هـ .

(٣) هو «سودون بن عبد الله الظاهري برقوق» . له ترجمة في : ابن حجر . إنباء الغمر ج ٣ ص ٣١٦ تر ١٢ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٣٤ تر ١١٤٨ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ١١١ ب - ١١٢ أ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ تر ١٠٧٢ .

(٤) هو «زين الدين، أبو نعيم، رضوان بن محمد بن يوسف بن سلامة بن البهاء بن سعيد» . له ترجمة في :

ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٠٥ تر ١٠٤٣ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٦٩ ب - ٧٠ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٨ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٣٨ - ٢٤١ ، الذيل الثام ق ٨٩ أ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٢٦ - ٢٢٩ تر ٨٥٥ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٥) هو «محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد، أبو الفتح الإسكندري» . له ترجمة في : =

السكندري^(١) الأصل، المصري المولد، المالكي المذهب، الشاذلي الطريقة، المعروف بابن وفاء في يوم الاثنين أول شعبان، وصلى عليه بجامع عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ودفن عند والده وجده بالقرافة، وكانت جنازته مشهودة.

وكان إماماً عالماً واعظاً^(٢) فقيهاً شاعراً أديباً مفنناً، من بيت فضل وعلم وصلاح ودين، ونظم ووعظ، وله شعر رائق ونظم فائق، وتوفي - رحمه الله - وسنه نحو الستين سنة تقريباً.

ومن شعره :

توجّه نحوكم سري وجهري
وألفيت الفؤاد لكم جميعاً
// وقفت ببابكم عبداً فقيراً
فمنوا سادتي كرماً وجوداً
ومنوني فلم أعرف سواكم
عرفت الله حين عرفتكم يا
وجئت حاكم أسعى وأسرى
وغير العشق فيكم لست أدري
أرجي فضلكم لغناء فقري
فحسن صنيعكم كنزي وذخري
على حبي لكم حشري ونشري
حياة الحلي عرفاً دون نكر

[الوافر]

ومن شعره - أيضاً:

يا من لهم بالوفا يشار
لخوفنا أنتم أمان
بويلكم جَدُّبُنَا خصب
لكم تُشَدُّ الرحال شوقاً
بأنفسكم تعمّر الديار
لقلبنا أنتم قرار
بوجهكم ليلنا نهار
وبيتكم حقه يُزار

[مخلع البسيط]

^١ ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٨ - ٥٢٩، السخاوي التبر المسبوك ص ٢٤٧ - ٢٤٨، الدليل الثام ق ٩٠، الضوء اللامع ج ٧ ص ٩٢ - ٩٣ تر ١٨٦، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٦.

(١) كذا في الأصل، وفي النجوم الزاهرة للمؤلف (ج ١٥ ص ٥٢٨): «فتح الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن الشيخ وفاء الإسكندري».

(٢) كتبت في «أ»: «ورعا»، ثم عدلت لتكون: «ورعطا» مما يتوهم معه المثبت في المتن هنا.

ومنها :

كان لي السعد والفخار
قلبي عليه السلو عار
علو قدري في الحب غاروا

لو جئت أسعى على عيوني
لا تنسبوني إلى سلو
لكن لما رأى الأعادي

وقال أيضاً :

معنى تحير فيه كل من وصفا
من نور معناكم الأوفى هدى وشفا
لكان لي غاية التعظيم والشرفا
إلا امتلأت سروراً واكتسيت صفا
إلا طربت وأهدي الوجد لي تحفا
والقلب عن حبكم والله ما انصرفا
حتى انتهى بي إلى أبوابكم وقفنا
قريب عين بوصل بعد طول جفا
[البسيط]

شربت من حبكم كأساً حلا وصفا
فاستغرق الوجد أجزائي وقد ملئت
لو جئت حيكم أسعى على بصري
تالله، ما نظرت عيني لوجهكم
ولا تذكرت أني عبد حبكم
روحي لكم لم تزل بالغيب شاهدة
سيرت عزمي وحال الشوق يصحبي
ثم استقرت في أكناف حضرتكم

وقال رضي الله عنا به :

عبد ترقى إلى عليائكم فرقا
فهام وجداً وعشقا فيه مذ عشقا
وطرفه لسواكم قط ما رمقا
ما زال حبكم ديني ولي خلقا
ما حل ساحته غم ولا طرقا
ركن الأمان وفي عهد الوفا صدقا
يروم طولا على تقصيره غدقا

لم يلق في حبكم همأ ولا فرقا
أشهدتموه جمالا جل عن شبه
فقلبه لم يمل يوماً لغيركم
والله يا سادتي يا منتهى أمني
[٨٢] // ومذ تخفق قلبي بالوداد لكم
قد طاف قلبي بهذا الحي مستلما
وبالصفاء والوفا يسعى لبيتكم

[البسيط]

وهي أطول من هذه .

وله غير هذه القصائد كثير، ومن غرر قصائده - أيضاً - القصيدة التي أولها:

الروح مني في المحبة ذاهبه عرفت أياديك الكرام بأنها
قد خصك الرحمن منه خصائصا وبنورك الوضاح في غسق الدُّجَى
ما زلت بالمعروف تعرف دائماً لم يبق في قلبي سواك من الورى
بك يمنح الله الوجود بجلوده وتطيب منك أصوله وفروعه
ربيع الوفاء بنور وجهك عامرٌ وجميل سترك بالوفا عمّ الورى

[الكامل]

(١٣) وتوفي الشهابي أحمد بن نوروز الخضري^(١) شاد الأغنام بالبلاد الشامية، وأحد أمراء العشرات بالديار المصرية في يوم الأحد رابع عشر شعبان، وتولى إمرة الركب الأول بعد موته قائم التاجر.

وكان أحمد هذا ممن أنشأه الملك الظاهر جقمق، وكان سألبة كلية من كل علم وفن، مسرفاً على نفسه، غير مشكور السيرة في أفعاله وحركاته، عفا الله تعالى عنه.

(١٤) وتوفي الأمير سيف الدين تغري برمش^(٢) بن عبد الله الجلاي الناصري

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٩٤ تر ٣٢٩، المنهل الصافي ج ٢ ص ٢٥١ - ٢٥٢ تر ٣٣١، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٩ - ٥٣٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٦، الدليل التام ق ٩٠، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٤٠ تر ٦٥٩، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٩ تر ٧٦٧، المنهل الصافي ج ٤ =

ثم المؤيدي المعروف بالفقيه^(١) - نائب قلعة الجبل - بالقدس بطلاً بالطاعون في يوم الجمعة ثالث شهر رمضان بالقاهرة، ورابع شهر رمضان بالقدس.

كان اشتراه الملك الظاهر جقمق من حلب لما كان جندياً وقدمه لأخيه [٨٣] جاركس القاسمي // المصارع، ثم اتصل بعد جاركس إلى الملك الناصر فرج، ثم ملكه الملك المؤيد شيخ بعده وأعتقه، وحفظ القرآن العزيز، وتفقه يسيراً إلى أن صار خاصكياً بعد موت الملك المؤيد، ووقع له (وقائع) ذكرناها في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي إلى أن أمره الملك الظاهر جقمق عشرة، وجعله نائب قلعة الجبل بعد موت الأمير ممجق النوروزي^(٢)، فراج أمره في الدولة قليلاً، ثم ركضت ربحه وعمل عليه حتى أخرج إلى القدس بطلاً، ومات به.

وكان عنده فضيلة ومشاركة في فنون، وله يد في أسماء الرجال، وذكاء وحذق، رحمه الله تعالى.

(١٥) وتوفي الأمير سيف الدين صرغتمش القلمطاوي^(٣) - أحد أمراء العشرات - بالقاهرة في يوم السبت رابع شهر رمضان، وأنعم بإقطاعه على سنقر الخازندار الجعيدي زيادة على ما بيده من حصة بجيين القصر.

كان أصل صرغتمش هذا من ممالك الأمير قلمطاي^(٤) الدوادار وتنقل في

= ص ٦٨ - ٧٤ تر ٧٦٩، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٠ - ٥٣٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٧ - ٢٣٨، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٣ - ٣٤ تر ١٤٣، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٣ - ٢٧٤. (١) «المعروف بالفقيه» مكررة في «أ».

(٢) نسبة إلى «نوروز الحافظي»، ت ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م. له ترجمة في: المقرئ. السلوك ج ٤ ص ١٢٣٣، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٥٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٧٠ تر ٧١٢.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٥٤ تر ١٢١٦، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٤٩ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٤١، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٢٢ تر ١٢٣٥، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٧.

(٤) هو «قلمطاي بن عبد الله العثماني، الظاهري برقوق»، ت ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م. له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٤٨ - ٥٤٩، المنهل الصافي مج ٣ =

الخدم حتى صار من جملة أمراء العشرات .

وكان مهماً جداً، بخيلاً، سيء الخلق، عفا الله تعالى عنه .

(١٦) وتوفي الشهابي أحمد الكاشف^(١) منفياً بدمشق في شهر رمضان .

كان أصله من جملة العوام، وتنقل في الخدم حتى ولي كشف التراب بالغربية، ثم حدثته نفسه لما أثري وكثر ماله بالاستادارية فعمل عليه زين الدين يحيى الاستادار حتى أخرجه إلى دمشق ومات بها، رحمه الله .

(١٧) وتوفي الأمير سيف الدين طوغان بن عبد الله العثماني^(٢) نائب القدس ثم

نائب غزة في ذي القعدة .

كان من ممالك الأتابك الطنبغا العثماني^(٣)، وتنقل بعد موت أستاذه حتى صار خاصكياً، ثم ولي نيابة القدس سنين، وقمع أهل الفساد، ومهد البلاد، وأضيف إليه نظر الحرمين في بعض الأحيان، ثم عزل بعد سنين وتولى حجوية الحجاب بحلب بعد موت قاني باي الحكمي في حدود سنة خمسين وثمانمائة، ثم نقل إلى نيابة غزة فباشرها إلى أن توفي بها .
وكان شجاعاً سفاكاً للدماء، رحمه الله وعفا عنه .

(١٨) وتوفي المعلم محمد بن حسين بن الطولوني^(٤) مهندس السلطان // في [٨٤]

= ق ٢٦ أ - ٢٧ ب، النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ١٦٣ .

(١) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٣٦، الذيل التام ق ١٩٠ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧٣ تر ١٢٨٠، المنهل الصافي مج

٢ ق ٦٩ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٢، السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٤١ - ٢٤٢، الضوء

اللامع ج ٤ ص ١٣ تر ٤٥ .

(٣) هو « الطنبغا بن عبد الله العثماني، الظاهري برقوق »، ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م .

له ترجمة في : المقرئ . السلوك ج ٤ ص ٤٧٥، ابن حجر . إنباء الغمر ج ٣ ص ١٧٩ تر ٥٠،

ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ١٥٠ تر ٥٣٢، المنهل الصافي ج ٣ ص ٥١ - ٥٣

تر ٥٣٣، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٥٤ - ١٥٥، السخاوي . الضوء اللمع ج ٢ ص ٣٢٠

تر ١٠٣٣ .

(٤) له ترجمة في : السخاوي . الذيل التام ق ١٩٠، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٨ .

ليلة الأحد أول ذي الحجة، ودفن من الغد، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمني.

وكان شاباً يتدين، وفيه لين مع طيش وخفة، رحمه الله.

(١٩) وتوفي السيد الشريف شهاب الدين أحمد النعماني^(١) - المقيم بمصر القديمة - في يوم الثلاثاء ثالث ذي الحجة .
وكان متديناً صالحاً ، رحمه الله .

(٢٠) وتوفي الشيخ الإمام، العالم العلامة، الحافظ، قاضي القضاة، شيخ الإسلام، حافظ عصره، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد ابن الشيخ نور الدين علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، المصري، الشافعي، المعروف بابن حجر^(٢)، قاضي قضاة الديار المصرية وحافظها .

(١) هو «شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن حسن بن علي بن عبد الكريم بن أحمد بن عبد الكريم بن أحمد بن هاشم بن العباس بن جعفر بن علي بن موسى بن محمد بن داود بن إدريس، القسطنطيني، المصري، الشافعي».

له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٢٧ - ٢٢٨، الذيل التام ق ٨٩، الضوء اللامع ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) له ترجمة في: التقي الفاسي. ذيل التقييد ق ١٠٩ ب - ١١١ ب، ابن ناصر الدين. توضيح المشتبه ج ١ ق ١٨٨، ابن خطيب الناصرية. المدر المنتخب ج ١ ق ١٠٦ ب - ١٠٩ أ، ابن الغزي. بهجة الناظرين ق ٨٨ - ٩٠، ابن فهد المكي. لحظ الألاحظ ص ٣٢٦ - ٣٤٢، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٦٤ تر ٢٢١، المنهل الصافي ج ٢ ص ١٧ - ٣٢ تر ٧٢٣، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٢ - ٥٣٤، البقاعي. عنوان الزمان ق ٣٥ - ٦٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٠ - ٢٣٦، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، الذيل التام ق ٨٨ ب، الذيل علي رفع الإصر ص ٧٥ - ٨٩، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦ - ٤٠ تر ١٠٤، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٣ - ٣٦٦ تر ١٠٢، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٨٠ - ٣٨٢، المنجم في المعجم ق ١٣٠ أ، نظم العقيان ص ٤٥ - ٥٣ تر ٣٤، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣٩ - ٣٤٠، ابن طولون. القلائد الجوهريّة ج ٢ ص ٤٥٤ - ٤٥٧، طاش كبرى زادة. مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٥٧ - ٢٥٨، المكناسي. درة الحجال ج ١ ص ٦٤ - ٧٢ تر ٩٤، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٠ - ٢٧٣.

وراجع مؤلفاتنا: التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، ابن حجر العسقلاني مؤرخاً، المقرئزي وكتابه درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة «دراسة وتغريف».

مولده في ثاني عشرين شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة^(١)، وتفقّه بعلماء عصره، وبرع في الحديث حتى صار إمام وقته ووحيد دهره وفريد عصره، وقال الشعر المليح الفائق، وأفتى ودرس وولى عدة وظائف دينية، ثم ولي قضاء الديار المصرية غير مرة، أول ولاياته بعد عزل قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني^(٢) في سابع عشرين المحرم في سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وعزل غير مرة حسبما ذكرناه مفصلاً في ترجمته في تاريخنا المسمى بالمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، وآخر ولاياته لما عزل بقاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني في خامس جمادي الآخرة سنة اثنتين وخمسين (وثمانمائة)، واستمر مصروفاً إلى أن توفي ليلة السبت ثامن عشرين ذى الحجة، وصلى عليه من الغد بمصلاة المؤمني، ومشت أعيان (١) ورد لابن حجر شاهد شعري أرخ فيه لمولده، قائلاً:

«شعبانُ عام ثلاثٍ من بعد سبعٍ مائةً وسبعينَ اتفأق المولِدِ»

كما ورد في ترجمته لنفسه (رفع الإصر ق ٣٦ ب) أن مولده كان في «شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة».

وهو بهذا يسقط اليوم المولود فيه، ولذا اجتهدت مصادر ترجمته في تحديد ذلك اليوم، فوقع بينها اختلاف كبير، حيث أشار الشوكاني (البدر الطالع ج ١ ص ٨٨) إلى أنه ولد في الثاني من شعبان، كما أن القاعي (عنوان الزمان ج ١ ق ٣٥ أ) والسيوطي (المنجم في المعجم ق ١٣٠ أ، نظم العقيان ص ٤٥) وابن العماد الحنبلي (شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٧٠) يجعلون مولده في الثاني عشر من شعبان، على حين أن ابن خطيب الناصرية (الدر المنتخب ج ١ ق ١٠٦ ب) وابن تغري بردي (الدليل الشافي ج ١ ص ٦٤، المنهل الصافي ج ٢ ص ١٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٣) والسخاوي (الجواهر والدرر ق ٤ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦) وابن طولون (القلائد الجوهريّة ج ٢ ص ٤٥٤) يجعلون مولده في الثاني والعشرين من شعبان - كما جاء هنا - أما ابن فهد المكي (لحظ الالفاظ ص ٣٢٦) وابن الغزي (بهجة الناظرين ق ٧٧ أ) فلإنهما يشيران إلى أنه ولد في الثالث والعشرين من شعبان.

(٢) هو «علم الدين، صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبد الحق البلقيني»، ت ٨٦٨ هـ / ١٤٦٤ م.

له ترجمة في: ابن حجر. رفع الإصر ج ٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٥١ تر ١٢٠٥، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٤٥ ب - ١٤٦ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣٣٣ - ٣٣٤، السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ١٥٥ - ١٨٤، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣١٢ - ٣١٤ تر ١١٩٩، السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٥٢، حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٤ - ٤٤٥، المنجم في المعجم ق ١٩٨ ب، نظم العقيان ص ١١٩ تر ٩١، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٤١٩، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٠٧.

الدولة في جنازته من داره بالقرب من باب القنطرة إلى الرملة، وحضر السلطان الصلاة عليه، وكانت جنازته مشهودة إلى الغاية. قال بعض الأذكىاء: إنه حرز من شهد جنازته فكانوا نحو الخمسين ألفاً أو أكثر، وكان يوماً عظيماً على المسلمين، حتى على أهل الذمة. ولقد حكى لي من رأى اليهود والنصارى يكون عليه، ودفن بالقرافة، ورثاه الشعراء.

وكان له - رحمه الله - اليد الطولى في النظم والنثر، ومات ولم يخلف بعده مثله.

ومن شعره ما أنشدني من لفظه لنفسه:

[٨٤] // خليلي ولي العمر منا ولم تنب وننوي فعال الصالحات ولكننا
فحتى متى نبي بيوتاً مشيدة وأعمارنا منا تهد ولا تبنا
[الطويل]

ومن شعره أيضاً:

سألت من لحظه وحاجبه كالقوس والسهم موعداً حسناً
ف فوق السهم من لواحظه وانقوس الحاجبان واقتربنا^(١)
[المنسرح]

ومن شعره أيضاً:

أق من أحبائي رسول فقال لي ترفق وهن واخضع تفرُّ برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا فصار عزيزاً حين ذاق هوانا
[الطويل]

وله أيضاً في وقاد:

(١) في هامش «أ»: «وقت رنا».

أحببت وقاداً كنجم طالع
وأنا الشهاب فلا يعاند عاذلي
أنزلته. برضى الغرام فؤادي
إن ملت^(١) نحو الكوكب الوقاد
[الكامل]

وله - أيضاً - رحمه الله :
وأهيف حياني يطيب وصاله
أدار^(٢) لي الكأسين خمرأ وريقه
ومن ريقه الخمر الحلال حلالي
ونزهني عن جفوة وملالي
[الطويل]

وله - أيضاً - القصيدة النبوية الفائية التي أولها :
إن كنت تنكر شوقاً زادني كلفا
وإن تشككت فأسأل عاذلي شجني
أحبابنا ويد الأسقام قد عبثت
كدرت عيشاً تقضي في بعادكم
سرتم وخلفتم في الحي ميت هوى
وكنتم أكنتم حبي بعدكم زمنا
حسبي الذي قد جرى من مدمعي وكفي
هل بت أشكو الأسى والبث والأسفا
بالجسم هل منكم لي بالوصال شفا
وراق مني نسيب فيكم وصفا
لولا رجاء تلاقىكم لقد تلفا
حتى تكلم دمع العين فانكشفا
[البسيط]

وهي مطولة جداً أضربنا عن باقيها خشية الإطالة^(٣) ولقد مدح
النبي - ﷺ - بعده قصائد .

وأما مصنفاته فكثيرة استوعبنا غالبها في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي^(٤)
وغيره، رحمه الله .

(١) في «أ» : «إن مات» .

(٢) في «أ» : «إذا ولي» ، والتصويب من المنهل الصافي للمؤلف ج ٢ ص ٣٠ .

(٣) راجع باقي القصيدة في المنهل الصافي للمؤلف ج ٢ ص ٣٠ - ٣١ .

(٤) نفسه ج ٢ تر ٢٢٣ ص ٢٣ - ٢٧ .

سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وأرباب الدولة على ما تقدم ذكره خلا من ذكرناه في وقته .

المحرم

أوله الاثنين .

ففي يوم الثلاثاء تاسعه شكا تماراز نائب القدس - كان - علي القاضي أمين الدين [٨٦] عبد الرحمن بن الديري إلى // السلطان ، وادعى أنه أثار فتنة بالقدس حصل بسببها قتال ، وقتل من عماليك تماراز شخص ، وأن ابن الديري نادي بقفل المسجد الأقصى ، وبالجهاد في تماراز ، وأنه كافر . فاستشاط السلطان من ذلك وأمر بوضع الجنزير في رقبة عبد الرحمن بن الديري وإرساله إلى حبس المقشرة ، فوضع في رقبته جنزير وذهب به ، فشفع فيه ، فقلع الجنزير من رقبته عند باب الجامع الذي بالقلعة ، وأمر بحمله هو وخصمه إلى القاضي المالكي ، فحملا إليه .

وفي الخميس حادي عشره ضربت رقبة أسد الدين الكيماوي بمقتضى أنه ثبت عند القاضي شمس الدين محمد الديسطي المالكي زندقته ، ثم بعد ذلك ألحق في الأسجالات أنه ثبت عنده أنه ملحد كاذب .

قلت : وقتل أسد الدين هذا كان من أكبر المصالح ، فإن سيرته عند الأعاجم قبيحة لأمر ارتكبتها في تلك البلاد ، ووقع له - أيضاً - مع ألوغ بك بن

شاه رخ ما كان فيه ذهاب روحه ، ولكن منيته ما كانت إلا بمصر .

وقد عظم قتل أسد الدين هذا على خلائق من الناس ممن لا يعرف حقيقة أمره ، وزعموا أن بعد قتله وقع الوباء والغلاء والشرقي ، وهذه الآفات وليس كذلك ، وإنما كل ما تراه بقدر مقدور .

وفي يوم السبت ثالث عشره وقع الصلح بين تمراز وبين ابن الديري وأبي الخير النحاس في بيت ناظر الخاص ، وأعطى كل^(١) منهما فرساً مسزوجاً .

وفيه جاوز تعريف الأموات المائة في كل يوم .

وفي يوم الأحد رابع عشره توفي شهاب الدين الهيتي أحد الطلبة .

وفي يوم الاثنين خامس عشره توفي شهاب الدين المسطيهي أحد نواب الحكم .

وكان عدة التعريف في هذا اليوم مائة وستة عشر .

وفيه جاوزت مصلاة باب النصر المائة في اليوم ، ولا عبرة . بالتعريف في أيام الطاعون .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره وصل عدة التعريف مائة وأربعة عشر .

وفي يوم الأربعاء سابع عشره جاءت العدة مائة واثنين وثمانين .

وفي يوم الجمعة وصل ركب الممالك المجاورين إلى القاهرة .

وفي يوم السبت عشرينه // دخل الركب الأول من الحاج إلى القاهرة [٨٧] وأميره الأمير قانم التاجر ، ثم دخل من الغد ركب المحمل وأميره الأمير سونجبغا اليونسي الناصري ، وكلاهما أمير عشرة .

(١) في « أ » : « كل » .

صفر

أوله الأربعاء .

فيه عظم الطاعون بالديار المصرية، فكان عدة من يموت فيه زيادة على ألف نفس تقريباً، ولا عبرة بمن يرد الديوان من الأموات، فإن غالب الناس في عظيم الوباء يخرج الأموات من غير إطلاق على توابيت الأوقاف، فلهذا يكون التعريف في أيام الوباء لا عبرة به .

وفي يوم الأربعاء هذا توفي سيدي أحمد ابن السلطان (١) الملك الظاهر جقمق .

وفي يوم الخميس ثانيه توفي شيخ سعيد السعداء علاء الدين الكرمانى .

وفي يوم الاثنين سادسه توفي الشريف حسن بن علي المعزول عن نقابة الأشراف .

وفيه توفي برهان الدين إبراهيم بن ظهير ناظر الإسطبل ودفن من الغد .

وفي أول هذا الشهر توفي الشريف علي بن حسن بن عجلان المعزول عن إمرة مكة بثمر دمياط، وورد الخبر بموته في يوم الجمعة عاشره .

وفي يوم الجمعة - المذكور - توفي الأمير تمتاز أمير سلاح، ودفن من الغد ، يأتي ذكره في آخر هذه السنة مع من مات فيها من الأعيان .

وفي يوم السبت حادي عشره توفي جماعة من الأعيان، وهم: بنت السلطان الملك الظاهر جقمق، وهي شقيقة أحمد وعمرها في التاسعة، وتمتاز المتقدم ذكره (و) دفن في اليوم المذكور، وهو يوم السبت .

وفيه - أيضاً - ماتت بنت الخليفة المستكفي بالله .

وفيه مات الناصري محمد ابن الأمير طوغان الحسني الدوادار في الدولة الناصرية والمؤيدية شيخ .

(١) في هامش «أ»: حاشية: من «ابن أخت السلطان مراد بك بن عثمان» .

وفيه مات خازندار القاضي كمال الدين البارزي كاتب السر الشريف .
فكان هذا اليوم من الأيام المهولة ، تحيرت أعيان الدولة إلى من تتوجه من
الجنائز .

وفي يوم الأحد ثاني عشر صفر أُعيد القاضي برهان الدين إبراهيم بن
الديري إلى الإسطنبول السلطاني بعد مرت ابن ظهير .

وفي يوم الاثنين ثالث عشره توفي قاضي القضاة بدر الدين محمد التنسي
المالكي .

وفيه استقر الأمير جرباش الكرمني الظاهري // - هو السلطان - في إمرة [٨٨]
سلاح بعد موت الأمير تمتاز القرمشي ، واستقر الأمير تنم من عبد الرزاق
المؤيدي المعزول عن نيابة حلب في إمرة مجلس عوضاً عن جرباش - المذكور .

وفيه - أيضاً - أنعم على الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار
الثاني بإمرة تمتاز القرمشي ، وهي مقدمة ألف بالديار المصرية ، وأنعم بإقطاع
دولت باي على يونس السيفي أقباي المشد ، والإقطاع أمرة طبلخاناه ، وأنعم
بإمرة يونس ، وهي إمرة عشرة على جانبك الظاهري رأس نوبة الجمدارية على
السيفي مغلباي الساقى ، وجعلهما كل واحد أمير عشرة ، فإن عشرة يونس كانت
تقارب الطبلخاناه .

وفي يوم الأربعاء خامس عشره توفي أربك الساقى الظاهري جقمق ،
وحضر الصلاة السلطان عليه .

وفيه - أيضاً - توفي الأمير إينال الشبكي ، يأتي ذكره في آخر السنة .

وفي يوم الخميس سادس عشره لبس الأمير تمربغا الظاهري (خلعة)
الدوادارية الثانية على إمرة عشرة عوضاً عن دولت باي المحمودي المؤيدي
بحكم انتقاله إلى مقدمة ألف بالديار المصرية .

وفيه أنعم بإقطاع الأمير إينال الشبكي على قاني باي الساقى المؤيدي ،

واستقر من جملة أمراء العشرات .

وفي يوم الجمعة سابع عشره توفي القاضي ولي الدين أبو اليمن محمد بن قاسم .

وفيه توفي الأمير إسماعيل بن عمر الهواري بالقاهرة .

وفي يوم السبت ثامن عشره توفي سيدي محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق وهو في الخامسة ، وأمه أم ولد .

وفيه توفي الأمير قراقجا الحسني الأمير آخور الكبير ، ثم توفي ولده في ذلك اليوم ، فجهزا من الغد معاً . فكان في ذلك عبرة لمن اعتبر . وحضر السلطان الصلاة عليهما معاً ، وكثر أسف الناس عليهما . وكان سن ولده يقارب العشرين سنة .

وفي يوم الأحد توفي السيفي جانم الظاهري جقمق الدوادار المعروف بجانم خمسمائة .

وفيه - أيضاً - ماتت خوند فاطمة بنت السلطان الملك الظاهر جقمق وعمرها في الخامسة ، وأمها أم ولد .

وفي يوم الاثنين عشرينه كان أول خمسين النصاري^(١) .

[٨٩] وفيه // تناقص الطاعون تناقصاً ظاهراً ، بل كان تناقص قبل ذلك بأيام ، ولكن فشا فيه النقص ، ومع هذا النقص يموت في كل يوم خلائق ، نسأل الله الموت على الإسلام .

وفي ليلة الاثنين عشرينه توفي الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان المعزول عن إمرة مكة قبل تاريخه .

وفي يوم الاثنين - أيضاً - ماتت أخت السلطان الملك الظاهر جقمق ، وكان

(١) خمسون النصاري: هي الخمسون يوماً التالية لعيد القيامة .

قدومها من بلاد الجارکس في أوائل سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة أو في التي قبلها.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه توفيت زوجة السلطان خوند نفيسة بنت ناصر الدين بك بن دلغادر، وحضر السلطان الصلاة عليها.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه توفي سيدي محمد ولد السلطان وسنه في السادسة، وأمه - أيضاً - أم ولد.

وفيه - أيضاً - توفي الأمير بختك الناصري أحد أمراء العشرات، وأنعم بإقطاعه على الأمير يشبك المؤيدي الفقيه، وأنعم بإقطاع يشبك على الشهابي أحمد بن الأمير الكبير إينال العلائي، وهي إمرة عشرة.

وفي هذا اليوم توفي الأمير مغلباي الساقى الظاهري، وأنعم بإمرته على مغلباي الشهابي رأس نوبة الجمدارية.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه أنعم بإقطاع الأمير قراقجا الحسني على الأمير تنم أمير مجلس، وأنعم بإقطاع تنم على الأمير جرباش المحمدي الأمير آخور الثاني المعروف بكرد، وكلاهما تقدمه ألف، وأنعم بإقطاع جرباش ووظيفته على الأمير سودون المحمدي الأمير آخور الثالث المعروف بأتمكجي أحد أمراء العشرات.

ومعنى «أتمكجي» باللغة التركية: خباز، لأن الخبز اسمه «أتمك» - بفتح الهمزة وسكون التاء.

وأنعم بإمرة سودون أتمكجي على الأمير جانبك الإشبكي والي القاهرة.

وفيه - أيضاً - استقر الأمير قاني باي الجركسي الدوادار الكبير في الأمير آخورية الكبرى عوضاً عن الأمير قراقجا الحسني، واستقر عوضه في الدوادارية الكبرى الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي على مال بذله إلى الخزانة الشريفة.

وفي يوم الأحد سادس عشرينه توفي السيفي بردبك الخاصكي الظاهري جقمق المعروف بإثني عشر.

وفيه توفيت الست أردبائي الجاركسية زوجة الأمير تراز القرمشي أمير سلاح المتوفي قبل تاريخه .

[٩٠] وفيه - أيضاً - توفي الشيخ المعتقد محمد بن عبد الرحمن // المعروف بابن سلطان، يأتي ذكره في آخر السنة .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه أخلع السلطان علي قاضي الإسكندرية ولي الدين محمد السنباطي باستقراره قاضي قضاة المالكية بالديار المصرية عوضاً عن ابن التنسي من غير سعي منه، وتولى قضاء الإسكندرية من بعده شمس الدين محمد بن عامر، أحد نواب الحكم المالكية .

وفيه رسم السلطان بنفي قشتم الناصري كاشف البحيرة إلى القدس الشريف .

وفيه - أيضاً - رسم بنفي إينال الساقى الظاهري جقمق المعروف بخوند إلى طرابلس، لكونه ضرب الزيني فرج كاتب الممالك السلطانية ضرباً مبرحاً .

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه توفي الأمير تمرباي التمربغاوي رأس نوبة النوب .

وفيه ماتت زوجة القاضي كمال الدين ابن البارزي، وهي بنت الأمير ناصر الدين محمد بن العطار، وكانت من خيار نساء عصرها ذنباً وعبادة وبراً، رحمها الله .

وفيه - أيضاً - توفي الزيني محمد ابن الزيني عبد الباسط وسنه نحو العشرين سنة تخميناً، وهذا ثالث ولد له مات في هذا الوباء .

شهر ربيع الأول

أوله الخميس .

فيه استقر الأمير الطواشي فيروز النوروزي الزمام والخاندار في إمرة حاج المحمل .

وفي يوم الجمعة ثانيه خرجت تجريدة إلى البحيرة ومقدمهم الأمير جرباش
المحمدي المبروف بكرد - أحد مقدمي الألف - وصحبته خمسة أمراء آخر.

وفيه توفيت الست سارة بنت الأتابك آقبا التمراري زوجة المقام
الناصري محمد بن الملك الظاهر جقمق، وصلى (عليها) السلطان من الغد
بم صلاة المؤمني، وهي بنت كريمي رحمها الله.

وفي (١) يوم الاثنين خامسه استقر الأمير أسنغا الطياري رأس نوبة النوب
عوضاً عن الأمير تمرابي التمرغاوي بعد وفاته، وأنعم بإقطاع تمرابي المذكور
على الأمير بيغوث نائب حماه، وقد كتب بإحضاره، ثم تغير ذلك بعد أيام.

وفي يوم الثلاثاء سادسه توفي الزيني عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن
الحاجب.

وفي يوم السبت عاشره توفي سيدي محمد ابن السلطان الملك الظاهر
جقمق وهو في الرابعة، وأمه أم ولد. وهذا رابع ولد مات له في هذا الطاعون،
ولم يبق له ولد ذكر غير المقام الفخري عثمان.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره عزل الأمير / / تمران عن نيابة القدس وأعيد [٩١]
نائبها خشقدم العبد الرحاني.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره توفي الشهابي أحمد ابن القاضي بدر الدين ابن
مزهري.

وفي هذه الأيام قل الطاعون بالقاهرة وكثر بضواحيها.

وفي يوم الأربعاء رابع عشره توفي أيديكي الظاهري جقمق الدوادار.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره نفي جانبك المؤيدي المعروف بشيخ
البحمداد إلى حلب.

(١) «وفي»: مكررة في «أ».

وفي يوم الثلاثاء، سابع عشرينه أخذ السلطان من القاضي ولي الدين السفطي ستة عشر ألف دينار، وسبب ذلك أن قاضي القضاة الحنبلي كان وصياً على تركة قاضي القضاة بدر الدين محمد بن التنسي المالكي، فلما عرض قماش المذكور وموجوده فوجد في جملة أوراقه ورقة مكتوب فيها ما يدل على أنه كان عند ابن التنسي ستة عشر ألف دينار وديعة للسفطي، ثم وجد ورقة أخرى فيها ما يدل على أن السفطي أخذ وديعته المذكورة، فبلغ ذلك السلطان فتغير على السفطي ورسم بأخذ المبلغ المذكور منه؛ فحمل إلى الخزانة الشريفة بتمامه وكماله، ولم يرض السلطان بذلك، وهو في طلب شيء آخر.

قلت : « إن لكل ممسك تلفاً » .

ثم إن السلطان لم يقنعه ذلك وصار يطالبه بما وقع منه من الأيمان أنه ما بقي يملك شيئاً من الذهب، ووجد السلطان بذلك مخلصاً إلى أخذ ماله وتبع ذلك.

شهر ربيع الآخر

أوله الجمعة .

(فيه) تكلم السلطان مع القضاة لما طلعوا لتنهته بالشهر في حق السفطي وما وقع منه من الأيمان الخائنة، واستفتاهم في أمره، وحرص القضاة على مجازاته، فنزلوا من عند السلطان على أن يفعلوا معه الشرع. وبلغ السفطي ذلك فخاف وأخذ في السعي في رضى السلطان، واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد، ثم بعد أيام رضى السلطان عنه بعد أن قدم إلى السلطان قماشاً بمبلغ كبير.

وفي يوم الخميس سابعه لبس القاضي كمال الدين ابن البارزي كاتب السر كاملية سمور خلعة الاستمرار، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش.

[٩٢] وفي يوم الثلاثاء ثاني عشره //، فيه أخذ السلطان من السفطي عشرة آلاف دينار.

وسبب ذلك أنها كانت وديعة عند القاضي نور الدين علي بن البرقي الحنفي، فبلغ السلطان ذلك، فأمر بأخذها، وهو مطالب - أيضاً - بغيرها.

وفي يوم الخميس رابع عشره أفحش السلطان في الخط على السفطي .
وبالغ في ذلك بحيث إنه قال : « هذا ليس له دين ، وهذا استحق القتل بما وقع
منه من الإيمان الفاجرة بأن ليس له مال ، وقد ظهر له جملة مستكثرة ، وقد بلغني
أن له عند شخص وديعة ، مبلغ سبعة وعشرين ألف دينار باقية إلى الآن » ، وظاهر
كلام السلطان أنه يريد أخذها وأخذ روحه أيضاً ، فبلغ السفطي هذه المقالة ،
فداخله من الرعب والخوف ما لا مزيد عليه ، ومع ذلك بلغني في يوم الجمعة
خامس عشره أن السفطي في تلك الليلة تزوج بكرة ودخل بها واستبكرها ، فهذا
دليل على عدم مروءته ، فإني ما أظن أنه وقع لقاضي قضاة في الإسلام من
البهدة ما وقع له ، مع علمي بما وقع لقاضي القضاة شمس الدين الهروي
وغيره من قبله ، ومع هذا كله ما وصل أحد إلى ما وصل إليه السفطي من
البهدة لمعان شتى .

وفي يوم الاثنين تاسع عشره ورد الخبر بموت خشقدم نائب القدس ،
واستقر عوضه في نيابة القدس مبارك شاه السيفي سودون من عبد الرحمن أحد
أمراء دمشق .

وفيه لبس القاضي علاء الدين علي بن محمد بن آقبرس محتسب القاهرة
كاملية باستمراره في حسبة القاهرة على مال حمله إلى الخزانة الشريفة .

وفيه استقر فارس السيفي جارقطلو المعزول عن قطيا قبل تاريخه في أتابكية
غزة عوضاً عن تراز الأشرفي بحكم القبض عليه .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه رسم السلطان بنفي يارعلي ^(١) العجمي
الطويل ، ثم شفع فيه ، فرسم له بلزوم داره بخانقاه سرياقوس .

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه عقد مجلس بالقاضي الشافعي وجماعة من
الفقهاء الشافعية بسبب ابن آقبرس .

وفي هذا الشهر ترادفت الأخبار من بلاد حلب بأن أهلها في رجيف عظيم

(١) رسم هذا الاسم في «أ» هكذا : «ير على» ، وهو صواب ، لكن ما أثبت في المتن هو الأولى لتوحيد
الرسم في سائر جوانب المخط . المحقق .

بسبب جهان كير بن علي بك بن قرايلك، وكثر كلام العامة في ذلك، ولهج الناس بسفر السلطان إلى البلاد الشامية.

[٩٣] وفي يوم السبت سلخه توفي الأمير سيف// الدين أركماس من صفر خجاء المؤيدي، وأنعم بإقطاعه على الأمير أسندمر الجقمقي، وأنعم بإقطاع أسندمر المذكور وهو إمرة خمسة على بردبك البجمقدار الظاهري جقمق.

جمادى الأولى

أوله الأحد.

ففي يوم الاثنين ثانيه استقر الأمير أزبك من ططخ الظاهري رأس نوبة عوضاً عن أركماس المؤيدي بعد موته.

وفيه استقر الزيني عبد الرحمن بن الكويز آستادار السلطان بدمشق، عوضاً عن محمد بن أرغون شاه النوروزي الأعور بحكم وفاته.

وفي يوم الأربعاء رابعه استقر علي بن إسكندر في حسبة القاهرة، عوضاً عن ابن آقبرس سفارة أبي الخير النحاس على مال بذله.

وسبب عزل ابن آقبرس ارتفاع الأسعار، فإن القمح أبيع كل أردب بثلاثمائة درهم، والفول بما يقارب ذلك، والشعير كل أردب بدينار، وزاد ثمن الدقيق على مائة درهم البطة.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره رسم السلطان بمسك يار على العجمي ونفيه، فرسم عليه إلى آخر النهار، ثم أفرج عنه وعن نائبه القاضي عز الدين عبد العزيز المنبائي بعد أن عملت المصلحة.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه خرجت تجريدة إلى البحيرة، أربعمئة مملوك وعدة أمراء ومقدمهم الأمير الكبير إينال العلائي، وصحبته من الأمراء المقدمين الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس، والأمير قاني باي الجاركسي أمير آخور، وعدة من الأمراء الطبلخانات والعشرات.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه عزل قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني الشافعي .

وسبب ذلك أن شخصاً من نوابه بمصر القديمة يعرف بابن إسحاق وقع له أنه حكم بزوجة امرأة مات عنها زوجها بعد أن طلقها في مرض موته ؛ فحكم القاضي علاء الدين ابن آقبرس بأنها بائنة منه بعد أن أقامت البينة عنده أنه مات وهي في عصمته ، ثم حضرت بينة أخرى ، وقيل : إنها هي البينة المذكورة بعينها عند القاضي ابن إسحاق المذكور بأنه طلقها قبل موته ؛ فحكم بأنها في عصمته ، فبلغ هذا الخبر السلطان ، فطلب ابن إسحاق المذكور وضربه ضرباً مبرحاً وحبسه بحبس المششرة ، ثم عزل قاضي القضاة / / المذكور ، ولهج بتولية الشيخ [٩٤] جلال الدين المحلى ، فقال جلال الدين : لا أقبل الولاية إلا بشروط منها أن لا أتكلم في الأوقاف ولا أولى قضاة الريف ، وظهر منه تمنع ، فعند ذلك تكلم أرباب الدولة في إعادة قاضي القضاة علم الدين صالح ، فأجاب السلطان وأخلع على علم الدين من الغد باستمراره .

جمادى الآخرة

أوله الثلاثاء .

فيه لبس قاضي القضاة علم الدين صالح خلعة الاستمرار .
ولما استهل هذا الشهر انحطت الأسعار فيه يسيراً ، فأبيع فيه القمح بمائتين وتسعين الأردب ، والفول بمائتين وأربعين الأردب ، والشعير بمائة وستين .
هذا مع أن زيادة البحر في هذه السنة أنقص من العام الماضي في هذا الوقت بعدة أصابع .

وفي يوم الخميس ثالثه عين السلطان الأمير تراز من بكتمر المؤيدي المصارع المعزول عن نيابة القدس إلى سفر الوجه القبلي ، وصحبته عدة من المماليك السلطانية .

وفي يوم الجمعة رابعه توجه الأمير قائم التاجر أحد أمراء العشرات وكبير

الدلائل رسولاً إلى ابن عثمان متملك بلاد الروم صحبة قصاد ابن عثمان المذكور.

وفي يوم الخميس رابع عشره ندب السلطان الأمير تمرغا الدوادار الثاني إلى توجه البحيرة إلى الأمراء المجردين بها، وعلى يده مرسوم شريف يتضمن الإفراج عمن مسكه الأمراء من عرب محارب بعد أن توغر خاطر السلطان على الأمراء لقبضهم على المذكورين، فإنهم كانوا أحضروا إلى السلطان في غيبة الأمراء وأمنهم وأخلع عليهم، فلما توجهوا إلى البحيرة وقاتلوا الأمراء قبضوا عليهم لما رأوه من المصلحة في القبض عليهم.

وفي يوم السبت تاسع عشره رسم السلطان بنفي الأمير سودون السودوني الحاجب الثالث، ثم شفع فيه وأمر بإقامته بالصحراء بطلاً.

وسبب نفيه أنه كان له مغل في إقطاعه، فحضر المغل إلى ساحل بولاق، فكلمه المحتسب في بيع نصف مغله وتخلية نصفه، فامتنع من البيع، وكان [٩٥] القمح قد عز وجوده، فكلّم أبو الخير النحاس السلطان // في أمره، فأمر بنفيه. وكان لأبي الخير النحاس مع سودون السودوني هذا أمور ذكرناها في ترجمة أبي الخير النحاس في تاريخنا المنهل الصافي.

وفي يوم الجمعة خامس عشرينه قدم الأمير تمرغا من البحيرة بعدما أطلق من توجه بسببهم.

وفي هذه الأيام - أعني من يوم الخميس إلى يوم الأحد - توقف النيل عن الزيادة، بل نقص نقصاً فاحشاً، ثم أخذ في زيادة ما نقصه، فاضطربت الناس لذلك وكثر ازدحام الناس على حوانيت الخبازين، ونهب^(١) بعض العامة الخبز من الدكاكين، وعظم هذا الأمر، وأبيعت البطة الدقيق بمائة وخمسة وثلاثين درهماً والقمح بنحو الأربعمائة درهم الأردب، فله الأمر من قبل ومن بعد.

وكان يوم الخميس المذكور يوم حادي عشري^(٢) مسرى.

(١) في «أ»: «ونهب».

(٢) في «أ»: «حادي عشرين».

وفي يوم الأحد سابع عشرينه قدم أخو السلطان الملك الظاهر جقمق من بلاد الجارکس، وكان قدم قبل هذا التاريخ مرة أخرى في الدولة الأشرفية، وهيئة قبح المنظر، ونفسه أخبث من منظره.

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه وصل الأمير قراجا العمري من دمشق - المتولى ولاية القاهرة قبل تاريخه.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه وصل الأمير جانبك الظاهري مشد جده ورفيقه القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن نصر الله.

وفيه نودي بزيادة أربعة أصابع، إصبعان من النقص، وإصبعان زيادة، فبقي لتكملة ستة عشر ذراعاً ستة أصابع، وذلك بعدما توقف عن الزيادة خمسة أيام حسبما ذكرناه.

وفي يوم الثلاثاء هذا (و) يوافق سادس عشرين مسري، وهذا شيء لم يعهد مثله إلا نادراً جداً.

وفي يوم الأربعاء سلخه الموافق له سابع عشرين مسري أوفي النيل ستة عشر ذراعاً وإصبعين من الذراع السابع عشر، فحصل للناس بهذا الوفاء الفرح التام والسرور الذي لا مزيد عليه، فنزل المقام الفخري عثمان ابن السلطان وعدى النيل وخلق المقياس، ثم عاد وفتح خليج السد على العادة، فكان هذا النهار من الأيام المشهودة.

ولقد أحسن سبط الملك الحافظ حيث (يقول) في هذا المعنى:

جبر الخليج بكسره كسر الورى طراً فكل قد غدا مسرورا

// الماء سلطان فكيف تواترت عنه البشائر إذ غدا مكسورا [٩٦]

[الكامل]

شهر رجب

أوله الخميس.

فيه زاد البحر خمسة أصابع، فتزايد سرور الناس بهذه الزيادة أعظم من

أمسه.

وفي هذا اليوم قدم الأمير جانبك تقدمته إلى السلطان، وكان أبو الخير النحاس وغر خاطر السلطان على المذكور بأمور ذكرها عنه لغالبها حقيقة، فأمر (السلطان) بالترسيم عليه، وآل أمره إلى أن يزن مالاً له صورة، يزيد على ثلاثين ألف دينار.

وفي يوم الجمعة ثانيه نودي على البحر بزيادة ثمانية أصابع، فكمل بهذه الزيادة خمسة عشر إصباعاً من الذراع السابع عشر، والله الحمد .
ومع هذا سعر القمح أزيد من أربعمئة درهم الأردب، والبطة الدقيق بمائة وخمسين درهماً إلى ما دونها.

وفي يوم السبت عاشره أمر السلطان بنفي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني إلى القدس، فتكلم في أمره بعض أرباب الدولة، فرسم (السلطان) له بأن يقيم في داره بطلاً، ثم بعد ذلك أمر بالترسيم عليه ونفيه إلى طرسوس. فشفع فيه، فرسم بتوجهه إلى القدس، وأخذ في عمل مصالحه.

ولما وقع ذلك اتفق أن بعض الأعيان سألني - فيما بيني وبينه - بأن قال: هل سمعتم بأن قاضي قضاة ينفي إلى طرسوس؟ فقلت له: ما نعلم إلا أن قصاة القضاة يحبسون بالمقشرة مع أرباب الجرائم، أعني بذلك ما وقع للسفطي قبل تاريخه. فضحك لذلك من حضرنا من الجلساء.

قلت: وزماننا هذا لا ننكر فيه ما يفعل بالقضاة وغيرهم، فإن السلطان - نصره الله - جعل نفسه والقضاة الأربعة^(١) هنداسة لمن أراد أن يثني عليه من الأطراف، فيقول: هذا فلان خير مني ومن القضاة الأربعة^(٢). ويكون الممدوح بهذه الصفة شخصاً^(٣) من الأوباش أو من المماليك الجلبان، ويقع منه ذلك بحضرة القضاة، فعلى هذا لا ينكر على السلطان ما يفعله بالقضاة ولا بغيرهم.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره سافر الأمير قراجا العمري إلى محل ولايته بالقدس الشريف. وكان قد استقر المذكور في نيابة القدس قبل تاريخه بأيام

(١) في «أ»: «الأربع».

(٢) نفسه .

(٣) في «أ»: «شخص».

قلائل مسئولاً في ذلك عوضاً عن مبارك شاه السيفي سودون من عبد الرحمن .
// وفيه توفي الأمير سودون المحمدي المعروف بأتمكجي الأمير آخور [٩٧]
الثاني .

وفي هذا اليوم - أيضاً - أخلع السلطان على الشيخ يحيى المناوي باستقراره
قاضي قضاة الشافعية، بعد عزل قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني .

وفيه رسم السلطان للشيخ علاء الدين القلقشندي الشافعي بأن يستقر في
تدريس الخشائية عوضاً عن قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، قبل في
المجلس، ثم استعفى عند نزوله لعلمه أن هذه الوظيفة لها مع البلاقنة نحوستين سنة .

وفي يوم الخميس خامس عشره رسم للقاضي علم الدين صالح بعدم
السفر إلى القدس، وأنه يقيم بداره بطلاً .

وفيه استقر الأمير برسباي الإينالي المؤيدي، الأمير آخور الثالث أمير آخور
ثانياً^(١)، بعد موت الأمير سودون أتمكجي، وأنعم عليه - أيضاً - بإقطاعه، إمرة
طبلخاناه، واستقر عوضاً عن برسباي المذكور في الأمير آخورية الثالثة الأمير
سنقر العائق الجعيدي الظاهري جقمق، وذلك في غيبة سنقر لأنه في تجريدة
البحيرة صحبة الأمراء .

وفي الثلاثاء عشرينه رسم السلطان بأن يكتب مرسوم إلى دمشق بضرب
الزيني عبد الرحمن بن الكويز آستادار السلطان بدمشق وحبه بقلعتها .

وسبب ذلك أنه لما خرج من القاهرة ووصل إلى دمشق أخرج مرسوماً
شريفاً بأنه يجلس فوق أمراء دمشق ما عدا أتابكها الأمير خيزبك المؤيدي، فشق
ذلك على أمراء دمشق، فكاتب الأمير جلبان نائب دمشق السلطان في ذلك ؛

(١) في « أ » : « أميراً آخوراً ثانياً » .

فأنكر السلطان المرسوم ونهر القاضي كاتب السر وأوسع سباً. والظاهر أن المرسوم كان الزيني عبد الرحمن زاد فيه ما يليق بخاطره، والله أعلم .

وفي يوم السبت رابع عشرينه ورد الخبر بأن الأمير قراجا العمري نائب القدس لما خرج من القاهرة متوجهاً إلى القدس الشريف اعترضه الأمير بيبرس ابن بقر شيخ العربان بالشرقية وقد انهزم من هلبا [بن] (١) سويد الخارجين عن الطاعة فأنجده قراجا المذكور وقاتل معه المذكورين ، فحصل بين الفريقين [٩٨] مقتلة عظيمة انتصر فيها قراجا وبيبرس بن بقر ، وقتلا منهم / / جماعة كثيرة ، وأمسك قراجا منهم نحو الثمانين نفرأ على ما قيل . فلما بلغ السلطان هذا الخبر ندب الأمير جانبك شاد جدة إلى إحضار هؤلاء الممسوكين بعد أن يسمروا على الجمال ويحضر بهم إلى القاهرة .

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه استقر القاضي علاء الدين ابن آقبرس في وظيفة نظر الأحباس (٢) بعد عزل قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي عنها لكبر سنه ، فلم يشكر ابن آقبرس على ما فعله ، لأنه سعى في ذلك سعياً زائداً ، وكان الأليق به ترك ذلك ، ومقام كل منها معروف في العلم والقدر والرياسة .

وفيه حضر سنقر العائق من البحيرة ، وأخلع عليه بالأمير آخورية الثالثة عوضاً عن برسباي المؤيدي كما تقدم ذكره .

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه جرت واقعة غريبة ، وهو أنه لما كان وقت الخدمة السلطانية - أعني بعد طلوع الشمس بقدر عشر درجات - وقفت العامة بشوارع القاهرة من داخل باب زويلة إلى تحت القلعة وهم يستغيثون ويصرخون

(١) راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ١ ص ٧٠ .

(٢) نظر الأحباس : وظيفة موضعها : التحدث في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة ، وما هو من ذلك على سبيل البر والصدقة لأناس معينة .

راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٨ .

بالسب واللعن ويهددون بالقتل والفتك، ولا يدري أحد ما الخبر، لعظم الغوغاء، إلى أن اجتاز علي بن إسكندر محتسب القاهرة، فلما رآوه أخذوا في زيادة ما هم فيه، ثم رجوه من باب زويلة إلى أن وصل إلى باب القلعة وهو سائق وهم خلفه، وهم مع ذلك لا يسكت لسانهم عن السب القبيح له وتعداد ما وقع له في شببته ووصلته بأبي الخير النحاس، وصاروا يخاطبونه في وجهه بمخاطبة قبيحة إلى الغاية - يستحي من ذكرها - فلما نجا منهم وطلع إلى القلعة استمروا بالشوارع وقوفاً، وانضم إليهم من المماليك السلطانية جماعة كثيرة، وهم على ما هم عليه من السب واللعن، وصاروا يعرضوا بذكر أبي الخير النحاس، ووقفوا في انتظاره إلى أن يطلع إلى القلعة. وكان أبو الخير قد ركب من داره وقصد الطلوع إلى القلعة على عادته - وكان عادته الطلوع وقت انقضاء الخدمة، وطلوع السلطان من الحوش إلى الدهيشة، وكان لا يجتمع به إلا في خلوة بالقبة داخل الدهيشة - فعرفه بعض أصحابه بالواقعة، فخرج من ظاهر القاهرة إلى أن وصل إلى باب الوزير، بلغ المماليك الذين هم في // انتظاره أنه [٩٩] فاتهم فآلقوا رءوس خيولهم غارة والعامه خلفهم حتى وافوه في أثناء الطريق، فأكل ما قسم الله له من الضرب بالدبابيس وانهزم أمامهم، وركبوا قفاه وهم مستمرون في الضرب له ولحواشييه، وهو عائد إلى جهة القاهرة، ولوى عزمه عن طلوع القلعة إلى أن وصل إلى جامع أصلم بسوق الغنم، ضربه شخص من العامة على رأسه صرعه عن فرسه، فقام ورمى بنفسه إلى بيت أصلم الذي بالقرب من جامع أصلم، والبيت المذكور ساكن فيه شخص يدعى يشبك من المماليك السلطانية من طبقة الزمام.

ومن غريب الاتفاق أن أبا الخير النحاس كان قبل تاريخه بمدة يسيرة شكاً يشبك هذا - صاحب الدار - إلى السلطان وشوش عليه غاية التشويش، وأرجف يشبك المذكور بالنفي غير مرة بسببه، حتى أخذه أغاثه^(١) الأمير فيروز الزمام وبعثه إلى أبي الخير النحاس على هيئة غير مرضية، فلما رآه أبو الخير على تلك الحالة صفح عنه، بعد أن حصل ليشبك هذا من الخوف والصغار ما لا مزيد عليه. فانظر إلى هذا الدهر وأحواله.

(١) المقصود: «سيده».

والمقصود أن أبا الخير لما ضرب وطاح عن فرسه، وكان الضارب له عبداً أسود، وأخذ عمامته عن رأسه ورمى أبو الخير نفسه إلى بيت يشبك المذكور، فهجمت عليه العامة والمماليك إلى البيت - وكان يشبك غائباً عن بيته - وأخذوا في ضربه والإخراق به وعروه حتى أخذوا أخفافه من رجله .

واختلفت الأقوال في الإخراق به، فمنهم من قال: أركبوه حماراً عرياناً وأشهروه في البيت المذكور، ومنهم من قال أعظم من ذلك .

ثم نجا منهم وألقى بنفسه من حائطه إلى موضع آخر، فتبعوه وأوقعوا به - أيضاً - وهو معهم عريان، ونهبوا بيت يشبك المذكور وأخذوا ما فيه . فلما وصل يشبك إلى داره ما أبقى ممكناً من مساعدة أبي الخير النحاس، وماذا يفعل - مسكين - مع السواد الأعظم؟

واستمر على ذلك حتى أرسل السلطان - الأمير جانبك الوالي نجدة لهم، فساق حتى لحقه فما خلصه منهم حتى أشرف على الهلاك، فأخذه جانبك وأراد أن يركبه فرساً فما استطاع لعظم ما به من الضرب والإهانة ^(١) وقد أصابه [١٠٠] الضرب في رأسه ووجهه // وسائر بدنه، فأركبه عرياناً وعليه ما يستره على بغلة، وأردفه بواحد من خلفه على البغلة المذكورة، يحفظه من الوقوع لضعفه عن الحركة، وأخذه وتوجه به على تلك الحالة إلى بيت الأمير تمربغا الدوادار الثاني بالقرب من جامع سودون من زاده، والعامة خلفه ينادون عليه بأنواع السب، ويذكرون له فقره وما قاساه من الذل والهوان قبل وصلته بالسلطان إلى أن وصل إلى بيت تمربغا بغير عمامة على رأسه، فاستمر في بيت تمربغا إلى الليل، وتوجه إلى داره مختفياً خائفاً مرعوباً، فسبحان من يعز ويذل .

هذا مع عدم تستر العوام في الخط عليه بالشوارع تجاه أعيان الدولة من غير خوف ولا تستر، كل ذلك بغير خاطر السلطان، ولم يسعه إلا السكات ، فإن المماليك والعامة صاروا الجميع في هذه الواقعة على كلمة واحدة، فكان هذا

(١) في دأ: الأمتا.

اليوم من الأيام المشهود، فإني ما رأيت ولا سمعت بمثل هذه الواقعة، وقد سبق كثير من إخراج الممالك السلطانية بأعيان مباشري الدولة من الهجم على بيوتهم وأخذ أموالهم، ولكنهم كانوا يبقون للصلح موضعاً، إلا هذا فإنهم ما كانوا يريدون إلا أخذ روحه. وهم معذرون فيه، فإنه كان بالأمس في الحضيض واليوم صار في الأوج، ومع هذا الانتقال الزائد صار عنده شمم وتكبر على من كان لا يرضى أقل غلمانه أن يستخدمه في أقل حوائجه.

شعبان

أوله السبت، ثم ثبت (أنه) الجمعة بعد أيام .

ففي يوم السبت ثانيه عزل ابن إسكندر عن حبة القاهرة، ورسم لزين الدين الأستاذار بالتكلم في الحسبة، فامتنع أولاً، ثم أجاب وياشرها بغير خلعة، ففرحت العامة بتوليته لأنه كان في أمسه - أعني يوم وقع لأبي الخير النحاس ما وقع - أمر بالنداء بأنه يوم السبت يبيع كل أردب قمح بدينار، وكان سعر القمح إذ ذاك نحو خمسمائة درهم الأردب، فلما نزل من القلعة وأخذ يتكلم في الحسبة وأرسل فتح شونته بساحل بولاق وباع منها من غير تحجير، لكنه كذب // في السعر وباع بالسعر المذكور.

[١٠١]

وكان علي بن إسكندر قد حـ جر على بيع القمح إلا بإفراج منه للبائع، وقيل: إنه كان يشتري القمح بسعر ثم يبيعه بسعر آخر أزيد من الأول، حتى أن بعض الناس اشترى قمحاً بغير إذنه، فضربه وأشهره، ونادى عليه: جزاء، وأقل جزاء (١) من يشتري القمح.

قلت: وكان له أشياء من هذا النموذج.

وفي يوم الاثنين ثالثه وصل الأمير خيربك المؤيدي أحد أمراء العشرات بمن معه من البلاد الصعيد (ية).

(١) في «أ»: «جزاء وأقل جزاء».

وفيه وصل نوكار الحاجب من حلب.

وفيه أخلع السلطان على أبي الخير النحاس كاملية حمراء بمقلب سمور، ونزل إلى داره خائفاً مرعوباً لكنه شق القاهرة، إلا أنه لم يسلم من الكلام، وصار بعض العوام يقول: «أيش هذه الهرودة»، وبعضهم يقول: «إذا اشتھت أن تضحك على الأسمر لبسه أحمر»، وصار أبو الخير يسلم على من رآه في الطريق من الناس، فمنهم من لا يرد عليه السلام، ومنهم من يقول في قفاه: «خيرتك وإلا ينحسوها». ولم ينزل معه من الرؤساء ولا أرباب الدولة إلا المقر الجمالي ناظر الخواص.

وفي يوم الخميس سابعه حضر إلى القاهرة الأمير جانبك شاد جدة، وعبد الله كاشف الشرقية، وصحبتهما العرب المسوكين، وهم نحو ثمانين نفرًا مسمرين على الجمال تسمير سلامة، فأمر السلطان بتخليتهم ونزولهم من على الجمال، ورسم بحبسهم بالمقشرة فحبسوا بها، ولما رأيتهم سألت من شخص يسمى «دمرداش» - كان ولي كشف الشرقية قبل تاريخه - ما هؤلاء؟ قال: «بيعة الرطب بقطيا» - انتهى.

وكان انتهاء زيادة النيل في هذه السنة ثلاثة أصابع من الذراع التاسع عشر، وذلك في يوم الأربعاء سادس شعبان، الموافق له سابع عَشري^(١) توت.

وفي يوم الاثنين حادي عشره كان قدوم الأمراء من البحيرة، فأخلع السلطان علي أعيانهم، أعني الثلاثة: الأتابكي إينال العلائي، والأمير تنم أمير مجلس، والأمير قاني باي الجاركسي أمير آخور.

[١٠٢] وفي يوم الاثنين ثامن عشره برز الأمير جرباش// الكريمي المعروف بقاشق - أمير سلاح - وقاضي القضاة بدرالدين محمد الحنبلي، والزيبي عبد الباسط بن خليل، ومعهم جماعة من الناس إلى الحجاز على هيئة الرجبية.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه ورد الخبر من الشام بموت الأمير بيسق الیشبكي نائب قلعة دمشق - رحمه الله.

(١) في «أ»: «سابع عشرين».

أوله الأحد.

أهل هذا الشهر والناس في جهد وبلاء من تزايد الأسعار في كل ما يؤكل، خصوصاً القمح، فإنه أبيع في هذه الأيام بستمائة درهم الأردب، والدقيق بنحو مائتي درهم البطة، والفلول بخمسمائة درهم الأردب، والشعير بأربعمائة درهم الأردب، وكل شيء تزايد سعره أضعاف ما كان عليه، وعدم وجود اللحم إلا بجهد، هذا والموافق لهذا الشهر من شهور القبط بابه، وأين الناس من الحصاد؟!

وفي يوم الجمعة سادسه ويوافقه سادس عشرين بابه لبس السلطان القماش الصوف الملون برسم الشتاء، وألبس الأمراء المقدمين على العادة.

وفي يوم السبت سابعه عزل قاضي القضاة شيخ الإسلام سعد الدين سعد بن الديري الحنفي نفسه عن القضاء بسبب حمام السفطي وما وقع له فيها من الحكم السابق، وأظهر قاسم الكاشف صاحب الحمام حكم بعض قضاة الريف بما ينقض حكم قاضي القضاة المذكور، وميل السلطان ظاهراً مع من حكم لقاسم الكاشف، فلما تبين ذلك لقاضي القضاة سعد الدين عزل نفسه وصمم على عدم الولاية، وسُئِلَ في العود فلم يقبل، واختفى الشيخ ولي الدين السفطي فلم يعرف له مكان.

وفي يوم السبت رابع عشره أعيد قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري إلى وظيفة القضاء على عادته بعد تمتع زائد.

وفي يوم الاثنين سادس عشره عقد مجلس بين يدي السلطان بالعلماء والقضاة بسبب حمام السفطي، وظهر السفطي من خبائه^(١) وحضر المجلس، وانفصل العقد على غير طائل.

وفيه خرج الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب والأمير جرباش

(١) في الأصول : « خباه » .

[١٠٣]المحمدي المعروف بكرد- أحد مقامي الألوف- إلى البحيرة لقتال // العربان العاصية .

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره ورد الخبر بموت شمس الدين محمد الحموي ناظر القدس الشريف .

شوال

أوله الثلاثاء .

في يوم السبت خامسه عزل السلطان القاضي جمال الدين يوسف الباعوني الشافعي عن قضاء دمشق، ورسم للنويري قاضي طرابلس بقضاء دمشق، فعارضه القاضي كمال الدين البارزي - كاتب السر- وقال: هذا رجل جاهل لا يصلح لقضاء دمشق. فقال السلطان: قاضي حلب؟ فأعاد كاتب السر القول، وقال: كلاهما لا يصلح لقضاء دمشق. فقال السلطان: نولي الشيخ علاء الدين القلقشندي. فقال صاحب جمال الدين ناظر الخواص: ما يرضى. فقال السلطان ما معناه: نغصبه على ذلك، وخشن في القول. فلما نزل القاضي كاتب السر سأل الشيخ علاء الدين في ذلك، فامتنع بالكلية، ورد الجواب على السلطان بذلك، فرسم أن يستقر السراج الحمصي في القضاء. وكان الحمصي - يومئذ - بالقدس في مشيخة الصلاحية.

وفي يوم السبت ثاني عشره قبض السلطان على نجم الدين أيوب ابن بدر الدين حسين ابن ناصر الدين محمد الشهير بابن بشارة مقدم العشير ببلاد صيدا، وحبسه بالبرج من قلعة الجبل .

وفي يوم الخميس سابع عشره برز المحمل إلى بركة الحاج وأميره الأمير الطواشي الرومي فيروز النوروزي الزمام والخاذندار، وأمير(الركب) الأول الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الثاني، وحج في هذه السنة من الأعيان الأمير طوخ من تراز الناصري - أحد مقامي الألوف بالديار المصرية - ببني بازق، وببني بازق باللغة التركية أعني غليظ الرقبة - وببني بضم الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف - ومعناه: رقبتة، وكسر النون، بازق بفتح الباء الموحدة وألف

وزاي مكسورة وقاف ساكنة - وحج في هذه السنة - أيضاً - الشهابي أحمد بن الأتابك إينال العلائي .

وخرج فيروز المذكور وفي وظيفته أقوال وقدره في انحطاط ، وهو أن العادة تكون «نقادة» تحت نظر الزمام من جملة أوقاف الخدام بالمدينة الشريفة ، فدخل فيروز - المذكور - يشاور السلطان قبل هذه الأيام في عدم // متحصلها في هذه [١٠٤] السنة ، وأن (هـ) إلى الآن ما حصل منها شيء فقال له السلطان : انفق من عندك ، ثم خذ من تحت يدك ، ثم أمر أبا الخير النحاس بالتحدث عليها ، فقال أبو الخير : يا مولانا السلطان ، شرط الواقف أن يكون النظر لمن كان زماماً . فقال السلطان : قد وليتك زماماً ، فأشار أبو الخير بيده إلى السلطان أن له شيء - يعني ذكر - ففطن السلطان لذلك ، ثم أجاب بأن قال : ولو كان اثنين - يعني ذكرين - فما أمكن أبو الخير إلا أنه نزل وصر الصرر من عنده نحو الثلاثة آلاف دينار .

قلت : ولو أراد أبو الخير الزمامية إذ ذاك لكان وليها ، فإن مقصود السلطان كان صر الصرر ، ودع الدنيا تنقلب ظهراً لبطن .

وفي يوم السبت تاسع عشره لبس القاضي ولي الدين الأسيوطي (خلعة) مشيخة الجمالية عوضاً عن ولي الدين السفطي بحكم تسجبه واختفائه ، فإن السفطي منذ نزل من القلعة بعد عقد المجلس الأخير اختفى .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه وصل إلى القاهرة الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب والأمير جرباش كرد من تجريدة البحيرة .

وفيه عزل ابن عامر قاضي الإسكندرية واستقر عوضه شخص يعرف بالمحلى - شافعي المذهب - والعادة أن لا يكون قاضيها إلا مالكيًا ، فأحرق السلطان العادة لما وصل إليه الشيخ الكبير - انتهى .

وفيه عزل السلطان الأمير يشبك من جانبك المؤيدي الصوفي عن نيابة طرابلس لشكوى أهل طرابلس منه لكثرة ظلمه وسوء سيرته ، ثم أعيد من الغد إلى نيابته .

ذو القعدة

أوله الأربعاء.

في يوم السبت رابعه عزل السلطان الأمير يشبك الصوفي عن نيابة طرابلس ثانياً ثم أُعيد - أيضاً - وفي إعادته أقوال.

وفي (يوم) الاثنين ثالث عشره أُعيد قاضي دمشق جمال الدين الباعوني الشافعي إلى وظيفة القضاء بها.

وفي يوم الخميس سادس عشره أخلع السلطان على الأمير حسن بك بن سالم الدوكاري بنيابة حمص بعد عزل الأمير بردبك السيفي سودون من عبد الرحمن.

وفيه توفي الشرفي يحيى بن العطار ودفن من الغد.

وفي يوم الاثنين عشرينه استقر الأمير جانبك الشبكي والي القاهرة في [١٠٥] حسبة // القاهرة مضافاً لما بيده من الإمرة والحجوبية وغيرها، ومنع زين الدين الأستاذار من التحدث فيها.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه نودي بالقاهرة على ولي الدين السفطي بأن من أحضره إلى السلطان يكون له مائة دينار، وهدد من أخفاه بعد ذلك بأنواع العقوبة والنكال.

ذو الحجة

أوله الخميس.

في (يوم) الجمعة ثانيه عقد السلطان عقده على بنت كرتبائي أمير بلاد الجاركس الواصل إلى القاهرة قبل تاريخه وصحبته ابنته المذكورة، وأسلمها، واختتن كرتبائي - المذكور - وحسن إسلامه على ما قيل، وبني السلطان بها في ليلته، وأزال بكارتها.

وكان السلطان قد أنعم على ولده الفخري عثمان بوصيفة فأزال عثمان

- أيضاً - بكارتها في الليلة المذكورة، وبشر السلطان بذلك، فأنعم على من بشره بمائتي دينار فرحاً بولده عثمان المذكور.

وفي يوم السبت ثالثه استقر عبد العزيز بن محمد الصغير الأمير آخور من جملة الحجاب بالقاهرة بعد أن قدم عمة خيول.

وفي يوم الخميس ثامنه وصل الأمير يشبك الصوفي نائب طرابلس إلى القاهرة بطلب، وتمثل بين يدي السلطان بمجرد وقوفه - بعد تقبيل الأرض - ورسم السلطان بتوجهه إلى ثغر دمياط بطلاً، فنزل من وقته وتوجه إلى ثغر دمياط.

وفيه رُسم بعزل شهاب الدين أحمد بن الزهري عن قضاء الشافعية بطرابلس، واستقر مكانه برهان الدين إبراهيم السُوييني، ورسم بأن يكتب مرسوم شريف للقاضي برهان الدين - المذكور - بالكشف عن أمر الأمير يشبك الصوفي المعزول عن نيابة طرابلس.

وفيه رسم بالقبض على الأمير قراجا العمري نائب القدس، وتوجهه إلى دمشق بطلاً.

وقد أعيد مبارك شاه العبد الرحاني إلى نيابة القدس.

وفيه عزل الأمير علان المؤيدي عن حجوبية حجاب حلب لشكوى الأمير قاني باي الحمزاوي - نائب حلب - عليه، واستقر عوضه في الحجوبية الأمير سودون من سيدي بك القرماني أخذ مقدمي حلب، ثم انتقض ذلك كله في اليوم (المذكور) واستمر علان على حجوبيته بسفارة القاضي كمال الدين البارزي // - كاتب السر - فإنه أعلم السلطان بالمحاضر التي وردت من [١٠٦] علان - المذكور - تتضمن أن التشاجر الذي وقع بينه وبين النائب - المذكور - إنما هو بسبب إزالة المنكرات من حلب والأمر بالمعروف والقيام في ذلك. فلما سمع السلطان مقالة القاضي كاتب السر رسم بإعادته.

ومن غريب الاتفاق في هذه السنة، أنه مات فيها من المواشي كالأبقار والأغنام وغير ذلك ما لا يدخل تحت الحصر من عدم العلوقة والفناء، فأيقن كل أحد بغلو سعر الأضحية، فلما كان العشر الأول من ذي الحجة وصل إلى

القاهرة من الأبقار والأغنام شيء كثير، حتى أبيعت بالثمن البخس.

وفي يوم الأربعاء رابع عشره وقف إلى السلطان جماعة من أهل المعرة وشكوا على الصارمي إبراهيم بن بيغوث - نائب حماه - وعلى ابن العجيل، وأنهوا عنها أشياء قبيحة أوجبت تغير خاطر السلطان عليهما؛ وندب السلطان السيفي جانم الساقى الظاهري إلى حماه بطلب إبراهيم بن بيغوث - المذكور - وطلب ابن العجيل وفي رقبة كل واحدٍ منهما - زير.

وخرج جانم - المذكور - في يوم الجمعة بعد الصلاة وفي ظن كل أحد أن بيغوث يخرج عن الطاعة ولا يرسل ولده على هذه الهيئة.

وفيه وصل بدر الدين حسن بن المزلق ناظر جيش دمشق بعد أن كشف عن بلاد صيدا، عن أمر نجم الدين أيوب بن بشارة المقبوض عليه قبل تاريخه، وأحضر صحبته عدة محاضر تتضمن عظام في حق ابن بشارة، منها أنه تزوج بثمانية نسوة، ومنها أنه قتل بيده جماعة، وأمر بقتل سبعة وعشرين نفراً، ومنها (أنه) استولى في مدة مباشرته - وهي نحو أربع سنين - على مائتي ألف دينار وسبعة عشر ألف دينار وأربعمائة دينار، وأشياء من هذا النمط يطول شرحها.

ولما كان يوم الاثنين تاسع عشره رسم السلطان بتسمير ابن بشارة - المذكور - فسمر، وطيف به القاهرة على جمل، ثم وسط من يومه - المذكور - ووسط معه شخص آخر من أعوانه.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه، فيه أخلع السلطان على الأمير قشتم [١٠٧] الناصري - الواصل من القدس الشريف قبل تاريخه - باستقراره // في كشف الوجه البحري على عادته، بعد عزل محمد الصغير.

وفي يوم السبت رابع عشرينه قدم مملوك الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب، ومملوك علان حاجب حلب، وتمثلا بين يدي السلطان وتفاوضا في الكلام، وكل منهما يتكلم عن أستاذه، فمال السلطان إلى الأمير قاني باي الحمزاوي وعزل الأمير علان المذكور عن حجووية حلب، ورسم له بالتوجه إلى طرابلس بطالاً، ورسم بأن يستقر عوضه في حجووية حلب سودون القرمانى

المتقدم ذكره، ثم بطل ذلك. ووليها قاسم بن جمعة القشاشي على مال بذله في ذلك، وأنعم بإقطاع قاسم - المذكور - وإمرته - وهي إمرة طبلخاناه بدمشق - على الأمير - جانبك شيخ المؤيدي المعزول عن حجوبية حلب قبل تاريخه أيضاً.

وفيه رسم السلطان لماماي المظفري - أحد الدوادارية الصغار - بالتوجه إلى دمياط وأخذ الأمير يشبك الصوفي منها مقيداً وحبسه بثغر الإسكندرية.

وفيه وصل مبشر الحاج أيدكي الأشرفي وأخبر بموت الشريف سراج الدين [عبد الحميد] ^(١) قاضي الحنابلة بمكة، وأخبر - أيضاً - بموت قاضي قضاة مكة الخطيب أبو اليمن النويري، وأخبر - أيضاً - بسلامة الحاج والرخاء الزائد.

قلت: والرخاء بمكة في هذه السنة من الغرائب، لغلو الأسعار بالديار المصرية، لأن السعر في العام الماضي كان بالقاهرة كل أردب (قمح) كان بمائة وعشرين درهماً، والفلو بثمانين درهماً الأردب، والدقيق العلامة بأربعين درهماً البطة. ومع هذا الرخاء أبيع الحمل الدقيق بمكة في تلك السنة بعشرة دنانير الحمل، والفلو المجروش وبيتين بدينار.

وفي هذا العام الناس بالقاهرة في جهد من غلو الأسعار، وكل أردب قمح بنحو ثمانمائة درهم، والفلو بخمسمائة درهم، والدقيق كل بطة بمائتين وخمسين درهماً، وهو مع هذا قليل الوجود ولا يوجد إلا بعسر زائد، ومع ذلك أبيع الحمل الدقيق بمكة بمثل سعره في العام الماضي. وأما الفلو المجروش فأبيع بأنقص من العام الماضي، فإنه أبيع في هذه السنة كل أربع وبيات بدينار، وكان الظن بخلاف ذلك.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه // رسم باستقرار الأمير يشبك [١٠٨] النوروزي - حاجب حجاب دمشق - في نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير يشبك الصوفي بمال بذله في ذلك، وحمل إليه التشريف والتقليد على يد الأمير أسنباي الجمالي الظاهري أحد أمراء العشرات، ورسم بإعادة الأمير جانبك الناصري

(١) ساقط من «أ»، مثبت من «ت»

إلى حجووية حجاب دمشق عوضاً عن يشبك النوروزي ، وجهاز تشريفه وتشريف حاجب حلب على يد بلبان الظاهري الخاصكي .

وفيه رسم بتوسيط ثلاثة من مشايخ العربان بالبحيرة فوسطوا في الحال بالقاهرة ، وهم : إسماعيل بن زايد ، ورحاب ، وسقر . وكانوا مسجونين بقلعة الجبل .

وفيه أنعم السلطان بإمرة جانبك المنتقل إلى حجووية حلب بدمشق على الأمير بردبك العجمي المقيم بدمياط بطلاً ، والمعزول عن نيابة حماه قبل تاريخه ، وهي مقدمة ألف بدمشق .

وفي هذه السنة ورد الخبر بوقوع الخسف بين أرض سيس وطرسوس ، ولم أتتحقق مقدار الأرض التي خسفت .

وفي هذه السنة - أيضاً - كان الفراغ من بناء جامع زين الدين الأستاذار بخط بولاق على النيل ، ولم أدرِ المصروف على بنائه من أي وجه .

وفيه - أيضاً - كان الفراغ من تجديد سبيل ابن قايماز خارج القاهرة .

وفي هذه السنة شرع صاحب جمال الدين يوسف ناظر الخواص في حفر بئر تكون منهاً للحاج بمنزلة البويب^(١) ، ثاني منزلة الحاج .

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً ، وكان مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة أصابع .

* * *

(١) منزلة البويب : في أول طريق الحاج المصري ، فيما بين بركة الحاج والطليحات .
راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ١٤ ص ٣٨٦ .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

(١) توفي الشيخ شهاب الدين أحمد الهيقي^(١) الشافعي، أحد أعيان طلبة الشافعي.

كان مجاوراً بالجامع الأزهر، مكباً على الإشغال والاشتغال، مع دين وصيانة وعفة وصلاح، إلى أن توفي بالجامع - المذكور - في يوم الأحد رابع عشر المحرم، رحمه الله تعالى.

(٢) وتوفي القاضي شهاب الدين أحمد المسطيهي^(٢) الشافعي أحد نواب الحكم في يوم الاثنين خامس عشر المحرم، رحمه الله تعالى.

(٣) وتوفي // سيدي أحمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق^(٣) في يوم [١٠٩] الأربعاء أول صفر، وهو في السابعة.

(١) هو «أحمد بن علي بن إبراهيم بن مكنون الهيقي، الأزهرى، الشافعي»، له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٥، الذيل التام ق ٩٠ ب - ٩١ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٦ - ٧ تر ١٦.

(٢) هو «أحمد بن علي بن عامر بن عبد الله»، له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٥ - ٢٧٦، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٠ - ٢١ تر ٦٥.

(٣) له ترجمة في: السخاوي، الضوء اللامع ج ١ ص ٢٦٧، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٢.

وأمه خوند شاه زادة بنت ابن عثمان متملك بلاد الروم .

ومات للملك الظاهر في هذا الطاعون ثلاثة ذكور آخر وشقيقة أحمد - هذا - وبنت أخرى، ذكرناهم في وقتهم فيمن تقدم، رحمهم الله .

(٤) وتوفي الشيخ علاء الدين الكرمانى^(١) شيخ خانقاه سعيد السعداء في يوم الخميس ثاني صفر . وكان خيراً ديناً مشكور السيرة، رحمه الله تعالى .

(٥) وتوفي السيد الشريف حسن بن علي^(٢) المعزول عن نقابة الأشراف قبل تاريخه ، في يوم الاثنين سادس صفر . وكان من بيت رياسة وشرف ، رحمه الله - تعالى - وعفا عنه .

(٦) وتوفي القاضي برهان الدين إبراهيم بن ظهير^(٣)، ناظر الإسطنبول السلطاني في يوم الاثنين سادس صفر - أيضاً - ودفن من الغد، رحمه الله تعالى^(٤) .

(١) هو « علاء الدين، أبو الحسن علي الكرمانى، الشافعى »، له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٥، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٨٣، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٥٧ تر ١٦٧ .

(٢) هو « حسن بن علي، بن أحمد بن علي بن حسين ، الحسنى ، الأرموى » . له ترجمة في : السخاوي، التبر المسبوك ص ٢٧٩، الذيل التام ق ٩١ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٠٥، تر ٤٢٠ .

(٣) هو « إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن ظهير، السلمونى، القاهري - الحنفى »، له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٥ - ٥٣٦، السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٧١ - ٢٧٢، الذيل التام ق ٩١ أ، الضوء اللامع ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٤) يتبع ذلك في هامش «أ» حاشية هي : «حاشية: وتوفي الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أبي يزيد الهندي الحنفى، شيخ الجهورية بالجامع الأزهر بالطاعون في سنة . . . وكان له تدريس القانباية برأس سوقة معمم، وتلقاها عن نجم الدين القرشي . وكان أحد أشياخنا - رحمهم الله تعالى - لم . . . تعمم للأنصارى الحنفى » .

(٧) وتوفي السيد الشريف علي بن حسن بن عجلان^(١) - المعزول عن إمرة مكة قبل تاريخه - بالطاعون في ثغر دمياط في أوائل صفر. وكانت له محاضرة حسنة ومعرفة، وعنده كرم. وبالجملية فهو من سلالة طاهرة، وورد الخبر بموته في يوم الجمعة عاشر صفر - رحمه الله تعالى.

(٨) وتوفي الأمير سيف الدين تمتاز بن عبد الله القرمشي^(٢) الظاهري برقوق أمير سلاح في يوم الجمعة عاشر صفر - أيضاً - ودفن من الغد، ولم يحضر السلطان الصلاة عليه لشغله عنه بجنازة بنته حسبها ذكرناه قريباً أنه مات في اليوم المذكور عدة من الأعيان.

وتمتاز المذكور أصله من ممالك الملك الظاهر برقوق، وترقى من بعده إلى أن ولي نيابة غزة في الدولة الأشرفية برسباي سنين، ثم عزله وأحضره إلى القاهرة على إمرة مائة وتقدمة ألف، ثم جعله رأس نوبة النوب بعد الأمير أركماس الظاهري المنتقل إلى الدوادارية الكبرى بعد خروج الأمير أربك المحمدي إلى القدس بطالاً، فدام تمتاز على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى الأمير آخورية الكبرى بعد القبض على الأمير جانم الأشرفي، فلم تطل مدته، ونقله الظاهر // إلى إمرة سلاح بعد الأتابك يشبك السودوني [١١٠] المشد، فدام على ذلك تمتاز إلى أن مات في التاريخ المذكور.

(١) هو «علي بن حسن بن عجلان بن رميثة بن محمد بن الحسن بن علي بن قتادة الحسني المكي»، له ترجمة في:

ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٢، الذيل التام ق ٩١ ب، الضوء اللامع ج ٥ ص ٢١١ تر ٧٠٩، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٢.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ تر ٧٩٠، المنهل الصافي ج ٤ ص ١٤٨ - ١٥٠ تر ٧٩٢، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٦ - ٥٣٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٩، الذيل التام ق ٩١ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٨ تر ١٥٣، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٢.

وكان أميراً عاقلاً، ساكناً، كريماً، جواداً، قليل الكلام فيما لا يعنيه،
نادرة في أبناء جنسه .

سمعت الأتابك آقبا التمرزي يقول عنه : لولا أنه مسرف على نفسه
لكنت أقول : هذا من الأبدان^(١) الصالحين ؛ لاشتماله على محاسن لم تعرف
من مثله ، رحمه الله تعالى .

(٩) وتوفي قاضي القضاة بدر الدين محمد^(١) ابن قاضي القضاة ناصر الدين
أحمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عواض بن نجابن أبي الشاء حمود بن
نهار بن مؤنس بن حاتم بن نيلي بن جابر بن هشام بن عروة بن الزبير بن
العوام - رضي الله عنه - حواري رسول الله - ﷺ - وابن عمته ، هكذا نقلته من
خطه . قاضي قضاة الديار المصرية، التنسي المالكي الإسكندري الأصل، في
يوم الاثنين ثالث عشر صفر، وكانت جنازته مشهودة .

وكان فقيهاً ديناً عالماً عفيفاً، قامعاً لشهود الزور، مشكور السيرة في
أحكامه إلى الغاية، بحث إنه كان مفرداً في معناه . وكان له نظم .

من ذلك ما قاله في النوم في طاعون سنة سبع وأربعين وثمانمائة، أنشدني
إجازة إن لم يكن سماعاً :

إله الخلق* قد عظمت ذنوبي فسامح، ما لعفوك من مشارك
أغث يا سيدي عبداً فقيراً أناخ ببابك العالي ودارك
[الوافر]

قلت : وهذا مثل قول حافظ العصر، قاضي القضاة شهاب الدين أحمد
ابن حجر - رحمه الله - وهو مما أنشدني من لفظه لنفسه :

(١) في «أ» : «الأبدال» .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٩٨ تر ٢٠٥٣ ، المنهل الصافي مج ٣
ق ٧٨ أ - ٧٩ ب ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٧ - ٥٤٠ ، السخاوي . التبر المسبوك
ص ٢٨٤ - ٢٨٧ ، الذيل التام ق ٩١ أ ، الذيل على رفع الإصر ص ٢٣٩ - ٢٤٥ ، الضوء اللامع
ج ٧ ص ٩٠ - ٩٢ تر ١٨٤ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٣ .

سرت وخلفتني غريباً في الدار أصلي هوى بنارك
أدرك حشاً حرقت غراماً في ربعمك المعتلي ودارك
[مخلع البسيط]

ومما يقارب هذا المعنى قول الفخر ابن مكناس:

بحق الله دع ظلم المعنى ومتعته كما يهوى بأنسك
وكف اللوم يا محبوب عمن بيومك رحت تهجره وأمسك
[الوافر]

// ومن شعره - أيضاً - فيما يقرأ على قافيتين مع استقامة الوزن: [١١١]

جفوت من أمواه لا عن قلي فظل يحفوني يروم الكفاح
ثم وفا لي زائراً بعده فطاب نشر من حبيب وفاح
[السريع]

قلت: وهذا - أيضاً - مثل قول شهاب الدين ابن حجر:

نسيمكم ينعشني في الدجى طال، فمن لي بمجيء الصباح
ويا صباح الوجوه فارقتكم فشبت هما إذ فقدت الصباح

[السريع]

وأنشدني - أيضاً - من لفظه لنفسه في المعنى العلامة شمس الدين النواجي:

خليلي هذا ربع عزة فاسعيا إليه وإن سالت أدمعي به طوفان
فجفني جفا طيب المنام وجفنها جفاني، فيا لله من شرك الأجفان

[الطويل]

ومثله - أيضاً - لقاضي القضاة صدر الدين علي بن الأدمي الحنفي:

يا متهنني بالسقم كن منجدي ولا تطل رفضي فإني عليل

أنت خليلي فبحق الهوى كن كشجوني راحماً يا خليل
[السريع]

(١٠) وتوفي الأمير سيف الدين إينال بن عبد الله الشيبكي^(١)، أحد أمراء
العشرات في يوم الأربعاء خامس عشر صفر.

كان أصله من محاليك الأتابك يشبك الشهباني وتنقل في الخدم من بعده
حتى صار خاصكياً في الدولة الأشرفية، ورأس نوبة الجمدارية، ثم امتحن
بسبب تربة أستاذه، ثم تأمر في الدولة الظاهرية جقمق عشرة، واستمر إلى أن
مات، رحمه الله (وعفا عنه)^(٢).

(١١) وتوفي القاضي ولي الدين أبو اليمن محمد ابن تقي الدين قاسم بن
عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر الشيشيني الأصل، المحلى
الشافعي، المعروف بابن قاسم^(٣) في يوم الجمعة سابع عشر صفر.

كان أولاً يلي قضاء المحلة، وصحب الملك الأشرف في حال إمرته، فلما
تسلطن قربه وأدناه وناداه لدعابة كانت فيه وحسن محاضرة وخفة روح مع إفراط
السمن، حتى إنه كان لا يحمله إلاّ الجياد من الخيل، ونالته السعادة بذلك،
[١١٢] وأثرى، وعدّ من الرؤساء // ثم ولى نظر الحرم بمكة ومشیخة الخدام بالمدينة
الشریفة إلى أن طلبه الملك الظاهر جقمق إلى القاهرة وصادره، ثم رضي عنه
وناداه بعد ذلك إلى أن توفي.

(١) مضاف من «ت».

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بزدي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٧٧ تر ٦٢٦، المنهل الصافي ج ٣
ص ٢١٦ تر ٦٢٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٨،
الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٣٠ تر ١٠٨٦، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٧.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٧٤ تر ٢٣١٥، المنهل الصافي مج ٣
ق ٦٣ أ- ٦٤ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٩ -
٢٩٠، الذيل التام ق ٩١ ب، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢٨١ - ٢٨٢ تر ٧٧٧.

وكان خيراً ديناً لطيفاً، ذا طباع لينة، عفيفاً عن المنكرات، رحمه الله تعالى.

(١٢) وتوفي الأمير إسماعيل بن عمر الهواري^(١) أمير هواره ببلاد الصعيد، وكانت وفاته بالقاهرة في يوم الجمعة سابع عشر صفر.

(١٣) وتوفي الأمير سيف الدين قراقجا بن عبد الله الحسني^(٢) الظاهري، الأمير الآخور الكبير في يوم السبت ثامن عشر صفر.

وتوفي ولده - أيضاً - في يومه المذكور. وجهزا معاً، ودفنا من الغد، وحضر السلطان الصلاة عليهما جملة.

وكان قراقجا - المذكور - من محاسن الدنيا ديناً وعفة وأدباً وتواضعاً مع حسن السيرة.

وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق، وتآمر بعد موت الملك المؤيد شيخ وترقى في الدولة الأشرفية برسباي إلى أن صار من جملة أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ثانياً، ثم ولي إمرة مائة وتقدمة ألف إلى أن ولاه الملك الظاهر جقمق رأس نوبة النوب بعد الأمير تمتاز القرمشي في سنة اثنتين وأربعين، ثم في السنة نقله إلى الأمير آخورية الكبرى بعد تمتاز - المذكور - أيضاً، فاستمر في الأمير آخورية سنين، وبنى عدة أملاك، أوقف غالبها على مدرسته التي أنشأها بالقرب من قنطرة طقزدمر.

وكان عارفاً بأنواع الفروسية، رأساً في ركوب الخيل، وقد استوعبنا ترجمته في تاريخنا «المنهل الصافي» بأوسع من هذا، لكننا اختصرنا في ترجمته هنا هو وغيره

(١) هو إسماعيل بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز البنداري الهواري، له ترجمة في:

السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٧ - ٢٧٨، الذيل التام ق ٩٢، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٠ تر ٩٦٦.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٣، الذيل التام ق ٩٢، الضوء اللامع ج ٦ ص ٢١٦ تر ٧٢٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٣.

لكثرة من مات في هذه السنة بالطاعون، كل ذلك خشية الإطالة.

(١٤) وتوفي السيد الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان بن رميثة^(١) المعزول عن إمرة مكة المشرفة بالقاهرة في ليلة الاثنين عشرين صفر، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمني، ودفن على والده بالصحراء بعد أن مات أكثر أصحابه.

وكان قدومه إلى القاهرة صحبة الحاج في هذه السنة للسعي في إمرة مكة، فكان أحق بقول أبي الفتح البستي:

«أراق دمي أراق دمي^(٢)»

[الوافر]

عفا الله - تعالى - عنه .

(١٥) وتوفيت خوند نفيسة^(٣) بنت الأمير ناصر الدين بك بن دلغادر، زوجة السلطان الملك الظاهر جقمق في يوم الثلاثاء حادي عشر صفر، وحضر السلطان الصلاة عليها.

ونفيسة - المذكورة - كان تزوجها الأتابك جانبك الصوفي لما قدم على أبيها ناصر الدين بك ببلاده، ووافقه ناصر الدين بك - المذكور - على مخالفة الملك الأشرف برسباي واستولدها بنتاً، واستمرت نفيسة عند أبيها حتى طلبها الملك الظاهر جقمق، فقدمت القاهرة مع والدها بعد سنة ثلاث وأربعين ومعها بنتها من جانبك الصوفي، فتزوجها السلطان، ودامت في عصمته إلى أن توفيت

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٣، الذيل التام ق ٩١ ب، الضوء اللامع ج ١١ ص ١٣٤ تر ٤٣٤.

(٢) كذا في الأصل، وصوابه:

«أرى قدمي أراق دمي»

(٣) لها ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٩٣ - ٢٩٤، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٣٠ تر ٧٩٩، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٣.

بالطاعون في التاريخ المذكور، رحمها الله تعالى.

(١٦) وتوفي الأمير بختك الناصري^(١)، أحد أمراء العشرات بالديار المصرية في يوم الأربعاء سادس عشرين صفر، وكان متوسط السيرة لا يعتد به.

(١٧) وتوفي الأمير مغلباي الساقي الظاهري المعروف بطاز^(٢)، أحد ممالك الظاهر جقمق وخواصه في يوم الأربعاء ثاني عشرين صفر، وسنة نيف على عشرين سنة.

وكان من مساويء الدهر، وتأمر قبل موته بأقل من نصف شهر، عفا الله عنه.

(١٨) وتوفي الشيخ المعتقد، العالم الصالح، محمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن سلطان، المعروف بالشيخ محمد بن سلطان^(٣)، الغزي الأصل، المصري الدار والوفاة، الشافعي. في يوم الأحد سادس عشرين صفر.

وكان الناس فيه على قسمين ما بين معتقد ومعتقد، والقسم الأول أوفر، وكان لا يتردد إلى أحد من الناس، بل الأكابر والأعيان تتردد إلى بابه، وكانت معيشته جيدة، ولا يعرف أحد من أين ينفق، واختلفت الأقوال في أمره، حتى قيل: إنه كان يعرف علم الكيمياء أو ضرباً منه، رحمه الله.

وكان شيخاً فصيحاً، للطول أقرب، مليح الشكل، أبيض اللحية نيرها، صاحب علم ومعرفة ومحاضرة حسنة ومشاركة جيدة في عدة علوم، واطلاع واسع واشتغال قديم. جالسته كثيراً، رحمه الله تعالى، وعفا عنه.

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٨، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢ تر ٧.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٣٧ تر ٢٥١٦، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٤٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٩٣، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٥، تر ٦٧٧.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٢ - ٥٤٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٨ - ٢٨٩، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(١٩) وتوفي الأمير سيف الدين تمرباي بن عبد الله التمربغاوي^(١)، رأس نوبة النوب في يوم الأربعاء تاسع عشرين صفر.

[١١٤] كان أصله من // ممالك الأمير تمربغا المشطوب نائب حلب، وتنقل من بعده في الخدم حتى اتصل بخدمة الملك الظاهر ططر حال إمرته، فلما تسلطن ططر جعله دواداراً ثالثاً إلى أن نقله الملك الأشرف برسبائي إلى الدوادارية الثانية بعد موت الأمير جانبك الأشرفي الدوادار الثاني على إمرة عشرة، ثم صار من جملة أمراء الطبليخانات بعد مدة، واستمر على ذلك حتى صار أمير مائة ومقدم ألف في الدولة العزيزية يوسف، ثم نقله الملك الظاهر إلى وظيفة رأس نوبة النوب بعد قراقجا الحسني بحكم انتقاله إلى الأمير آخورية في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، واستمر على ذلك إلى أن مات بعد أن سافر أمير حاج المحمل غير مرة، وكان مهملاً لا ذات ولا أدوات.

(٢٠) وتوفي الزيني عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعروف بابن الحاجب^(٢) في يوم الثلاثاء سادس شهر ربيع الأول، وهو من بيت رياسة وأصالة، وهو آخر رؤساء بني الحاجب رحمه الله تعالى.

(٢١) وتوفي الشهابي أحمد ابن القاضي بدر الدين محمد بن محمد بن مزهر^(٣) في يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول، ودفن من الغد بتربة والده بالصحرَاء في عنفوان شببته.

وكل هؤلاء ماتوا بالطاعون رحمهم الله.

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٢٢ تر ٧٧٨، المنهل الصافي ج ٤ ص ٩١-٩٣ تر ٧٨٠، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٩، الدليل التام ق ٩٢، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٩ تر ١٦٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٣.

(٢) هو «عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الله»، له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨١، الضوء اللامع ج ٤ ص ٨٤ تر ٢٣٨.

(٣) هو «أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الخالق بن عثمان»، له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٧، الدليل التام ق ٩١، الضوء اللامع ج ٢ ص ١٧١ تر ٤٨٦، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٤.

(٢٢) وتوفي الأمير سيف الدين خشقدم السيفي سودون من عبد الرحمن (١) نائب القدس في شهر ربيع الآخر، وتولى نيابة القدس من بعده مبارك شاه خشدادشه.

وكان خشقدم المذكور من أطراف الناس المهملين، لا تعرف أحواله فتشكر أو تذم، عفا الله عنه.

(٢٣) وتوفي الأمير سيف الدين أركماس بن عبد الله من حيدر نجبا (٢) المؤيدي شيخ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، المعروف بآركماس الأشقر في يوم السبت سلخ شهر ربيع الآخر، وكان عنده تغفل زائد، رحمه الله.

(٢٤) وتوفي الأمير سيف الدين سودون بن عبد الله المحمدي (٣) المؤيدي المعروف بآتمكجي - أعني خبازاً باللغة التركية - في يوم الاثنين ثاني عشر شهر رجب، وهو في عشر الخمسين.

وكان أميراً شجاعاً مقداماً كريماً، وعنده أدب وتواضع، رحمه الله تعالى.

// (٢٥) وتوفي الأمير سيف الدين بيسق بن عبد الله الإشبكي (٤) نائب [١١٥] قلعة دمشق في شعبان بها.

وكان بيسق المذكور من مماليك الأتابك يشبك الشعباني، وتنقل في الخدم

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٨٦ تر ٩٨٢، المنهل الصافي مج ٢ ق ٤٠ أ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٩، الذيل التام ق ٩٢ أ، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٧٤ تر ٦٧٩..

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٧، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٨ تر ٨٣٢.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٣٥ تر ١١٥٥، المنهل الصافي مج ٢ ق ١١٤ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٠، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٦ تر ١٠٨٥، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٤.

(٤) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٠ تر ٧٤١، المنهل الصافي ج ٣ ص ٥٠٤ - ٥٠٥ تر ٧٤٣، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٨ - ٢٧٩، الذيل التام ق ٩٢ أ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٣ تر ١١٥.

من بعده حتى صار في الدولة الظاهرية جقمق أمير خمسة، ثم أمير عشرة، ثم ولي نيابة قلعة صفد مدة، ثم عزل وقدم القاهرة على إمرة عشرة، وولي نيابة دمياط إلى أن نقله الملك الظاهر منها إلى نيابة قلعة دمشق بعد موت شاهين الطوغانى في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، فدام بقلعة دمشق حتى توفي بها. وكان بيسق - المذكور - من خيار الناس ديناً وشجاعة وتواضعاً وأدباً، رحمه الله .

(٢٦) وتوفي شمس الدين محمد الحموي^(١) ناظر القدس الشريف في شهر رمضان بالقدس .

وكان الحموي هذا من صغار أهل حماء حتى اتصل بخدمة المقر الكمالى ابن البارزى وبأشر توقيعه أثرى، وعرف بين الناس إلى أن طلبت نفسه الزيادة، وسعى في نظر القدس حتى وليه، فلم تطل مدته، ومات في التاريخ المذكور، ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة﴾ (٤٤ : الأنعام).

(٢٧) وتوفي يحيى بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر^(٢)، القاضي شرف الدين، الحموي الأصل، الكركي المولد، المصري المنشأ والدار والوفاة، الشهير بابن العطار، الأديب الشاعر في يوم الخميس سادس عشر ذي الحجة.

وكان مولده في شهر رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة، وكان مخلصاً له محاسن ومساوئ، وهو ممن أنشأ المقر الكمالى البارزى، وكان له نظم ونثر ومشاركة في فنون، ومن شعره :

(١) هو «محمد بن صلاح بن يوسف، الحموي، الشافعي»، له ترجمة في :

السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٨٧، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٧٣ تر ٦٩٨ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافى ج ٢ ص ٧٧٤ - ٧٧٥ تر ٢٦٢٠، المنهل الصافى مج ٣ ق ٢٧٤ - ٢٧٥ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٤ - ٥٤٦، السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٩٤ - ٢٩٨، الذيل التام ق ٩١ أ، الضوء اللامع ص ٢١٧ - ٢٢١ تر ٩٤٤، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٦، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٨ .

لأمر أرى هذا العذار تبسما
وأرشد لما أن دجا غيب الصبا
فأهدي الهدى لكنه قد نهى النهى
فكم عندما أبصرت فودي أبيضاً
وكم قد همى جفني كما تمطر السما
وما أنا باك للشباب الذي مضى
ألفت البكا لما أنفت (من) البغا
// وكم قد طما بحر بعيني قط ما
وأعرضت عن شمسي وبدري وكوكبي
فعوضني بالمدح في صاحب اللوا
ولست موفٍ بالمدائح حقه

وأطلع في ليل الشبية أنجما
ء حتى اهتدى بالنجم فيه وعليما
وداوي لعمري كلما الجهل كلما
جرت عن دم حمر المدامع عندما
بدمع غما لكن بما يشبه الدما
ولكن لعمر في التصابي تضرما
وعبت. الهوى كأساً ففعت^(١) المحرما
عهدناه في عصر الصبا منهما هما [١١٦]
ووجهت وجهي للذي فطر السما
عن النظم والتشبيب في ربة اللما
ولو أن لي في كل جارحة فما
[الطويل]

ومن شعره - أيضاً - من قصيدة مطولة :

أهل بدر إن أحسنوا أو أساءوا
إن أفاضوا دمعي فكم قد أفادوا
وعيونى إن فجروها عيوننا
لا تلمهم على احمرار دموعي
أنا راضٍ منهم وإن هم رضوني
يا نزولاً بمهجتي في رياض
كل غصن عليه طائر قلبي
صدحه كله حنين ووجد
منع السهد طيفكم ولحظي
وعزولي يرى سلوى فرضا
يدعى في الهوى إخواني ونصحي

أهل بدر فليفعوا ما شاءوا
منه من وداهم وأفاءوا
بدموع كأنهن دماء
فلهم عندي اليد البيضاء
فسواء عندي القلى واللقاء
من وداذ أغصانها لفاء
صاح تقتيدي به الورقاء
واشتياق ولوعة وبكاء
صار حتى من عندي البرحاء
أنسا من رأيه على براء
ليت شعري من أين هذا الإخاء ؟

(١) في «أ» : «ففعت».

عينه عن محاسن الحب عمياء وأذني عن عدله صماء
وهذه القصيدة تزيد على ستين بيتاً.
[الخفيف]

وله موشحة كل [شطر] قرينة من كلام شاعر، لم يسبق لمثله، وهي :

المتنبى :
أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل وظل يسفح بين العدل والعدل

ابن النبيه :
يا ساكن السفح كم عين بكم سفحت ملء الزمان وملء السهل والجبل

ابن اللبان :
قلب معني ومدمع صعب يجر أذياله وينسحب

الموصلی :
لمن عيناً غدت بالدمع في لجج ابن الفارض :

وكل طرف عن الإغفاء لم ييح ابن نباتة :
ومهجة (الصب) للأشجان قد صلحت

ابن الفارض :
لا خير في الحب إن أبقى على المهج

[١١٧] // ابن نباتة :
لم يبق لي في الهوى ملاذ يا ليتني مت قبل هذا

الصفدي :
تركنتي أصعب الدنيا بلا أمل المتنبى :

فلا أقول لشيء ليت ذلك لي

ابن زيدون :
ما جال بعدك طرفي في سنا القمر
الغزي :

فإن ذلك ذنب غير مغتفر

ابن [ال] نبيه :
لي همة [لدني] قط ما طمحت
الغزي أيضاً :

لما تواضع أقوام على غرر

البهاء زهير :
وأين ما كنت كنت عبدك
ابن الجوزي :

على تعاد دعاوى للهوى قبلي
وأنت تعلم أي بالغرام ملي
القيصري :

بما بعطفك من لين ومن صلف
تلاف مضناك قد أشفي على التلف
ابن النبيه :

فالموت إن غضت الأجفان أو فتحت
يا أكحل الطرف أو يا أزرق الطرف
علاء الدين ابن أبيك

لسائل الدمع صرت باهر
وسرت والقلب منك خاطر

الصورى :

يردى الطعين وحد الرمح لم يصل
ما خاب من سأل الحاجات بالأسل
وغادة أشرقت كالبدر في الظلم

المتنبي :

وقبلتني على خوفٍ فما لفمي

ابن [ال] نبيه :
لا، بل هي الشمس زالت بعدما جنحت

الحلي :

فلم تدم لي وغير الله لم يدم

كم اختلسنا من العناق
البدر الدمايني :

ونحن بالأنس بالتلاقي

وكم سرقنا على الأيام من قبل
الشريف الرضى :

بلا رقيب كشرب الطائر الوجل

ومن شعره ما كتبه للقاضي كمال الدين البارزي كاتب السر الشريف لما
كان بدمشق :

يا سيداً جد بالنوى لي وطال ما جاد بالنوال

من يوم سافرت زاد نقصي يا طول شوقي إلى الكمال

[مخلع البسيط]

وكانت وفاته في التاريخ المذكور، وصلى عليه من الغد، وحضر السلطان
الصلاة عليه .

(٢٨) وتوفي السيد الشريف قاضي القضاة سراج الدين عبد اللطيف
الفاسي^(١) الحنبلي ، قاضي قضاة مكة بها في أواخر السنة .

وكان كريماً متواضعاً ، ورحل من مكة إلى الشرق^(١) ، واجتمع بالقان
معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك غير مرة ، وأكرمه غاية الإكرام ، وعاد من عنده
[١١٨] بأموال كثيرة، وكان لشاه رخ // وبنيه فيه اعتقاد ومحبة زائدة، رحمه الله تعالى .

(١) هو «عبد اللطيف بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن سعيد بن عبد الملك» ، له ترجمة في :

ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٤٢٩ ت ١٤٨٠ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢٤٠ ،
النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٦ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، الذيل التام
ق ٩١ ب ، الضوء اللامع ج ٤ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ تر ٩٢٣ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب
ج ٧ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٢٩) وتوفي قاضي القضاة أبو اليمن محمد النويري^(١) الشافعي ، قاضي مكة وخطيبها في ذي القعدة بها ، وتولّى من بعده قاضي القضاة جلال الدين أبو السعادات ابن ظهيرة .

وكان القاضي أبو اليمن المذكور خيراً ، ديناً ، عفيفاً ، قل أن ترى العيون مثله ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(١) هو « محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله ، الهاشمي ، العقيلي ، النويري » ، له ترجمة في :

ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٦ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٩٠ - ٢٩١ ،
الذيل التام ق ١٩٠ ، الضوء اللامع ج ٩ ص ١٤٣ - ١٤٤ تر ٣٦٠ ، ابن العماد الحنبلي .
شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٨ .

سنة أربع وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية الملك الظاهر جقمق العلائي الظاهري، والخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، والقاضي الحنفي شيخ الإسلام سعد الدين ابن الديري، والقاضي الشافعي شرف الدين يحيى المناوي، والقاضي المالكي ولي الدين السنباطي، والقاضي الحنبلي بدر الدين ابن عبد المنعم البغدادي - وهو في الحجاز - والأمير الكبير الأتابك إينال العلائي الناصري، وأمير سلاح جرباش الكريمي المعروف بقاشوق، وهو - أيضاً - في الحجاز، وأمير مجلس تنم من عبد الرزاق المؤيدي، والأمير آخور الكبير قاني باي الجاركسي، وحاجب الحجاب تنبك البردبكي، ورأس نوبة النوب أسنبغا الطياري، والدوادر الكبير دولت باي المحمودي المؤيدي، ومقدمو الألو: المقام الفخري عثمان ابن السلطان، وطوخ من تمتاز الناصري المعروف ببني بازق، والشهابي أحمد بن علي بن إينال، والطنبغا اللفاف الظاهري، وجرباش المحمدي المعروف بكرد، وشاد الشراب خاناه يونس السيفي آقباي نائب الشام، والزردهكاش تغري برمش السيفي يشبك بن أزدمر، وكلاهما طبلخاناه، والخازندار قراجا الظاهري، ونائب قلعة الجبل يونس العلائي الناصري، وكلاهما أمير عشرة، والزماد والخازندار الطواشي فيروز النوروزي، وهو أمير حاج المحمل في هذه السنة، ومقدم الممالك جوهر النوروزي، ونائبه مرجان العادلي المحمودي.

ومباشرو الدولة: كاتب السر القاضي كمال الدين البارزي، وناظر

الجيش محب الدين ابن الأشقر، والوزير // أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، [١١٩]
والأستادار زين الدين يحيى قريب ابن أبي الفرج، وناظر الخواص جمال الدين
يوسف بن كاتب حكيم.

وملوك الأقطار ونواب البلاد وغيرها: أمير مكة المشرفة الشريف
بركات بن حسن بن عجلان، وأمير المدينة النبوية الشريفة أميان بن مانع بن علي
الحسيني، وأمير ألبنوع الشريف هلمان.

نواب البلاد الشامية: ونائب دمشق جلبان الأمير آخور، ونائب حلب قاني
باي الحمزاوي، ونائب طرابلس يشبك النوروزي حاجب حجاب دمشق، وهو
إلى الآن لم يدخل طرابلس، ونائب حماه بيغوث الأعرج المؤيدي، ونائب صفد
يشبك الحمزاوي، ونائب غزة خيربك^(١) النوروزي، ونائب الكرك حاج إينال
الحكمي، ونائب القدس مبارك شاه العبد الرحمان، وهو إلى الآن بدمشق، ونائب
ملطية جانبك الحكمي، ونائب إسكندرية برسباي البجاسي .

وبممالك العجم وجغتاي: صاحب سمرقند وغيرها من ممالك العجم
ألوغ بك بن شاه رخ بن تيمورلنك، ملك البلاد بعد وفاة أبيه شاه رخ وأجلي
أولاد أخيه باي سنقر إلى أطراف العجم، وهم علاء الدولة وبار ومحمد، وملك
محمد بعض البلاد من العجم واستوطنها بالبعد عن ألوغ بك، وعلاء الدولة
التجأ إلى قلعة مع جدته لأبيه كهرشاه خاتون، وهي أم ألوغ بك - أيضاً -
وصاحب تبريز وبغداد والسلطانية وغيرها جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد
التركمان، وديار بكر مع أولاد قرايلك وأعظمهم جهان كير بن علي بك بن قرا
يلك، وصاحب برصا وأدرنابولي وغيرها من بلاد الروم خوند كار مراد بك بن
محمد كرشجي بن يلديريم بايزيد بن مراد بن أرن خان بن أردن علي بن
عثمان بن سليمان بن عثمان، وبجانب من بلاد الروم اسفنديار بن أبي يزيد،
وببلاد قرمان إبراهيم بن قرمان، ونائب أبلستين سليمان ابن ناصر الدين بك
محمد بن دلغادر.

(١) في «أ»: «جبريل» .

وبممالك الغرب: صاحب تونس وبجاية وسائر بلاد أفريقية السلطان أبو عمرو عثمان ابن أبي عبد الله محمد ابن أبي فارس عبد العزيز ابن أبي العباس أحمد الحفصي المغربي.

[١٢٠] وبممالك الفرنج: سبعة عشر // ملكاً يطول الشرح في ذكرهم، وببلاد الحبشة الخطي الكافر ومحاربه سعد الدين صاحب جبرت^(١)، نصره الله.

المحرم

أوله السبت، الموافق لحادي عشرين مسري.

دخلت هذه السنة والناس في جهد وبلاء من غلو الأسعار، والسعر فيه: القمح بثمانمائة درهم الأردب إلى ما دونها، والشعير كذلك، وهو قليل الوجود، والدقيق العلامة بمائتين وسبعين درهماً البطة إلى ما دونها، والرطل الخبز بستة دراهم، لكنه كثير الوجود يومئذ، وكان قبل تاريخه بمدة يسيرة عزيز الوجود، ثم إنه كثر على الدكاكين ولله الحمد.

وفي يوم السبت أول هذا الشهر وصل الأمير برد بك العجمي الحكمي من ثغر دمياط وطلع إلى القلعة، ونزل بعد تقبيل الأرض على أنه يقيم بالقاهرة مدة يسيرة يعمل مصالحه ويتوجه إلى دمشق، إلى محل إمرته كما ذكرناه في ذي الحجة.

وفيه أخلع السلطان على الأمير محمد بن تومان بن محمد باستقراره في إمرة آل فضل، عوضاً عن ابن عمه العجل بن قرقماس بن حسن بن نعيم بحكم عزله.

(١) جبرت (جبرة)، وتسمى - كذلك - أوفات (وفات): إحدى ممالك المسلمين في الحبشة - قديماً، كانت مملكة عامرة بالقرى، رخيصة الأسعار، يتكلم أهلها الحبشية والعربية، ويتمذهبون للشافعي والحنفي.

راجع بشأنها: المقرئزي. الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص ٦ - ٧، القلقشندي. صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٢٥ - ٣٢٦

وفي هذه الأيام وصل قاسم المؤذي كاشف الوجه القبلي غريم السفطي ميتاً ، محمولاً على جمل ليدفن بالقاهرة بعد أن مرض يوماً واحداً .

وفي يوم الاثنين عاشره وصل الأمير آقبردي الساقى الظاهري نائب قلعة حلب إلى القاهرة وتمثل بين يدي السلطان، ثم نزل بالميدان .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره وصل الزيني عبد الباسط بن خليل من الحجاز الشريف وطلع إلى القلعة وقبل الأرض، وأخلع عليه كاملية صوف أبيض بفرو سمور بمقلب سمور، ونزل إلى داره ومعه وجوه الدولة، ومجيئه على النجب، وقد خلف الأمير جرباش قاشوق وقاضي القضاة الحنبلي بالعقبة، وسفر الجميع من مكة المشرفة من غير أن يعرجوا إلى المدينة النبوية، فإنهم زاروا القبر الشريف في توجههم إلى مكة، ولما قضوا مناسك الحج قفلوا راجعين إلى الديار المصرية، فلهذا كان قدومهم في هذا التاريخ .

وفي يوم الخميس ثالث عشره وصل الأمير جرباش الكريمي الظاهري أمير سلاح، وتخلف قاضي القضاة بدر الدين الحنبلي مع الركب الأول في وسط النهار، وطلع // جرباش إلى السلطان في يومه، وقبل الأرض، وأخلع عليه [١٢١] كاملية بمقلب سمور وقيد له فرس بسرّج ذهب وكنبوش زركش، وخرج من بين يدي السلطان، ودخل إلى ابنته خوند صاحبة القاعة بالدور السلطاني وسلم عليها، ثم نزل من باب السلسلة وبين يديه جماعة من أعيان الأمراء إلى سكنه تجاه القلعة في البيت المعروف ببيت الأمير الكبير .

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه وصل إلى القاهرة ركب كبير من الحاج من المجاورين بمكة المشرفة من المماليك السلطانية وغيرهم .

وفي يوم السبت ثاني عشرينه وصل السيفي جانم الساقى الظاهري من حماه وصحبته إبراهيم بن الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج نائب حماه وابن العجيل شيخ المعرة، وكلاهما في الحديد، وأوقفهما جانم المذكور بين يدي السلطان، وحضر في الوقت الشكاة عليهما، فسمع السلطان المطالعة التي على يد جانم من نائب حماه، ثم أمر بحبسهما في البرج من القلعة، ولم يسمع عليهما دعوى

الشكاة ، بل طيب خاطر الشكاة (ب) أن قال لهم : قد حضر غرماؤكم ، ثم قام من وقته ودخل إلى الدهيشة .

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه وصل الركب الأول من الحاج وأميره حسبها ذكرناه الأمير تمرغا الظاهري الدوادر الثاني، وصحبته الأمير طوخ من تمتاز المعروف بني بازق أحد مقدمي الألوف بالقاهرة، وقاضي القضاة بدر الدين الحنبلي .

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه وصل أمير حاج المحمل الأمير الطواشي فيروز النوروزي الزمام الخازندار ببقية الحاج .

وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه أنعم السلطان على الغرسي خليل بن شاهين الشيعي أحد مقدمي دمشق بإمرة عشرين زيادة على ما بيده من الإمرة .

وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه عقد السلطان عقد الأمير أزيك من ططخ الظاهري على أبنته من مطلقة خوند بنت البارزي ، وهي أعظم أولاده ، وكان العقد بقاعة الدهيشة بحضرة السلطان بعد نزول الأمراء من صلاة الجمعة من غير جمع .

[٢٢] وفي يوم السبت تاسع عشرينه توفي الطواشي كافور الهندي رأس نوبة // الجمدارية وساقى خاص - كان - قبل تاريخه .

صفر

أوله الاثنين .

في يوم الخميس رابعه استقر أبو الفتح انطبيي أحد أعوان أبي الخير النحاس في نظر جوالي دمشق ووكالة بيت مالها على أنه يقوم في السنة للخزانة الشريفة بخمسين ألف دينار على ما قيل . كل ذلك بسفارة أبي الخير النحاس .

وفيه لبس عبد العزيز بن محمد الصغير (خلعة) شاد الدواوين السلطانية عوضاً عن جانبك الشبكي والي القاهرة ، وصار عبد العزيز المذكور أمير آخوراً وحاجباً وشاد الدواوين ، وهذا شيء لم يعهد مثله ، فإن كل وظيفة من هؤلاء

مستقلة بذاتها ومنزلتها معروفة كما وضعتها الأوائل من الملوك .

وفي يوم السبت سادسه توفي التاجر داود المغربي .

وفي يوم الخميس حادي عشره حبس القاضي شمس الدين محمد الديسطي المالكي بحبس الديلم بسبب دعوى القاضي ناصر الدين ابن المخلطة المالكي عليه بمجلس شيخ الإسلام سعد الدين ابن الديري الحنفي بأنه قال في حقه : ما أنا مثل ابن المخلطة أتناول^(١) الرشا ، وكلام آخر من هذا النوع ، وأقيمت عليه البينة بذلك ، فحبس .

وفيه رسم بكتابة توقيع شمس الدين محمد بن سعيد بقضاء الخنايلة بمكة عوضاً عن الشريف سراج الدين بحكم وفاته .

وفيه - أيضاً - رسم السلطان لوالي القاهرة أن يضرب العبد المعتقد سعدان - عبد قاسم الكاشف - ويشهره ثم يحبسه بحبس المقشرة ، ففعل به ذلك .

وحكاية هذا العبد غريبة ، وهو أنه لما مات أستاذه قاسم المؤذي الكاشف في أوائل هذه السنة خلف موجوداً وأموالاً وأولاداً لصلبه ، فأراد زين الدين يحيى الأستاذ أن يحتاط على الموجود ليأخذه على عادة أمثاله ، فنهاه هذا العبد وأفحش عليه في القول على طريقة الفقراء الأحمدية وأمعن في ذلك ، وصعد إلى مقعد الأستاذ ، واختلفت الأقوال في مقالته للأستاذ ، فمنهم من قال : إنه سبه ، ومنهم من قال : إنه رمى بعمامته عن رأسه . والمقصود أن الأستاذ أراد أن يرسم عليه ، فتقدم إليه الرسول وأراد أن يمسه // فصار لا يستطيع الحركة [١٢٣] - هذا على ما قيل ، ولم أنقل ذلك عمن أثق به - فلما سمع زين الدين ذلك رد ما كان أخذه لأستاذه ، وتوجه هذا العبد إلى بيت أستاذه وأقام به ، وقد شاع ذكره في القاهرة ، وتحأكت الناس ما وقع له مع الأستاذ وزيادة ونوه بذكره العوام في الطرقات ، حتى صار كل أحد يلهج بذكره ، فعند ذلك قصده الناس من كل فج

(١) في «أ» : «أتنا» ، بإسقاط الواو واللام .

للزيارة والتماس بركته، وتردد الناس إليه فوجاً فوجاً، وعظم ذلك حتى صار لا يتوصل إليه أحد إلا بعد جهد كبير من كثرة الخلائق، وافتن الناس [به]، ثم صار يحتجب عن الناس، وصار لا يتصل إليه إلا من له شوكة أو يكون من أعيان الدولة، وبقيت الحارة التي هو ساكن بها تشبه بعض المفترجات من كثرة الخلائق والبيعة والمتنزهين والزوار، واستمر ذلك أزيد من عشرة أيام وأمره في نمو وزيادة، وزاره جماعة من أكابر الأمراء وأعيان الدولة، وقصده ذوو العاهات وأرباب الأمراض الزمنة، وكثر الكلام فيهم وما وقع لهم معه إلى أن بلغ السلطان أمره، أمر والي القاهرة والأمير تنبك حاجب الحجاب بضربه وحجسه، فلما دخلا عليه تهاون الأمير تنبك في ضربه ولم يجسر عليه، وبلغ السلطان ذلك، فرسم بنفي تنبك - المذكور - إلى ثغر دمياط بطلاً، وتولى الطواشي خشقدم ووالي القاهرة ضرب العبد - المذكور - وحجسه، وتوجه الأمير تنبك إلى ثغر دمياط من الغد، ومسفره الأمير جانبك الشبكي والي القاهرة.

ولما حبس هذا العبد أصبح الوالي من الغد فوجد على باب السجن خلأئ، فضرب البعض وحبس البعض ممن له اعتقاد في العبد المذكور.

وفي يوم السبت ثالث عشره أفرج عن شمس الدين محمد الديسطي من حبس الديلم وأدعى عليه عند قاضي القضاة ولي الدين السنباطي المالكي بدعاوى كثيرة، والله أعلم بصحتها، إلى أن اقتضى أمر القاضي تعزيره فعزره تعزيراً بالغاً، وأفحش في أمره إفحاشاً شنيعاً أظهر فيه الغرض التام في أذاه مراعاة لخطر أبي الخير النحاس، ثم أشهره في شوارع القاهرة عرياناً ينادي عليه : «هذا جزاء من يهرب من الشرع الشريف». ثم حبس ثانياً .

[١٢٤] وسبب هذه // القضية وتحامل النحاس عليه أنه لما مات داود المغربي التاجر بعد أن أوصى [إلي] الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب والصاحب جمال الدين ناظر الخواص وغيرهما، فتقدم الديسطي هذا وختم على موجود داود المغربي على أنه من جملة الأوصياء، أو من جهة من هو وصي، وبلغ أبا الخير النحاس الخبر، ووقع بسبب ذلك كلام بين أبي الخير والديسطي، وحلف الديسطي أنه ما ختم، وطلع أبو الخير إلى السلطان واستماله على أن يكون هو

المتحدث على تركة داود المغربي، فنزل من وقته وأرسل إلى الديسطي بعض رسل الشرع ففر الديسطي من الرسول وساق فرسه حتى طلع إلى القلعة ودخل إلى السلطان وسأله بأن يدعي عليه عند قاضي القضاة الحنفي، ونزل، فادعى عليه عنده، ثم وقع ما حكيناه إلى يومنا هذا.

وفيه برز المرسوم الشريف بإحضار الأمير خشقدم الناصري المؤيدي الساقى أحد مقدمي ألوف دمشق إلى القاهرة ليستقر على إقطاع الأمير تنبك حاجب الحجاب وحجوبيته بالديار المصرية، ويتوجه الأمير علان المؤيدي المعزول عن حجوبية حلب قبل تاريخه والمقيم بطرابلس بطلاً على إقطاع خشقدم - المذكور - بدمشق وتقدمته.

وفي يوم الاثنين خامس عشره، فيه لبس الأمير آقبردي الساقى نائب قلعة حلب خلعة السفر، ورسم له بالتوجه إلى حلب.

وفي هذه الأيام رسم باستقرار قاضي القضاة جلال الدين أبي السعادات ابن ظهيرة في قضاء مكة عوضاً عن قاضي القضاة أمين الدين أبي اليمن النويري بعد موته.

وفي يوم الاثنين هذا طلب السلطان من^(١) ولدي الأمير تنبك حاجب الحجاب المنفي إلى دمياط ومن مباشره ثلاثين ألف دينار، يعني المتوفر، ثم آل أمرهم إلى حمل عشرة آلاف دينار على ما قيل.

وفي هذه الأيام عزل السلطان بدر الدين حسن بن الصواف الحنفي عن قضاء حماه، وولّى عوضه العلامة شهاب الدين أحمد بن عربشاه الدمشقي مسئولاً في ذلك.

وفيه عزل ابن الزويغة آستادار السلطان بحماه وحاجبها، وولّى عوضه يغمور، وأنعم عليه بجميع وظائف ابن زويغة. ويغمور هذا من أوباش الناس، له مدة يسيرة منذ صار جندياً، وإنما كان من سنّيات يخدم تبعاً عند

(١) «من»: مكررة في «أ».

[١٢٥] الأجناد والخاصكية // وذلك على مال بذله يغمور المذكور، وبسفارة أبي الخير النحاس.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره رسم السلطان بأن ينقل الأمير جانم الأمير آخور - وكان قريب الملك الأشرف برسبائي - من القدس الشريف ويحبس بحبس الكرك.

وكان جانم - المذكور - قد جاور بمكة سنياب بعد خروجه من الحبس وأحب أن يتوجه إلى القدس، فسأل في ذلك، فأنعم له بالمجيء إلى القدس، فلما وصل إليه تكلم فيه عند السلطان، فرسم بحبسه.

وفيه أفرج عن شمس الدين الديسطي من حبس الديلم.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه وصل الأمير قانم التاجر من بلاد الروم وعليه خلعة خوند كار مراد بك بن عثمان متملك برصا. وفيه مات الطواشي عبد اللطيف الرومي الإينالي.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره وصل الأمير جانبك الشبكي والى القاهرة ومحتسبها من ثغر دمياط بعد أن أوصل الأمير تنبك إليها وتناول منه ألف دينار تسفيرة أو أقل منها.

وفي الثلاثاء ثالث عشرينه، فيه نودي بالقاهرة بأن لا يلبس النصارى واليهود على رءوسهم أكثر من سبعة أذرع من العمام.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه استقر قاضي القضاة زين الدين عمر الحرزي الشافعي في قضاء حلب بعد عزل ابن وجيه.

وفيه لبس الأمير بردبك العجمي الحكمي أحد مقدمي الألوف بدمشق إمرة حاج محمل دمشق، ورسم له بالتوجه إلى دمشق.

شهر ربيع الأول

أوله الثلاثاء .

في يوم الجمعة رابعه ، ويوافقه ثالث عشرين برمودة لبس السلطان القماش الأبيض على العادة .

وفي يوم السبت خامسه رسم السلطان بأن يكتب مرسوم شريف بعزل الأمير حاج إينال الحكمي عن نيابة الكرك وأن يستقر مكانه في نيابة الكرك الأمير طوغان دوادار السلطان بدمشق ، واستمر ذلك إلى أن طلع أبو الخير النحاس إلى القلعة بعد نزول مباشري الدولة ، وكلم السلطان في عود الحاج إينال - المذكور - إلى نيابة الكرك ، فأجابه السلطان إلى ذلك وأبطل ما كان رسم به . كل ذلك في أقل من نصف نهار .

وفيه ، يوم الأحد سادسه عمل السلطان // المولد النبوي على العادة في ٢٦ كل سنة .

وفي يوم الاثنين سابعه أمر السلطان بالإفراج عن عبد قاسم الكاشف من حبسه بالمقشرة ، ورسم له بالتوجه إلى حيث شاء ، ولا يقيم بالقاهرة .

وفي يوم الخميس عاشره عزل السلطان القاضي برهان الدين السوبيني الشافعي عن قضاء طرابلس ، وأعيد ابن عز الدين إلى قضاء طرابلس بمال بذله .

وفي يوم الجمعة حادي عشره توفي الشيخ المسند المعمر الخطيب شمس الدين الرشيدي .

وفي يوم السبت ثاني عشره ، فيه ورد الخبر من القدس الشريف بموت شاد بك الحكمي بعد مرض طويل . وفي يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول هذا .

وفي يوم الأربعاء سادس عشرة ، فيه كان الابتداء في مهم بنت السلطان الملك الظاهر جقمق على الأمير أربك ، وعمل السلطان في اليوم المذكور مدة هائلة للأمراء بالحوش السلطاني من القلعة ، وأصبح

المهم الكبير من الغد في يوم الخميس في بيت خالها كمال الدين ابن البارزي كاتب السر بالقاهرة بالخراطين وهو مهم النسوة وأمامهم الرجال فكان في بيت الأمير أزيك خارج بابي زويلة بداره التي عمرها الأمير قزطوغان الأستاذار، وركب الأمير أزيك المذكور في آخر النهار المذكور بعد صلاة المغرب من داره المذكورة وتوجه إلى أن نزل بقاعة بالقرب من الخيمين، ثم ركب بعد عشاء الآخرة وبين يديه الأمراء والأعيان مشاة، وحمل الأمراء الشموع أمام فرسه، ولبس أطلسين متمر^(١) ومشى القاضي كمال الدين البارزي أمام فرسه والقاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيش، والصاحب جمال الدين ابن كاتب جكم ناظر الخواص في آخرين إلى أن وصل إلى بيت القاضي كمال الدين ابن البارزي نزل عن فرسه ودخل قاعة الفرح وجلت عليه بنت السلطان وبني بها.

وأما المهم المذكور فلس بذاك، وإنما كان كعادة مهمات بعض الأكابر غير أن شوارها كان خارجاً عن الحد، ولم يحمل على رعوس الحمالين على عادة الأشورة، لكنه أخرج من الحواصل ونصب في بيت الدخول - أعني بيت خالها [١٢٧] القاضي كمال الدين // كاتب السر.

ولما كان الفراغ من نصب الجهاز وفرش البيت المذكور أذن للناس بعد ذلك في الدخول والتفرج في الجهاز المذكور، فرأى الناس من الأقمشة والزراكش وأنواع الفراء وأواني البلور والمصاغ من الفضيات والتحف من الصيني المكتب ما أدهشهم وحيرهم.

ودخلت أنا القاعة المذكورة ورأيت بها من الأقمشة ما لم أره قبل تاريخه، ولم أر قليلاً في هذا المعنى، فإن كريمي خوند فاطمة كانت زوجة الملك الناصر فرج بن برقوق، وكانت هي خوند الكبرى صاحبة القاعة إلى أن مات الملك الناصر عنها، وكانت زوجة والدي الأولى خوند بنت الملك المنصور حاجي والثانية خوند حاج ملك بنت ابن قرا زوجة الملك الظاهر برقوق، وقد رأيت ما

(١) المتمر كما جاء في قول المقرئ (الخطط ج ٢ ص ٢٢٧): «شاش من عمل الإسكندرية، حرير شبيه بالطويل، منسوج بالذهب».

كان لهن من الأقمشة والأمتعة والتحف، ومن ثم إلى يومنا هذا فكثير، ومع هذا ما رأينا بل ولا سمعنا بمثل هذا الشوار ولا بمثل كثرته ولا حسنه، ولا ما اشتمل عليه من أنواع البشاخين المزركشة^(١) ومن شراريب الفوط المكلفة باللؤلؤ الهائل، ومن أنواع التحف التي لم يسبقها أحد من الخوندات قبلها إلى الملك - انتهى .

وفي يوم الخميس وصل الأمير خشقدم إلى القاهرة وقبل الأرض بين يدي السلطان، وأنعم عليه بتقدمة ألف، عوضاً عن الأمير تنبك حاجب الحجاب حسبما تقدم ذكره.

وفيه أخلع السلطان على تنبك النوروزي الخاصكي بناية صهيون بعد عزل بردبك العجمي السيفي طرباي أحد أمراء طرابلس.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه أخلع على الأمير خشقدم الناصري المقدم ذكره باستقراره في حجوبية الحجاب عوضاً عن تنبك المذكور.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه وصل محب الدين محمد بن الشحنة الحنفي قاضي قضاة حلب إلى الأبواب الشريفة وتمثل بين يدي السلطان.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه توفي الأمير علي باي الساقى الأشرفي

شهر ربيع الآخر

أوله الأربعاء.

فيه نودي بالقاهرة على الفلوس الجدد بأن كل رطل بستة وثلاثين درهماً بعد أن كانت باثنين وأربعين درهماً الرطل.

وفيه عين السلطان من المماليك السلطانية والخاصكية مائة وعشرة خاصكية // لحفظ السواحل من مفسدي الفرنج.

[١٢٨]

وفي يوم الخميس ثانيه أنعم السلطان على الأمير تمتاز الأشرفي الزردكاش بإمرة عشرة بعد موت الأمير علي باي الأشرفي.

(١) المقصود: دائر السري، أو الناموسية .

راجع: د. سعيد عاشور. العصر المماليكي ص ٣٩٦ .

وفيه - أيضاً - عين السلطان جماعة أخر من المماليك السلطانية مضافاً إلى من عينه في أمسه لحفظ الثغور الإسلامية.

وفي يوم السبت رابعه نودي على الفلوس الجدد على ما كانت عليه أولاً حسبما ذكرناه.

وفي يوم الاثنين سادسه لبس الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ناظر الخواص خلعة الرضى بعد أن ألزم الجمالي المذكور بحمل مائة ألف دينار إلى الخزانة الشريفة، وكل ذلك بواسطة أبي الخير النحاس، فإنه لم يزل يوغر خاطر السلطان على المذكور ويطمعه في ماله ويحسن له القبض عليه والمصادرة له حتى أذعن له السلطان في ذلك وانقاد إلى مقالته، ومن حينئذ أخذ أمر ناظر الخاص في انحطاط، وصار أبو الخير هو صاحب الحل والعقد في الممالك، واستفحل أمره بهذه الواقعة كثيراً وعظم وضخم، فإن أبا الخير كان قد تقدم على جميع أرباب الدولة وأبادهم ما خلا ناظر الخاص هذا، فإن الكلمة كانت قد بقيت بينهما في الدولة وصارا كفرسي رهان، وبقي كل منهما يخالف الآخر فيما يرومه، والآن قد انحصرت الكلمة في أبي الخير [النحاس] :

إذا تم أمر بدا نقصه توق زوالاً إذا قيل تم
[المتقارب]

وفي اليوم المذكور استقر زين الدين عبد القادر بن الرسام الحموي في نظر جيش حلب عوضاً عن محب الدين ابن الشحنة بحكم عزله.

وفي يوم الثلاثاء سابعه رسم السلطان بالترسيم على محب الدين ابن الشحنة والتوجه به إلى بيت الأمير دولات باي الدوادار لشكوى بعض أهل حلب عليه.

وفي يوم الأربعاء ثامنه كان مهم الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس على أبخت السلطان الملك الظاهر جقمق الواصلة في العام الماضي من بلاد الجاركس.

وفي يوم الخميس تاسعه عزل السلطان القاضي كمال الدين ابن البارزي

عن وظيفة كتابة السر، والسبب الموجب لذلك أن عبد العزيز بن محمد // [١٢٩] الصغير لما توجه إلى ثغر دمياط في شهر ربيع الأول. وصحبته فرس للأمير تنبك الحاجب من قبل السلطان الملك الظاهر على عادة الأمراء البطالين، كتب على يد المذكور مرسوم شريف يتضمن أخذ أجرة الأحكار التي بالثغر، فلما توجه عبد العزيز - المذكور - أفحش في حق أهل دمياط وظلم وعسف، وألزمهم بما لا قدرة لهم عليه، ولما استطال على أهل دمياط حصل له إخراج من بعض عامة أهل دمياط، ورجم وشج في جبينه وفي أنفه بحجر، وبلغ السلطان ذلك فشق عليه ما فعله عبد العزيز المذكور ورسم بإحضاره، وكتب بذلك على يد شعبان البريدي، وأنعم السلطان على شعبان - المذكور - بعشرين ظاهرياً من الخزانة الشريفة، وخرج شعبان من يومه متوجهاً إلى ثغر دمياط لإحضار المذكور، ثم التفت السلطان إلى كاتب السر - المذكور - وعنفه وأغلظ عليه بعد أن أنكر ما رسم به، وقال: لم أرسم بشيء من ذلك. فأخذ القاضي كمال الدين في محاققته والإمعان في ذلك إلى أن ظهر صدق مقالته، فعز ذلك على السلطان وعزله، فنزل كاتب السر - المذكور - إلى بيته بطلاً، وترددت إليه أكابر الدولة، وكثر الكلام في أمره، واستمر ذلك إلى ما سيأتي ذكره.

وفي يوم السبت حادي عشره رسم السلطان بعزل الأمير محمد بن توقان ابن نكير عن إمرة آل فضل وولى مكانه غنام بن عمه، وحمل تقليده على يد السيفي خشكلدي الدوادار.

وفي يوم الاثنين ثالث عشره توفي سيدي محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق وسنه دون عشرة أشهر.

وفيه رسم السلطان بنفي الأمير سودون لإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش - أحد أمراء العشرينات ورأس نوبة - إلى القدس، وسبب نفيه أن السلطان كان بلغه أن العرب العاصية من محارب قد وصلوا إلى بلاد البحيرة، فندب إلى قتالهم الأمير جرباش المحمدي المعروف بكرد، أحد مقدمي الألوف، والأمير سودون قراقاش - المذكور - فخرجوا من يومهما وذلك في يوم السبت حادي عشره

وكبسا إلى محارب غارة بمن معهم وظفروا بمال محارب فاستولوا عليها، ونزحت محارب فأخذوا المال وعادوا إلى بر الجيزة إلى أن وصلوا إلى منبابة تجاه بولاق [١٣٠] فعدى الأمير جرباش والأمير سودون قراقاش - المذكور - البحر وتركوا // ما أخذه من مال محارب في بر منبابة وقد أمن القوم بأن محارب فروا منهم، وأيضاً قد وصلوا تحت حرم السلطان، فلم يكن إلاّ قدر ساعة وإذا بمحارب قد انهلت بخيولهم غارة وظفروا بأموالهم، وأضافوا إلى ذلك أثقال الأميرين، ووصلوا إلى البحر، بل وإلى المراكب التي للتعدية، وأخذوا ممن كان هناك ما قدروا على أخذه، فهذه الحادثة لم يعهد مثلها، بل ولا سمعنا بأن عرب محارب تصل إلى منبابة وتفعل ما حكيناه.

فلما بلغ السلطان ذلك شق عليه وأمر بنفي الأمير سودون، وأما جرباش فأكرمه لزوجته خوند شقراء بنت الملك الناصر فرج بن برقوق.

وفيه استقر ابن الهمام المقدسي في آستاداوية السلطان بدمشق بعد عزل أسندمر الأرغون شاوي.

وفيه استقر القاضي زين الدين فرج بن السابق في كتابة سر حماء على عادته.

وفيه وصل القاضي بدر الدين حسن بن علي بن محمد الشهير بابن الصواف الحنفي قاضي حماء.

وفي الخميس سادس عشره لبس المقر الكمالي ابن البارزي خلعة الاستمرار.

وفيه توفي العلائي علي بن عبد الله الزردكاش المعروف بابن خواجا. وفيه حضر جماعة من أهل دمياط بسبب الشكوى على عبد العزيز بن محمد الصغير، فرسم لهم السلطان بالطلوع إلى النلعة في يوم السبت لمحاقة المذكور.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه توفيت زوجة الأمير قاني باي الجاركسي.

وفيه طلع عبد العزيز بن محمد الصغير إلى القلعة ووقف بباب الدهيشة

فلم يؤذن له بالدخول^(١)، ومنع من ذلك، فاشتد عليه الأمر وداخله الوهم لكونه زور مرسوماً عن السلطان بخطه، وأيضاً مما فعله مع أهل الثغر، فنزل من وقته وترامى على أبي الخير النحاس، فأشار عليه المذكور بالطلوع يوم السبت ومحاققة أخصامه بين يدي السلطان، ففعل، فلما تمثل بين يدي السلطان أمر السلطان بأن يرسم على عبد العزيز - المذكور - حتى يرد ما أخذ من أهل دمياط بعد أن أُهين وهُدد بالضرب والحبس.

وفي يوم السبت - المذكور - عقد مجلس بالقضاة الأربعة^(٢) بين يدي السلطان بسبب بدر الدين ابن الصواف قاضي حماه // وأدعى عليه أنه كان بحماه [١٣١] مسجد قد تهدم في واقعة تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة، وأنه نقضه^(٣) وبني بأنقاضه جامعاً بحماه، ثم انفض المجلس من غير بيان، ونزل ابن الصواف في الترسيم وآل أمره إلى أن حمل إلى الخزانة الشريفة ثلاثة آلاف دينار وخمسمائة دينار، وهذا هو المقصود.

قلت: وله عادة بهذه الفعلة القبيحة منذ ولي قضاء حماه بأنه يزن في المنصب ما بدا له، وما أدرى من أين يكون متحصل هذا إذا وزن هذا المبلغ العظيم، فالله أعلم.

وفي يوم الاثنين عشرينه استقر القاضي حسام الدين ابن بُرَيْطَع في قضاء الحنفية بدمشق بعد عزل القاضي حميد الدين.

وفيه برز المرسوم الشريف بعزل الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي الأعرج عن نيابة حماه وتوجه الأمير قرا جانبك الظاهري جقمق أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بمسكه وحبسه بقلعة دمشق، وأخلع على الأمير سودون . الأمير آخور - بتوجهه بتقليد الأمير سودون الأبو بكري المؤيدي أتابك حلب

(١) في «أ»: «في الدخول».

(٢) في «أ»: «الأربع».

(٣) في «أ»: «نقله».

باستقراره في نيابة حماه عوضاً عن بيغوث الأعرج ، ورسم بأن يستقر عوضاً عن
سودون في أتابكية حلب الأمير علي باي المؤيدي العجمي أحد مقدمي الألوف
بحلب ، وأنعم بتقدمة علي باي المذكور على الأمير إينال الساقى الظاهري
جقمق المنفي قبل تاريخه إلى طرابلس .

وإينال هذا يعرف بإينال خوند لأنه كان في شببته جميلاً .

وفيه استقر العلاء على البندقداري زردكاشا ثالثاً عوضاً عن علي بن
خواجا المتوفي قبل تاريخه .

وفيه برز الأمر الشريف لعبد العزيز بن محمد الصغير أن يلزم داره ولا
يركب فرساً ، وأن يرد ما أخذه من معين الدين الأبرص الدمياطي ، وأن يرد إلى
أهل دمياط ما أخذه منهم سرعة وإلا يضرب بالمقارع ، فامتثل المذكور ما رسم به
في الحال .

وفيه حضر مبارك شاه نائب القدس إلى الأبواب الشريفة وعزل في يومه
بالسيقي إياس البجاسي الخاصكي ، وكلاهما ممن لا يؤبه إليه في الدولة .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه برزت المراسيم الشريفة لعبد العزيز بن
محمد الصغير بدفع ما أخذه من أولاد الأمير تنك البردبكي الحاجب والأمتعة ،
فرد جميع ما كان أخذه منهم بتمامه وكماله .

[١٣٢] وفي يوم الاثنين سابع عشرينه صرف // الشيخ محب الدين محمد ابن
العلامة مولانا زاده ، سبط الأقصري عن إمارة المقام الشريف .

وفيه برزت المراسيم الشريفة بعود ابن الشحنة إلى حلب في ترسيم إينال
باي الخاصكي ، ثم بطل ذلك على أنه يستمر على ما كان عليه ، ويحمل للخزانة
الشريفة خمسين ألف دينار .

وفيه حضر قاضي سواكن إلى القاهرة وذكر للمقام الشريف أن الحبشة
عمروا نحواً من مائتي مركب لغزو المسلمين وأن قصدهم (أن) يقطعوا^(١)
جريان بحر النيل ويعوقونه عن المسلمين .

(١) في الأصل : « يقطعون » .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه وقع بالقاهرة حادثة شنيعة إلى الغاية، وهو أن الشيخ علي محتسب القاهرة هجم على بيت العلامة الشيخ قوام الدين حسين العجمي الحنفي بعد أن دبر عليه حيلة بأن أرسل إليه قبل تاريخه شخصاً عجمياً على أنه من جملة الطلبة، فلما تمكّن الرجل من التردد إلى الشيخ قوام الدين وصار يطلع إليه بلا إذن حمل معه في هذا اليوم آلات ضرب الزغل^(١) كالسكة^(٢) والإصبع^(٣) وغير ذلك في جراب وقال للشيخ قوام الدين: «انظر يا سيدي ما أفعل. فوقف الشيخ قوام الدين وهو متهيء للركوب لبعض حوائجه، فصار الرجل يعيقه عن الذهاب ويطيل معهم الحديث حتى طردهم الشيخ علي المحتسب وأخذ الشيخ قوام الدين والجراب الذي فيه آلات الزغل وسرح للرجل العجمي حتى هرب وترك جرابه، وأخذ الشيخ قوام الدين - المذكور - وطلع به إلى السلطان بعد أن كتب محضراً بالعدول أنه وجد آلة الزغل عنده، فرسم السلطان بحبس الشيخ قوام الدين بالبرج من قلعة الجبل.

وكانت عداوة الشيخ علي المحتسب لقوام الدين هذا بسبب أن السلطان لما نفى الشيخ علي المحتسب قبل تاريخه أنعم على الشيخ قوام الدين بزاوية الشيخ علي المحتسب المطلة على الرملة بالقرب من المصنع، ثم شفع في الشيخ علي المحتسب فعاد إلى مشيخته وغيرها، فحقد عليه الشيخ علي بسبب ذلك وأراد إثلام عرضه عند السلطان ففعل به هذه الفعلة.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه أخلع السلطان علي الشيخ علي المحتسب باستقراره شيخ شيوخ خانقاه سرياقوس عوضاً عن الشيخ شهاب الدين أحمد ابن القاضي محب الدين ابن الأشقر بحكم عزله.

وفي هذا // الشهر ورد الخبر من نائب إياس أنه حصل بمدينة إياس [١٣٣] زلزلة عظيمة سقط منها عدة أبنية، وسقط من قلعتها بدنة عظيمة من شدة الزلزلة

(١) المقصود: آلات تزييف العملة.

(٢) هي القالب الذي يصب فيه المعدن.

(٣) هو آلة - يضغط بها على جزئي السكة.

جمادى الأولى

أوله الخميس .

فيه استقر الأمير سونجبغا اليونسي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة أمير حاج الرجبية .

وفي يوم السبت ثالثه أمر السلطان بحبس القاضي بدر الدين محمود بن عبيد الله الأردبيلي الحنفي أحد نواب الحكم بالقاهرة بحبس المقشرة، وحبس معه شهاب الدين ابن العريف وجماعة أخرى؛ بسبب أنهم شهدوا عند القاضي بدر الدين - المذكور - بوقف بنت الأمير أسنباي الساقى الظاهري جقمق، وحكم القاضي المذكور بالوقفية ، ولم يعلم القاضي - المذكور - والشهود أن السلطان له غرض في إبطال الحق وأخذ البيت المذكور لأسنباي بأي طريق كان ، فما شاء الله كان .

وفي يوم الاثنين خامسه أخرج السلطان الشيخ قوام الدين من البرج بالقلعة وضربه في الملاء العام على أكتافه، ورسم بتزوله إلى حبس المقشرة بعد أن ينادي عليه : « هذا جزاء من يفعل الزغل »، وأشياء من هذا النوع، وذلك بعد أن عقد السلطان في أمسه مجلساً بالقضاة الأربعة^(١) وأحضر الشيخ قوام الدين - المذكور - فلم يثبت عليه شيء، ولم يعترف الشيخ قوام الدين بما يوجب عليه التعزير، وإنما قال : ما هي إلا حيلة دبّرها عليّ الشيخ علي المحتسب ويفحص السلطان عن صدق مقالتي (ثم) يفعل بي السلطان ما يشاء، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه وفعل به من الغد ما ذكرناه، فشق على الناس ما وقع للشيخ قوام الدين - المذكور - إلى الغاية .

وفيه أخرج القاضي بدر الدين ابن عبيد الله من حبس المقشرة وتوجه إلى بيت نقيب الجيش .

وفيه عزل القاضي جمال الدين الباعوني الدمشقي الشافعي عن قضاء

(١) في « أ » : « الأربع » .

دمشق بالقاضي برهان الدين إبراهيم السوييني المعزول عن قضاء طرابلس قبل تاريخه .

وفي يوم الثلاثاء سادسه طلب السلطان القاضي بدر الدين ابن عبيد الله إلى بين يديه وصحبته الشهود المذكورين // وكلمهم في شهادتهم في الوقفية ، [١٣٤] فأجابوا بأنهم باقون على شهادتهم وأن للبيت كتاب وقف وهو عند ابن الأوجاقي ، وهو مسافر في الحجاز . فلما سمع السلطان كلامهم أمر بإعادتهم إلى سجن المقشرة ، فتكلم شيخ الإسلام قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري الحنفي في أمرهم ، فنهى السلطان ولم يلتفت إلى كلامه ، ومضوا بهم إلى المقشرة فحبسوا بها ثانياً ، وكتب مراسيم شريفة إلى مكة المشرفة تتضمن إحضار شهاب الدين أحمد بن الأوجاقي من مكة المشرفة إلى القاهرة صحبة الأمير تمتاز المؤيدي شاد بندر جدة .

وفيه كُتب توقيع باستقرار محمد بن توقان بن نعيم على إمرة آل فضل وعزل ابن عمه غنام عنها ، كل ذلك قبل أن يصل الخبر إلى غنام بولايته فولى وعزل وهو لا يدري .

وفي يوم الخميس ثامنه لبس القاضي محب الدين ابن الشحنة خلعة قضاء حلب الحنفية ، وتكون كتابة السر بها لولده .

وفيه أخلع على السوييني باستقراره في قضاء دمشق بعد عزل الباعوني كما تقدم .

وفي يوم الجمعة تاسعه نودي على الفلوس المضروبة قديماً بستة وثلاثين درهماً الرطل ، والمضروبة الجديدة معادة .

وفيه - أيضاً - نودي على الفضة المضروبة بسكة السلطان تكون على حالها بأربعة وعشرين الدرهم ، وما هو خارج عن سكة السلطان تكون بعشرين درهماً .

وفي يوم السبت عاشره ، ويوافقه سابع عشرين بئونة أحد شهور القبط

أخذ قاج النيل المبارك فجاءت القاعدة ستة أذرع وخمسة عشر إصبعاً.

وفي يوم الأحد حادي عشره أحضر السلطان ممالك الأمير تنم إلى بين يديه وعين منهم نحو العشرة ورسم بحبسهم بحبس المقشرة بسبب تجرئهم على أستاذهم - المذكور - وشكواه عليهم .

ولما أصبح من الغد في يوم الاثنين ثاني عشره وانفض الموكب السلطاني ونزل الأمير تنم - المذكور - صحبة الأتابك إينال العلائي وغيره من الأمراء، فلما صار برأس سويقة منعم احتاطت الممالك الجلبان السلطانية بالأمير تنم كما يحتاط الخاتم بالإصبع، وخشّنوا له في القول لشكواه على ممالكه وحبس السلطان لهم // بسببه، فأخذ الأتابك إينال في تسكينهم وضمن لهم خلاص الممالك المذكورين من حبس المقشرة، فعند ذلك خلّوا عنه ورجعوا غارة إلى زين الدين يحيى الأستاذار بعد نزوله من الخدمة فوافوه بالقرب من جامع الأمير الطنبغا المارديني، ونزلوا عليه بالدبابيس، فلما أحس بالضرب ألقى بنفسه عن فرسه وهرب إلى أن نجده الأمير إزبك الساقى والأمير جانبك وإلى القاهرة وأركباه فرسه وتوجها به إلى داره، ثم رجع الممالك إلى جهة القلعة ووقفوا تحت الطبلخاناه لانتظار أبي الخير النحاس عند نزوله من القلعة.

قلت : وهذا أول نكبة أبي الخير النحاس .

فبلغ النحاس الخبر، فمكث نهاره عند السلطان بالقلعة، فلما تحققوا إقامته بالقلعة شق عليهم ذلك واتفقوا على نهب داره، فنزلوا من وقتهم إلى داره على هيئة مزعجة، فوجدوا أبواب داره مغلقة وقد وقف ممالكه بأعلى الأبواب لمنع الممالك من الدخول، فوقع بين الفريقين قتال ساعة، ثم حرقوا الممالك باب داره التي بين السورين ودخلوا إلى بيت أبي الخير - المذكور - وفعلوا ما يطول الشرح في ذكره من أخذهم الأقمشة والأمتعة والتحف، واستمرت النار تعمل في باب الدار حتى اتصلت لعدة بيوت بجوارها، فاحترقت أماكن، ولم تصل النار إلى داره لأنها كانت فوق الريح، لكن احترق بابه والعلو الذي كان عليه إلى أن دثر، وكان قد تنهى في عمل الباب المذكور وعلوه .

ولما تزايد أمر النار وعظمت خشينا أن يعظم ذلك إلى أن يصل إلى دارنا وتوجهت أنا وجماعة، ثم حضر والي القاهرة والشيخ على المحتسب حتى قدرنا على طفي النار بعد جهد كبير، وأغلقت بعض حوانيت القاهرة، وكان يوماً مهولاً، ومع هذا كله لم تتأسف الناس لما وقع لأبي الخير من عظم نفرتهم منه.

ثم أصبح يوم الثلاثاء ثالث عشره والمماليك الجلبان وقوف بالرملة محدقين بالقلعة مصممين على الفتك بأبي الخير - المذكور - وطلبوا تسليمه من السلطان ، وعزل الأمير جوهر مقدم المماليك السلطانية ، وعزل الأمير زين الدين الأستاذار .

وانفض الموكب // ونزل كل من أرباب الوظائف إلى محله مخفياً، ونزل [١٣٦] الأمير تمربغا الدوادار الثاني والأمير أربك من ططخ الساقى والأمير بردبك البجمقدار^(١)، فلما صاروا بالرملة من تحت القلعة ضربوا عليهم المماليك الجلبان حلقة وحدثوهم في عودهم إلى السلطان والكلام معه في أغراضهم، فقال لهم تمربغا: وما الغرض؟ قالوا: عزل جوهر مقدم المماليك، وتسليم غريمنا - يعني أبا الخير النحاس. فعاد تمربغا إلى القلعة من ساعته وعرف السلطان بمقصودهم.

وكان الأمير الكبير قد طلع في باكر النهار وصحبته الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب، وأما تنم أمير مجلس فإنه كان طلع من أمسه وبات بالقلعة في طبقة الزمام وقال: ما أنزل حتى يفرج السلطان عن ممالكي المحبوسين خشية من المماليك الجلبان السلطانية. فلما طلع الأمير الكبير شفع في ممالك الأمير تنم، فرسم بإطلاقهم، ثم أخذ الأمير الكبير يتكلم مع السلطان في أمر المماليك الجلبان وفي الرضا عنهم والسلطان مصمم على مقاتله بالأمس من أنه يرسل ولده عثمان وحرمة إلى الشام ويخلع هو نفسه من السلطنة ويتوجه إلى حال سبيله، فنهاه الأمير الكبير عن ذلك، وقام السلطان ودخل إلى القاعة بالدهيشة، فكلمه بعض أمرائه في أمر المماليك - أيضاً - فشق ثوبه غيظاً ونزل الأمير الكبير وصحبته الأمراء المذكورون إلى دورهم، والمقصود أن الأمير تمربغا لما طلع إلى

(١) البجمقدار أو البشمقدار: حامل نعل السلطان أو الأمير.

راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩.

القلعة وعرف السلطان كلام المماليك الجلبان وأن قصدهم عزل مقدم المماليك وتسليم أبي الخير النحاس، فلما أراد السلطان أن يتكلم سبقه بعض أمراءه بالكلام، وأظنه الأمير قراجا الظاهري الخازندار وقال: يجبر مولانا السلطان خاطر مماليكه بعزل المقدم وإخراج النحاس من القاهرة، فانقاد السلطان إلى كلامه ورسم بعزل جوهر مقدم المماليك. وتوجهه إلى المدينة الشريفة، وإخراج النحاس إلى مكة المشرفة، وعاد تمرغا بهذا الخبر إلى المماليك السلطانية فرضوا بذلك، وتوجه كل واحد إلى حال سبيله، وتم ذلك إلى بعد الظهر من ذلك اليوم، توجه بعض المماليك الجلبان إلى الأمير أسنبغا الطياري وكلمه في أنه [١٣٧] يطلع إلى السلطان // ويطلب منه إنجاز ما وعد به من إخراج النحاس وعزل مقدم المماليك، فركب أسنبغا وطلع من وقته إلى القلعة وكلم السلطان في ذلك، فلما سمع السلطان مقالة أسنبغا اشتد غضبه وطلب جوهر مقدم المماليك ونائبه الأمير مرجان العادلي المحمودي وأخلع عليهما باستمرارهما، ورسم بأن يكون النحاس على حاله بالقاهرة، وأمر الأمير تغري برمش الزردكاش أن يستعد للقتال، فخرج تغري برمش الزردكاش من وقته ونصب عدة مكاحل على أبراج القلعة، وقال السلطان: «ما لهم عندي إلا السيف، وأنا أعرف أخصامي، وفي الغد يظهر كل أمر». فبلغ الأمراء ذلك، فطلع منهم جماعة كبيرة وقعدوا بالدهيشة، فأمرهم السلطان بالنزول إلى دورهم، فنزلوا من وقتهم، واستمر الحال إلى باكر يوم الأربعاء رابع عشره، جلس السلطان على الدكة بالحوش كما جلس بالأمس ثم التفت إلى شخص من خاصكيته وقال: أين الذين قلت عنهم؟ فقال: يحضرون الآن، فقال السلطان: أحضر بهم. فنزل المذكور إلى المماليك الجلبان وأخذ منهم جماعة كبيرة وطلع بهم إلى السلطان، وكان السلطان قد قام من على الدكة ودخل إلى الدهيشة، فلما مثلوا بين يديه قال لهم: قد غفرت لكم ذنبكم، انزلوا، امضوا إلى حال سبيلكم. ولم يطيب خاطرهم، بل قال لهم: كنت أردت قتلكم، والآن قد عفوت عنكم. فلم يتكلم أحد منهم بكلمة ونزلوا وتفرقوا من وقتهم.

وأظن أن السلطان كان في أمسه اتفق مع بعض الأجلاب وأرضاهم في الباطن، فخذل بعضهم بعضا، والله أعلم.

واستمر أبو الخير النحاس بالقلعة خائفاً من النزول إلى داره إلى يوم الخميس خامس عشره، نزل إلى داره على حين غفلة قبيل العصر بنحو خمس درجات وانحاز بداره وقفل الأبواب.

ومن غريب ما اتفق في هذه الأيام أن الممالك الجلبان منعت غالب المتعممين من ركوب الخيل وركبت الفقهاء وأعيان الدولة من المباشرين الحمير، وبقيت الممالك يقفون في الطرقات والشوارع، فمن عاينوه من المتعممين على فرس أوقعوا به، وأما حواشي أبي الخير النحاس وأصحابه فإنهم تحابوا عن العين // بالكلية.

[١٣٨]

وفي يوم السبت سابع عشره ورد الخبر بعصيان الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي الأعرج نائب حماه وخروجه عن الطاعة وانضمامه إلى العجل بن نعيم.

وفي يوم الأحد ثامن عشره نزل السلطان من قلعة الجبل وبين يديه جميع أمرائه وأعيان دولته بغير قماش الموكب، وتوجه إلى بحر بولاق لينظر إلى الجسر الذي أمر بإنشائه بين الطنبدية ومعصرة الخليفة، فوصل إليه ونظر إلى عمارته وهو راكب على فرسه، فأعجبه عمله، وخلع على المعلم على ابن إسكندر وعلى ابن ظهير وعلى جماعة آخر ممن باشر عمل الجسر المذكور، ثم رجع وطلع إلى القلعة بعدما شق القاهرة.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه وصل البلاطنسي من دمشق إلى القاهرة وطلع إلى السلطان وشكا على أبي الفتح الطيبي ناظر جوالي دمشق، وذكر عنه عظائم، ولا زال يمعن في الخط عليه إلى أن رسم السلطان بعزله وحضوره إلى القاهرة في جنزير، ونزل البلاطنسي من القلعة بعد أن أكرمه السلطان، وحصل على مقصوده من عزل الطيبي.

وفيه رسم السلطان لأبي الخير بالسفر إلى المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، بعد أن يكتب جميع موجوده ويرسله إلى السلطان من الغد، ورسم السلطان بعمل حسابه، وتردد إليه جوهر الساقى الحبشي غير مرة

من قبل السلطان، وكثر الكلام في أمره.

وأصبح من الغد في يوم الخميس ثاني عشرينه طلع أبو الخير النحاس إلى القلعة في الغلس من غير إذن من السلطان واختفى بالقلعة إلى أن انفض الموكب ولا زال حتى اجتمع بالسلطان، ثم نزل من يومه وقد أصلح ما فسد، وأنعم له السلطان بموجوده، وترك له جميع ما كان قد عزم على أخذه، فانصلح أمره بذلك قليلاً، وشق ذلك على أخصامه كثيراً، واستمر بداره وقد هابه الناس وكرر ترادهم إليه.

وفيه استقر الشيخ علي الطويل الخراساني في حبة القاهرة على عادته عوضاً عن الأمير جانبك الشبكي والي القاهرة.

[١٣٩] وفيه أفرج السلطان // عن القاضي بدر الدين محمود بن عبيد الله ورفقته من حبس المقشرة.

وفيه رسم السلطان بإبطال ما رسم به قبل تاريخه من عزل أبي الفتح الطيبي وإحضاره إلى القاهرة.

وفيه - أيضاً - أمر السلطان البلاطيسي بالسفر إلى دمشق بعد أن لهج بحبسه في حبس المقشرة لولا أن شفع فيه بعض الأعيان، فتحقق الناس ميل السلطان إلى أبي الخير النحاس.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه أرجف بالقاهرة بركوب المماليك الجلبان من الغد، فأصبح يوم السبت وليس لما أشيع حقيقة.

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه، فيه برز المرسوم الشريف بعزل عبد الله الكاشف بالشرقية وإحضاره في الحديد لشكوى أبي الخير النحاس عليه، وأنعم بإمرته ووظيفته على الأمير أسندمر الجقمقي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة زيادة على ما بيده، فتأدب بهذه الفعلة من يروم السوء لأبي الخير النحاس، وكف أعيان الدولة عن الكلام فيه.

وفيه رسم السلطان للأمير قاني باي الحسني المؤيدي أحد أمراء العشرات

بالديار المصرية بأن يستقر في أتابكية حماه عوضاً عن السيفي سنقر جار قطلو .

وفي الثلاثاء سابع عشرينه حضر عبد الله الكاشف ونزل في بيت زين الدين يحيى الأستاذار وحصل الرضا عليه من الغد على مال بذله وحمله إلى الخزانة الشريفة .

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه أنعم السلطان بإمره قاني باي الحسنى على مملوكه شاهين الظاهري الساقى - وشاهين المذكور وجوده عار على بني آدم - واستقر السيفي برقوق الظاهري ساقياً عوضاً عن شاهين المذكور .

وفيه استقر الطواشي سرور الطربائي شيخ الخدم بالحرم النبوي عوضاً عن الطواشي فارس الرومي الأشرفي بحكم عزله، ثم عزل سرور المذكور في يوم السبت واستقر فارس على عادته .

وفيه برز المرسوم الشريف لجوهر الساقى بنزوله إلى أبي الخير النحاس وصحبته نقيب الجيش الناصري محمد بن أبي الفرج ليمضيا به إلى الشرع الشريف ماشياً ليدعي القاضي شرف الدين موسى التتائي الأنصاري عليه بمجلس الشرع الشريف، ورسم له أن يحتاط بعد ذلك على موجوده، فنزل جوهر - المذكور - من وقته إلى أبي الخير النحاس وأخرجه // من بيته ماشياً [١٤٠] مسوكاً مع نقيب الجيش وقد ازدحمت العامة على بابه يريدون الفتك به، فجاء جوهر - المذكور - وجماعة من المماليك منهم وانطلقت الألسن إليه بالسب واللعن، واستمروا خلفه وأمامه في الطرقات على ذلك إلى بيت قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي، فأدخلوه إلى المدرسة الصاحبية محتفظاً به مع رسل الشرع، وعاد جوهر الساقى وشرف الدين التتائي إلى الحوطة على موجوده وحواصله، ووجدت العامة بغياب جوهر فرصة إلى الدخول إلى أبي الخير النحاس. فهجموا عليه وضربوه ضرباً مبرحاً إلى أن صاحت رسل الشرع عليهم، وهربوه إلى مكان بالمدرسة المذكورة، يقال إنه بيت الخطابة وأعلموا قاضي القضاة بذلك، فأرسل قاضي القضاة خلف الأمير جانبك والي القاهرة حتى أخرجته من المدرسة المذكورة إلى بيت قاضي القضاة، وأدعى شرف الدين التتائي عليه بدعاوى يطول الشرح في ذكرها .

والسبب الموجب لهذه القضية هو أن أبا الخير النحاس لما وقع له مع الممالك الجلبان ما حكيناه من إقامته بقلعة الجبل من يوم الاثنين إلى يوم الخميس خامس عشره ونزل إلى داره في اليوم المذكور قبيل العصر وبقي الناس في أمره عن قسامين، فمن الناس من لا يسلم عليه ولا يلتفت إليه، ومنهم من صار يرتجيه ويتردد إليه وهم القليل من الناس، ودام على ذلك إلى أن وصل البلاطنسي من دمشق واجتمع بالسلطان في يوم الأربعاء حادي عشرينه - حسبما ذكرناه - وأنصفه السلطان وعزل لأجله أبا الفتح الطيبي ورسم بسفر أبي الخير النحاس إلى المدينة النبوية، فلما أصبح أبو الخير في يوم الخميس وطلع إلى القلعة من غير إذن واجتمع بالسلطان، ولا زال به حتى أصلح ما كان فسد من أمره، ثم نزل إلى داره وقد وقع بينه وبين التاجر شرف الدين موسى التتائي .

وسبب الواقعة بينهما أن شرف الدين - المذكور - كان في هذه المدة هو رسول أبي الخير النحاس إلى السلطان، ومهما كان له من الحوائج يقضيها له عند السلطان، فظهر لأبي الخير النحاس بطلوعه إلى القلعة في هذا اليوم أن شرف الدين - المذكور - ليس هو له بصاحب، وأنه ينقل عنه إلى السلطان ما ليس هو مقصوده، بل ما فيه دماره، وبطلوع // النحاس في هذا اليوم - أيضاً - راج أمره كثيراً وعظم في أعين الناس، فإن السلطان رسم في اليوم - المذكور - باستقرار أبي الفتح الطيبي في وظيفته وقضى له عدة حوائج، وظهر ميل السلطان إليه، وترددت الناس إليه فوجاً فوجاً لا سيما لما مقت السلطان البلاطنسي بعد ذاك الإقبال عليه أولاً، وأيضاً عزل عبد الله الكاشف لأجله، واستمر من يوم الخميس وهو يوم طلوعه إلى القلعة إلى يوم الخميس تاسع عشرينه - أعني اليوم المذكور - وحصلت له هذه النكبة، انتدب إليه شرف الدين - المذكور - ووقع ما حكيناه .

واستمر في بيت القاضي الشافعي وهو يسمع من العامة وغيرهم أنواع السب والبهذلة، وهم يزدحمون على باب القاضي لرؤيته، وصارت تلك الحارة كبعض المفترجات لعظم سرورهم به، وأعجب من هذا أنني لم أنظر في تلك المدة أحداً إلا وهو مسرور بما وقع لأبي الخير هذا، حتى النساء في بيوتهن، وأما النصارى واليهود فسرورهم به كان يخرج عن الحد .

وأصبح من الغد في يوم الجمعة طلب السلطان خيوله وماليكه فأخرجوهم من داره وطلعوا بهم إلى السلطان بعد أن شقوا بهم القاهرة وازدحمت الناس لرؤيتهم، فكانت عدة الخيول نيفاً على أربعين فرساً، منهم بغال أزيد من عشرة والباقي خبول خاص هائلة، والماليك نحواً من عشرين نفراً، واستمر شرف الدين التتائي يتتبع آثاره وحواصله وهو مجتهد في ذلك. هذا بعد أن أشهد على أبي الخير- المذكور- أن جميع ما (يملكه) ^(١) من الأملاك والذخائر والأمتعة والقماش وغير ذلك للسلطان الملك الظاهر دون ملكه، وليس له فيه ملك ولا دافع ولا مطعن.

وفي هذا الشهر كان سعر الغلال: القمح بخمسمائة درهم الأردب إلى ما دونها بعد أن وصل قبل تاريخه إلى ثمانمائة وخمسين الأردب، والفل بثلثمائة وستين الأردب إلى ما دونها، والشعير من مائتين وثمانين إلى مائتين وخمسين الأردب، والدقيق العلامة بمائة وسبعين درهم البطة.

ومضى هذا الشهر وليس أحد من المتعممين يقدر أن يعلو على ظهر فرس، بل صار الجميع يركبون البغال والحمير ما عدا كاتب السر وناظر الجيش والوزير وناظر الخاص والأستادار وكاتب الممالك السلطانية وكاتب العليق وناظر الإسطبل وناظر كاتب السر والباقون كما ذكرنا، حتى لقد قال لي بعض نواب الشرع: قد ألحقونا هؤلاء // الممالك الأجلاب بأهل الذمة في [١٤٢] عدم ركوب الخيل، فلا قوة إلا بالله.

جمادى الآخرة

أوله السبت.

فيه لبس عبد الله الكاشف خلعة الاستمرار بعد أن وزن مالا له صورة. وفيه رسم بفتح حواصل أبي الخير النحاس ففتحت، فوجد فيها من الذهب العين نحو سبعة عشر ألف دينار، ووجد له من الأقمشة والتحف والفرو

(١) ساقط من «أ»، مثبت من النجوم الزاهرة للمؤلف.

والقرقلات^(١) التي للحرب والصيني والكتب أشياء كثيرة، ووجد له - أيضاً - حجج مكتبة على أربابها نحو من ثلاثين ألف دينار، فحمل الذهب العين إلى السلطان ونوع من التحف، وختم على الباقي حتى يباع، ودام شرف الدين التتائي في الفحص عن موجوده، وأخرج السلطان جميع تعلقات النحاس من الإقطاعات والحمايات والمستأجرات وغير ذلك.

وفي يوم الأحد ثانيه طلعت مقدمة الأمير جلبان نائب الشام صحبة دوداره وأمير آخوره، وهي تقدمه هائلة تشتمل على خيول وصوف وأنواع الفراء والبعلبكي والمخل والشقق الحرير، ومن جملة ذلك ذهب عين نحو عشرة آلاف دينار، وعدة الخيول تزيد على مائتي فرس، منها فرسان بأقمشة ذهب، والباقية على عادة التقادم، وجميع المقدمة على رءوس الحمالين، وهم نحو ثلاثمائة حامل.

وفي هذه الأيام لبس قاصد نائب الشام خلعة السفر، وكان له من يوم وصل لم يخلع عليه إلى يومنا هذا.

ولما استولى السلطان على خيل أبي الخير - المذكور - فرقه على من اختار:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها

مصائب قوم عند قوم فوائد
[الطويل]

وفيه - أيضاً - ورد الخبر من عند الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب على يد رأس نوبته بأن جهان شاه بن قرا يوسف يريد [أن] يشتي على جهان كير بن علي بك بن قرايلك، وليس لجهان كير المذكور خلص سوى قدومه إلى البلاد الحلبية، وليس بحلب عساكر لرده عنها. وكان وصول القاصد - المذكور - في عشرة أيام، فكتب له الجواب وعدة مراسيم تتضمن خروج النواب بالبلاد الشامية إلى أطراف البلاد الحلبية.

(١) القرقلات: جمع قرقل، وهي: نوع من الدروع المتخذة من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأحمر والأصفر.

راجع: المصدر السابق ج ٤ ص ١١.

وفي يوم الأحد المذكور - أخلع السلطان على صاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب حكيم ناظر الخواص وعلى زين الدين يحيى الأستاذار خلعتي // [١٤٣] الاستمرار، وأخلع على شرف الدين التتائي باستقراره في جميع وظائف أبي الخير النحاس، وهم عدة وظائف: نظر البيمارستان المنصوري، ونظر الجوالي، ونظر الكسوة، ووكالة بيت المال، ونظر خانقاه سعيد السعداء ووكيل السلطان، وعدة وظائف آخر دينية ومباشرات.

وفي يوم الثلاثاء رابعه، فيه رسم السلطان بنفي القاضي كمال الدين محمد بن البارزي كاتب السر إلى الشام، فنزل من وقته متوجهاً إلى دمشق من غير أن يدخل إلى داره إلى أن وصل إلى ظاهر القاهرة، رسم بعوده، فعاد إلى داره على كره منه، وما كان غرضه إلا الخروج من الديار المصرية.

وسبب ذلك أن السلطان لما جلس على الدكة بالحوش السلطاني على عادته وقرىء عليه الجيش، حصل منه حنق على القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيش وأوسع سباً، وهم أن يضربه بالتمجاة غير مرة، ثم بلغ السلطان أن قاسم ابن قرايلك قد وصل إلى القرب من خانقاه سرياقوس، فتعجب السلطان من قدومه، لأنه لما خرج من عند ابن أخيه جهان كير بن علي بك بن قرايلك من ديار بكر مبانياً له، توجه إلى أبلستين عند الأمير سليمان ابن ناصر الدين بك بن دلغادر، فأرسل سليمان إلى السلطان يطلب منه الإذن بقدم قاسم المذكور إلى الديار المصرية، فلم يأذن له السلطان بذلك ورسم بإقامته عند سليمان بن دلغادر، وكتب بذلك مرسوم شريف، فلم يلبث السلطان بعد ذلك إلا أياماً قلائل وبلغه حضور قاسم - المذكور - فعز عليه ذلك، وسأل كاتب السر: هل كتب له في المرسوم بالقدوم؟ فقال: نعم، وليس الأمر كذلك، وإنما أراد كاتب السر بهذا الجواب أن يحتاط من قوله نعم من أن يكون دلس عليه في ذلك، فطلب السلطان المسودة فلم يجد فيها إذناً بحضوره، فعند ذلك رسم السلطان بضربه، فلكمه الأمير برسباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني لكمة واحدة وأخرج من بين يدي السلطان منفياً.

وفيه أمر السلطان بتسليم الزيني عبد الرحمن بن الكويز إلى والي القاهرة ليستخرج منه ما بقي عنده مما كان التزم بحمله إلى السلطان // قبل تاريخه. [١٤٤]

وفيه رسم بنقل أبي الخير النحاس من عند قاضي القضاة الشافعي إلى عند قاضي القضاة المالكي ليدعي عليه بدعاوى، فأخذه والى القاهرة وتوجه به من بيت القاضي الشافعي إلى عند المالكي بالدرب الأصفر وأركبه حملاً وشق به الشارع بعد أن ازدحمت الناس بالشوارع والخوانيت لرؤيته، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة.

وفي يوم الأربعاء خامسه ادعى عليه بمجلس القاضي المالكي السيد الشريف شهاب الدين أحمد - دلال الأملاك - بدعوى شنيعة أوجبت وضع الجنزير في رقبة أبي الخير - المذكور - بعد أن كتب محضر بكفره، وأقام السيد الشريف البيعة عند قاضي القضاة بذلك فلم يقبل بعض البيعة، واستمر في بيت القاضي المالكي إلى العصر من يومه، نقل إلى حبس الديلم على هيئة غير مرضية، على حمار وفي رقبته جنزير - نعوذ بالله من زوال النعم - ومر بتلك الحالة من الشارع الأعظم وعليه من الذل والصغار ما أحوج أعداءه أن يبكوا عليه، وما ربك بظلام للعبيد، ولقد أنشد القائل:

يا من علا وعلوه أعجوبة بين البشر
غلط الزمان برفع قدرك ثم حطك واعتذر

[الكامل]

وفي اليوم - المذكور - ظهر قاضي القضاة ولى الدين محمد السفطي بعد اختفائه نحو ثمانية أشهر وسبعة أيام، وطلع من الغد في يوم الخميس سادسه إلى السلطان، فسلم عليه، فأكرمه السلطان، ونزل إلى داره.

وفيه وصل الأمير قاسم بن قرايلك إلى القاهرة صحبة قاصد الأمير سليمان بن دلغادر، وتمثل بين يدي السلطان وقبل الأرض، ثم نزل إلى الميدان.

وفي يوم السبت ثامنه خلع السلطان على إينال باي الخاصكي الأشرفي الفقيه بتوجهه إلى دمشق للكشف عن حال أبي الفتح الطيبي والفحص عن حقيقة أمره، ويفعل به ما أمر به.

وفي يوم الأحد تاسعه رسم السلطان بنفي المعلم محمد الصغير أحد

الحجاب وولده عبد العزيز المبعود قبل تاريخه إلى قوص، ثم شفع فيهما على أنها يلزما دارهما.

قلت: ما أحسن هذا لو دام واستمر.

وفي يوم الاثنين عاشره لبس القاضي محب الدين ابن الأشقر خلعة // [١٤٥] الاستمرار.

وفيه رد على الأمير فيروز النوروزي الخازندار أوقاف الحرمين التي كان أبو الخير النحاس استولى عليها في العام الماضي.

وفيه خلع علي أسندمر الأرغون شاوي باستقراره في أستاذارية السلطان بدمشق وشد الأغوار^(١) عوضاً عن ابن الهمام، ورسم بالقبض على ابن الهمام، وتولية أسندمر - المذكور - على مال وعد به نحو العشرة آلاف دينار .

وفي هذه الأيام ترادفت النجابة من حلب وأخبروا بسير جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز علي جهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد، وجهان كير ليس له ملجأ إلا القدوم إلى البلاد الحلبية، وأن جهان شاه يتبعه حيثما توجه، فنفرت قلوب أهل حلب من هذا الخبر، ونزح منها خلائق، وغلا ثمن الحيوان بها بسبب السفر منها، وأشياء من هذا النموذج مدلولها طلب عسكر يخرج من الديار المصرية، فلما سمع السلطان بهذا الخبر رسم بعرض العسكر الخاصكية في يوم الأربعاء ثاني عشره ليعين منهم لسفر التجريدة إلى حلب جماعة.

وفي (يوم) الثلاثاء حادي عشره لبس القاضي محب الدين ابن الشحنة (خلعة) بإعادته إلى نظر جيش حلب عوضاً عن عبد القادر بن الرسام، وذاك زيادة على ما بيد ابن الشحنة - المذكور - من قضاء الحنفية بحلب وكتابة سرها كما

(١) شد الأغوار: من وظائف الدولة المملوكية في الشام، يتحدث شاغلها عن الأغوار، والمطابخ، والسكر.

راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨٨.

كان أولاً ، بعد أن التزم ابن الشحنة - المذكور - بمال كبير ، ثم بتحصيل عليق خيول المماليك السلطانية التي عساها تتجرد إلى البلاد الحلبية .

وفي هذه الأيام أشيع بالقاهرة بأن أبا الخير النحاس قد تجنن في سجنه بالديلم ، وأنه صار يخلط في الكلام .

قلت : وإن كان هذا الخبر غير صحيح فحق له أن يتجنن ، فإنه كان في الأول ^(١) وضيعاً ثم ترفع إلى أن ملك الديار المصرية بأسرها ، بل والشامية والحلبية ، وصار هو صاحب الحل والعقد في جميع الممالك ، وقد أصبح اليوم كما ترى وقد أخذت أمواله وأملاكه ، وموجوده في أيدي البيعة ، ويقال :

« من ذاق الغنا بعد فاقة يموت ، وفي قلبه من الفقر واجس » .

وهذا المغتر كان أولاً فقيراً مملقاً متحياً على الرزق ، ثم صار على حين غفلة ملكاً عظيماً ، ورأى من العز ونفوذ الكلمة ما لم يره غيره في زماننا هذا ، مع [١٤٦] علمي بمن تقدمه ، ثم رده الله إلى أسفل مما كان عليه أولاً ، // فإنه كان من قبل فقيراً قليل الجدة لا غير ، والآن فقد صار فقيراً مسجوناً مقيداً ، وفي ذهاب روحه أقوال ، فنسأل الله حسن العاقبة في الدنيا والآخرة .

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره عرض السلطان خاصكيته وعين منهم ثلاثمائة وخمسين خاصكياً لسفر التجريدة ، ثم رسم بعرض المماليك السلطانية في يوم الأحد القابل ليعين منهم - أيضاً - جماعة للسفر ، ورسم السلطان بأن يكون مقدم هذا العسكر الأمير الكبير الأتابك إينال العلائي الناصري ، وعين صحبته جماعة من الأمراء مقدمي الألف وغيرهم .

فمن الألف الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير لا غير ، ومن أمراء الطبليخانات : الأمير أرنبغا اليونسي الناصري أحد رءوس النوب ، والأمير برسباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني ، ومن أمراء العشرات الأمير أزبك من ططح الظاهري رأس نوبة وصهر السلطان ، والأمير أسنباي الجمالي

(١) في « أ » : ضرب على كلمة « الأول » بعلامة « حش » ، بما يشير إلى أن ذلك من فعل الناسخ ، وقد صحح في الهامش الأيمن ليكون : « أولاً » .

الساقى الظاهري ، والأمير بردبك البجمقدار الظاهري ، وهؤلاء الثلاثة مماليك الملك الظاهر جقمق والأمير يشبك من سلمان شاه المؤيدي الفقيه رأس نوبة والأمير يلباي المؤيدي رأس نوبة .

ثم أصبح من الغد في يوم الخميس ثالث عشره تكلم الأمير الكبير إينال - المذكور - مع السلطان في قلة العسكر المتوجه معه من الأمراء وغيرهم ، فكان من كلامه أن قال : يا مولانا السلطان ، العدو خارجي غريب وعسكره في كثرة ، وهؤلاء العسكر لا يطيقون رده لقلتهم ، فعظم ذلك على السلطان واشتد غضبه ، وقال للأمير الكبير : أنت مالك غرض في السفر ، وما أشبه هذا الكلام . فكف الأمير الكبير عن الكلام ، وقال : المرسوم مرسوم مولانا السلطان ، وأمر السلطان على الرأس والعين ، ورأى السلطان أحسن مما نراه نحن . ثم انفض المؤكب ودخل السلطان إلى الحوش واستصوب كلام الأمير الكبير ، وعين من الأمراء مقدمي الألوف مضافاً إلى العسكر الأمير أسنبغا الناصري الطياري رأس نوبة النوب ، ورسم بعدم سفر الأمير بردبك البجمقدار لقلة جدته ، ولم يعين عوضه أحداً .

وفيه لبس السيفي بردبك التاجي الخاصكي خلعه سفره إلى مكة ليكون // بها ناظر الحرم الشريف ومحتسب مكة المشرفة وشاد عمائرهما^(١) عوضاً عن [١٤٧] السيفي بيرم خجا الأشرفي الفقيه ، وسفر بردبك - المذكور - إلى مكة في البحر الملح وصحبته جماعة من المعمارية وغيرهم .

وفيه وصل أبو الفتح الطيبي من دمشق على أقبح هيئة .

وفي ليلة السبت خامس عشره كان خسوف القمر ، ابتدأ به الخسوف من بين العشاءين إلى أن خسف غالب جرم القمر ، واشتدت حمرة ما بقي منه بحيث إنه ، لم يبق له ضوء ، وأزهرت النجوم بالسماء كآخر ليالات الشهر ، ودام ذلك إلى بعد عشاء الآخرة بنحو الساعة ، ثم أخذ ينحل قليلاً قليلاً .

(١) شد العمائر : من أمراء العشرات ، يتحدث في العمائر السلطانية مما يختار السلطان إحداها أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار . . . إلخ .
راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ .

وفي يوم السبت - المذكور - ويوافقه أول أبيب - نُودي على النيل بزيادة خمسة أصابع لتتمة خمسة أذرع وخمسة وعشرون إصباعاً.

وفيه أفرج السلطان عن العلامة الشيخ قوام الدين العجمي من حبس المقشرة.

وفي يوم الأحد سادس عشره جلس السلطان بالحوش وعرض الممالك السلطانية وعين منهم زيادة على مائة وعشرين نفرأً أضافهم لمن كتب أولاً قبل تاريخه للتجريدة من الممالك السلطانية، وعين من الأمراء - أيضاً - في اليوم المذكور - الأمير مرجان العادلي المحمودي نائب مقدم الممالك وغيره.

وفيه استغاث السيد الشريف غريم أبي الخير النحاس على رءوس الأشهاد وقال: قد ثبت الكفر على غريمي النحاس وأقيمت البينة، والقاضي لا يحكم بموجب كفره وضرب رقبتة.

وكان الشريف - هذا - قد تمثل بين يدي السلطان قبل تاريخه وذكر نوعاً من هذا الكلام، فرسم السلطان للقاضي المالكي بأنه إن ثبت على أبي الخير - المذكور - كفر فليضرب عنقه بالشرع ولا يلتفت القاضي لما بقي عند أبي الخير النحاس من المال للسلطان، فإن حق النبي ﷺ أبدي من حق السلطان، فلما سمع الشريف ذلك اجتهد غاية الاجتهاد، وله - أيضاً - من ينهه ويغريه ويلزمه بالكلام ويقويه على ذلك. هذا والقاضي يتروى في أمره وينظر في حال البينة، ثم بلغ قاضي القضاة المالكي ولي الدين السنباطي // مقالة الشريف بعد أن [١٤٨] تكرر هذا الكلام من الشريف في عدة أماكن، فركب المالكي من وقته وطلع إلى السلطان واجتمع به وكلمه في أمر أبي الخير، فأعاد السلطان عليه الجواب بمقالته أولاً، وقال له كلاماً معناه: إن أمر هذا راجع إليك، ومهما كان الشرع افعله معه ولا تتوقف لمعنى من المعاني. فقال قاضي القضاة ولي الدين السنباطي: يا مولانا السلطان، قد فوضت^(١) أمر هذه الدعوى لنائب القاضي جمال الدين ابن عبد الغفار فهو ينظر فيها بحكم الله - تعالى - وانفض المجلس.

(١) في «أ»: «قد فوض»، والتصويب من النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٢١.

وكان السلطان قد أرسل في أول النهار إلى أبي الخير النحاس - الطواشي جوهر التركماني الجمدار يسأله عن الأموال، ويهدده بالضرب والنكال، فلم يلتفت أبو الخير إلى كلامه، وقال: قد أخذ السلطان جميع المال والأموال، وهذه الأمتعة في الأسواق تباع في كل يوم، ولم يبق معي شيء، ولم يزد على ذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره ضرب الصارمي إبراهيم ابن الأمير بيغوث نائب حماء - كان - الخارج يومئذ عن الطاعة بين يدي السلطان بحضرة قاصد والده ضرباً متوسطاً، ثم أعاده إلى محبسه بالبرج من القلعة.

وكان سبب هذه الحركة أن أباه كان قد أرسل في أمسه نجاباً إلى السلطان يطلب منه الأمان والإفراج عن ولده هذا، وعلى يد النجاب - أيضاً - كتاب الأمير جلبان نائب الشام، والكتاب يتضمن الشفاعة في بيغوث - المذكور - فلم يلتفت السلطان إلى ما أتى به النجاب، وفعل ما ذكرناه في هذا اليوم من ضرب هذا الشاب بغير ذنب، فلا قوة إلا بالله.

وفي يوم السبت ثاني عشرينه لبس القاضي كمال الدين ابن البارزي خلعة الاستمرار بعدما انقطع بداره مدة طويلة حسبما ذكرناه.

وكان القاضي معين الدين عبد اللطيف بن العجمي نائب كاتب السر يباشر الوظيفة في هذه الأيام.

وفيه خلع على القاضي نظام الدين عمر بن مفلح بإعادته إلى قضاء الحنابلة بدمشق.

وفيه سافر برد بك التاجي إلى مكة المشرفة بمن معه من المعمارية وغيرهم في البحر.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه سافر السيفي إينال باي الخاصكي إلى دمشق وصحبته أبو الفتح الطيبي على أقبح // وجه لينظر في حقيقة أمره ويفعل معه [١٤٩] مقتضى الشرع الشريف.

وفيه ثبت عند قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي فسق

القاضي عز الدين ابن قاضي القضاة جمال الدين البساطي المالكي أحد نواب الحكم المالكية وأحد من شهد على أبي الخير النحاس، ثم أرسل قاضي القضاة شرف الدين المناوي من الغد إلى عز الدين - المذكور - بإقامته من مجلس حكمه فقام من وقته ودار على أرباب الدولة وعرفهم ما وقع في حقه من قاضي القضاة - المذكور - وطلب أن يعقد له مجلس بالقضاة الأربعة^(١) وأعيان الفقهاء في يوم الأربعاء سادس عشرينه بحضرة السلطان بالحوش من القلعة، فلما كان عقد المجلس وحضرت القضاة والشهود الذين شهدوا على أبي الخير النحاس والشريف ابن المصباح المدعي على أبي الخير النحاس سأل السلطان القاضي الشافعي: هل ثبت على أبي الخير النحاس الكفر؟ فقال الشافعي: الدعوى عند قاضي القضاة المالكي، فتكلم القاضي المالكي بكلام طويل حاصله أنه لم يثبت على أبي الخير عنده شيء. فلما سمع السلطان كلامه طلب عز الدين ابن البساطي فنهض عز الدين البساطي قائماً بين يدي السلطان ليتكلم، فبادره القاضي الشافعي وقال: قد ثبت فسق هذا الجل عندي. فالتفت السلطان إلى عز الدين وقال: أنا أعرفك منذ أربعين سنة، أمضوا به إلى حبس المقشرة، ثم طلبه ثانياً وأعاد عليه القول، ثم رسم بحبسه بعد أن نهره، ثم طلب بقية الشهود الذين شهدوا على أبي الخير النحاس، وهم ابن الكوم الريشي وغيره فأمر بهم فحبسوا الجميع بحبس المقشرة من قبل أن يسمع كلامهم، فلما رأى الشريف المدعي ما وقع تكلم وقال: يا مولانا السلطان، الشهود الذين شهدوا في عز الدين بالقدح قد رجعوا عن شهادتهم، فلم يلف السلطان إلى كلامه، بل قال له: أنت قلت لي بالأمس: إن القاضي المالكي ارتضى في فضبه أبي الخير وألغى أمره، امضوا بالشريف الآخر إلى حبس المقشرة أيضاً.

فتزلوا بالجميع وحبسوا بحبس المقشرة عند أرباب الجرائم، وقد تراجع أمر أبي الخير النحاس بعدما أرجف بضرب رقبتة غير مرة، وقد لبث الناس أياماً يترددون ويزدهمون عند خيمة الغلمان ينتظرون مجيئه لتضرب رقبتة هناك، لكن لكل أجل كتاب.

(١) في «أ»: «الأربع».

// ثم رسم السلطان في اليوم - المذكور - بإخراج النحاس من حبس [١٥٠] الديلم إلى بيت قاضي القضاة الشافعي، فتوجه الأمير جانبك الشبكي وإلى القاهرة وأخرجه من سجن الديلم مجزراً، ماشياً بين يديه بعد أن شق به الشارع وهو راكب خلفه، ويمشي على مشيه، على هيئته، إلى أن أوصله إلى بيت قاضي القضاة - المذكور - بخط سويقة الصاحب وقد ازدحمت الناس لرؤيته، وكان الوقت قبيل العصر بنحو العشر درجات.

ومر أبو الخير في هذه الخطرة على أماكن كان يمر بها في موكبها أيام عزه، فسبحان من يعز ويذل.

قلت: وفي الجملة، خروجه - الآن - من حبس الديلم هو خير من توجهه أولاً من بيت قاضي القضاة المالكي إلى حبس الديلم، والمراد به - الآن - خير مما كان يراد به إذ ذاك، فانظر إلى فعل هذه الدنيا مع المغرمين بها. قال قائلهم وأجاد:

أرى الدنيا تقول لعاشقيها حذار حذار توبيخي وفتكي
ولا يغرركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي
[الوافر]

ولما وصل أبو الخير إلى بيت القاضي الشافعي أسلمه وإلى القاهرة إليه، فأمر قاضي القضاة في الوقت برفع الجزير من عنقه، ثم قام بعد ساعة شخص وادعى على أبي الخير بعدة دعاوى شنعاء، فاعترف أبو الخير ببعضها وسكت عن البعض، فحكم قاضي القضاة - المذكور - بإسلامه وحقق دمه، وفعل به ما وجب عليه من التعزير بمقتضى مذهبه، وسلمت مهجته من القتل بعد أن أيقن كل أحد بسفك دمه، ثم أمر به أن يجلس في بيت القاضي - المذكور - في الترسيم حتى يتخلص من تعليقات السلطان.

وفي يوم الخميس سابع عشرين (الشهر) وصل ساعي^(١) من عند الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب وعلى يده كتاب يتضمن خروج العسكر المصري

(١) في «أ»: «ساع» .

إلى البلاد الحلبية، ففي الحال أمر السلطان بكتابة بطاقة إلى قطيا على جناح الطائر
برد من توجه من النجابة في أمسه .

وهو أن السلطان كان بعد أن عين التجريدة قبل تاريخه سكت عن ذلك
لانتظار ما يرد عليه من الجواب، فلما تمادى الخبر أرسل في أمسه نجابة إلى البلاد
الشامية يحرضهم على الاهتمام بالسفر في // نصف شعبان، فلم يكن إلا ليلة
واحدة وقدم هذا الخبر على يد الساعي المذكور، فأخذ السلطان في تجهيز
العساكر، ثم بطل ذلك جميعه بعد أيام قلائل، وقرر عزمه عن إرسال تجريدة،
وسكن عن ذلك كله .

وفيه وصل الطواشي سنقر الرومي الجمدار المتوجه قبل تاريخه من قبل
السلطان إلى بلاد أبلستين لإحضار الخاتون بنت الأمير سليمان بن دلغادر نائب
أبلستين ليتزوج السلطان بها .

وفيه لبس الأمير أسندمر الأرغون شاوي آستادار السلطان بدمشق خلعة
السفر .

وفيه أعيد القاضي بدر الدين حسن بن الصواف إلى قضاء الحنفية بحماه
على مال بذله في ذلك، لا أخلف الله عليه .

وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه رسم بالإفراج عن السيد الشريف ابن
المصباح غريم أبي الخير النحاس من حبس المقشرة وعن الشهود الذين شهدوا
على أبي الخير أيضاً .

وفيه رسم بنفي أبي الخير النحاس إلى مدينة طرسوس محتفظاً به، ورسم
أن يقيد ويجنزر من خانقاه سرياقوس، فمضى الأمير جانبك الشبكي والي
القاهرة إليه وأخرجه من بيت قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي ركباً على
فرس في الثلث الأول من ليلة السبت تاسع عشرينه، وذلك بعد أن حلف أبو
الخير النحاس - المذكور - في أمسه يمينا مغلظاً بمجلس قاضي القضاة - المذكور -
أنه لم يبق معه شيء من المال غير مبلغ يسير جداً برسم النفقة، وأنه صار فقيراً

مملقاً لا يملك ما قل ولا ما جل ، فسبحان المطلع على السرائر .

ومضى هذا الشهر وقد عز وجود البغال ، وأبيعت بأغلى الأثمان لكثرة طلابها من الفقهاء وغيرهم لما منعوهم من ركوب الخيل حسبما ذكرناه قبل تاريخه .

شهر رجب

أوله الاثنين .

أهل هذا الشهر والناس في جهد عظيم من غلو الأسعار في سائر المأكولات لا سيما الغلال ، فإن أثمانها زاد (ت) المثل أمثال لعدم وفاء النيل ، فإن الموافق لأول هذا الشهر من شهور القبط ثامن عشر مسرى والبحر يومئذ في الذراع الخامس عشر مع أنه متصل الزيادة في كل يوم إلى يوم تاريخه ، فأبيع القمح فيه بستمئة درهم الأردب إلى // ما دونها ، والفول والشعير بأربعمائة [١٥٢] درهم الأردب إلى ما دونها ، والأرز بألف وخسمائة درهم الأردب إلى ما دونها ، والجن الأبيص باثني عشر درهماً الرطل ، والمقل بأربعة عشر درهماً الرطل - وهو مع ذلك عزيز الوجود - والشيرج بخمسة عشر درهماً ، وقس على هذا .

وهذا الغلاء له الآن نحو السنتين ، والسعر تارة يزيد على هذا وتارة ينقص ، فأعلى ما أبيع به القمح في هذه المدة تسعمائة درهم الأردب ، وأرخص ما أبيع به أربعمائة درهم وخمسين درهماً الأردب ، وهو ما بين هذه الأسعار إلى يومنا هذا ، فسبحان المتكفل بأرزاق العباد ، وإلى الآن والناس تحشى عاقبة هذا النيل في السنة المذكورة .

وفي هذا اليوم استقر الشيخ أبو الفضل محمد المغربي المالكي في تدريس التفسير بالقبّة المنصورية قلاوون بين القصرين عوضاً عن القاضي محيي الدين عبد القادر الطوخي الشافعي ، ونزل أبو الفضل - هذا - إلى المنصورية ومعه قضاة القضاة وأعيان الفقهاء وغيرهم ، وجلس للتدريس على عادة من تقدمه في ذلك .

وفيه سافر الأمير قاني باي الحسيني المؤيدي المنعم عليه قبل تاريخه بأنابكية حماء حسبما ذكرناه في وقته .

وفي يوم الخميس رابعه برز الأمير سونجبغا اليونسي الناصري أحد أمراء
عسرات ورأس بوبة وأمير حاج الرجبية من القاهرة بمن معه من الحجاج وأناخ
الريدانية خارج القاهرة، وسافر في هذا الركب الأمير جرباش المحمدي
الناصري المعروف بكرد - أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية - بعياله وزوجته
خوند شقراء بنت السلطان الملك الناصر فرج، وسافر - أيضاً - الأمير تغري
- بش الزردكاش أحد أمراء الطبلخانات، وعدة خلائق من الأعيان وغيرهم.

وفي يوم السبت لبس ابن العجيل شيخ المعرة خلعة باستقراره في مشيخة
المعرة على عادته أولاً، وهذا بعد أن حبس بالبرج من قلعة الجبل نحواً من
خمسة شهور.

وفيه حضر تغري بردي القلاوي كاشف البهساوية بجماعة من مفسدي
العرب فقوصصوا على فعلتهم .

وفي يوم الاثنين ثامنه سافر سونجبغا أمير الرجبية من الريدانية إلى بركة
الحاج .

[١٥٣] وفيه سافر العلاء على // الزردكاش المعروف بالبندقاري إلى الأمير
جهان شاه بن قرا يوسف متملك أذربيجان وغيرها على النجب .

وفي يوم الاثنين هذا - ويوافقه رابع عشرين مسرى - نودي على النيل
بزيادة إصبع واحد^(١) لتتمة أحد وعشرين إصبعاً من الذراع السادس عشر -
أعني أنه بقي للوفاء ثلاثة أصابع - فظن كل أحد بوفاء النيل من الغد، فأصبح
في يوم الثلاثاء تاسعه - ويوافقه خامس عشرين مسرى - نقص البحر ثلاثة
أصابع ، فصار النقص عن الوفاء ستة أصابع - فما شاء الله كان - فعظم قلق
الناس لذلك، وارتفع سعر الغلال زيادة على ما كانت عليه من الغلو قبل
تاريخه، ثم نقص - أيضاً - في يوم الأربعاء إصبعين^(٢)، فلما سمع السلطان ذلك
أرسل إلى الخليفة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان مبلغ له جرم وأمره بأن

(١) في هامش « أ » : « صوابه أصبعين » .

(٢) في هامش « أ » : « صوابه ثلاثة » .

يتوجه إلى الآثار النبوية^(١) يتصدق به هناك ويدعو الله بعود الزيادة على جاري العادة، ثم ندب السلطان الشيخ على العجمي محتسب القاهرة ليعمل بالآثار - أيضاً - سماطاً هائلاً للفقراء وغيرهم، فتوجه الشيخ علي إلى الآثار وفعل ما أمره السلطان به، وصرف على ذلك جملة مستكثرة، ثم رسم في الغد - وهو يوم الخميس حادي عشره، وسابع عشرين مسري - للجمايي ناظر الخواص بعمل سماط في المقياس، وأن يحضره بنفسه ويحمل معه من أنواع الفواكه والحلوى شيئاً كثيراً، فتوجه صاحب جمال الدين - المذكور - وفعل بما أمره به السلطان، وياشر ذلك بنفسه، وجمع القراء والفقراء وأهل الصلاح بالمقياس في الليلة المذكورة، وكثر الدعاء في هذا المكان المبارك والتضرع والابتهال إلى الله - تعالى - بزيادة النيل.

وكان النقص يومئذ عن الوفاء نحو عشرة أصابع، بل مما كان وصل إليه، فعلى هذا يكون النقص أكثر من عشرة أصابع.

وفي هذا اليوم توفي القاضي شرف الدين محمد ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن عبد المنعم البغدادي الحنبلي، وعظم مصابه على أبيه. انتهى.

قلت: وأصبح // يوم الجمعة ثاني عشره والقاضي ناظر الخاص [١٥٤] بالمقياس، وحضر الخليفة المستكفي بالله - أيضاً - وعدة خلّائق، وصلى الجميع بجامع الروضة - بالقرب من المقياس - وقام الخليفة بعد صلاة الجمعة ودعا الله - سبحانه وتعالى - بسبب إجراء النيل، وأمن الناس على دعائه، وكانوا خلقاً. وكذا وقع في غالب جوامع القاهرة، وكثر الضجيج في هذا اليوم والبكاء والتضرع إلى الله - تعالى - فكان هذا اليوم من الأيام المهولة التي لم نعهد بمثلها في وباء ولا غيره، ومع هذا كله نقص البحر - أيضاً - زيادة على النقص الأول، فأيقن الناس بالهلاك، فسبحان المتصرف في ملكه كيف شاء.

واستمر البحر على هذه الحالة من عدم الزيادة، والناس بسببه في جهد وبلاء، من تكالب الناس على الخبز في الحوانيت والأفران، وعظم ازدحامهم على

(١) في «أ»: «النبوي».

هذا المعنى، وعمّ هذا البلاء جميع الخلائق إلى يوم الأحد رابع عشره - ويوافقه الثلاثون من مسرى أحد شهور القبط - أمر السلطان الشيخ على المحتسب بأن يطوف في شوارع القاهرة وبين يديه المدراء^(١) يعلمون الناس بأن في غد يكون الاستسقاء بظاهر القاهرة، وأشيع نزول السلطان الملك الظاهر جفمق للاستسقاء، وأصبح من الغد في يوم الاثنين خامس عشره - وهو أول يوم من أيام النسيم - خرج قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي إلى الصحراء ماشياً بين الخلائق والعالم من الصوفية والفقهاء إلى أن وقف بين ترابه الملك الظاهر برقوق وبين قبة النصر قريباً من الجبل، ونصب له هناك منبر، وحضر الخليفة وبقية القضاة، وصاروا في جمع موفور إلى الغاية من سائر الخلائق والطوائف، وخرجت اليهود والنصارى بكتبهم، وصلى قاصم القضاة - المذكور - بجماعة من الناس، ودعا الله - سبحانه وتعالى - بإجراء النيل، وأمن الناس على دعائه، وعظم ضجيج الخلائق من البكاء والتضرع إلى الله - تعالى - وانتشرت الصحراء بالناس، ودام ذلك إلى آخر الساعة الثانية من يوم الاثنين - المذكور - ثم انصرفوا على ما هم عليه من الدعاء والابتغال إلى الله - تعالى - // فكان هذا اليوم من الأيام التي لم يعهد مثلها.

وفي هذا اليوم توفي العلامة شهاب الدين أحمد بن عريشاه الآتي ذكره - إن شاء الله تعالى - في آخر السنة.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره وصل السيفي سودون الأمير آخور المتوجه قبل تاريخه بتقليد الأمير سودون أبو بكرى المؤيدي بنبابة حماء.

وفيه ورد كتاب نائب غزة الأمير خير بك النوروزي يتضمن أن أبا الخير النحاس مريض، وأنه يسأل أن يقيم بغزة إلى أن ينصل من مرضه ثم يسافر إلى طرسوس، فكتب إليه الجواب بتوجهه إلى طرسوس سرعة من غير أن يتعوق اليوم الواحد.

(١) المدراء: جمع مدير، وهم أعوان في الديوان، وعملهم أخذ القصص ونحوها وإدارتها على كاتب السرفمن دونه، ليكتب كل منهم ما يلزمه من متعلقها.

راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ١ ص ١٣٩.

وفي هذه الأيام استمر النيل متماسكاً عن الزيادة، والناس بسببه في أمر مريع، بل نقص فيها عدة أصابع، وعظم البلاء وعم جميع الخلائق، بحيث أنك لا ترى إلاّ باك ومبتهل إلى الله - تعالى - رئيسها ووضعها - وصارت الناس في هذه البلية بالسوية، وعدم الخبز من الدكاكين، وصار لا يؤخذ إلاّ من الأفران إلاّ بجهد^(١) في الليل، ورسل المحتسب تحمي الأفران من النهب، وارتفع سعر القمح إلى سبعمائة درهم، وليته موجود، وإنما عز وجوده بالسواحل، وصار لا يتوصل أحد لشرائه إلاّ بجهد ممن له وجهة وشوكة في الدولة، وأما الضعيف الفقير فصار لا يصل إلى شراء القمح البتة، وسببه أن المماليك السلطانية صاروا يأخذون الغلال من المراكب باليد، حتى إن منهم من كان لا يزن لها ثمناً، بل كان إذا استولى عليها أخذها بما فيها وتوجه إلى حال سبيله، فكف أصحاب الغلال عن البيع خوفاً من هؤلاء الظلمة، فعظم البلاء بهذه الواقعة أكثر وأكثر، حتى أرسل السلطان الأمير مرجان العادي الحمودي نائب مقدم المماليك السلطانية إلى الآثار النبوية^(٢) وأخذ عنده عدة مراكب بسبب منع المماليك من ركوب المراكب والتقدم إلى ملاقاتة الغلال في البحر فكفوا حينئذ قليلاً، ثم رسم السلطان لصهره ومملوكه الأمير أربك من ططخ الساقى الظاهري وللاّمر جانبك الشبكي والي القاهرة بأنهما يتوجهان إلى ساحل بولاق ويجلسان على باب شونة زين الدين الأستاذار / ويشرعان في بيع ما فيها من [١٥٦] الغلال بستمائة درهم الأردب، وذلك برضى زين الدين الأستاذار، فإنه أحب ذلك خوفاً من أن ينهبها المماليك السلطانية، فتوجهها إلى ساحل بولاق وفعلاً ما أمرهما به السلطان، ودأما على ذلك أياماً، فنال بعض الناس من شراء ما يحتاج إليه من القمح، وبعد عن آخرين.

ودام هذا الحال إلى يوم الخميس ثامن عشره، خرج الخليفة والقضاة الأربعة^(٣) إلى الاستسقاء ثانية، وخرج معهم من الخلائق ما لا يحصى عددهم إلاّ

(١) كذا في الأصل، وصوابه: «وصار لا يؤخذ من الأفران إلاّ بجهد».

(٢) في «أ»: «النبوي».

(٣) في «أ»: «أربع».

الله - تعالى - وصلى قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي صلاة الاستسقاء، وخطب خطبة طويلة بليغة جداً، وقد انتشرت البرية بالناس وعظم الضجيج والبكاء والتضرع إلى الله - تعالى - وكان خروج قاضي القضاة - المذكور - في هذا اليوم إلى الصحراء ماشياً - شاهدته بعيني^(١) رأسي، وأما في يوم الاثنين لم أراه ماشياً، وإنما قيل عنه ذلك، وقيل: إنه توجه راكباً - وطال وقوف الناس في هذا اليوم للدعاء بخلاف يوم الاثنين، إلى أن ورد عليهم منادي البحر ونادى بزيادة إصبع واحد من النقص، فسر الناس بذلك سروراً زائداً، وحصل لهم الجبر والله الحمد والمنة.

ولقد شاهدت في هذه الأيام أعاجيب، منها أنني أدركت الوباء العظيم في سنة ثلاث وثلاثين، ثم في سنة إحدى وأربعين، ثم في سنة سبع، وثمان وأربعين، ثم في سنة ثلاث وخمسين، وكان وباء سنة ثلاث وثلاثين مهولاً إلى الغاية، بحيث أنه مات فيه في اليوم الواحد من الخلائق نيف على عشرة آلاف نفر، ومع ذلك^(٢) كنت أجد إذ ذاك بالمفترجات والشوارع جماعة من العامة يضحكون وهزلون، ومنهم من كان يقع فيما قدر عليه، هذا مع عظم الوباء المفرط وسرعة الموت، إلا هذه الأيام، فما تجد من الناس إلا باكياً أو متضرعاً إلى الله - تعالى - أو مهموماً لكثرة عياله، أو تجد جماعة في بعض الأماكن فلا يكون كلامهم - غالباً - إلا في القمح والدقيق والخبز، فكان هذا دأب الناس في هذه الأيام.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره خرج القوم - أيضاً - إلى الاستسقاء في المكان [١٥٧] - المذكور - وفعلوا كفعلتهم في أول يوم وفي الثاني // من التضرع والدعاء إلى الله - تعالى - وهذه المرة الثالثة، فإن الأولى كانت في يوم الاثنين، والثانية في يوم الخميس، والثالثة في هذا اليوم - أعني يوم الجمعة - ونودي فيه - أيضاً - بزيادة إصبع واحد من النقص - والله الحمد.

(١) في «أ»: «بعين» .

(٢) في «أ»: «ذلك» ،

والغريب أن الناس يتشاءمون على الملك بخطبتين في يوم واحد، فوقع ذلك في هذا اليوم من غير موجب لذلك، وكان يمكنهم تأخير الاستسقاء الثالث إلى غير يوم الجمعة، هذا وما فطن أحد لذلك إلا بعد وقوعه، وقد تذكرت أنا هذه الحكاية قبل وقوعها ولكنني سكت للتجربة، فلعمري هل العادة تجري أم هي خرق العادة؟ فكانت خرق العادة، وما حصل للسلطان إلا كل خير.

وفي يوم السبت عشرينه نقص البحر ثلاثة أصابع، فله الأمر من قبل ومن بعد.

وفيه نودي بالقاهرة بالكف عن المعاصي وصيام يوم وفطر يوم، وبعرض الممالك السلطانية من الغد لينهاهم السلطان عن أخذ الغلال ويأمرهم بسكنى الطباق من قلعة الجبل، ففعل ذلك من الغد.

وفي يوم الأحد حادي عشرينه - ويوافقه ثاني نوروز القبط، وهو ثاني توت أحد شهور القبط - فيه كان انتهاء زيادة النيل في هذه السنة أولاً وآخرها خمسة أصابع من الذراع السادس عشر، وهذا شيء لم يعهد ولا سمعنا بمثله منذ سنين، فسبحانه يتصرف في ملكه كيف يشاء.

وفي يوم الاثنين نودي بزيادة أصبع واحد، فأنعم السلطان على منادي البحرا بن أبي الرداد عندما بشره بزيادة هذا الإصبع بمائة دينار، واستمرت الزيادة من يوم تاريخه في كل يوم على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه سافر محب الدين ابن الشحنة قاضي قضاة الحنفية بحلب وناظر جيشها بعدما أقام بالقاهرة شهوراً .

وفي يوم السبت سابع عشرينه - ويوافقه ثامن توت - فيه انتهت زيادة النيل إلى سبعة عشر إصبعاً من الذراع السادس عشر، وبقي للوفاء سبعة أصابع، فنقص من الغد في يوم الأحد ثامن عشرينه وتاسع توت إصبعاً واحداً // فعاد [١٥٨] اضطراب الناس على ما كان عليه أولاً .

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه عزل السلطان الطواشي عبد اللطيف

الفلاح شاد الحوش السلطاني بالطواشي جوهر الشبكي المعروف بالتركماني بعد أن أمر السلطان الأمير فيروز النوروزي الزمام والخازندار بضرب عبد اللطيف - المذكور - مائتي عصاة على رجليه ، ففعل فيروز ذلك ، ورسم لعبد اللطيف - المذكور - أن يلزم داره .

وعبد اللطيف هذا كان أصله من الفلاحين ببعض قرى القاهرة ، فلما كان صغيراً ببلده نزل يوماً إلى البحر للسباحة ، أخذت الترسة^(١) ذكره وخصيته ، فأخرج وتداوى إلى أن عوفي ، قدم به والده إلى الأمير خشقدم الظاهري الزمام - كان في الدولة الأشرفية برسباي - فأخذه خشقدم وضمه إلى الخدام إلى أن ترقى وولى شاد الحوش السلطاني وصار من أمره ما حكيناه ، ولازال عبد اللطيف - المذكور - على حاله إلى أن توفي سنة ست وخمسين وثمانمائة .

ومضى هذا الشهر وقد كثرت الأمراض الحارة بالقاهرة وفشت في الناس .

وفيه ركب أعيان الدولة من الفقهاء والكتبة على الخيول على عادتهم لاشتغال الممالك السلطانية عنهم بما هو أهم من ذلك من توقف البحر عن الزيادة وغلو الأسعار .

وفي هذا الشهر رسم السلطان لفارس التركماني بالتوجه إلى جزيرة قبرس من بلاد الفرنج ليشتري منها مغلاً ويعود به إلى القاهرة بعد أن دفع إليه مبلغاً من الذهب ، وأحاله - أيضاً - بما عند صاحب قبرس من دراهم الجزية . وفي هذا الشهر توفي الأمير جانبك النوروزي على ما يأتي ذكره .

شعبان

أوله الثلاثاء ، الموافق لحادي عشر توت .

أهل هذا الشهر والناس في أمر مريع من كثرة الأمراض ، والمصيبة العظمى عدم وفاء النيل إلى هذا اليوم وغلو الأسعار في سائر المأكولات .

(١) هي « السلحفاة البحرية »

والأسعار فيه: القمح بألف درهم الأردب إلى ما دونها، وهو مع ذلك عزيز الوجود جداً، والفلول والشعير بستمائة درهم الأردب، وهما في قلة إلى الغاية، والدقيق العلامة بثلاثمائة درهم البطة، بل وأزيد. وعلى هذا السعر فقس كل شيء.

وفي هذه الأيام ورد الخبر بفرار الأمير تراز من بكتمر المصارع المؤيدي
// / شاد بندر جدة من جدة إلى جهة الهند . [١٥٩]

وقصته أنه اشترى مركباً مروساً بألف دينار من شخص يسمى يوسف البرصاوي الرومي وأشحنه بالسلاح والرجال، وأخذ جميع ما تحصل للسلطان من بندر جدة وسافر بعدما أشحنه بالزاد والآلات أياماً، واستخدم عدة رماة، وأخذ ما تحصل للسلطان من البندر المذكور - وهو نيف على ثلاثين ألف دينار أو أقل من ذلك بيسير - وتوجه إلى حيث شاء، فلما بلغ السلطان هذا الخبر كان^(١) عليه أدهى وأمر.

وفي يوم السبت خامسه قبض السلطان على علي بن إسكندر معلم المعمارية وأسلمه للأمير جانبك والي القاهرة ليستخرج منه سبعة آلاف دينار، ثم آل أمره على حمل أربعة آلاف دينار فحملها بعد بيع موجوده، ثم نفي إلى البلاد الشامية، واستقر من بعده يوسف شاه العلمي.

وفي يوم الاثنين سابعه، ويوافقه سابع عشر توت نودي على البحر بزيادة إصبع واحد لتتمة عشرين إصبعاً من الذراع السادس عشر، وقد بقي للوفاء أربعة أصابع، فأخذ من الغد في يوم الثلاثاء في النقص إلى يوم الخميس عاشره الموافق لعشرين توت، أجمع رأي السلطان مع أرباب الدولة على فتح خليج السد من غير تخليق المقياس وقد بقي على الوفاء ثمانية أصابع لتكملة ستة عشر ذراعاً، فنزل والي القاهرة ومعه بعض جماعة إلى سد الخليج وفتجه، ومشى الماء في احلجان شيئاً هيناً، وقد تزايد بكاء الناس وانتحابهم لما عاينوه من عدم جريان

(١) في الأصل: «فكان».

الماء في مثل هذه الأيام، فكان هذا اليوم من الأيام الموهلة التي لم يعهد بمثلها، وأخذ البحر من يوم تاريخه في النقص إلى أن نزل بالتدريج في أيام من بابة وقد شرق غالب البلاد بالوجه القبلي والبحري، وعمّ هذا البلاء جميع الناس.

وفي يوم الاثنين رابع عشره خلع السلطان على الأمير قاسم بن قرايلك بنبابة الرها وغيرها بديار بكر وأمده بالأموال والسلاح وغير ذلك، وندبه لقتال ابن أخيه جهان كير بن علي بك بن قرايلك بعد أن رسم له أن يقيم بالقاهرة أشهراً لعمل احتياجه.

وفي هذه الأيام ورد^(١) الخبر بأن مركب السلطان المشحونة بآلات عمارة الحرم المكي قد غرقت في البحر المالح بما فيها من الأخشاب والدقيق والغلال وغير ذلك من أزواد الحجاج الرجبية، وكان قد تقدمها مركب أخرى غرقت [١٦٠] قبل تاريخه // وذهب جميع ما في المركبين، وقيمة ما فيها من آلة العمارة فقط نحو خمسة^(٢) عشرة ألف دينار، وأما ما كان فيهما من غير الأخشاب وآلة العمارة فشيء كبير.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه لبس الأمير جانبك الظاهري [خلعة] شد بندر جدة على عادته عوضاً عن تمرار.

وفي يوم الأحد عشرينه توفي الأمير سودون السوداني.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه برز المرسوم الشريف بعزل القاضي برهان الدين إبراهيم السوبيني الشافعي عن قضاء دمشق، ورسم بحبسه بقلعة دمشق.

وسبب ذلك أن السلطان كان قبل تاريخه رسم بأن لا يحكم في أبي الفتح الطيبي إلا القاضي المالكي بدمشق، وسمع القاضي المالكي الدعوى عليه بمجلسه، وتوانى 'ناصبي' المالكي في الحكم بما وجب عليه بمقتضى مذهبه، فبادر السوبيني هذا وحكم بحقن دم أبي الفتح الطيبي مع علمه بما رسم به

(١) في الأصل «١٥٠».

(٢) في «أ»: «خمس».

السلطان من أن لا يحكم في أبي الفتح - المذكور - إلا المالكى، ومع علمه - أيضاً - بسبق الدعوى عنده، فبلغ السلطان ذلك، مع إنكار أهل دمشق عليه بسبب ذلك، وعقد بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة .

وفي يوم الجمعة خامس عشرينه رسم بنفى الأمير طوخ من تراز المعروف بيني بازق أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية إلى القدس الشريف، ثم شفع فيه في ليلة الاثنين، فاستمر على عادته .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه لبس القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الديري [خلعة] نظر الحرمين : القدس والخليل عليه السلام .

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه عقد مجلس بالحوش السلطاني بحضرة السلطان بالقضاة الأربعة^(٢) وأعيان الفقهاء بسبب السويعي، وانفض المجلس من غير بتات، ثم عقد مجلس آخر في يوم الأربعاء في بيت القاضي كمال الدين البارزي كاتب السر الشريف فلم يظهر له - أيضاً - فائدة، وكثر الكلام فيه بين الفقهاء المالكية والشافعية، وانفصل المجلس من غير طائل .

شهر رمضان

أوله الخميس .

في يوم الأربعاء سابعه وصل الأمير تنبك من بردبك الظاهري حاجب الحجاب - كان - من ثغر دمياط بطلب من السلطان، وكان منفيًا بطلاً بالشعر - المذكور - نفاه السلطان بسبب، عبد قاسم الكاشف المتقدم ذكره، وطلع إلى القلعة // وقبل الأرض بين يدي السلطان، ووعد بكل خير، ورسم له أن [١٦١] يمشي الخدمة على عادته أولاً، ولكنه لم ينعم عليه بإمرة ولا بإقطاع، وأصبح الأمير تنبك من الغد حضر الخدمة السلطانية وأجلس في منزلته أولاً مع مقدمي الألوف .

(١) في «أ» : «الأربع» .

وفيه لبس الصاحب أمين الدين ابن الهيصم خلعة بسبب ري البلاد الجيزية، وكونه فرق إطلاقا الممالك السلطانية على العادة في كل سنة، وكان هذا بخلاف القياس، فإن غالب ضواحي القاهرة شراقي حتى خليج الزعفران والمطرية وبركة الحبش، وهذا شيء لم يسمع بمثله.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره وصل إلى القاهرة العلاء علي البندقداري الزردكاش من أزرنكان، وأخبر بأخذ أمراء جهان شاه بن قرا يوسف أزرنكان والقبص على صاحبها محمود بن قرايلك، وأشياء من هذا النوع.

وفيه رسم لنائب طرسوس بالقبض على أبي الخير النحاس وضربه على سائر جسده خمسمائة عصاة، وأخذ جميع ما معه من الممالك والجوار (ي)، وخرج المرسوم في اليوم المذكور على يد نجاب، وفعل ما أمر به السلطان.

وفي يوم الجمعة سادس عشره - ويوافقه سادس عشرين بابيه - لبس السلطان القماش الصوف الملون وألبس الأمراء مقدمي الألوف على العادة.

وفي يوم الاثنين سادس عشريه ورد الخبر من الشام بأن أبا الفتح الطيبي ضربت رقبته بسيف الشرع بحكم القاضي المالكي بدمشق في ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان - هذا - بعد أن ألغى حكم القاضي برهان الدين إبراهيم السوبيني الشافعي بعد عزله وقدمه إلى القاهرة.

وفيه ورد الخبر من نائب دوركي وغيره من نواب البلاد الشامية بأن جهان شاه بن قرا يوسف عزم على التوجه نحو البلاد الحلبية، فعظم ذلك على السلطان إلى الغاية، وتحرك جهان شاه إلى نحو البلاد الحلبية، يكون ذلك في تبع جهان كير بن علي بن قرايلك، فرسم السلطان أن يكتب مرسوم شريف إلى الأمير سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر صاحب أبلستين بمنع جهان كير من العبور إلى بلاده إذا فر أمام جهان شاه، وجهاز له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش.

[١٦٢] وفي هذه السنة بطلت مسابقة أمير // حاج المحمل، وهو أن أمراء الحج

كانوا يفعلون ذلك على القواعد السالفة، فيظهر بذلك التجميل الزائد والفرجة التامة، وتخرج الناس لرؤية ذلك ذهاباً وإياباً.

وسبب بطلان المسيرة أن الأمير تمرّبغا الظاهري الدوادار الثاني كان أمير حاج^(١) المحمل في هذه السنة، فلم يركب للمسيرة واعتذر من قلة سفر الممالك إلى الحج في هذه السنة. فإن القاعدة كل من كان يحج من الممالك السلطانية والأعيان يركب في خدمة أمير حاج^(٢) المحمل إذا ركب للمسيرة، وأيضاً لما بالناس من الغلاء المفرط والأنكاد المترادفة.

وقد مضى شهر رمضان هذا عن الناس بعدما قاسوا فيه شدائد من عظم الغلاء، وعمّت البلوى جميع الخلّاتق، وعز وجود سائر المأكولات، فأبيع القمح فيه بألف ومائتي درهم الأردب إلى ما دونها وفوقها، والشعير بثمانمائة درهم الأردب إلى ما دونها، والفول بسبعمائة درهم الأردب إلى ما دونها، والدقيق العلامة بأربعمائة درهم البطة، ولحم الضأن في عظمه بأحد عشر^(٣) درهماً الرطل، والشيرج باثنين وعشرين درهماً الرطل، والجن الأبيض بخمسة عشر درهماً الرطل، والمقلي بثمان عشرة درهماً الرطل، وأما الخضراوات فعزيزة الوجود جداً.

شوال

أوله السبت.

فيه سافر خشكلدي الزيني الدوادار إلى البلاد الشامية على النجب لإخراج تركمان الطاعة نجدة لنواب البلاد الشامية المقيمين بالبلاد الحلبية.

(١) في الأصل: «أمير الحاج المحمل».

(٢) نفسه.

(٣) في الأصل: «بأحدى عشرة درهماً».

وفي يوم الاثنين ثالثه أخلع السلطان علي قاضي القضاة ولي الدين محمد السفطي بإعادته إلى مشيخة المدرسة الجمالية برحبة باب العيد بعد عزل القاضي ولي الدين الأسيوطي عنها.

وفي يوم الثلاثاء رابعه وقت أذان المغرب توفي الزيني عبد الباسط على ما يأتي ذكره في آخر السنة إن شاء الله .

وفي يوم السبت ثامنه ورد الخبر من ثغر الإسكندرية بأن الإفرنج أخذوا أربعة مراكب من مراكب المسلمين بعد أن وصل المسلمون إلى ثغر رشيد، فاستولت الفرنج على المراكب المذكورة بجميع ما فيها من الغلال والدقيق المجلوب من (البلاد) التركية وغيرها، فيكون قيمة ما أخذ فيها - تقريباً - تنيف على مائة ألف دينار على ما قاله غير واحد من التجار وغيرهم. وكان عدة [١٦٣] مراكب الفرنج زيادة على خمسة عشر مركباً، ولهؤلاء // الفرنج حول ثغر الإسكندرية وغيرها من الثغور وسواحل المسلمين نحو عشرة أيام، فما شاء الله كان.

وقد حدث في هذا الشهر من الأنكاد والأخبار المهولة أشياء كثيرة، منها ورود هذا الخبر، ومنها - أيضاً - أنه وصل كتاب من صاحب سواكن يتضمن أن الحطى^(١) الكافر صاحب الحبشة شرع في عمل عدة مراكب برسم غزو المسلمين وأخذ سواحل البلاد الحجازية، وقد تكرر هذا الخبر في هذه السنة غير مرة، ومنها وصول جهان شاه بن قرا يوسف إلى أطراف البلاد الحلبية، هذا مع غلو الأسعار وعظم البلاء على الناس من القحط والجوع وعدم الرّيّ في الأعمال المصرية، وتشتت نواب البلاد الشامية من إقامتهم هذه المدة بالبلاد الحلبية، فنسأل الله حسن العاقبة.

وفي يوم الاثنين سابع عشره توفي الشيخ كمال الدين المجذوب .
وفيه برز الأمير تربيغا الدوادار الثاني بالمحمل إلى بركة الحاج وصحبته أمير

(١) المقصود سلطان الحبشة.

الركب الأول الأمير خيربك المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة وهما في قلة من الحاج إلى الغاية، حتى إنني لم أر في هذه السنة من الحجاج إلا جماعة يسيرة جداً، وكيف لا والفول بأكثر من سبعمائة درهم الأردب.

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه قدم الخبر من البلاد الحلبية على السلطان بعود جهان شاه بن قرا يوسف من أطراف ممالك السلطان إلى ديار بكر بن وائل من غير أن يحصل منه منذ^(١) إقامته تشویش.

وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه توفي الأمير أركماس الظاهري الدوادار الكبير - كان - رحمه الله.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه توفي الأمير جانبك الحكمي بعد مرض طويل.

ذو القعدة

أوله الأحد.

في يوم الخميس خامسه برز الأمر الشريف باستقرار الأمير جانبك التاجي المؤيدي نائب بيروت في نيابة غزة عوضاً عن الأمير خيربك النوروزي، بحكم عزله وتوجهه إلى دمشق بطالاً.

وكتب - أيضاً - باستقرار جغنوس أحد أمراء دمشق في نيابة بيروت عوضاً عن جانبك - المذكور.

ولاًيتها على مال بذلاه للخزانة الشريفة.

وفي يوم السبت رابع عشره ورد الخبر من ثغر الإسكندرية // بموت [١٦٤] الشريف حسن تاجر السلطان بالثغر المذكور.

وفي يوم الاثنين سادس عشره ورد الخبر من مكة المشرفة على يد السيفي

(١) في «أ»: «في منذ إقامته».

جانبك الخاصكي الظاهري البواب بموت الأمير تغري برمش الزردكاش أحد أمراء الطبلخانات .

وفي يوم الخميس تاسع عشره أنعم السلطان على السيقي دقماق الشبكي الخاصكي بإمرة عشرة من إقطاع الأمير تغري برمش الزردكاش، وأنعم بباقي إقطاع تغري برمش - المذكور - على الأمير قراجا الظاهري الخازندار زيادة على ما بيده لتكمل له إمرة طبلخاناه .

وفي يوم الجمعة عشرينه طلق السلطان خوند شاه زادة بنت ابن عثمان، ورسم لها أن تقضي العدة بدارها من الدور السلطانية ثم تنزل إلى بيتها بالقاهرة .

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه لبس الأمير دقماق الشبكي - المقدم ذكره - زردكاشا عوضاً عن الأمير تغري برمش الزردكاش بحكم وفاته بمكة المشرفة .

وفي يوم السبت ثامن عشرينه عزل الأمير دقماق عن الزردكاشية واسترجع منه الإمرة المنعم بها عليه من إقطاع الأمير تغري برمش الزردكاش، وأعيد إليه إقطاعه القديم، ثم رد إليه ما كان حمله للخزانة الشريفة من الذهب بسبب الزردكاشية والإمرة، فإنه كان قد التزم بحمل أربعة آلاف دينار، فحمل منها بعضها .

وسبب عزله أغرب، وهو أنه لما ولي الزردكاشية أراد عرض الزردخاناه ليظهر بذلك نتيجة للسلطان. فعظم ذلك على ناظر الزردخاناه بدر الدين بن ظهير وغيره، ودخل بدر الدين إلى السلطان وأوغر خاطر السلطان على دقماق، فاستحال إلى كلامه وعزله، واسترجع منه الإمرة، وردّه إلى الجنديّة، واستقر الأمير لاجين الظاهري عوضه زردكاشا .

وأعجب من هذا أن إقطاع دقماق القديم كان قد أنعم به السلطان على شخص يسمى جانبك الأشرفي الشهير بالظريف أحد الدوادارية الصغار، وأنعم بإقطاع جانبك - المذكور - على جانبك البواب القادم من مكة المشرفة، والمخبر

بموت الأمير تغري برمش الزردكاش، فلما رد السلطان إقطاع دقماق القديم إليه صار جانبك الدوادار بلا إقطاع، فإن إقطاعه خرج لجانبك البواب، فأعطاه السلطان الإمرة المنعم // بها على دقماق المذكور، ولم يكن جانبك - المذكور - [١٦٥] من الخاصكية المرشحين للإمرة.

وفي يوم الاثنين سلخه خلع على الأمير لاجين الظاهري أحد أمراء العشرات، ولالة^(١) المقام الفخري عثمان بالزردكاشية عوضاً عن دقماق الشبكي، وأنعم على جانبك الأشرفي الدوادار بالإمرة المسترجع بها من دقماق، واستقر قايتباي الأشرفي ثم الظاهري دواداراً عوضاً عن جانبك الأشرفي المقدم ذكره.

ذو الحجة

أوله الثلاثاء.
فيه توفي قاضي القضاة ولي الدين السفطي، ودفن من الغد في يوم الأربعاء ثانيه، وكان غير مشكور السيرة.

وفي يوم الخميس ثالثه استقر القاضي ولي الدين الأسيوطي في المشيخة (ب) المدرسة الجمالية بعد موت السفطي، وكان قد وليها مرة أخرى بحكم عزل السفطي عنها.

وفي يوم الاثنين سابعه وصل إلى القاهرة النجائب المتوجه قبل تاريخه إلى طرسوس بضرب أبي الخير النحاس، وأخبر بأن نائب طرسوس لما وقف على المرسوم الشريف وعلم مضمونه أرسل أحضر أبا الخير المذكور - وضربه ضرباً مبرحاً، ثم عصره فلم يجد معه شيئاً إلا مبلغاً يسيراً ليس هو الغرض، ووجد عنده مملوكاً وجارية وبعض قماش صوف، فكتب الجواب بذلك، ثم أعاده إلى الحبس.

(١) أي المربي له.

وفي هذا العيد رُئيَ أعاجيب. منها عظم غيار الأضحية، حتى إنه لم ير فيها سمين إلا نادراً جداً. ومنها أن رؤساء عصرنا هذا صاروا في هذا العيد على أقسام؛ فمنهم من فرق على خدمه وحواشيه فلوساً وغنماً، ومنهم من فرق على البعض وقطع البعض من الأجانب، ومنهم من نزح عن دياره وتغرب عن أوطانه من القاهرة إلى بعض القرى ليفوز بنفسه من تفرقة الأضحية في مثل هذه السنة، وهو الأمير زين الدين يحيى الأستادار، وتبعه في ذلك صاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم.

وفي يوم الأحد ثالث عشره رسم السلطان بالإفراج عن الأمير يشبك من جانبك المؤيدي الصوفي المعزول عن نيابة طرابلس قبل تاريخه من سجنه بالإسكندرية، وتوجهه إلى ثغر دمياط بطلاً.

وفي يوم الاثنين رابع عشره وصل كتاب الناصري محمد بن مبارك نائب البيرة يتضمن بأن ورد عليه كتاب الأمير رستم مقدم عساكر جهان شاه بن قرا يوسف المقيم على أرغونية بديار بكر، أنه قبض على الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج [١٦٦] نائب حماء - كان - // الخارج عن الطاعة - الآن - وأخذ جميع ما معه، وجعله في الترسيم، وأن رستم - المذكور - يريد أن يحج في هذا العام. فكتب جوابه بالشكر له على ما فعله، وطلب بيغوث منه، والإذن له في الحج.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره وصل إلى القاهرة ساع من البلاد الحلبية وعلى يده مطالعات من النواب بالبلاد الشمالية، وأخبروا بأن أعوان جهان شاه أخذوا مدينة ماردين بالأمان ما عدا قلعتها، وأنهم ضايقوا جهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد وحضروه بها، وأخبروا - أيضاً - أن والدته جهان كير كانت قد وصلت إلى حلب وقصدت القدوم إلى المواقف الشريفة لترضى الخواطر الشريفة عن ولدها جهان كير - المذكور - فمنعها النواب من ذلك وأعادوها إلى البيرة لتعود إلى حيث جاءت، أو حتى يأتيها إذن من السلطان، وأخبروا - أيضاً - أنهم كاتبوا الأمير رستم بذلك وأعلموه بما فعلوه مع والدته جهان كير، ثم قالوا في كتبهم: ونحن منتظرون ما يرد علينا من المراسيم الشريفة في ذلك.

فكتب الجواب لهم بالإنكار عليهم فيما فعلوه من رد والدة جهان كير إلى ألبيرة، وأيضاً مكاتبتهم إلى رستم بذلك، ورسم بعود والدة جهان كير إلى البلاد الحلبية ثم قدومها إلى القاهرة مكرمة مبعولة .

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشرينه وصل مبشر الحاج، وأخبر بالأمن والسلامة ورخاء الأسعار، وأن الحمل الدقيق أبيع بمكة بخمسة عشر أشرفياً، وهذا بخلاف القياس، لغلو الأسعار بالديار المصرية، وأيضاً لما غرق في البحر المالح في هذه السنة من الغلال وأعمال الدقيق وغير ذلك - حسبها ذكرناه في وقته - وأخبر - أيضاً - بموت قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء الحنفي قاضي مكة وعالمها في تاسع عشر ذي القعدة من السنة رحمه الله .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه نودي بالقاهرة على الفلوس الجدد بأن يكون الرطل الواحد منها بستة وثلاثين درهماً بالوزن المصري .

وفي الثلاثاء تاسع عشرينه أمر السلطان بنفي الأمير الطواشي جوهر النوروزي مقدم الممالك السلطانية إلى القدس الشريف .

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - ستة أذرع وخمسة عشر إصباعاً //، مبلغ [١٦٧] الزيادة خمسة عشر ذراعاً وستة عشر إصباعاً، وكان قبل ذلك وصل إلى عشرين إصباعاً من الذراع السادس عشر، وهي سنة الشراقي، فلا قوة إلا بالله .



ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان المقدم ذكرهم رحمهم الله - تعالى - وعفا عنهم

(١) توفي الأمير زين الدين قاسم^(١) كاشف الوجه القبلي ، وغريم السفطي^(٢) ، المعروف بالمؤذي ، في أول المحرم ، وحمل إلى القاهرة ميتاً^(٣) فدفن بها .

(٢) وتوفي الطواشي كافور الهندي^(٤) رأس نوبة الجمدارية - كان ساقياً - في يوم السبت تاسع عشرين المحرم ، ودفن من الغد في تربة معتقته خوند هاجر^(٥) بنت الأتابك منكلي بغا الشمسي ، وزوجة الملك الظاهر برقوق ، المتوفية في طاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، المعروفة بخوند الكعكيين ، وسميت بذلك لسكنائها بخط الكعكيين ، رحمه الله تعالى .

(٣) وتوفي الطواشي عبد اللطيف^(٦) الرومي الإينالي في يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر عن نحو المائة سنة ، وورثه أحفاد معتقه ، وهما الشهابي أحمد ومحمد ولدا أمير علي بن إينال ، رحمه الله تعالى .

(٤) وتوفي المسند المعمر الخطيب شمس الدين محمد ابن الخطيب

(١) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٣ ، الدليل التام ق ٩٣ ب - ٩٤ أ ، الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٣ تر ٦٥٠ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٢) راجع تر ٢٠ من هذه الحولية .

(٣) ذكر « السخاوي » أنه « تمرض يوماً واحداً » .

(٤) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٣ ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٦ تر ٧٦٦ .

(٥) لها ترجمة في : المقرئزي . السلوك ج ٤ ص ٨٤٧ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٥٢ تر ٤٩ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٣٢ تر ٨٠٨ .

(٦) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٢ ، الضوء اللامع ، ج ٥ ص ٣٤١ تر ٩٥٢ .

عبد الله الرشيدى الشافعى^(١)

ومولده ليلة رابع عشر شهر رجب سنة تسع وستين وسبعمائة ، ولنا منه إجازة بجميع مروياته ، وسماع .

وكانت وفاته يوم الجمعة حادى عشر شهر ربيع الأول ، رحمه الله تعالى .
(٥) وتوفي الأمير شادبك الحكيم^(٢) مقدم الألوف بالديار المصرية ، ثم نائب حماء بطلاً بالقدس بعد مرض طويل في يوم الأربعاء ثانى عشر ربيع الأول .

كان أصله من مماليك الأمير جكم من عوض نائب حلب ، وتنقل في الخدم من بعده حتى اتصل بخدمة الملك الظاهر ططر لما كان أميراً ، فلما تسلطن ططر قربه وأدناه ، وتأمّر في أوائل الدولة الأشرفية برسباي ، وصار من جملة رءوس النوب سنين ، ثم صار أمير طبلخاناه ورأس نوبة ثانياً ، إلى أن ولي نيابة الرها عوضاً عن الأمير إينال العلائي ، فاستمر بالرها مدة وعزل ، وقدم إلى القاهرة ، ودام بها إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق // بإمرة مائة ولقدمة ألف في [١٦٨] أوائل دولته في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فاستمر على ذلك سنين إلى أن ولي نيابة حماء في حدود الخمسين وثمانمائة ، فلم تطل مدته بحماه وعزل وقدم القدس بطلاً ، فدام به مدة ، وأشيع عنه وعن الأمير إينال أبو بكرى الأشرفى كلام ، فقبض عليهما وحبساً ببعض القلاع الشامية في سنة اثنتين وخمسين مدة ، ثم أطلقا ، وتوجه شادبك - هذا - إلى القدس بطلاً فدام به إلى أن توفي رحمه الله .

وكان قصيراً جداً ، وعنده سرعة حركة مع إقدام ، وكان الملك الظاهر جقمق يكرمه أولاً لما كان الأتابك يشبك السودانى في قيد الحياة ، لأنها كانا في

(١) هو « محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن لاجين الرشيدى ، القاهري ، الشافعى » .
له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٧ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٨ - ٣٤٠ ، الدليل التام ق ٩٣ ، الضوء اللامع ج ٨ ص ١٠١ - ١٠٢ تر ٢١٢ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافى ج ١ ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ، تر ١١٦٨ ، المنهل الصافى مج ٢ ق ٢١٧ أ - ٢١٨ ب ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٧ - ٥٤٨ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٢٩ ، الدليل التام ق ٩٣ ب ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ تر ١١٥٠ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٨ .

خدمة ططر معاً، فلما توفي يشبك انحط قدر المذكور، رحمه الله تعالى .
(٦) وتوفي الأمير علي باي^(١) من دولات باي العلائي الأشرفي الساقبي ،
أحد أمراء العشرات .

كان خصيصاً عند أستاذه الملك الأشرف برسباي، رقاہ إلى أن جعله
خازنداراً، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وعظم في دولته، ثم صار بعد موته من جملة
أمراء الطبليخانات، وشاد الشراب خاناه إلى أن قبض عليه الملك الظاهر جقمق
وحبسه سنين، ثم أطلقه وأنعم عليه بإمرة هيئة بالبلاد الشامية، فدام على ذلك
مدة يسيرة، وأنعم عليه بإمرة عشرة بالقاهرة، فاستمر على ذلك إلى أن توفي يوم
الثلاثاء تاسع عشرين شهر ربيع الأول، وحضر الملك الظاهر جقمق الصلاة
عليه بمصلى المؤمني .

وكان شاباً طوالاً، حسن الشكل، شجاعاً، مقداماً، كثير الوقار
والسكون، محبباً للناس .
وتوفي - رحمه الله - في شبیبته، عفا الله عنه .

(٧) وتوفي سيدي محمد ابن الملك الظاهر جقمق^(٢) في يوم الاثنين
ثالث عشر شهر ربيع الآخر وسنه دون عشرة أشهر ، ودفن بمدرسة الملك الظاهر
برقوق بين القصرين .

وسبب دفنه بمدرسة الظاهر كون أمه خوند بنت الأمير جرباش الكریمي^(٣)

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٤٩١ تر ١٧٠٤ ، المنهل الصافي
مج ٢ ق ٣١٣ ب - ٣١٤ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٨ - ٥٤٩ ، السخاوي . التبر المسبوك
ص ٣٣٢ ، الدليل التام ق ٩٣ ب ، الضوء اللامع ج ٥ ص ١٥١ تر ٥٢٩ ، ابن إياس . بدائع
الزهور ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٧ ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢١٢ تر ٥٢٣ .
والإلفت للانتباه أن « الظاهر جقمق » كان له من المحمدين أربعة غير هذا ، مات أولهم سنة
٨٤٧ هـ ، ، بينما مات الثلاثة الباقين سنة ٨٥٣ هـ . عن أربع ، وخمس ، وست سنين .
راجع : السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ٢١٠ - ٢١٢ تر ٥١٩ : ٥٢٣ .

(٣) هو « جرباش بن عبد الله الكریمي ، المعروف بقاشق ، أمير سلاح الظاهر جقمق » ،
ت ٨٦١ هـ . / ١٤٥٦ م .

له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤٣ تر ٨٣٦ ، المنهل الصافي ج ٤
ص ٢٥٦ - ٢٦٠ تر ٨٣٨ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٣ - ١٨٤ ، السخاوي . الضوء اللامع =

أمير سلاح والدتها زوجة الأمير جرياش بنت قاني باي^(١) قريب الملك الظاهر برقوق .

ودخل نعشه // من باب زويلة، وهذا بخلاف قاعدة المصريين، فإنهم [١٦٩] يتشاءمون بدخول النعش من باب زويلة - انتهى .

(٨) وتوفي العلاء علي^(٢) ابن الخوaja عبد الله الدمشقي الأصل الزردكاش ، أحد من رقاہ الملك الظاهر جقمق حتى جعله خاصكياً ، ثم من جملة الزردكاشية إلى أن توفي بعد أن عظم وأثرى وضحخم في الدولة ، في يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الآخر ، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة باب الوزير .

وكان شاباً حسناً كريماً ، رحمه الله - تعالى - وعفا عنا وعنه .
(٩) وتوفيت زوجة^(٣) الأمير قاني باي الجاركسي^(٤) ، الأمير آخور الكبير ، في يوم الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الآخر ، ودفنت بتربة زوجها التي جددها عند دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل .
وهي أم ولد لأستاذ زوجها الأمير جاركس القاسمي المصارع^(٥) ، عفا الله عنها .

= ج ٣ ص ٦٦ - ٦٧ تر ٢٧٢ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣٧ .
(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٣١ تر ١٨٢١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٦ تر ٦٦٥ .
ويشير السخاوي (الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١٦ تر ٧٠٣) إلى أنه الابن البكر لقانقز - أخت الظاهر برقوق .

(٢) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٣ ، الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٥٤ تر ٨٥٢ .

(٣) لم يصرح السخاوي (التبر المسبوك ص ٣٤٣) - كذلك - باسمها .

(٤) ت ٨٦٦ هـ . / ١٤٦٢ م .

له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٢٩ - ٥٣٠ تر ١٨١٨ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٥ ب - ٦ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣١٥ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٤ تر ٦٥٧ .

(٥) هو « جاركس بن عبد الله القاسمي ، الظاهري برقوق - المصارع » ، ت ٨١٠ هـ . / ١٤٠٧ م .

له ترجمة في : ابن حجر . إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٩٠ تر ٦ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٣٤ تر ٨٠٩ ، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٠٩ - ٢١١ تر ٨١١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٦٧ تر ٧٣ .

(١٠) وتوفي القاضي شرف الدين محمد ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن عبد المنعم^(١) البغدادي الأصل الحنبلي ، في يوم الخميس حادي عشر شهر رجب ، وعظم مصابه على والده قاضي القضاة بدر الدين - المذكور - بل وعلى كل أحد ؛ فإنه مات في عنفوان شببته مع ما كان احتوى عليه من المحاسن والعقل والسؤدد .

وكان مولده في حدود سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، رحمه الله - تعالى - وعفا عنه .

(١١) وتوفي العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الدمشقي الحنفي ، المعروف بابن عربشاه^(٢) ، في يوم الاثنين خامس عشر شهر رجب بالقاهرة غريباً عن أهله ووطنه .

ومولده في ليلة الجمعة - داخل دمشق - في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، هكذا أملى على من لفظه وكتب لي بخطه .

وكان إماماً بارعاً في عدة علوم ، عارفاً بفنون كثيرة ، مفنناً ، (و) كان يحسن نظم القريض جيداً باللغات الثلاث^(٣) : العربية والعجمية والتركية ، وكان له مصنفات مفيدة حسنة ، رحمه الله .

(١٢) وتوفي الأمير جانبك النوروزي^(٤) في شهر رجب بمنزلة العريش بطريق دمشق قاصداً إلى الديار المصرية بعد عزله عن نيابة صهيون .

[١٧٠] وكان فيه شجاعة وإقدام ، وكان أصله من مماليك / / الأمير نوروز الحافظي ، وتأمّر عشرة في أوائل الدولة الظاهرية جقمق ، ثم ولي نيابة صهيون ، رحمه الله .

(١) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٤١ - ٣٤٢ ، الذيل التام ق ٩٣ ب ، الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ تر ٥٨١ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٨٠ - ٨١ تر ٢٨٢ ، المنهل الصافي ج ٢ ص ١٣١ - ١٤٥ تر ٢٨٤ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٩ - ٥٥١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٢٥ - ٣٢٧ ، الذيل التام ق ٩٣ ، الضوء اللامع ج ٢ ص ١٢٦ - ١٣١ تر ٣٧٩ ، السيوطي . نظم العقيان ص ٦٣ تر ٤٠ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٨٠ - ٢٨٤ .

(٣) في « أ » : « الثلاثة » .

(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردي . المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ تر ٨٣٠ ، النجوم الزاهرة =

(١٣) وتوفي الأمير سودون السودوني الظاهري^(١) برقوق أحد أمراء العشرات والحجاب في يوم الأحد العشرين من شعبان ، وهو في عشر التسعين .

وكان مهملاً ، مسرفاً على نفسه ، غفا الله عنه .

(١٤) وتوفي أبو الفتح محمد الطيبي^(٢) مضروب الرقبة في دمشق بحكم قاضي القضاة المالكي بها ، في ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان .

كان أبو الفتح هذا في ابتداء أمره يتكسب بتحمل الشهادة بحوانيت الشهود، وكان يصحب النحاس في أيام خوله، فلما عظم أبو الخير النحاس ونالته السعادة قرب أبا الفتح هذا وجعله أحد خواصه وخدمه، فأثرى أبو الفتح وضخم، وركب الخيول، وصار له خدم وحشم، فلم يرض بذلك ورام الدرجة العليا، وتولى وكالة بيت مال دمشق ونظر جواليها بسفارة أبي الخير النحاس، وتوجه إلى دمشق وظلم وعسف، فلم تحمد سيرته، وقدم البلاطيسي إلى القاهرة وشكا عليه إلى السلطان، ورماه بعظائم. وصادف ذلك انحطاط أمر النحاس، فنال منه أهل دمشق ما راموه، وأثبتوا عليه محاضر بالكفر، ووقع بسبب ذلك أمور تقدمت في الحوادث، وآل أمره إلى أن ضربت رقبتة بسيف الشرع.

والعجب أن أهل دمشق كانوا هم القائمين^(٣) عليه حتى قتل ، فلما قتل بكوا عليه وشهدوا جنازته . وصاروا يقولون : هذا الشهيد ، هذا المظلوم ، هذا المقهور . انتهى .

= ج ١٥ ص ٥٥١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٢٨ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٦١ تر ٢٤٨ .
(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٣٧ تر ١١٥٨ ، المنهل الصافي
مج ٢ ق ١١٤ ب - ١١٥ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥١ - ٥٥٢ ، السخاوي . التبر المسبوك
ص ٣٢٩ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٩ تر ١٠٦٢ .

(٢) هو « أبو الفتح ، محمد بن محمد بن علي بن إبراهيم ، الطيبي ، القاهري ، القادري ، الشافعي » .

له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٤١ ، الضوء اللامع ج ٩ ص ١٤١ - ١٤٢ تر ٣٥٧ .

(٣) في « أ » : « القائمون » .

(١٥) وتوفي القاضي زين الدين عبد الباسط^(١) بن خليل بن إبراهيم الدمشقي الأصل والمولد والمنشأ ، المصري الدار والوفاة ، ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية في يوم الثلاثاء رابع شوال وقت أذان المغرب ، ودفن بتربته التي أنشأها بالصحرَاء ظاهر باب النصر .

ومولده بعد التسعين وسبعمئة بدمشق، وبها نشأ، وخدم القاضي بدر الدين ابن الشهاب محمود، ثم اتصل من بعده بخدمة الأمير شيخ المحمودي نائب دمشق، وقدم معه إلى القاهرة بعد قتل الملك الناصر فرج في سنة خمس عشر وثمانمئة، فلما تسلطن الأمير شيخ قربه وأدناه وولاه نظر // الخزانة الشريفة، وصار من عظماء الدولة في أيامه، وأثرى وعمر الأملاك الكثيرة، وأنشأ مدرسة بخط الكافوري تجاه داره، كل ذلك في الدولة المؤيدية شيخ، ثم ولّى نظر الجيوش المنصورة بعد عزل القاضي كمال الدين ابن البارزي في يوم الاثنين سابع ذي القعدة سنة أربع وعشرين وثمانمئة في الدولة الظاهرية ططر، ثم صار عظيم الدولة الأشرفية برسباي وصاحب حلها وعقدها، وطالت أيامه إلى أن قبض عليه الملك الظاهر جقمق بعد أن باشر في أيامه أشهراً وصادره، وأخذ منه ما ينيف على مائتي ألف دينار وخمسين ألف دينار ذهباً، ثم أطلقه فتوجه إلى الحج، ثم عاد إلى دمشق، ثم قدم إلى القاهرة أولى وثانية، وفي الثالثة استوطنها إلى أن حج في سنة ثلاث وخمسين في الرجبية، وعاد إلى القاهرة وأقام بها حتى توفي بها بطلاً بعد مرض طويل .

وكان له محاسن ومساوئ، والثاني أكثر^(٢)، وقد استوعبنا حاله في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي فلينظر هناك في باب العين والباء ، لأننا ذكرنا مآثره وما أنشأ بالحرمين والقدس والديار المصرية وغير ذلك .

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٩٣ - ٣٩٤ تر ١٣٥٥ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٩١ ب - ١٩٣ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥٢ - ٥٥٤ ، السخاوي . التبر الميسوك ص ٣٢٩ - ٣٣٢ ، الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٤ - ٢٧ تر ٨١ .

(٢) أشار ابن تغري بردي إلى ذلك في المنهل الصافي (مج ٢ ق ١٩٣ ب) بقوله :
... وكان صاحب معروف وصدقات وكرم وإنعام على حواشيه ومن يلوذ به ، على أن سيئاته =

وما كان يسمى بالباسطية فهو من إنشائه، فإننا لا نعلم أحداً في الدول
سمى بهذا الاسم وعرف (به بين) الناس^(١) غيره، وفي هذا القدر كفاية .

(١٦) وتوفي الشيخ كمال الدين المجذوب^(٢) في يوم الاثنين سادس عشر
شوال ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته مشهودة ، وكان لبعض الناس فيه اعتقاد
حسن . ومات وهو في عشر السبعين - تقريباً - رحمه الله تعالى .

(١٧) وتوفي الأمير سيف الدين أركماس^(٣) الظاهري الدوادار الكبير في
يوم الجمعة ثامن عشرين شوال بطالاً بالقاهرة .

أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، وطال عمره في الجندية إلى أن
أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة طبلخاناه وجعله نائب قلعة دمشق، فدام بها
إلى أن نقله منها الملك الأشرف برسباي إلى مقدمة ألف بالديار المصرية، وتولى
نيابة قلعة دمشق عوضه الأمير صرغتمش مملوك والدي، ثم جعله الأشرف رأس
نوبة النوب بعد القبض على تغري بردي المحمودي، ثم جعله دواداراً كبيراً بعد
إخراج الأمير أزيلك إلى القدس، فدام في الدوادارية // حتى عزله الملك [١٧٢]
الظاهر جقمق ونفاه إلى دمياط، فدام بالشعر سنين، ثم طلب إلى القاهرة ودام
بها بطالاً إلى أن توفي.

= لهم كانت أضعاف حسناته ، لشراسة خلقه ، وبذاءة لسانه ، وسوء بادوته ، وحدة مزاجه ، مع
ظلم وعسف وسطوة وجبروت ، وخفة وطيش ، بحيث إنه كان إذا تغير على أحد لا يقنعه منه إلا
ذهاب روحه ، وكان يعاقب على الذنب الخفيف الألف عصاة فما دونها ، وقتل من خدمه جماعة
تحت العقوبة ، يعرف ذلك من له إمام وصحبة . . . إذا حنق يتساوى عنده الكبير والصغير ، غير
أنه كان إذا راق مزاجه يتدارك أمره مع الكبير ويبدل له ما قل وما دل ، ولا زال به حتى يسترضيه ،
وأما الصغير فحالته موقوف معه إلى يوم القيامة » .

(١) في « أ » : وعرف بالناس . . .

(٢) هو « محمد بن صدقة بن عمر ، الدمياطي ، الشافعي » .

له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٧٠ - ٢٧١
تر ٦٩٠ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٨٤ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ١٠٩ تر ٣٣٧ ، المنهل الصافي ج ٢
ص ٣٢٩ - ٣٣٢ تر ٣٧٩ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥٤ - ٥٥٥ ، السخاوي . الضوء اللامع
ج ٢ ص ٢٦٩ تر ٨٣٦ .

وكان ديناً إلا أنه كان مهملًا قليل الشر والخير، رحمه الله تعالى.

(١٨) وتوفي جانبك بن عبد الله الجكمي^(١)، الأمير سيف الدين، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة في يوم السبت تاسع عشرين شوال.

وكان متوسط السيرة مهملًا، وأصله من مماليك الأمير جكم من عوض المتغلب على حلب، وهو - أيضاً - ممن تأمر في الدولة الظاهرية جقمق، ولم يكن جانبك هذا ممن له ذكر في الدولة حتى تشكر أفعاله أو تذم، عفا الله عنه.

(١٩) وتوفي الشريف حسن^(٢)، أحد التجار بثمر الإسكندرية في ذي القعدة^(٣) وخلف مالا كثيرا. وكان غير مشكور السيرة في دينه، عفا الله عنه.

(٢٠) وتوفي قاضي القضاة ولي الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف السفطي^(٤) الشافعي في يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة، ودفن من الغد بعد مرض يوم واحد.

وهو صاحب العظمة بأوله والأهوال بآخره، ذكرنا نبذاً من حاله في عدة أماكن من مصنفاتنا.

كان أصله من سبط الحناء بالوجه البحري، ونشأ بالقاهرة، واشتغل في مبدأ أمره، وناب في الحكم سنين، ثم حبيب له طلب الدنيا فشمّر لذلك ساعد الاجتهاد حتى أهلك الناس وأباد، وصحب الأكابر وصار يأخذ منهم حتى

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافعي ج ١ ص ٢٣٩ تر ٨٢٥ ، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٤٢ تر ٨٢٧ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٢٨ ، الذيل التام ق ٩١ ب ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٦ تر ٢٢٢ .

(٢) ترجمه السخاوي (التبر المسبوك ص ٣٢٨ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٣٣) باسم « حسن بن بدر الدين - الشريف » ، غير مزيد على ذلك في اسمه .

(٣) في « أ » : « في ذي القعدة » مكرر.

(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافعي ج ٢ ص ٥٩٩ تر ٢٠٥٦ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٧٩ - ٨١ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥٥ - ٥٥٨ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٤ - ٣٣٧ ، الذيل التام ق ٩١ أ ، الذيل على رفع الإصر ص ٢٤٥ - ٢٥٥ ، الضوء اللامع ج ٧ ص ١١٨ - ٢٢١ تر ٢٥٦ ، السيوطي . نظم العقيان ص ١٣٩ تر ١٣٤ .

الصحن الطعام، فكثُر لذلك ماله، وصحب من جملة الناس السلطان الملك الظاهر جقمق لما كان أميراً، فلما تسلطن قربه وأدناه حتى صار هو صاحب الحل والعقد في المملكة، وترددت الناس إلى بابه لقضاء حوائجهم، فما عفا ولا كف عن أخذ مال ولا سباب عرض حتى جمع من المال ما لا يحصر كثرة، ولا زال أمره ينمو وحرمة تزداد حتى ولي عدة وظائف^(١)، ثم ولي قضاء القضاة الشافعية بالديار المصرية^(٢)، فعندما تمَّ أمره ولت عنه الدنيا، وأخذ أمره في انحطاط، والله در القائل :

إذا تم أمر بدا نقصه توق^(٣) زوالاً إذا قيل تم
[المتقارب]

ولما ولي القضاء ساءت سيرته فوجد بذلك عدوه أبو الخير النحاس سبباً // للتكلم فيه عند السلطان، فتكلم وأمعن، ولا زال به حتى أخرج عنه [١٧٣] جميع وظائفه شيئاً بعد شيء حسبما تقدم في وقته مياومة، إلى أن عزله عن القضاء في سنة اثنتين وخمسين، فعند ذلك انحط قدره إلى البهموت^(٤) ونال منه أعداؤه ما أملوه، ثم التفت السلطان إلى أخذ ماله، ومال عليه، حتى حبسه بحبس المقررة مع أرباب الجرائم، ورسم بتوجهه إلى بيت قاضي القضاة ماشياً غير مرة - كما ذكرنا في أصل هذا الكتاب في محله أيضاً - وقاسى أهوالاً وشدائد وذلاً وبهدلة إلى أن اختفى نحو ثمانية أشهر، ولم يظهر حتى نكب أبو الخير النحاس، والله در القائل :

(١) عد منها السخاوي (راجع مصادر ترجمته) : تدريس التفسير في الحمالية « سنة ٨٢٧ هـ » ، ومشايخ الصوفية بها « سنة ٨٣٣ هـ . » ، ووكالة بيت المال « سنة ٨٤٢ هـ . » ونظر الكسوة « سنة ٨٤٣ هـ . » ، ونظر البيمارستان المنصوري « سنة ٨٤٩ هـ . » ، وتدريس الصلاحية المجاورة للإمام الشافعي والنظر عليها « سنة ٨٥٠ هـ . » .

(٢) كان ابتداء ولايته يوم الخميس ، خامس عشر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وثمانمائة للهجرة ، عوضاً عن « العلم اللقيني » .

السخاوي . الذيل على رفع الإصر ص ٢٤٩ .

(٣) في حاشية « أ » : « حاشية : صوابه : توقع » .

(٤) المقصود بذلك : إلى الحضيض .

لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى عليهم فكان العز لم يحن
جاء الزمان بصفو ثم كدره هذا بذاك ولا عتب على الزمن
[البسيط]

ولما نكب أبو الخير النحاس تراجع أمر السفطي قليلاً بعد ظهوره من
الاختفاء ، وولى مشيخة الجمالية فلم تطل مدته وتوفي في التاريخ المذكور .

وكان له أوراد هائلة وصلاة وخشوع وصوم وعبادة ، مع بذاءة لسان وفحش
في لفظه ، وبطش وجبروت ، وبخل زائد حتى على نفسه ، عامله الله بما يستحق .

(٢١) وتوفي قاضي القضاة بهاء الدين محمد بن أحمد بن محمد بن
محمد بن سعيد بن عمر بن يوسف بن إسماعيل الصاغاني^(١) الأصل المكي المولد
والدار والوفاة ، الحنفي ، قاضي مكة وعالمها ، في تاسع عشرين ذي القعدة بمكة
المشرفة .

ومولده في ليلة التاسع من رجب سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، ونشأ بمكة
وطلب العلم حتى برع في الفقه والأصول والعربية ، وشارك في عدة فنون ،
وأفتى ودرس عدة سنين ، وولى قضاء مكة سنين عديدة ، وطالت أيامه ، وكان
المعول على فتواه بمكة المشرفة ، وصنف عدة تصانيف مفيدة ذكرناها في ترجمته في
تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، وولى القضاء من بعده الشيخ أبو
حامد أخوه ، وكان أحق بها وأهلها ، رحمه الله تعالى .

(٢٢) وتوفي الأمير تغري برمش^(٢) بن عبد الله الزردكاش الأمير سيف الدين
[١٧٤] أحد أمراء // الطبلخانات وزردكاش السلطان . وكانت وفاته بمكة المشرفة في
آخر هذه السنة .

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ تر ٢٠١٠ ، المنهل
الصافي مج ٣ ق ٦٥ ب - ٦٦ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥٨ ، السخاوي . التبر المسبوك
ص ٣٣٤ ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٨٤ - ٨٥ تر ١٧٢ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٨ - ٢١٩ تر ٧٦٦ ، المنهل
الصافي ج ٤ ص ٦٥ - ٦٨ تر ٧٦٨ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥٨ - ٥٥٩ ، السخاوي . التبر
المسبوك ص ٣٢٨ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٤ - ٣٥ تر ١٤٥ .

وأصله من ممالك الأمير يشبك من أزدمر^(١)، وترقى بعد موته حتى صار زردكاشاً صغيراً في الدولة الأشرفية برسباي، ثم ولي الزردكاشية الكبرى، وأنعم عليه بإمرة عشرة، واستمر على ذلك حتى جعله الملك الظاهر جقمق من جملة أمراء الطبلخانات، وسافر أمير الحاج غير مرة، وتوجه إلى الغزوات كثيراً جداً في عدة دول.

وكان أشقر، ضخماً بخيلاً، مغرمًا بجمع الأموال، مشرياً، عمر عدة أملاك بالقاهرة وببلاق، وعمر جامعاً حسناً على النيل بساحل بلاق، وله عدة مآثر أخرى، رحمه الله تعالى.



(١) هو «يشبك من أزدمر الظاهري برقوق»، قتل سنة ٨١٧ هـ. / ١٤١٤ م. راجع ترجمته في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٨٦ تر ٢٦٤٩، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٨٥.

[انتهى الجزء الأول من المجلد الأول ،
يتلوه - بإذن الله - في أول الجزء الثاني منه :
حوادث سنة خمس وخمسين وثمانمائة للهجرة]

سنة خمس وخمسين وثمانمائة

استهلّت هذه السنة - ووافق ذلك العاشر من أمشير أحد شهور القبط - وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر جَقَمَق العلاني الظاهريّ ، وخليفة الوقت أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان ، وهو على خطة^(١) . والقضاة والأمراء ونواب البلاد الشامية وسائر أرباب الدولة على حالهم في أوّل العام الماضي ما عدا الزَرْدَكَاش فإنه الأمير لَاجِن ، ولها بعد موت تَغْري برُمُش كما ذكرناه في محله ، ونائب غزة الأمير جَانِيك التّاجي^(٢) المؤيّد ، ولها بعد عزل خيربك النوروزي ، وشرف الدين موسى التّائي^(٣) الأنصاري المستقر في وظائف أبي الخير النحاس .

والأسعار في زيادة عن الحدّ، فالقمح بألف وخمسمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والفول والشعير بنحو ألف درهم الإردب إلى ما دونها، وهما في قلة إلى الغاية، والدقيق العلامة بخمسمائة درهم البطة إلى ما دونها، والتبن بخمسمائة درهم الحمل إلى ما دونها، وأبيع الحمل التبن بثغر دميّط بألف درهم الحمل فتعطل لذلك عدّة دواليب بالثغر المذكور، وخربت بساتين عديدة بالقاهرة وضواحيها، وأبيع الفدان من البرسيم الأخضر بعشرين أشرفاً، ثم وصل في

(١) المقصود : أنه في مرض موته .

(٢) نسبة إلى « التاج الوالي » ، توفي في جمادى الثانية سنة ثمان وستين وثمانمائة للهجرة .

راجع : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٨٥ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٥ - ٥٦ تر ٢٢٠ .

(٣) التائي : نسبة إلى « تاء » ، إحدى قرى المنوفية - السخاوي . نفسه ج ١١ ص ١٩٤ .

آخر السنة إلى ثلاثين أشرفياً، ثم عزَّ وجوده البتة، وأبيع الحطب بمائة درهم الحملة، وهو في زيادة. وأما اللحوم فقليلة جداً، وأما سمينها فنادر.

[١٧٥] وماء النيل المحمول إلى القاهرة // بأزيد من عشرين درهماً الراوية .

والجبن المقل لا يوجد إلا نادراً، والجبن الأبيض الجاموسي باثني عشر درهماً الرطل، والشيرج والزيت بأربعة وعشرين درهماً الرطل، والزيت الحار بخمسة عشر درهماً الرطل .

وأجرة طحن الإردب، القمح بمائة وعشرين درهماً الإردب، وقد اتخذ غالب الناس في بيوتهم كل واحد رحن من حجر يطحن بها قمحه .

والسمن بثلاثين درهماً الرطل، والعسل النحل بنحو ذلك، والدبس باثني عشر درهماً الرطل، والأرز بأربعة وعشرين درهماً القدح، والخبز بثمانية دراهم الرطل . وقد كثرت الفقراء بالديار المصرية وعظم إلحاحهم في السؤال، بحيث إنه لا يكاد الشخص يمر في الطرقات إلا وهم في أثره، ويكررون له السؤال .

المحرم

أوله الخميس، ويوافقه عاشر أمشير أحد شهور القبط . فيه أخلع السلطان على الأمير الطواشي مرجان العادلي المحمودي نائب مقدم الممالك باستقراره مقدم الممالك السلطانية، عوضاً عن جوهر النوروزي بحكم إخراجهم إلى القدس الشريف بطلاً، وأخلع على عنبر الطنبدي باستقراره في نيابة مقدمة الممالك عوضاً عن الأمير مرجان المذكور .

وفي يوم الجمعة ثانيه توفي الخليفة أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، وهو في عشر الستين .

وفي يوم الاثنين خامسه جلس السلطان الملك الظاهر بالقصر الأعلى من قلعة الجبل داخل القصر الأبلق، واستدعى الشرفي حمزة ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عبد الله محمد، وحضر القضاة وأعيان الدولة واجتمعوا على مبايعة حمزة المذكور بالخلافة، فاستفتح قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي

الشافعي البيعة بخطبة قصيرة في غير المعنى، ثم سكت في أثناء الخطبة ظاناً أن البيعة قد تمت، فعند ذلك ابتدأ القاضي كمال الدين محمد بن البارزي كاتب السر الشريف بخطبة بليغة حمد الله - تعالى - فيها وأثنى على نبيه محمد ﷺ ثم على الخليفة بعبارة طليقة مع فصاحة وحسن تأدي إلى أن استتمت البيعة، وبإيعه // السلطان ومن حضر من القضاة والأعيان على مراتبهم، ثم سأل [١٧٦] القاضي كمال الدين - المذكور - الخليفة بأن يفوض إلى السلطان ويقلده أمور الرعية، ويجعله ^(١) يتصرف في المملكة كيف شاء، وعدد له أشياء من هذه المقالة، ثم استدعى السلطان الشريف الخلفي ^(٢) وألبسه حمزة - المذكور - ووثب السلطان قائماً على قدميه إلى أن تم لبسه، وعاد وقرأ الفاتحة، ثم قام ونزل إلى داره بين يديه وجوه الدولة من القضاة والأمراء وأعيان الدولة، واجتمعت الناس لرؤيته، ولقب بالقائم بأمر الله.

وفي يوم الخميس خامس عشره وصل إلى القاهرة ولد جهان كير بن علي بك بن قرايلك وعلى يده مطالعة من والده تتضمن ما معناه أن جهان كير مملوك السلطان، ويطلب رضى الخواطر الشريفة عليه. فأكرم السلطان الولد - المذكور - وبعد أيام أنعم عليه بإمرة عشرة بطرابلس، ورسم له بالتوجه إلى طرابلس ويكون معه بها نحو عشرة نفر من حاشية والده جهان كير، والولد - المذكور - سنه دون عشر سنين.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه وصل الأمير سونجبغا اليونسي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، أمير حاج الرجبية، وصحبته الأمير جرباش المحمدي الناصري أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، ومن الغد وصل الأمير خيربك المؤيدي ورأس نوبة أمير الركب الأول بمن معه من الحاج.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه وصل الأمير تمرغا الظاهري الدوادار الثاني أمير حاج المحمل ببقية الحاج.

وفي هذا الشهر استقر القاضي شهاب الدين أحمد التلمساني المغربي في

(١) في الأصل : « وجعله » .

(٢) في الأصل : « الخلفي » .

قضاء المالكية بدمشق بعد عزل القاضي سالم.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر توفي القاضي جمال الدين ابن هشام أحد نواب الحكم الخنابلة.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه توفي الرئيس مجد الدين عبد الرحمن بن لجيعان ناظر الخزانة الشريفة وكاتبها.

وفي هذا الشهر توفي القاضي شمس الدين محمد ، قاضي مدينة ألبنوع المعروف بابن زباله .

صفر

// أوله الجمعة. [١٧٧]

في يوم السبت تاسعه وصل قصاد الأمير جهان شاه بن قرا يوسف متملك تبريز وبغداد وما والاها إلى الديار المصرية وأنزلوا بالميدان من تحت قلعة الجبل إلى يوم الاثنين حادي عشره عمل السلطان الموكب بالحوش السلطاني من القلعة ، وطلع القصاد - المذكورون - وتمثلوا بين يدي المواقف الشريفة وقدموا هدية جهان شاه - المذكور - وصحبته ابن أخي جهان شاه - أعني ابن أصبهان بن قرا يوسف - والهدية تشتمل على بعض خوذ وزرديات وجمال بخاتي أربعة عشر جملاً ، وكان كتاب جهان شاه بالعجمي فعرب ، فكان معناه التودد إلى السلطان ، وأنه تحت طاعته ، واعتذر - أيضاً - من قدومه إلى ديار بكر وأخذه أزرنكان ومدينة ماردين من جهان كير بن علي بك بن قرايلك ، وأنه^(١) ما فعل ذلك به إلا بخروج جهان كير عن طاعة السلطان ، ولسوء سيرته في الرعية ؛ والمقصود رفع يد جهان كير من ممالك ديار بكر ، وتولية عمه الشيخ حسن بن قرايلك ليكون تحت طاعة السلطان .

ثم ذكر قاصد جهان شاه أن جهان شاه أرسل بولد أخيه أصبهان إلى السلطان ليكون تحت نظر السلطان ومن جملة عماليكه ، فأخذه السلطان في الحال وضمه إلى ولده المقام الفخري عثمان . والصبي - المذكور - سنه نحو العشر سنين .

(١) في الأصل : « وان » .

ثم انفض الموكب وعاد القصاد إلى حيث أنزلوا بالميدان، ومنعوا من الاجتماع بالناس، ورتب لهم السلطان في كل يوم - برسم النفقة - عشرة آلاف درهم.

وفي يوم الأحد سابع عشره ورد الخبر بقدم الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي نائب حماه - كان - الخارج عن طاعة السلطان قبل تاريخه إلى حلب صحبة الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك نائب البيرة طائعا للسلطان، وعلى يد القاصد عدة مطالعات من نواب البلاد الشامية تتضمن الشفاعة في بيغوث المذكور والرضى عنه، فقبل السلطان شفاعتهم، وكتب بإحضار بيغوث - المذكور - إلى الديار المصرية على أحسن الأحوال.

وفي يوم الاثنين ثامن عشره عمل السلطان مئة هائلة لقصاد جهان شاه بالقلعة.

وفي يوم الأربعاء العشرين منه أنعم السلطان // على قصاد جهان شاه [١٧٨] بمبلغ ألفي دينار برسم نفقة السفر، وأنعم السلطان - أيضاً - على الأمير قائم التاجر المؤيدي معلم الأسواق بألف دينار، وندبه للتوجه صحبة القصاد، رسولا إلى جهان شاه، وجهاز السلطان على يد قائم - المذكور - إلى جهان شاه بهدية هائلة تشتمل على قماش سكندري مذهب وغيره من أنواع الأقمشة الحرير، ما قيمته نحو خمسة عشر ألف دينار تقريباً.

وفي يوم الأربعاء هذا وره الخبر بموت خوندكار مراد بك بن عثمان متملك بلاد الروم في سابع المحرم من السنة.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه سافر الأمير قائم وقصاد جهان شاه إلى محل قصدهم.

شهر ربيع الأول

أوله السبت.

فيه توفي الشيخ شمس الدين محمد بن حسان الشافعي شيخ خانقاه سعيد السعداء، وتولى مشيخة سعيد السعداء من بعده الشيخ خالد.

وفي يوم الأحد ثانيه ركب السلطان الملك الظاهر جثمق ونزل إلى بيت

زين الدين يحيى الأستاذار/ليعوده؛ لانقطاعه عن الخدمة الشريفة في داره. وسبب انقطاعه أن الممالك السلطانية أوقعوا به بباب القلة^(١) من قلعة الجبل، وشج في رأسه، ونزل محمولاً إلى داره، وكثر الكلام في أمره إلى هذا اليوم انكف الناس عن الكلام فيه، فلم يطل جلوس السلطان عنده، وركب من عنده وعاد إلى بيت الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الخواص الشريفة ونزل إليه، وأقام عنده قليلاً، ثم ركب وعاد إلى القلعة، وبعد طلوع السلطان إلى القلعة جهّز كل واحد من الأستاذار وناظر الخاص مقدمة هائلة وأرسل بها إلى السلطان، فكانت مقدمة ناظر الخاص تشتمل على ذهب عين خمسة آلاف دينار، ومن الصوف الملّون خمسين ثوباً، ومن البعلبكي مائة ثوب، ومن المخمل الملّون خمسين ثوباً، ومن الفرو سمور خمسة أبدان، ومن الوشق خمسة أبدان - أيضاً - وسنجاب عدة أبدان، وقماش سكندري كالمناديل المذهبة والشقق الحرير وغير ذلك جملة مستكثرة، وسكر نبات وحلوى وفاكهة على عدة حاملين

[١٧٩] وأما مقدمة // الأستاذار فكانت تشتمل على ذهب عين خمسة آلاف دينار - أيضاً - وبعلبكي خمسمائة ثوب، ومخمل مدثر وسادج أربعين ثوباً، وقماش سكندري ما بين مناديل مذهبة وشقق حرير وغير ذلك شيء كثير، ومن الخيول .. ثمانية أقراس، وسكر نبات وحلوى وفاكهة على عشرين حاملاً .
وفي يوم الثلاثاء رابعه لبس زين الدين الأستاذار خلعة الاستمرار ، كامليّة بفرو سمّور .

وفي أوائل هذا الشهر وردت الأخبار من البلاد الشامية بأن جهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد أرسل أخاه حسناً^(٢) وصحبته جماعة من عسكره لقتال عسكر جهان شاه بن قرا يوسف الذي هو صحبة عمه الشيخ حسن بن قرايلك، فسار حسن - المذكور - بمن معه غارة وبيت عمه الشيخ حسن بمن معه من عسكر جهان شاه وطرقه بغتة ، فظفر بعمه الشيخ حسن بن قرايلك

(١) باب القلة : عرف بذلك لأجل أنه كان هناك قنّة بناها الملك الظاهر بيبرس ، وهدمها المنصور

قلاوون ، ثم جده الناصر محمد بن قلاوون

راجع : المقرئزي . الخطط ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) في الأصل : حسن .

- المذكور - ونائبه ، وقتلها معاً ، وحز رأسها ، وقتل معها عدة كبيرة من عسكر جهان شاه بن قرا يوسف ، وأبدع فيهم . ثم عاد حسن - هذا - إلى أخيه جهان كير بآمد مؤيداً منصوراً .

وفي يوم الخميس سادسه لبس الجمالي ناظر الخواص كاملية بفرو سمور .
وفي يوم الخميس ثالث عشره توفي القاضي شمس الدين محمد ، ابن أخت السخاوي .

وفي يوم الجمعة رابع عشره - ويوافقه حادي عشرين برمودة أحد شهور القبط - لبس السلطان القماش الأبيض على العادة .

وفي يوم الاثنين سابع عشره عقد السلطان عقده على بنت القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ، وكان متولي العقد قاضي القضاة بدر الدين محمد بن عبد المنعم الحنبلي ، وخلع السلطان عليه كاملية بفرو سمور بعد إنجاز العقد .

وفي الجمعة ، حادي عشرينه سافر زين الدين الأستاذار إلى الوجه البحري لحفر بحر المنزلة وعمل مصالح تلك النواحي على ما يزعم ، وسافر معه الأمير إينال العلاني الناصري أتابك العساكر والأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس .

وسبب سفرهما صحبته أن زين الدين - المذكور - عرف السلطان // أن [١٨٠] لهما بتلك النواحي بلاداً داخلية في إقطاعاتها ، وحسن إلى السلطان توجيههما معه للنظر في مصالح بلادهما ، فإن بحر المنزلة قد انسدت^(١) فمه ، وصار فيه الرمل كالجبال ، فرسم لهما السلطان بالسفر معه ، فتبرما من ذلك ، فلم يقبل السلطان عذرهما وألزمهما بالسفر معه ، فسافرا صحبته في اليوم المذكور .

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه توفي الشيخ شمس الدين محمد الكاتب الحنفي الرومي .

وفي يوم الخميس عشرينه استقر صاحبنا القاضي بدر الدين محمد بن القطان في قضاء طرابلس ، ثم عزل بعد أيام ورشح والده عوضه ، وكلاهما لم يل .

(١) في الأصل : انسدت .

وفي هذا الشهر انحط سعر الغلال، فأبيع القمح بشماتئة درهم الإردب إلى ألف درهم، وأبيع الفول بسبعماية درهم الإردب إلى ما دونها وإلى ما فوقها، وهو قليل جداً، والشعير بنحو ذلك، وانحط سعر التبن، فأبيع الحمل المحاشاة بنحو ثلاثمائة درهم الحمل، وكان وصل قبل تاريخه إلى سبعمائة درهم الحمل، وأبيع الدقيق العلامة بمائتين وخمسين درهماً البطة بعد أن وصل إلى خمسمائة درهم^(١) البطة، والرطل الخبز بأربعة دراهم الرطل بعد ثمانية دراهم الرطل، وطال مكث هذا الغلاء بالديار المصرية حتى افتقر فيه جماعة من أهلها لطول مكث الغلاء بها.

وفي هذا الشهر - أيضاً - والذي قبله، فشا في الناس أمراض حادة نوعك منها خلألق لا تدخل تحت حصر، وتوفي خلألق أيضاً.

وفيه - أيضاً - وردت الأخبار من البلاد الشامية بغلو أسعارها إلى الغاية، وأن القمح أبيع فيها بستمائة درهم فضة الغرارة، ووقع الغلاء بها - أيضاً - في سائر المأكولات.

وسبب ذلك كثرة الخلألق الذين قدموا عليها من مصر وغيرها فارين من الغلاء، وأيضاً من عظم ما وقع بها من الثلوج، والله الأمر.

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين.

في يوم الخميس حادي عشره ورد على السلطان مطالعة الشريف بركات صاحب مكة تتضمن بأنه^(٢) ورد عليه من اخذ الخبر بعود الأمير غمراز المؤيدي^[١٨١] المصارغ من بلاد كالكويت إلى جهة بندر / / جدة، وأنه اشترى بما كان معه من مال السلطان الذي أخذه من بندر جدة أصنافاً من البهار^(٣) بسبب المتجر، وأنه في عزمه العودة إلى طاعة السلطان.

(١) في الأصل : « درهما » .

(٢) في الأصل : « بأن » .

(٣) البهار : نبت طيب الرائحة . يقال له : « عيب البقر » ، أو « بهار البقر » راجع : المنجد ص ٥١ .

وفي يوم السبت ثالث عشره وصل الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي إلى الديار المصرية وقبل الأرض بين يدي السلطان، وخلع عليه سلاريا أحمر بفرو سمور، ونزل مكرماً مبجلاً.

وفي يوم الاثنين خامس عشره سافر الأمير أسنباي الجمالي الظاهري أحد أمراء العشرات إلى بلاد الروم لتولية خوندكار محمد بن مراد بك بن عثمان الملك بعد وفاة أبيه مراد بك.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره أرسل الشيخ المعتقد محمد السفاري المقيم بجامع عمرو بن العاص - رضي الله عنه - إلى الشيخ علي الطويل المحتسب العجمي - محتسب القاهرة - بفقرين ومعهما جنزيرين وباشتين، وقال له: أمرك الشيخ محمد السفاري أن تجعل في عنقك هذه الباشة وهذا الجنزير، وتجعل الأخرى في عنق نائبك القاضي عز الدين. فلما سمع الشيخ علي ذلك منها أشهد عليهما بذلك، وطلع بهما من الغد في يوم السبت إلى السلطان وأخبره بمقالتهما، فأمر بهما السلطان فضربا بين يديه ضرباً مبرحاً على أكتافهما، وضرب دوادار والي مصر على مقعدته^(١)، فإنه كان هو الذي أتى بهما إلى الشيخ علي المحتسب بالأمس بأمر الشيخ محمد السفاري، ثم شهرا بالقاهرة وحبساً بحبس المقررة، وطلب السلطان الشيخ محمد السفاري ليوقع به، فتوجه إليه دوادار الأمير جانبك والي القاهرة وطلبه من غير إزعاج، فلم يلتفت الشيخ محمد إليه وسب السلطان، وحفظت عنه كلمات في حق السلطان تدل على قرب زوال السلطان إن صدق، منها أنه قال: إن السلطان يموت في يوم حادي عشرين جمادي الأولى من السنة، ومن الناس من نقل عنه أنه قال: اكتبوا عني ذلك - هذا على ما قيل - وكثر تحبط العوام، بل غالب الناس في ذلك، واختلفت الأقاويل في أمر الشيخ محمد - المذكور - وما سيأتي أعجب.

وفي هذا الشهر أشتيع بالقاهرة أن السلطان ذكر أبا الخير النحاس بخير، وأنه في عزمه الإفراج عنه والرضي / / عليه، فبلغ السلطان ذلك، فبرز مرسومه [١٨٢] إلى نائب طرسوس بضربه مائة عصاة، وهذه افتقادة مني إليه!

(١) في الأصل: «مقعد».

جمادى الأولى

أوله الثلاثاء .

فيه سافر الشهابي أحمد بن إينال - أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية - إلى نغر رشيد بماليكة وحشمه لحفظ الثغر - المذكور - من مفسدي الفرنج .

وفي يوم الثلاثاء ثامنه سافر الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج إلى دمشق ليقيم بها بطلاً، ورتب^(١) له بها في كل شهر مائة دينار برسم النفقة إلى أن ينحل له إقطاع.

وفي يوم الجمعة حادي عشره توفي الشيخ محمد السفاري صاحب الواقعة مع الشيخ علي المحتسب قبل تاريخه، وهو القائل بأن السلطان الملك الظاهر جقمق يموت يوم حادي عشرين هذا الشهر، فمات الشيخ محمد - المذكور - قبل ذلك في يوم حادي عشر الشهر - المذكور - فهذا الأمر من الغرائب، لكونه يبشر بموت السلطان في يوم معين ويموت هو قبله بعشرة أيام، ولم يظهر لكلامه بعد ذلك صحة.

وأغرب من هذا - على ما حكى لي من أثق به - أن الشيخ محمد السفاري لما قال هذا الكلام وازدحم الناس على بابه لسماع هذا الكلام منه، قال بعض الفقهاء ممن لا يؤبه إنيه: حتى يعيش محمد السفاري إلى ذلك اليوم. فكان كذلك، فكان الكشف من هذا الفقير الثاني أعظم.

وقد ظهر لي بموت الشيخ محمد السفاري في هذا التاريخ شيء - وهو الصواب - وهو أن الشيخ لما طلبه السلطان ليوقع به، بعد أن بلغه ما وقع لفقره من الضرب والحبس والإهانة عظم عليه ذلك وعلم بموت نفسه في يوم حادي عشر الشهر، فقال كلاماً معناه في اليوم الفلاني نستريح بالموت، فتحرف الكلام على من سمع قوله: «في يوم حادي عشره» بيوم حادي عشرينه، وأما بقوله نستريح بالموت، فإنه^(٢) أشار بذلك إلى السلطان لا إلى نفسه، فإن غالب الفقهاء أرباب الكشف لما يحصل لهم نوع من الكشف يقولون: يأتيينا الخبر عن

(١) «رتب»: مكررة في الأصل .

(٢) في الأصل: «بانه» .

أنفسهم، ويقصدون بذلك لمن حضر، فحملت العوام كلام الشيخ على هذه القاعدة بأن الشيخ محمد لما قال: نموت في اليوم الفلاني ما قصد إلا عن السلطان لكونه ضرب فقراءه ولم // يكن غير ذلك، فإن الشيخ محمد السفاري [١٨٣] كان خيراً ديناً حسن السيرة يقصد للزيارة، رحمه الله تعالى.

وفي يوم الجمعة هذا ورد الخبر من البلاد الحجازية بأن تمتاز المصارع فر من بلاد الهند إلى جبرت، مملكة السلطان سعد الدين بغير مال، وهذا الخبر فيه أقوال.

وفي يوم الاثنين رابع عشره قدم الأمير قراجا العمري من دمشق إلى القاهرة، وكان مقيماً بدمشق من جملة الأمراء البطالين.

وفي يوم الأحد العشرين منه - ويوافق سادس عشري^(١) بؤنة أحد شهور القبط - أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً، وكان النيل في هذه السنة قد احترق احتراقاً زائداً حتى خاض الناس من عدة مواضع من ساحل بولاق إلى منبابة، وقل جريان الماء إلى الغاية، وقاست الناس في هذه الأيام من البلاء والشدائد والغلاء والجهد ما لا مزيد عليه، واتضع جانب أهل الديار المصرية رئيسها ووضيعها، بل أشرفت القاهرة على الخراب، ونزح عنها خلائق من أهلها لا تدخل تحت الحصر إلى البلاد الشامية، وورد عليها من أهل القرى ومن الأعراب أمثال من خرج منها، وكثر الفقراء منهم بالقاهرة حتى صاروا فوجاً فوجاً في الطرقات، ومات منهم خلائق كثيرة من شدة القحط.

جمادى الآخرة

أوله الخميس.

في ثامنه بنى السلطان بينت الزيني عبد الباسط.

وفيه سافر زين الدين يحيى الاستادار إلى جهة المنصورة بالوجه البحري.

وفي يوم السبت عاشره لبس القاضي شهاب الدين أحمد بن الزهري قضاء

الشافعية بطرابلس.

(١) في الأصل: «سادس عشرين».

وفي يوم الأحد حادي عشره وصل ابن بشارة مقدم العشير بالبلاد الشامية وأخبر أنه طرق صور عدة مراكب من الفرنج تزيد على عشرين مركباً وهجموا صور ونهبوا من بها حتى أدركم ابن بشارة - المذكور - بمجموعه وقاتل الفرنج قتالاً شديداً حتى (أ) جلاهم عن البلد، وقتل من الفريقين جماعة، وانتصر المسلمون، وقبض ابن بشارة - المذكور - على عدة من الفرنج وقطع رءوسهم ، ولله الحمد .

وفي يوم الاثنين ثاني عشره ورد الخبر بموت السيد الشريف هلمان بن ويرين نخبأر أمير مدينة ألبنك في أواخر جمادى الأولى . وكان مشكور السيرة على مذهب القوم .

[١٨٤] وفي (يوم) الأربعاء^(١) رابع عشره // ورد الخبر بأن عشر مراكب من مراكب الفرنج هجمت على الطينة وقتلوا من بها ، وقتل من المسلمين خمسة نفر ، وقتل من الفرنج جماعة ، ثم رجعت الفرنج بالخزي والهوان .

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه لبس عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الحجاب والأمير آخورية [خلعة] شاد الأوقاف ، وكان السلطان قد رسم له بذلك قبل تاريخه بمربعة^(٢) ، وبأشر عبد العزيز المذكور ذلك ، وأمر ونهى في أرباب الأوقاف ، وظلم وعسف لا سيما في مباشري مدرسة الملك الناصر حسن ؛ فإنه رسم عليهم وأبادهم ، فلما خلع عليه في اليوم - المذكور - ونزل بخلعته إلى داره أرسل قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري الحنفي ورقة [بخطه]^(٣) إلى السلطان يعرفه بسوء سيرته وبما فعله في مباشري وقف مدرسة السلطان حسن ، ويؤخذ بذلك من له غرض في عزله من أعيان الدولة سبيلاً

(١) الطينة : مدينة قديمة ، عُرفت بأواريس ، كانت على البحر المتوسط بقرب بور سعيد الحالية - راجع : علي مبارك . الخطط ج ١٨ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) المربعة ، والجمع المربعات : مراسم مربعة تكتب من ديوان الخاص بخط مباشره ، في ورق شامي ، وتُرسل إلى ديوان الإنشاء لتُحفظ به بعد أن تخرج المنشائر على صورتها .

راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٣) مضاف من ب .

للتكلم فيه ، فتكلم وأمعن ، فعزله السلطان من وقته ، وأرسل بالطواشي مرجان^{١٥} الحسني الحبشي الجمदार الخاص إليه بعزله ، وبأخذ الخلعة من عليه ، وبأخذ المربعة من يده ، فنزل مرجان إليه واقتلع الخلعة من عليه وأخذ المربعة منه ، فسرّ الناس بعزله سروراً زائداً ، وأشيع - أيضاً - بين الناس بعزله عن إمرة حاج الركب الأول . وكل ما يفعله عبد العزيز هذا يكون في الغالب بغير رضى أبيه محمد الصغير .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشرينه وصل زين الدين الأستاذار من سفرته إلى جهة المنصورة.

شهر رجب

أوله الجمعة، ويوافقه سادس أييب^(١).

فيه نودي على النيل المبارك بزيادة خمسة^(٢) عشر إصبعاً من الذراع الثاني عشر، وقد تطاول الناس للزيادة في هذه السنة، وكثر السؤال عن ذلك بحيث إن النساء قد صرن يسألن عن ذلك.

قلت: والناس معذورون في كثرة السؤال عن هذا المعنى في مثل هذه السنة، فإن الديار المصرية قد أشرفت على الخراب من عظم ما وقع فيها في هذه السنين من الغلاء المتداول والقحط المتطاول، ثم الشراقي العظيم، وقد نفذ ما بأيدي الناس من المتاع والأموال، وخلت غالب القرى من أهلها، والعالم منتظرون هذا النيل القادم، فإن كان وإلا فالله تعالى يحسن العاقبة // بمحمد وآله. [١٨٥]

وفي هذه الأيام انحل سعر الغلال بالديار المصرية، فأبيع القمح بتسعمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والفول بدون ذلك بيسير، وهو قليل الوجود جداً، والشعير بخمسمائة درهم الإردب إلى ما فوقها، وأما سائر ما يؤكل من اللحوم ولاأجبلان فبالغلو الزائد الخارج عن الحد .

(١) في هامش الأصل: «صوابه: مسرى».

(٢) في الأصل «خمسة عشرة».

وفي (يوم) الثلاثاء ثاني عشره أمر السلطان بعزل القاضي كمال الدين ابن البارزي عن كتابة السر.

وسبب ذلك غريبة من الغرائب، وهو أن ورثة شمس الدين محمد الحموي ناظر القدس وقفوا إلى المواقف الشريفة بقصة بسبب الشكوى على من وضع يده على تركة شمس الدين - المذكور - فحال قراءة كاتب السر للقصة - المذكورة - أمر السلطان بعزله وتوجهه إلى حبس المقشرة من غير أن يعلم أحد ما الموجب لذلك، فخرج كاتب السر لوقته وجلس بجامع الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل فلم يطل جلوسه، وإذا بالرسوم قد برز بنزوله إلى داره على أنه يزن خمسة آلاف دينار، فنزل إلى داره معزولاً ولسان حاله يقول: «ما أحسن هذا لو دام واستمر»، وأخذ يستعفي عن الوظيفة بكل ما تصل القدرة إليه فلم يسمع له ذلك، ورسم بطلوعه ولبسه خلعة الاستمرار حسبما يأتي.

وفي يوم الخميس رابع عشره - ويوافقه تاسع عشر مسرى أحد شهور القبط - أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً، ونودي عليه بزيادة إصبعين من الذراع السابع عشر، فنزل المقام الفخري من وقته في وجوه الناس من الأمراء وأعيان الدولة إلى أن عدى النيل، وخلق «ياس»، ثم عاد في الحراسة حتى فتح خليج السد على العادة، ثم ركب وطلع إلى القلعة، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة لعظم سرور الناس بوفاء النيل، وخلق الناس بعضهم بعضاً بالزعران، وكثر حمد الناس وشكرهم لله - تعالى - على هذه المنة العظيمة والله الحمد. وما أحسن قول سبط الشيخ شرف الدين ابن الفارض في هذا المعنى، رحمه الله:

[١٨٦] // يارب بالمختار من كل الورى أسبل على المقياس خلعة ستره
وأفض على السد المبارك ماءه وأكسره رب فجبرنا في كسره

[الكامل]

وفيه وصل الأمير قانم من صفر خجا المؤيدي المتوجه قبل تاريخه إلى جهان شاه بن قرا يوسف إلى القاهرة مريضاً في محفة.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره رسم السلطان بعود النواب بالبلاد الشامية من البلاد الحلبية إلى محل كفالته، وكان لإقامتهم بالبلاد الحلبية فوق السنة.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه لبس القاضي كمال الدين ابن البارزي
كاتب السر خلعة الاستمرار بعد أن تمنع من الطلوع غير مرة.

وفي هذا الشهر ورد الخبر من الصعيد بأن في ناحية بوتيج^(١) نخلة جافة
نبع من رأسها ماء كثير مائت منه جملة أوان^(٢) من جملتها أواني زجاج جهزت
إلى الأبواب الشريفة ، فوجد الماء صافياً عذباً طيباً ، فأمر السلطان بالاحتفاظ
على الماء بالشراب خاناه السلطانية .

ثم وقفت بعد ذلك على كتاب نائب الوجه القبلي يذكر فيه فصلاً من
جملتها: أن أمر النخلة النابع منها الماء ببوتيج صحيح مع أنها جافة جداً، مع
كلام آخر - انتهى .

شعبان

أوله الأحد، ويوافقه آخر أيام النسيء ، آخر السنة القبطية .
فيه كانت^(٣) زيادة النيل إصباعاً واحداً^(٤) لتمة عشرة أصابع من الذراع الثامن
عشر، والأسعار إلى الآن متحسنة، غير أنها انحطت قليلاً، فأبيع القمح
بتسعمائة درهم الإردب إلى ما فوقها، والشعير بخمسائة وخمسين درهماً الإردب
إلى ما دونها، والفول بشماتائة درهم الإردب إلى ما دونها، وحب البرسيم بشمانية
دنانير الإردب إلى ما دونها، وانحط سعر بقية المأكولات قليلاً، ثم بيع الدقيق
بمائتين وخمسين درهماً البطة، والخبز بثلاثة دراهم الرطل، والجبن المقلي بأربعة
وعشرين درهماً الرطل، والجبن الأبيض بنيف وعشرين درهماً الرطل، والعسل
النحل بسبع وثلاثين درهماً الرطل، والزيت الحار بثلاثة عشر درهماً للرطل،
والزيت الطيب بشمانية^(٥) عشر درهماً للرطل، والشيرج بأربعة^(٦) وعشرين درهماً

(١) بوتيج : مدينة قديمة ، عُرفت باسم « نابوتوكه » ، قبلي اميوط .

راجع : علي مبارك . الخطوط ج ٨ ص ١٩ .

(٢) في الأصل : « أواني » .

(٣) في الأصل : « كان » .

(٤) في الأصل : « إصباعاً واحداً » .

(٥) في الأصل : « شماني » .

(٦) في الأصل : « باربع » .

للرطل، ولحم الضأن في عظمه بأربعة عشر درهماً الرطل، ولحم البقر بعشرة دراهم الرطل ثم صار في أول رمضان باثني عشر درهماً الرطل، والسمن بأربعين درهماً الرطل، وقس على ذلك.

وفي يوم الاثنين تاسعه وصل جانبك شاد بندر جدة إلى القاهرة.

[١٨٧] وفي يوم الخميس // تاسع عشره ورد الخبر بموت الأمير بردبك العجمي الحكيم نائب حماء - كان - وأحد مقدمي دمشق - الآن - وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج نائب حماء - كان - المقدم ذكره.

وفي يوم الجمعة عشرينه - ويوافقه تاسع توت أحد شهور القبط - نودي على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة تسعة أصابع من الذراع التاسع عشر، وكان ذلك نهاية زيادة النيل في هذه السنة.

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه نزل الملك الظاهر من القلعة وشق القاهرة حتى نظر مدرسته التي أنشأها وجددها بسويقة صاحب، ثم عاد ونزل إلى بيت ابنته زوجة الأمير أربك من ططخ الساقى الظاهري، وأقام عندها ساعة جيدة بدرب الطنبدي من سويقة صاحب، ثم ركب من عندها وطلع إلى القلعة، وبعد ركوبه وطلوعه إلى القلعة أرسل إليه الأمير أربك - المذكور - بعدة خيول ومماليك وأصحن حلوى كثيرة، فقبل الحلوى ورد ما سواها.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه رسم السلطان بفرقة دراهم الكسوة على المماليك السلطانية على العادة في كل سنة، لكل مملوك ألف درهم^(١)، فقعد مقدم المماليك الأمير مرجان على سلم الإيوان للفرقة على العادة في كل سنة، واستدعاهم كاتب المماليك السلطانية فامتنعوا من الأخذ، وطلبوا الزيادة، وهددوا الجمالي ناظر الخواص بالضرب وغيره، وبلغ السلطان الخبر فغضب من ذلك وخرج من وقته ماشياً حتى وصل إلى الإيوان، وجلس على السلمة السفلى بالقرب من الأرض، واستدعى كاتب المماليك - المماليك فلم يلتفت أحد إلى استدعائه

(١) سقطت عبارة لكل مملوك... على العادة في كل سنة، وقد استدركت في هامش الأصل مختصراً
دراهم ١٠٠ م ١٠.

ولا أخذ أحد شيئاً وصمموا على طلب الزيادة، وصاروا عصبية واحدة، وتكرر استدعاء كاتب الممالك ثم وهم على ما هم عليه، فلم يسع السلطان إلا أن دعا عليهم وقام غضبان^(١) حتى عاد إلى الدهيشة، وقد حصل له بمجيئه غاية الهوان، وشدد^(٢) الممالك على ناظر الخواص في الطلب، وهو مقيم بالدهيشة من القلعة إلى أن تضحى النهار فقام وهم بالنزول وأراد الركوب، فمنعه من ذلك بعض أصحابه وحذره غاية التحذير، فعاد إلى الدهيشة بعدما وصل إلى باب المدرج، ثم نزل من / / يومه وانقطع عن الخدمة حتى وقع الاتفاق على ١١٨٨ أن يكون لكل مملوك ألفاً^(٣) درهم، فرضوا بذلك، وأخذوا النفقة.

وفي يوم الأحد تاسع عشرينه عزل عبد العزيز بن محمد الصغير عن إمرة حاج الركب الأول ثم أعيد بعد أن سعى في ذلك سعيًا كبيراً.

شهر رمضان

أوله الاثنين.

أهل هذا الشهر والناس في أمر مريج من عدم اللحوم والغلاء المفرط في سائر الأقوات، الذي لم يعهد مثله في سالف الأعصار، وكثرت الفقراء بالقاهرة إلى الغاية، واتسعت الأراضي بالري، واحتاج^(٤) الفلاحون إلى التقاوى لزراعة الأرض، وعزت الأبقار بالقاهرة وضواحيها، حتى أبيع الزوج البقر الهائل بمائة وعشرين ديناراً وما دونها.

وأغرب من ذلك ما حدثني السيوفي إياس الخاصكي خازن دار الأتابك آقبا التمرآزي بحضرة الأمير أزيك الساقى وغيره من الأعيان: أنه رأى ثوراً هائلاً ينادي عليه بأربعين ألف درهم، فاستغربت مقالته، وأردت أن أسمع ما يقول غيره ممن حضر حتى أثق بهذا الخبر لأكتب عنه ذلك، فقال أزيك: نعم،

(١) في الأصل: «غضبناً».

(٢) في الأصل: «وشددوا».

(٣) في الأصل: «القي».

(٤) في الأصل: «واحتاجت».

وأنا سمعته يقول كذلك للمقر الجمالي ناظر الخاص، فلما سمع إياس ذلك وفهم عني أني استغربت هذه الحكاية شرع يذكر جماعة ممن رأى ذلك وعايته - انتهى .

قلت : تفقر خلائق ممن ليس لهم مروءة وأخذوا في السؤال، واتضع حال جماعة ممن لهم شهرة واسم، لعظم القحط وطول مكثه في هذه السنين الثلاث، وأمسك في هذه الأيام جماعة من البيعة ومعهم لحوم الدواب الميتة ولحوم الكلاب، وشهروا بالقاهرة، ونودي عليهم، وتفرغت حواصل الغلال التي كانت مدخرة عند أربابها من طول مكث الغلاء، وضائق أعين الناس، ولولا أن القلوب اطمأنت بري البلاد في هذه السنة وإلا لكان الأمر أعظم من ذلك .

وفي يوم الخميس رابعه لبس القاضي سراج الدين عمر بن موسى الحمصي الشافعي [خلعة] قضاء دمشق ، عوضاً عن القاضي جمال الدين يوسف الباعوني .

وفيه - أيضاً - استقر القاضي شهاب الدين أحمد الزهري الشافعي في قضاء حلب عوضاً عن ابن الخرزى - والخرزى بفتح الخاء المعجمة والراء المهملة وكسر الزاي .

[١٨٩] وفيه // ورد الخبر بموت الشريف إميان بن مانع الحسيني أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وولي الإمرة من بعده الشريف وبير بن قيس بن ثابت .

وفي يوم الخميس حادي عشره لبس الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك نائب البيرة حجویية حجاب دمشق بعد عزل جانبك الناصري، وتوجه إلى القدس بطالاً . وكان قدوم ابن مبارك هذا في أوائل هذا الشهر .

وفيه خلع السلطان على الأمير جانبك الشبكي والي القاهرة لسفر (هـ) إلى الجون من بر التركية لعمارة عدة مراكب برسم الجهاد .

وفي يوم السبت العشرين منه لبس ابن مبارك خلعة السفر .

وفي يوم الاثنين، ثاني عشرينه سافر الأمير جانبك والي القاهرة إلى التركية
ومعه عدة عمال وغيرهم.

وفي يوم الجمعة، سادس عشرينه - ويوافقه رابع عشرين بابيه - لبس
السلطان القماش الصوف الملون، وألبس الأمراء مقدمي الألوفا على العادة.

وفي يوم السبت، سابع عشرينه توفي الأمير ناصر الدين محمد بن ألتبغا
الحاجب الثاني بحلب بالقاهرة غريباً عن وطنه.

وفيه - أيضاً - توفي تاج الدين محمد بن البلقيني الشافعي.
ومضى هذا الشهر بعد أن قاسى الناس فيه شدائد من غلو الأسعار في
سائر الأقوات.

ووقع فيه - أيضاً - غريبة، وهو أن أرباب التقويم والحساب كانوا قد
أجمعوا على أنه يكون في أوائل العشر الأخير من هذا الشهر قران نحس يكون فيه
قطع عظيم على السلطان الملك الظاهر جقمق، ثم في أواخر العشر - المذكور -
يكون قران آخر ويستمر إلى يوم سلخ الشهر، وأجمعوا على وقوع ما لا يذكر،
فمضى هذا الشهر والسلطان في خير وسلامة وعافية في بدنه وحواسه، ولازمته
أنا في العشر - المذكور - لأرى فيه شيئاً يقارب مقالة هؤلاء الكاذبين ليكون لهم
مندوحة في القول والعذر، فلم يقع له ما كدر عليه ولا تشوش في بدنه، ولا ورد
عليه ما يسوءه من الأخبار المزعجة، ولا تنكد بسبب من الأسباب.

وقد كان شاع ذلك حتى لعل السلطان كان قد بلغه شيء من ذلك،
وكان // ثم من الناس من قطع وجزم بوقوع ذلك، وفرغ الشهر ولم يقع ما [١٩٠]
قيل، وسكن الأمر، ويأبى الله إلا ما أراد^(١)، فلعمري لو كان أهل هذا الشأن
اشتغلوا عوضاً عن هذا الفن بصناعة من الصنائع والحرف التي تتعاناها العامة
لكان خيراً لهم وأقوم من هذا الكذب المحض والاختراق في علم الغيب الذي
يوقعهم في موبقات الإثم، وما أظن إلا أن هذا العلم ذهب وانقرض مع أهله

(١) في الأصل: وما أراداه.

كما ذهب غيره من علوم الأوائل، والله در القائل:

دع النجوم لطرقى يعيش بها وبالعزيزية فانقض أيها الملك
إن النبي وأصحاب النبي نوا عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا
[البسيط]

شوال

أوله الأربعاء.

في يوم الجمعة ثالثة ورد الخبر بموت الأمير يشبك الحمزاوي نائب صفد بها
في ليلة السبت سابع عشري^(١) شهر رمضان، وتولى نيابة صفد من بعده الأمير
بيغوث المؤيدي الأعرج، وأنعم بإقطاع بيغوث على الناصري محمد بن مبارك
المتولي حجبوية دمشق قبل تاريخه، وأنعم بإقطاع ابن مبارك - المذكور - على
أقباي السيفي جارقطلو المعزول عن نيابة سيس، وهي - أيضاً - مقدمة ألف
بدمشق.

وفيه استقر خيربك النوروزي المعزول عن نيابة غزة قبل تاريخه في أتابكية صفد.
وفي يوم السبت رابعه استقر القاضي برهان الدين إبراهيم السويبي
الشافعي في قضاء طرابلس، وكان بطلاً بدمشق.
وفيه استقر ابن عامر المالكي في قضاء المالكية بصفد.

وفي يوم الاثنين سادسه استقر الزيني سرور الطربائي الحبشي في مشيخة
الخدام بالحرم النبوي عوضاً عن الطواشي فارس الأشرفي بحكم عزله.

وفي يوم الخميس سادس عشره أعيد القاضي حميد الدين الحنفي إلى
قضاء دمشق، وصرف قوام الدين.

وفيه لبس القاضي جمال الدين يوسف ناظر الخواص كاملية لفراغ الكسوة
المجهزة لداخل البيت الشريف.

وفي يوم السبت ثامن عشره برز المحمل إلى بركة الحاج، وأمير المحمل في

(١) في الأصل: «عشرين».

هذه السنة سونجبغا اليونسي الناصري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وأمير
الركب الأول عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الأمير آخورية والحجاب الصغار،
وهما في حج قليل إلى // الغاية. [١٩١]

وعدم سفر الناس إلى الحجاز في هذه السنة والخالية لغلو الأسعار وقلة
الجمال.

وفيه ورد الخبر من مكة المشرفة بإرسال الأمير تمراز من بكتمر المؤيدي
المصارع، الفار من بندر جدة قبل تاريخه خمسمائة تكرة من البهار إلى بندر جدة،
ووعده بإرسال ما بقي عنده، وطلب تشريفاً بولاية اليمن، فكتب إليه الجواب
بحضوره إلى الديار المصرية أو إلى بندر جدة ويلبس خلعة السلطان، ووعد بكل خير.
من ذلك أن السلطان رسم بأن يكتب له بأنه يحضر ويجربنا هذه المرة.
قلت: التجربة خطر، وأظنه يعرف ذلك.

وسبب إرسال تمراز هذا البهار، أنه لما سافر من بندر جدة وركب البحر
صار كلما أتى إلى بلد ليقم بها تستغيث تجار البلد إلى حاكمها ويقولون: أموالنا
ببندر جدة، ومتى عرف الأمير جانبك متولي بندر جدة بأنه نزل عندنا أخذ
جميع ما لنا. وكان السلطان قد ولى الأمير جانبك الظاهري على عادته على بندر
جدة لما فر تمراز - المذكور - ووقع ذلك لتمراز في عدة بلاد إلى أن بلغ سيره على
ظهر البحر ستة أشهر، فعندما عاين الهلاك رمى بنفسه إلى مدينة كالكويت
وحاكم البلد - المذكور - سامري وأهلها - أيضاً - سمرة، وبها تجار مسلمون،
فاستغاث التجار المسلمون بالملك السامري وقالوا له مثل مقالة غيرهم، فأراد
السامري القبض على تمراز - المذكور - فأحس تمراز بذلك، فهيا هدية عظيمة
وأرسلها إلى السامري فقبلها، ثم أرسل يخبره بمقالة التجار، فقال تمراز: نعم
أخذت مال السلطان لأشتري به للسلطان فلفلًا. فقال له السامري: اشتريه
في هذا الوقت، واشحنه في مراكب التجار، فاشتري الفلفل وأشحنه في مركبين
من مراكب التجار، والباقي أشحنه في مركب. وسار تمراز وقصد جدة إلى أن
وصل إلى باب المنذب من على اليمن^(١) عند مدينة عدن، فأخذ المركبين المشحونة

(١) في الأصل: «اليمن».

بالفلفل وتوجه بهما إلى جزيرة يقال لها الحديدية، تسمى كمران، فحضر أكابر الحديدية إلى تمراز - المذكور - وقالوا له : خذ مملكة اليمن، وحسنوا له ذلك، فمال إليهم تمراز وخرج // من المركب ونزل إلى بلدهم، وأخذ معه جميع ما في المركب، ثم قال له أهل الحديدية : لنا عدو ما تقدر غمك اليمن حتى نتنصر عليه، ويولد العدو تسمى سحنة، فتوجه معهم وقاتل أهل سحنة فقتل في الواقعة، نذكره إن شاء الله - تعالى - فيمن مات آخر السنة .
فلما بلغ جانبك موته أرسل أخذ جميع البهار الذي كان معه .

وفي يوم الثلاثاء، حادي عشرينه سافر المركب الأول من الحاج، وسافر المحمل من الغد .

وفي يوم الخميس، ثالث عشرينه نفى السلطان الأمير أسندمر الجقمقي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة إلى البلاد الشامية على أقبح وجه؛ لشكوى زين الدين الأستاذار عليه . فلما وقع ذلك بلغ زين الدين الأستاذار توعد المماليك الجلبان له إن تم نفى أسندمر - المذكور - فخارت طباعه، فالح على السلطان في السؤال في عود أسندمر - المذكور - على حاله .

وفي هذا الشهر أكلت الدودة من القرط المزروع الأخضر ما لا يدخل تحت الحصر بسائر أقاليم مصر، لاسيما إقليم الجيزية والبهنساوية من الوجه القبلي، فإنها لم تدع فيه شيئاً إلا أنت عليه وأعدمته عن آخره، حتى أبيع الفدان البرسيم بعشرة دنانير، ثم انحط في آخر السنة، واحتاج الناس إلى التقاوى ثاني مرة مع غلو السعر وأكل الدودة في هذه السنة (مما) لم نسمع بمثله، فإن العادة إذا أكلت الدودة زرعاً تاكل منه شيئاً وتترك أكثره، بخلاف هذه السنة فإنها صارت ترعاه أعظم من رعي الجاموس والبقر، حتى لا تدع منه العرق الواحد، وكانت تاكل فيما تاكل الخمسين فداناً والمائة فدان، وأكثر، وأقل، فما شاء الله كان .

ذو القعدة

أوله الخميس .

ففي يوم الجمعة تاسعه قدم القاضي صلاح الدين خليل بن محمد بن

السابق كاتب سر دمشق، وطلع إلى السلطان من الغد.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره عزل السلطان الأمير قاني باي الحمزاوي عن نيابة حلب، بسبب أنه أرسل يعلم السلطان أنه بلغه من النواب بالبلاد الشمالية أن جهان شاه بن قرا يوسف يريد يشي بنواحي ملطية، وأنه يريد يمشي على الأمير سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر نائب أبلستين، وأنه يسأل هل // إذا [١٩٣] طلبه سليمان - المذكور - يوافقه على قتال جهان شاه أم لا؟ فحال ما سمع السلطان ذلك استشاط غضباً ورسم بعزله وولاية الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير لنيابة حلب عوضه، فامتنع دولات باي واستعفى واعترف في الملأ بعجزه، واعتذر بعدم أهليته لنيابة حلب، فأعفى، واستمر قاني باي الحمزاوي على عادته.

وفيه نفي أريك الشبكي الخاصكي، ثم شفع فيه فأعيد بعد أن أخرج السلطان من إقطاعه حصّة بناحية مرصفا لحفيده ولد المقام الفخري عثمان، ثم بطل ذلك أيضاً.

وفي يوم الثلاثاء العشرين منه طلب السلطان أصحاب خيال الظل وحرّق جميع ما معهم من الأشخاص المصنوعة للخيال، وكتب عليهم قسائم بعدم عملهم الخيال.

وفيه رسم السلطان بإبطال خدمة يوم الخميس من الموكب، وقال: في خدمة يوم الاثنين كفاية في الجمعة؛ فإنه كان أبطل قبل تاريخه بسنين خدمة السبت والثلاثاء من القصر السلطاني. فبقيت الخدمة على هذا الحكم في القصر بالكلفتاه في الجمعة يوماً واحداً وهو يوم الاثنين لا غير، وباقي الأيام تكون الخدمة بالحوش السلطاني من غير لبس الكلفتاه، وهذا شيء لم يعهد مثله، بل ولا سمعنا في سالف الأعصار (به) قبل ذلك.

ثم أبطل السلطان - أيضاً - ما كان يعمل بقلعة الجبل من الزفة بالمغازي والمواصل والخليلية عند غروب الشمس وعند فتح باب القلعة في باكر النهار وبعد عشاء الآخرة التي يقال لها نوبة خاتون، ورسم لأرباب هذه الوظائف أن

بمضوا إلى حال سبيلهم، فعظم ذلك على الناس؛ فإن هذا الفعل كان به جرم في المملكة، فإنه كان يعرف فتح باب القلعة من مسافة بعيدة لعظم الغوغاء من الطبلخاناه والخليلية والمواصل وغير ذلك، وكان يصير بذلك أهبة وعظمة زائدة ورعب وهيبة على من لا له إمام يطلوع القلعة، فزال هذا كله.

وقد أبطل السلطان منذ تسلطن إلى يومنا هذا أشياء كثيرة من شعار المملكة بخلاف غيره من ملوك الترك، فإن كل واحد من ملوك الترك المتأخرين أبطل شيئاً مما فعله الملوك المتقدمة. وأول من أخذ في إبطال المحاسن الملك [١٩٤] الظاهر برقوق، أبطل ركوب الموادين بعد سلطنته بمدة // طويلة، ثم أبطل الملك الناصر فرج التوجه إلى سرياقوس، ثم أبطل الملك المؤيد شيخ نيابة السلطنة بالديار المصرية، ثم أبطل الملك الأشرف برسباي زينة المراكب عند كسر البحر - أعني وفاء النيل - وأما ما أبطله السلطان الملك الظاهر جقمق فكثير.

ومما أبطله خدمة الإيوان عند قدوم القصاد الغرباء إلى الديار المصرية، وكان أمراً مهولاً إلى الغاية، رأيت أنا ذلك في الدولة الأشرفية غير مرة، ثم أبطل نزول السلطان إلى وسيم بير الجيزة على عادة الملوك، ثم أبطل النزول إلى الإسطنبول السلطاني للحكم بين الناس في يوم السبت والثلاثاء، ثم أبطل التوجه إلى الرماية للصيد بطيور الجوارح، ثم أبطل خدمة السبت والثلاثاء بالكلفتاه بالقصر السلطاني، ثم أبطل سوق المحمل في شهر رجب، وكان دوران المحمل من محاسن الدنيا وغرائبها، ثم أبطل مسابقة أمراء الحج في شهر رمضان، ثم أبطل خدمة يوم الخميس، لكنه عملها بعد ذلك في بعض الأحيان، ثم أبطل ضرب الخليلية بباب القلعة كما ذكرناه.

وأما ما أبطله من شعار السلطنة في لبسه وجلوسه وحركاته وأفعاله فكثير جداً - انتهى .

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه أمر السلطان بحبس الأمير بيبرس بن بقر شيخ العربان وأميرها بالشرقية بحبس المقشرة، وحبس معه - أيضاً - ابن شعبان شيخ العربان وأميرها بالشرقية - أيضاً - ثم نقلوا إلى البرج بعد أيام.

وقد حبس السلطان الملك الظاهر جقمق بحبس المقشرة جماعة من يوم تسلطن إلى يومنا هذا من الأعيان والعلماء والفقهاء وغيرهم زيادة على عشرة نفر، وهم قاضي القضاة ولي الدين السفطي الشافعي، والقاضي بدر الدين محمود بن عبيد الله الأردبيلي الحنفي أحد نواب الحكم وأعيان فقهاء الحنفية، والقاضي محب الدين أبو البركات الهيثمي أحد نواب الحكم وفقهاء الشافعية، والعلامة قوام الدين القمي العجمي الحنفي، والحافظ برهان الدين إبراهيم البقاعي الشافعي، والقاضي شهاب الدين الزفتاوي الشافعي أحد نواب الحكم، والقاضي شهاب الدين أحمد البدماصي^(١) // المعروف بقرقماس أحد [١٩٥] نواب الحنفية ببولااق، والناصري محمد بن سيدي عمر بن بكنمر الحاجب، والقاضي شهاب الدين أحمد بن إسحاق الشافعي أحد نواب الحكم بمصر القديمة، ويبرس بن بقر، وابن شعبان، والقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة جمال الدين المالكي البساطي أحد نواب الحكم المالكية.

وأما غير الأعيان من بياض الناس فكثير، وحبس - أيضاً - خلائق لا تحصى في غير حبس المقشرة كحبس الديلم والرجة والبرج من القلعة.

وفي ليلة الثلاثاء سابع عشرينه توفي الأمير شهاب الدين أحمد بن علي بن إينال اليوسفي أحد مقدمي الألوף بالديار المصرية. وأنعم بإقطاعه على الأمير تنبك البردبكي الظاهري المعزول قبل تاريخه عن حجوية الحجاب على مال يحمله إلى الخزانة الشريفة على ما قيل، وكان تنبك^(٢) - المذكور - يتردد إلى الخدمة السلطانية من جملة الأمراء، وهو بغير إقطاع ولا وظيفة.

وفي يوم الخميس عمل السلطان الموكب لقصاد متملك بلاد الروم محمد بك بن مراد بك بن عثمان.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر قدم يلغا الجاركسي نائب دمياط من الثغر - المذكور - معزولاً.

(١) في هامش أ.أ.: «ونسي المزلف ابن بكور أحد نواب الحكم الشافعية. حبس بحس المقشرة بعد الضرب والإشهار».

(٢) في أ.أ.: «لتنك».

وفيه توفي الشريف إبراهيم بن حسن بن عجلان المكي الحسيني بشعر
دمياط - رحمه الله تعالى .

ذو الحجة

أوله السبت .

فيه ورد الخبر من مكة المشرفة بموت الأمير تمتاز من بكتمر المؤيدي
المصارع، على ما يأتي ذكره في آخر السنة .

وفي ليلة الثلاثاء رابعه توفي قاضي القضاة بدر الدين محمود العيتابي الحنفي .

وفي يوم الخميس سادسه قدم الأمير أسنباي الجمالي الظاهري أحد أمراء
العشرات من بلاد الروم بزي الأروام على عادة من تقدمه من القصاد المصريين .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره توفي السيد الشريف المعتقد عفيف الدين أبو
بكر محمد الأيكي (العجمي)^(١) الشافعي ، نزيل مكة - بمضى بعد أن توعك مدة
يسيرة - رحمه الله .

وفيه أخلع السلطان على عمر الكردي أحد أجناد الحلقة بالقاهرة
بأستادارية السلطان بدمشق، وعلى يونس الدمشقي المعروف بابن دكدوك
بأستادارية السلطان الكبرى بدمشق، وعمر ويونس هذان^(٢) من أطراف الناس
[١٩٦] الذين // لا يلتفت إليهم بالقاهرة والشام .

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه توفي الشيخ المعتقد شهاب الدين أحمد
الترابي فجأة ، ودفن بزاويته .

وفي يوم السبت ثاني عشرينه قدم القاضي جمال الدين يوسف بن الباعوني
إلى القاهرة بعد عزله عن قضاء دمشق بطلب؛ لشكوى بعض أهل دمشق عليه
بسبب وقف البيمارستان الدمشقي وغيره .

(١) مضاف من «ب»

(٢) في الأصل : «هاتين» .

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه وصل مبشر الحاج الشهابي أحمد ابن الأمير
سونجبغا اليونسي الناصري أمير حاج المحمل، وأخبر بالآمن والسلامة وغلو
الأسعار بمكة، حتى إنه أخبر أن الحمل الدقيق أبيع بمكة بثمانية وعشرين
ديناراً، وقس على ذلك. هذا مع قلة الحاج المصري إلى الغاية.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه لبس شرف الدين (موسي)^(١) التتائي
الأنصاري خلعة الاستمرار على وظائفه، بعدما حمل شيئاً قيمته آلاف (الـ)
دنانير.

وفيه استقر منصور بن شهري في نيابة كركر.
وفي يوم الخميس سابع عشرينه وصل قاضي دمشق سراج الدين عمر
المصري الشافعي لمحاqqة ابن الباعوني المقدم ذكره.

وفيه - أيضاً - وصل الأمير يشبك من سلمان شاه الفقيه المؤيدي أحد
أمراء العشرات ورأس نوبة من صفد، المتوجه قبل تاريخه لتقليد الأمير بيغوث
نائب صفد حسبما تقدم.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه عقد عند السلطان مجلس بالقضاة
الأربعة^(٢) في الدهيشة من القلعة بسبب قضاة دمشق - الباعوني والحمصي -
فاستقر عقد المجلس على عزل الحمصي وإعادة الباعوني لقضاء دمشق في أول
الجلوس، وأظنها كانت مبيتة مع السلطان.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - أربعة أذرع وخمسة^(٣) عشر إصبعاً،
مبلغ الزيادة في هذه السنة ثمانية عشر ذراعاً وتسعة^(٤) أصابع.



(١) مضاف من «ب».

(٢) في الأصل: «الأربع».

(٣) في هامش «أ» صوابه: أربعة عشر إصبعاً.

(٤) في هامش «أ» صوابه: ثمانية.

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الخليفة (أمير المؤمنين)^(١) المستكفي بالله^(٢) أبو الربيع سليمان ابن الخليفة المتوكل على الله أبي عبد الله محمد ابن المعتصم بالله أبي بكر ابن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله / / أبي العباس أحمد العباسي الهاشمي في يوم الجمعة ثاني المحرم بعد أن مرض أياماً ، ولم يعهد لأحد من إخوته وأقاربه ، ومات وهو في عشر السنين ، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمني ، وعاد أمام الجنازة ماشياً إلى المشهد النفيسي حيث دفن ، وتولى حمله في بعض الأحيان إلى أن وصل إلى المشهد النفيسي - رحمه الله - .

وكانت ولايته للخلافة بعهد من أخيه المعتضد بالله أبي الفتح داود^(٣) في العشر الأول من ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، فأقام في الخلافة إلى أن توفي^(٤) .

كان رئيساً ساكناً عاقلاً ساكناً كثير الصمت ، ديناً ، خيراً ، منعزلاً عن

(١) مزيد من «ب» .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١ تر ١٠٩٤ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١ ، السخاوي . الثبر المسبوك ص ٣٥٩ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٩ تر ١٠١٥ ، السيوطي . تاريخ الخلفاء ص ٥٩٣ - ٥٩٤ ، ابن الطولوني . التزهة السنية ج ١ ص ١٣٤ ، ابن إلياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٣) راجع ترجمته ضمن وفيات حولية خمس وأربعين وثمانمائة .

(٤) في ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١ : « أقام في الخلافة تسع سنين ، ونحو عشرة أشهر » .

الناس، قليل الاجتماع بهم - وكان عدم اجتماعه بالناس لعدم إلمامه بالعلوم، فكان ما يفعله هو الصواب - هذا مع العقل الثام، والتواضع، والسيرة الحسنة، والعفة عن المنكرات والفروج، والدين الغزير.

وتولى الخلافة من بعده أخوه حمزة^(١)، ولقب بالقائم بأمر الله - رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(٢) وتوفي القاضي جمال الدين ابن هشام^(٢) الحنبلي - أحد نواب الحكم الحنابلة - في العشر الأخير من المحرم^(٣)، وكان فقيهاً فاضلاً، مشكور السيرة في دينه وأحكامه، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(٣) وتوفي الرئيس مجد الدين، عبد الرحمن بن الجيعان^(٤)، ناظر الخزانة الشريفة وكتبها في يوم الخميس تاسع عشرين المحرم، بعد قدومه من الحجاز مريضاً - رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(١) يبيع له يوم الاثنين، خامس المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة، وخُلع من الخلافة يوم الثلاثاء، ثالث رجب منها، لمجيئه إلى بيت قوصون - تجاه القلعة - مطاوعاً للمماليك الأشرقية في عزل والأشراف إينال، وكانت وفاته يوم الاثنين، سابع عشر شوال سنة اثنين وستين وثمانمائة للهجرة .

راجع : ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ١ ص ٢٧٩ تر ٩٦٤، مورد اللطافة ق ٧٧ ب - ١٧٩، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ١٦٦ تر ٦٣٩، السيوطي . تاريخ الخلفاء ص ٥٩٥، نظم العقيان ص ١٠٧ - ١٠٨، ابن الطولوني . التزهة السنية ج ١ ص ١٣٥، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨، ٣٢٦ - ٣٢٨ .

(٢) هو جمال الدين - أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن هشام .

له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٦١ - ٣٦٢، الضوء اللامع ج ٥ ص ٥٦ - ٥٧ تر ٢٠٩، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٣) أشار السخاوي إلى أنه مات في صفر، وأخطأ من قال : المحرم .

(٤) هو مجد الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب .

له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٥٩، الضوء اللامع ج ٤ ص ٨٥ تر ٢٤٢، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٤) وتوفي القاضي شمس الدين محمد^(١)، المعروف بابن رُبالة الشافعي، المصري الأصل والمولد، قاضي مدينة ألبينع.

ومولده بباب البحر^(٢) خارج القاهرة، وكان له سمعة بتلك البلاد وصيت - رحمه الله تعالى -

(٥) وتوفي السلطان مراد^(٣) بك بن محمد بك بن عثمان، متملك برصا وأدرنا وكالي بولي وغيرهما من ممالك الروم في سابع المحرم من السنة ببلاد الروم، وتولى الملك من بعده ابنه محمد بن مراد.

وكان خير ملوك زمانه عقلاً وحزماً وعزماً وكرماً وشجاعة وسؤدداً، أفنى عمره في الجهاد في سبيل الله - تعالى - ثم في اللذات التي تهواها النفوس، فكان أمره - رحمه الله تعالى - كقول من سئل عن دينه، فقال: «أمرقه بالمعاصي، وأرقعه بالاستغفار». فعسى أن يكون من الذين قال الله - تعالى - في حقهم: ﴿وآخرون اعترفوا // بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ (١٠٢ : التوبة).

رحمه الله - تعالى - وعفا عنه، فإنه كان سياجاً عن المسلمين لسد الثغور والقيام بالجهاد، تقبل الله منه.

ومات وهو في أوائل الكهولة مرابطاً، وتسلم من بعده ولده السلطان

(١) هو محمد بن أحمد بن حمد، له ترجمة في: ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢، السخاوي، الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٤٩.

(٢) باب البحر: عرف قديماً باسم: «باب المقسم»، وموضعه الآن باب الحديد. كان واقعاً في نهاية السور الشمالي لمدينة القاهرة من الجهة الغربية، وكانت تجاوره - آنذاك - خطة عامره، ثلاث سنين سبع وسبعين وسبع مائة للهجرة، ثم خرب معظم بانيها سنة ست وثمانمائة، وإن بقيت فيها خمسة جوامع، وعدة أسواق.

راجع: المقرئزي. الخطط ج ٢ ص ١٢١ - ١٢٤، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٦ ح ٥.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافعي ج ٢ ص ٧٣١ - ٧٣٢ تر ٢٤٩٩، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٤٣، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢ - ٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٨٠، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٥٢ تر ٦٠٤، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨.

محمد، وسلك طريق والده في الجهاد وفتح الحصون في البلاد، تقبل الله منها .
وقد ذكرنا ترجمة مراد بك هذا مبسطة مطولة في تاريخنا «المنهل الصافي
والمستوفي بعد الوافي» فليُنظر هناك، رحمه الله .

(٦) وتوفي الشيخ شمس الدين ، محمد ابن حسان^(١) - شيخ خانقاه
سعيد السعداء - في يوم السبت أول شهر ربيع الأول .

وكان فقيهاً ديناً ، مشكور السيرة ، وولي مشيخة سعيد السعداء من بعده
الشيخ خالد ، رحمه الله .

(٧) وتوفي القاضي شمس الدين محمد^(٢) بن محمد بن إسماعيل الحلبي
الحجازي ، ناظر دار الضرب ، المعروف بابن أخت السخاوي - في يوم
الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول ، وكان ديناً خيراً إلا أنه كان قليل البضاعة
في العلم .

(٨) وتوفي الشيخ شمس الدين محمد^(٣) الحنفي الرومي الأصل والمولد
المصري الدار والوفاة ، المعروف بالكاتب في يوم الأحد ثالث عشرين شهر
ربيع الأول .

وكان شمس الدين - المذكور - ممن نال حظاً في الدنيا، كان قد اتصل
بصحبة الملك الظاهر ططر وحظي عنده، بحيث إنه لما تسلطن أنعم عليه بعشرة
آلاف دينار دفعة واحدة، ثم صار في الدولة الأشرفية متوسط الحال، معظماً عند
غالب أرباب الدولة لا سيما عند أعيان الأمراء من حواشي ططر، ثم اتصل

(١) هو «محمد بن محمد بن علي بن محمد بن حسان»، له ترجمة في :
ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٧١ - ٣٧٣ ،
الضوء اللامع ج ٩ ص ١٥٢ - ١٥٤ تر ٣٨٧ .

(٢) هو «محمد بن محمد بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان بن عماد»، له ترجمة في :
ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٦٨ ، الضوء
اللامع ج ٩ ص ٥٤ تر ١٤٨ .

(٣) هو «شمس الدين، محمد بن محمد ، الأبوبكري»، له ترجمة في :
ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٤ - ٥ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٧٤ ،
الضوء اللامع ج ١٠ ص ١١٢ تر ٤١٩ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٠ .

بالمملك الظاهر جقمق وحظي عنده إلى الغاية حتى صار هو المشار إليه في الدولة والمقصود لأرباب الحوائج، ونالته السعادة، وأثرى، وحصل الكتب النفيسة والأملاك، وهو مع ذلك لا يبرح عن ركوب الحمار عندما يطلع إلى القلعة. وكان لا يقتني حمراً قط، بل يستكري حمراً من المكاري، واستمر على ذلك سنين إلى أن استفحل أمر أبي الخير النحاس، فلا زال به حتى نكبه السلطان الملك الظاهر جقمق وصادره بعد أن حبس بسجن الديلم، وعزر وتوجه إلى [١٩٩] السجن ماشياً حسبما تقدم في حوادث سنة اثنتين وخمسين، وقطع السلطان // معاليمة من الجوالي وغيره، وكان مرتبه في الجوالي يزيد على الدينارين كل يوم، ثم أفرج عنه الملك الظاهر من حبس الديلم ورسم له بلزوم داره، فلزمها، إلا أنه صار يطلع للسلطان في بعض الأحيان كأحد الناس، واستمر على ذلك إلى أن توفي - رحمه الله.

وكان يكتب الخط المنسوب ويذاكر ببعض المسائل، وله إلمام بالأدب والتاريخ بحسب الحال، وكان شكلاً مهولاً، طوالاً، ذا لحية كبيرة، وعلى رأسه عمامة هائلة وقبع^(١) كبير جداً، إلا أنه كان يعتريه التزلة في دماغه، فكان يلف على رأسه أزيد من ثوب بعلبكي عوضاً عن الشاش الشمسي، وكان قبعة نحو العشرة أرتال بالمصري، وكان عنده معرفة بصحبة الملوك، مع عفة وعدم طمع بالنسبة إلى غيره، رحمه الله - تعالى - وعفا عنه.

(٩) وتوفي الشيخ محمد السفاري^(٢) في يوم الجمعة حادي عشر جمادي الأولى، وقد تقدمت واقعة مع المحتسب العجمي، حكيناها في حوادث شهر ربيع الآخر من هذه السنة في هذا الكتاب - رحمه الله .

(١) القبع ، والجمع : الأقباع : طاقية تلبس تحت الخوذة أو العمامة ، وربما لبسها العامة مفردة . كانت تباع في سوق خاص بها ، هي سوق « الأقباعيين » .
راجع : دوزي . المعجم المفصل ص ٢٧٩ - ٢٨١ ، ماير . الملابس المملوكية ص ٣٤ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ١١١ .

(٢) هو أبو عبد الله الهوي السفاري ، له ترجمة في :
ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٥ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٧٥ ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١١٧ تر ٤٥٠ .

(١٠) وتوفي السيد الشريف هلمان^(١) بن وبير بن نخبار ، أمير مدينة الينبع بها في أواخر جمادي الأولى ، وهو في أوائل الكهولية .

وكان شاباً حسناً ، مشكور السيرة لولا أنه على مذهب القوم . وتولى إمرة الينبع من بعده أخوه سنقر .

وكانت ولاية هلمان - هذا - لإمرة الينبع بعد عزل ابن أخيه معز بن هجار ابن وبير بن نخبار في سنة تسع وأربعين وثمانمائة .

وهلمان هذا هو الذي كان سعى في عود بركات بن حسن بن عجلان إلى إمرة مكة لصداقة كانت بينهما .

(١١) وتوفي الأمير برد بك العجمي الجكمي^(٢) نائب حماء - كان - ثم أحد مقدمي الألوف بدمشق في أوائل شهر رجب ، وكان مشكور السيرة .

كان أصله من مماليك الأمير جكم من عوض المتغلب على حلب ، ثم تنقل في الخدم من بعده حتى ولى عدة ولايات في دول عديدة ، ثم ولى حجووية حجاب حلب في الدولة الأشرفية برسباي ، ودام على ذلك حتى نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة حماء بعد عصيان الأمير تغري برمش نائب حلب في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فاستمر في نيابة حماء إلى أن عزل عنها بعد أن // وقع [٢٠٠] بينه وبين أهلها وقعة هائلة قتل فيها جماعة ، وخرج برد بك عن طاعة السلطان مدة ثم عاد إلى حماء ، وقدم إلى الديار المصرية ، وقبض عليه السلطان وحسبه بسجن الإسكندرية في حدود سنة سبع وأربعين إلى أن أفرج عنه في سنة ثلاث وخمسين ، ونقله إلى ثغر دمياط ، فدام بالثغر بطلاً مدة وطلب إلى القاهرة وأنعم عليه بإمارة مائة وتقدمة ألف بدمشق عوضاً عن يشبك النوروزي حاجب حجاب

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٦٧ تر ٢٦٠٨ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٧١ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٥ ، السخاوي . التبر المبولك ص ٣٨٠ - ٣٨١ ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٠٩ تر ٨٩٨ ، ابن ياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٠ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٥ تر ٦٤٨ ، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ تر ٦٤٩ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٣٥ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٧ تر ٢٩ ، ابن ياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩١ .

دمشق المنتقل إلى نيابة طرابلس في سنة ثلاث وخمسين، ورسم له - أيضاً - بأن يتوجه أمير حاج عمل دمشق في السنة المذكورة، فتوجه إلى دمشق وحج وعاد، ودام بها حتى توفي في التاريخ المذكور - رحمه الله تعالى .

(١٢) وتوفي السيد الشريف أميان بن مانع الحسيني^(١) المدني أمير المدينة الشريفة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - في جمادى الآخرة بالمدينة الشريفة ، وتولى الإمرة من بعده الشريف زيد بن قيس بن ثابت - رحمه الله وعفا عنه .

(١٣) وتوفي الأمير ناصر الدين محمد المعروف بابن التُّبَّاء^(٢) ، الحاجب الثاني بحلب في يوم السبت سابع عشرين شهر رمضان بالقاهرة غريباً عن وطنه وعياله .

وكان مشكور السيرة، وله ثروة وأملاك، على أنه كان دخليلاً في الرياسة والسعادة - رحمه الله تعالى .

(١٤) وتوفي القاضي تاج الدين محمد^(٣) ابن قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني الشافعي في يوم السبت سابع عشرين شهر رمضان ، ودفن من الغد عن ثمان وستين سنة .
وكان نائباً عن أبيه في الحكم بالقاهرة وغيرها، وتولى قضاء العسكر ، ثم ترك نيابة الحكم بآخره إلى أن توفي .

(١) هو أميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جمار بن شيخة ، له ترجمة في :
ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٥ - ٦ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٥٦ ،
الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢١ تر ١٠٤١ .

(٢) في النجوم : ه التبا ، وفي التبر : ه البغا .
له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٦ ، السخاوي . التبر المسبوك
ص ٣٦٤ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٣٤ - ٦٣٥ تر ٢١٨٢ ، المنهل
الصابي مج ٣ في ١١٧ - ١١٨ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٦ - ٧ ، السخاوي . التبر المسبوك
ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٩٤ تر ٧٦٢ ، ابن أبياس . بدائع الزهور ج ٢
ص ٢٩٢ .

وكان قليل البضاعة في العلم، وخلف مالا كثيراً^(١) وعدة أولاد ذكور وإناث، وكان من البخل على أمر عظيم، حتى إنه كان يبخل حتى على نفسه. ولما مات والده قاضي القضاة جلال الدين في سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وبلغ موته الحافظ شهاب الدين ابن حجر، وكان إذ ذاك بمكة بجاوراً، فقال^(٢) :

مات جلال الدين قالوا ابنه يخلفه أو (ف) الأخ الراجح
/ / فقلت: تاج الدين لا لائق لمنصب الحكم ولا صالح [٢٠١]
[السريع]

قلت : أراد بصالح التورية بقاضي القضاة علم الدين صالح أخيه - رحمه الله .

(١٥) وتوفي الأمير يشبك الحمزاوي^(٣) نائب صفد بها في ليلة السبت سابع عشرين شهر رمضان .

ويشبك - هذا - أصله من ممالك سودون الحمزاوي الظاهري الدوادار الكبير في الدولة الناصرية فرج، وتنقل مملوكه يشبك - هذا - من بعده في الخدم حتى ولى دوادارية السلطان بحلب في الدولة الظاهرية جقمق، ودام فيها سنين إلى أن نقل إلى نيابة غزة بعد عزل الأمير حطط عنها في سنة إحدى وخمسين - تقريباً - ثم نقل إلى نيابة صفد، وبها توفي، وتولى من بعده الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي نائباً.

وكان يشبك - المذكور - مشكور السيرة، رحمه الله .
(١٦) وتوفي الأمير شهاب الدين أحمد^(٤) ابن الأمير علاء الدين علي ابن

(١) في الأصل : وكثيره .

(٢) البيتان في ابن حجر . إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٨٠ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٨٩ تر ٢٦٥٩ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٩٤ ب - ٢٩٥ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٧ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٨١ ، الفصوة اللامع ج ١٠ ص ٢٧٦ تر ١٠٨٧ ، ابن أبياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٦٥ تر ٢٢٢ ، النجوم الزاهرة ج ١٦

الأتابك إينال اليوسفي ، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية في ليلة الثلاثاء سابع عشرين ذي القعدة ، ودفن من الغد بتربة جده الأتابك إينال ، ومشى الأعيان في جنازته من داره بالقرب من مدرسة سودون من زادة إلى مصلاة المؤمني ، وحضر السلطان الصلاة عليه .

وأمر علي والد الشهابي أحمد - هذا - هو أستاذ الملك الظاهر جقمق ، وإليه ينتسب بالعلائي ، وبهذا المفتضى صار الشهابي أحمد أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية .

وكان أميراً ضخماً ، عاقلاً ، رئيساً ، ديناً ، عارفاً بأنواع الفروسية ، وله محبة في الفقراء وأهل الصلاح . وكان سميناً جداً لا يحمله إلا الجياد من الخيل ، وجسنت حاله بآخره وتفقه قليلاً ، وصحب الفقراء ، وهو الذي ساعد الشيخ إبراهيم المتبولي في بنائه ببركة الحاج السيل والبستان وغير ذلك ، وخلف عدة أولاد ذكور وإناث - رحمه الله تعالى .

(١٧) وتوفي السيد الشريف إبراهيم بن حسن بن عجلان^(١) المكي الحسني بثمر دمياط في ذي القعدة .

وكان الملك الظاهر جقمق قبض عليه وعلى أخيه الشريف علي ، وحبسهما بالبرج من القلعة مدة ، ثم نقلهما إلى حبس الإسكندرية فحبسا بها مدة ، ثم أفرج عنهما ووجههما إلى ثغر دمياط فدما به إلى أن توفي الشريف // على في سنة ثلاث وخمسين ، ثم توفي إبراهيم - هذا - في التاريخ المذكور - رحمهما الله تعالى .

(١٨) وتوفي تميز البكتمري المؤيدي المصارع^(٢) قتيلاً بالحديدة من

ص ٧ ، المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٢ - ٣٥ تر ٢٢٤ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٥٥ ،

الضوء اللامع ج ٢ ص ١٥ تر ٤١ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٢ .

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٨ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٥٥ ، الضوء اللامع ج ١ ص ٤١ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الثاني ج ١ ص ٢٢٦ تر ٧٩٢ ، المنهل الصافي =

بلاد اليمن في خامس عشرين شهر رمضان من السنة :

وأصل تمراز - هذا - من محاليك المؤيد شيخ ، ثم صار بعد موته في خدمة الأمير تنبك العلائي نائب الشام - المعروف بميق - ثم صار بعد موت تنبك خاصكيا في الدولة الأشرفية برسباي ، ثم بقي من جملة الدوادارية في الدولة العزيزية يوسف إلى أن ندبه الملك الظاهر جقمق إلى شد بندر جدة بالبلاد الحجازية - أولى وثانية - وفي الثانية أنعم عليه بإمرة عشرة بعد موت آقبردي المظفري بمكة ، ثم قدم القاهرة ودام بها سنين إلى أن ولى نيابة القدس بسعي فلم ينتج أمره وعزل ونفى إلى دمشق ، ثم قدم إلى القاهرة وولى القدس ثانياً ، وعزل - أيضاً - بعد مدة يسيرة ، وأخرج إقطاعه بالقاهرة وصار بطلاً بلا إقطاع مدة طويلة ، إلى أن ندبه السلطان إلى شد بندر جدة ثالثاً في سنة ثلاث وخمسين ، فتوجه إلى البندر المذكور وباشره إلى أن انتهى أمره (بأن) بدا له أن يأخذ ما تحصل له من البندر وما تحصل للسلطان ويتوجه به إلى اليمن أو إلى حيث شاء ، فابتاع له مركباً وأشحنها بالأزودة وآلات الحرب على أن يركب فيها إلى جهة الديار المصرية ، وأخفى ذلك عن الناس حتى حول جميع ما معه إلى المركب ، ثم نزل هو فيها وسافر إلى جهة اليمن ، ثم بدا له بعد ذلك أمور وتوجه إلى الهند ، ووقع له محن وقاسى أهوالاً ، وآل أمره إلى أن جاء إلى اليمن ونزل بالحديدة ، فأكرمه شيخها وأنزله عنده ، واستفحل أمر تمراز بشيخ الحديدة ، واستفحل أمر شيخ الحديدة بتمراز ، وأرسل تمراز إلى الملك الظاهر بنحو خمسمائة تكرة من البهار ، ووعده بإرسال ما بقي عنده من مال السلطان ، وطلب من السلطان خلعة بولاية اليمن ، فوعده السلطان بالخلعة إن قدم إلى الديار المصرية أو إلى بندر جدة ، فبينما هو في ذلك إذ تحرك شيخ الحديدة على أعدائه ببيوت حسين وقائلهم ، فركب معه تمراز - هذا - بمن معه واقتتل الفريقان أشد قتال ، فقتل تمراز - هذا - في المعركة ،

= ج ٤ ص ١٥١ - ١٥٣ تر ٧٩٤ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٨ ، السخاوي . الثبر المسبوك ص ٣٥٧ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٥ - ٣٦ تر ١٤٩ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩١ .

[٢٠٣] وقتل // معه شيخ الحديد ، وقتل من عسكرهما نحو خمسين نفرأ ، فقتل من الجند أصحاب تمراز نحو العشرة ، والباقون من الأعراب ، وأخذ ما معه وحمل إلى بندر جدة ، فسر السلطان بقتله . وقد حكينا أمره وشراءه المركب المروس ، (وكيف وقع) (١) له في ركوب البحر إلى أن عاد وقتل ، كل ذلك في هذا الكتاب ، في حوادث السنة .

وكان رأساً في الصراع ، مع شجاعة وإقدام وحدة وبطش مع خفة وسوء خلق ، وكان أشقر ضخماً ، للطول أقرب - رحمه الله تعالى .

(١٩) وتوفي قاضي القضاة ، شيخ الإسلام ، بدر الدين محمود ابن القاضي شهاب الدين أحمد العيتابي (٢) الحنفي ، قاضي قضاة الديار المصرية وعالمها ومؤرخها ، في ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة ، ودفن من الغد بمدرسته التي أنشأها تجاه داره بالقرب من جامع الأزهر .

وكان مولده في سنة اثنتين وستين وسبعمائة بعينتاب ، وكان إماماً عالماً فقيهاً نحوياً لغوياً مؤرخاً صاحب تصانيف مفيدة ، أفنى ودرس سنين ، وتولى حسبة القاهرة من أوائل القرن إلى سنة سبع وأربعين وثمانمائة ، على أنه عزل منها غير مرة ، وتولى قضاء القضاة بالديار المصرية مرتين ، وأقام في ذلك سنين ، وكان عارفاً باللغة التركية ، محظوظاً عند الملوك ، لا سيما خصوصيته بالملك الأشرف برسباي ، فإنها كانت إلى الغاية . وكان ينادم الأشرف ويقرأ عليه ما خطر بباله من التاريخ ويفسره له باللغة التركية ، ثم ركضت ربحه بعد موت الأشرف وعزل عن القضاء بشيخ الإسلام سعد الدين ابن الديري ، ولزم داره حتى كبر ومات في التاريخ المذكور - رحمه الله .

(١) مزيد من « ب » .

(٢) هو وعمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود ، له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٢١ - ٧٢٢ تر ٢٤٦٥ ، المنهل الصافي مج ٣ ص ٢٣١ - ٢٣٣ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٨ - ١١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٧٥ - ٣٨٠ ، الذيل على رفع الإصر ص ٤٢٨ - ٤٤٠ ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٣١ - ١٣٥ تر ٥٤٥ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٧٥ تر ١٩٦٧ ، نظم العقيان ص ١٧٤ - ١٧٥ تر ١٩٠ ، ابن أبياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٢٠) وتوفي السيد الشريف عفيف الدين أبو بكر محمد^(١) الأيكي العجمي الشافعي المعتقد نزيل مكة المشرفة ، بمنى في ثاني يوم من أيام التشريق ، فحمل ودفن خارج مكة ، وكانت جنازته مشهودة ، والناس في أمره على أقسام - رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(٢١) وتوفي الشيخ المعتقد الصالح أحمد الترابي^(٢) فجأة في يوم الجمعة حادي عشر ذي الحجة ، ودفن بزاويته من الغد تجاه تربة الإسوي ، خارج باب النصر .

وكان رجلاً صالحاً ديناً خيراً ، وكان بيننا صحبة ومحبة ، ولى فيه اعتقاد - رحمه الله .



(١) هو « محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن هادي بن محمد بن أبي الحسن بن أبي الفتوح إبراهيم بن حسان » ، له ترجمة في :
ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١١ ، السخاوي . الثبر المسبوك ص ٣٦٩ - ٣٧١ ،
الضوء اللامع ج ٩ ص ١٢٦ - ١٢٧ تر ٣١٤ ، السيوطي . نظم العقيان ص ١٦٢ - ١٦٣
تر ١٧١ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١١ ، السخاوي . الثبر المسبوك
ص ٣٥٦ ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦١ تر ٧٧٣ .

سنة ست وخمسين وثمانمائة

[٢٠٤] أهلت هذه // السنة وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري، والخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، وليها بعد موت أخيه المستكفي بالله أبي الربيع سليمان، وباقي أرباب الدولة من القضاة والنواب وأرباب الوظائف على حالهم كما قدمناه فيما مضى، خلا نائب صفد فإنه الأمير بيغوث المؤيدي، وليها بعد موت الأمير يشبك الحمزاوي، وتغير - أيضاً - من ملوك الأقطار محمد بن مراد بك بن عثمان، ولي مملكة الروم بعد موت أبيه مراد بك حسبما تقدم ذكره.

المحرم

أوله الاثنين.

فيه أعيد قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن الباعوني الشافعي إلى قضاء دمشق بعد عزل قاضي القضاة سراج الدين عمر بن موسى الحمصي.

وفيه توفي الشيخ علاء الدين ابن قطب الدين أحمد القلقشندي الشافعي، أحد علماء الديار المصرية، ودفن من الغد يوم الثلاثاء ثانيه، رحمه الله.

وفي يوم الاثنين ثامنه وصل محب الدين محمد بن الشحنة قاضي قضاة حلب وكاتب سرها إلى القاهرة، وطلع من الغد إلى السلطان، وخلع عليه كاملية بسمور.

وفي يوم الاثنين خامس عشره خلع السلطان علي القاضي جمال الدين يوسف بن الباعوني كاملية السفر.

وفي يوم الثلاثاء، سادس عشره لبس القاضي صلاح الدين، خليل بن محمد بن السابق، كاتب سر دمشق خلعة السفر.

وفي يوم السبت العشرين منه نفى السلطان السيفي دقماق الشبكي إلى البلاد الشامية، وأنعم بإقطاعه على حفيده ولد المقام الفخري عثمان.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه وصل ركب الحاج الأول وأميره عبد العزيز بن محمد الصغير، ثم وصل المحمل من الغد في يوم الثلاثاء صحبة أمير الحاج الأمير سونجباغ اليونسى الناصري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة. وفيه سافر جانبك الظاهري شاد بندر جدة إلى البلاد الحجازية.

وفي يوم الأربعاء رابع عشرينه ولد للأمير أزيك من ططح الظاهري الساقى ولد من بنت السلطان الملك الظاهر جقمق وسمي محمداً، وتفرقت حواشيه لبشارة الأعيان.

وفي يوم الاثنين تاسع - شرينه وصل قصاد بير بضع^(١) بن جهان شاه ابن قرا يوسف إلى القاهرة.

وفي هذا الشهر فشا الموت بالقاهرة كثيراً بغير الطاعون، وعظم ذلك عندما نقلت الشمس إلى برج الحوت.

وفيه - أيضاً - انحلت الأسعار، فأبيع القمح بثمانمائة // درهم الإردب [٢٠٥] إلى ما دونها، والفلول بخمسمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والشعير بأربعمائة درهم الإردب إلى ما دونها، وهم في انحطاط ولله الحمد، والدقيق العلامة بمائتين وثلاثين درهماً البطة إلى ما دونها، والخبز بأربعة دراهم الرطل، والجبن المقلبي ستة عشر درهماً الرطل، وقس على هذا جميع ما تقدم في السنة الخالية^(٢).

(١) في هامش «أ»: «وبير بضع بكر باء المعجم، وهي خلاف الباء المعروفة الموحدة، وبعدها باء مثناة من تحت وراء مهملة ساكتين، ويضع بضم الباء ثمانية الحروف، وفتح الصاد المعجمة وسكون الغين المعجمة - انتهى - وبير بضع».

(٢) في «ب»: «هذه السنة».

أوله الأربعاء .

فيه تزايدت الأمراض الحادة بالقاهرة ، وتوفي جماعة كثيرة من الناس .
وفي يوم الخميس ثانياه طلع قصاد بير بضغ بن جهان شاه إلى القلعة بهدية
مرسلهم إلى السلطان ، والهدية بغلة هائلة وبعض سلاح وقماش حرير ، فقرئ
كتابه وقبلت هديته ، وأنعم السلطان بالبغلة على صاحب أمين الدين
إبراهيم بن الهيصم .

وفي يوم الاثنين سادسه استعفى الأمير الطنبغا الظاهري برقوق اللفاف
أحد مقدمي الألوف^(١) بالديار المصرية لضعف بدنه عن الحركة ، وأنعم بإقطاعه
وتقدمته على المقام الفخري عثمان ، ولد المقام الشريف زيادة على ما بيد
الفخري عثمان من تقدمه أخيه المقام الناصري محمد ابن الملك الظاهر جقمق ،
المنعم بها عليه بعد موت أخيه - المذكور - في سنة سبع وأربعين وثمانمائة .

وفي يوم الأحد تاسع عشره توفي الإمام العالم ناصر الدين محمد بن كزلبغا
الإمام بالمدرسة الأشرفية برسباي .

وفي يوم الأحد سادس عشرينه توفي عظيم الدولة وعالمها ورئيسها القاضي
كمال الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي ناصر الدين أبي المعالي محمد بن
البارزي الحموي الأصل والمولد ، الجهني ، الشافعي ، كاتب السر الشريف .

شهر ربيع الأول

أوله الخميس .

فيه لبس . القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيوش المنصورة كاملية بسمور
باستمراره على وظيفة نظر الجيش .

وفي يوم الجمعة ثانياه حضر المقام الفخري عثمان ولد المقام الشريف
صلاة الجمعة عند والده بجامع الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة بالكلفتاه

(١) في « أ » : « اللفاف » ، والتصويب من النجوم الزاهرة للمؤلف ج ١٥ ص ٤٣٩ .

والقماش، ورسم له أن يمشي الخدمة الشريفة على عادة أولاد السلاطين.
وفي يوم الاثنين خامسه توفي الشيخ زين الدين طاهر بن محمد بن علي
النوري المالكي.

وفي يوم الخميس ثامنه استقر القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيش
في كتابة السر عوضاً عن القاضي كمال الدين محمد بن // البارزي بعد موته [٢٠٦]
واستقر صاحب جمال الدين ناظر الخواص في وظيفة نظر الجيوش المنصورة
مضافاً إلى ما بيده من نظر الخاص، عوضاً عن القاضي محب الدين ابن الأشقر
بحكم انتقاله إلى وظيفة كتابة السر، ونزلاً إلى دورهما وبين يديهما وجوه الدولة.

وفي يوم الأحد حادي عشره توفي شهاب الدين أحمد بن يعقوب نقيب
القاضي الشافعي، وكان مشكور السيرة.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره توفي فتنصوه المصارع الأشرفي، وكان من
الأفراد.

وفيه عمل السلطان المولد النبوي على العادة في كل سنة.
وفي يوم الأربعاء توفي بدر الدين محمد ابن فتح الدين صدقة المحرقى .
وفي يوم الخميس خامس عشره لبس القاضي محب الدين ابن الأشقر
كاتب السر [خلعة] باستقراره في الأنظار المتعلقة بوظيفة كتابة السر .

قلت: وكان أخذ من القاضي محب الدين - المذكور - جميع تعلقات كتابة
السر من قبله كالحمايات^(١) والمستأجرات إلى ديوان الذخيرة، ولبسه للوظيفة
بالاسم لا غير.

وفي يوم السبت سابع عشره نودي بالقاهرة على الذهب الظاهري كل
دينار بمائتي درهم وخمسة وثمانين درهماً، وهدد من زاد في صرفه على ذلك.

وفي يوم الأحد ثامن عشره توفي أبو بكر المصارع أحد من أنشاء الملك
الظاهر من أولاد الناس^(٢) .

(١) في د ا : « الحمايات » .

(٢) في د ب : « من الأوباش » .

وفي يوم الاثنين تاسع عشره كان أول خمسين النصارى.

وفي يوم الثلاثاء عشرينه طلب شرف الدين موسى التتائي الأنصارى ناظر الجوالي نصارى القاهرة لأنه بلغه أنهم يشترون الجوارى المسلمات وينصرونهن، فأمرهم بإحضار ما عندهم من الجوارى لينظر في أمرهن، فإن وجدها مسلمة كانت في الأصل أو الذي سبأها من بلادها كان مسلماً ردها إلى الإسلام، وأمر صاحبها ببيعها، فاستولى على جماعة منهن، وهو في تتبع ذلك.

قلت: ولا بأس بهذه الفعلة الصالحة، بل ينبغي لكل مسلم أن يفحص عن مثل هذه القضية، وينم بها إلى الحكام، ولو شق ذلك على أعيان الدولة من الأقباط - قبحهم الله تعالى.

[٢٠٧] وبعد // الخماسين تناقص الموت قليلاً، وانحطت الأسعار كثيراً. وفي يوم الجمعة سلخه، ويوافق سادس عشرين برمودة، لبس السلطان القماش الأبيض على العادة في كل سنة.

شهر ربيع الآخر

أوله السبت.

استهل هذا الشهر والموت فاش في الناس، لكن بغير طاعون، وأما الضعف فكثير جداً.

وفيه انحط سعر الغلال، فأبيع القمح بأربعمائة درهم الإردب إلى ما دونها وفوقها، والبقول بثلاثمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والشعير بمائتي درهم الإردب إلى ما دونها، والرطل الخبز بدرهمين، والله الحمد.

وفي يوم السبت مستهله توفي الشيخ ولي الدين الرومي الحنفي نزيل جامع الأزهر، وكان للناس فيه اعتقاد.

وفي يوم الاثنين ثالثه استقر الشريف معز بن هجار بن وُبَيْر بن نخبار في إمرة ألبنوع عوضاً عن عمه سنقر بن وبير على مال كبير.

وفي يوم الثلاثاء رابعه توفي الرئيس سعد الدين أبو غالب القبطي الأصل
الحنفي ، المعروف بابن عويد السراج .

وفي يوم الخميس سادسه لبس القاضي علاء الدين ابن وجيه [خلعة] نظر
جيش حلب بعد عزل ابن الشحنة ، وحصل بولايته لأهل حلب ببرور زائد^(١)
لبغضهم في ابن الشحنة - المذكور - حسداً له .

وفي يوم السبت ثامنه عقد مجلس بالقضاة بحضرة السلطان ، وادعى
السلطان علي محب الدين ابن الشحنة أن عنده وديعة للأمير تغري برمش نائب
حلب نحو ثلاثين ألف دينار ، فنزل ابن الشحنة على البيان بعد أن اعترف أنه لم
يكن عنده لتغري برمش - المذكور - سوى أوبعة آلاف دينار ، وأنه ردها إليه ،
فلما نزل إلى داره تكلم فيه أرباب الدولة عند السلطان قال أمره إلى أنه يحمل
للمخزنة الشريفة مبلغاً من الذهب له جرم ، اختلف في قدره ، من عشرة آلاف
دينار إلى ما دونها .

قلت : كل ذلك بوادر لأخذ السلطان أموال أهل الدولة .
وفي يوم الاثنين عاشره توفي الأمير سيف الدين الطنبغا بن عبد الله اللفاف
بطلاً بداره ، ودفن من يومه ، يأتي ذكره في آخر السنة .
وفيه لبس الشيخ علي المحتسب العجمي [خلعة] نظر التربة الناصرية ،
حيث دفن الملك الظاهر برقوق بالصحراء ، وهذا النظر يكون لكتاب السر على
ما شرط الواقف ، فوليها الشيخ علي باليد ، واستقلعها من القاضي محب الدين
ابن الأشقر كاتب السر .

// وفي يوم الجمعة رابع عشره توفي بطرق النصارى أبو الفرج النصراني [٢٠٨]
اليقوي ودفن من الغد .

وفي يوم الأحد سادس عشره لبس الشريف معز أمير ألبينع كاملية خضراء
بسمور ؛ خلعة السفر .

وفي هذا الشهر وصل الأمير يشبك من جانبك المؤيدي المعروف بيشبك

(١) في ١٠٠٠ : «برور زائد» .

الصوفي المعزول عن نيابة طرابلس قبل تاريخه من ثغر دمياط بطلب، لمرض حصل له ، ورسم له بالتوجه إلى القدس الشريف ليقيم به بطلاً ، وأمره السلطان أن يقيم بالقاهرة ما شاء لعمل مصالحه .

جمادى الأولى

أوله الأحد .

في يوم الخميس خامسه رسم السلطان بتوجه القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر الشريف إلى حبس المقشرة ليحبس بها بعد أن أوسعه سباً ، فشفع فيه من حضر من أرباب الدولة ، فرسم له بأن يتوجه إلى بيت الأمير دولات باي المؤيدي المحمودي الدوادار الكبير على أن يحمل إلى الخزانة الشريفة خمسة آلاف دينار أو يتوجه إلى المقشرة ، فتزل - المذكور - إلى بيت الأمير دولات باي الدوادار وأقام به إلى بعد ظهر يومه ، فأذعن إلى حمل المبلغ المذكور ، فرسم بإطلاقه ، فركب وتوجه إلى داره وانقطع عن الخدمة السلطانية إلى يوم يأتي ذكره ، وأخذ في حمل المبلغ .

وسبب هذه القضية الفاحشة أن شخصاً من العرب وقف إلى السلطان وادعى أن إقطاعه خرج عنه في العام الماضي بغير موجب ، فلما سمع السلطان كلام البدوي التفت إلى القاضي محب الدين - المذكور - وقال للبدوي : هذا الفاعل التارك هو الذي أخرج إقطاعك - يعني أيام ولايته لنظر الجيش - ثم أمر به . انتهى .

وفي هذا اليوم - أيضاً - طلب السلطان الزيني عبد الرحمن بن الكويز ، ورسم بالترسيم عليه في بيت الأمير تمربغا الدوادار الثاني حتى يرد إلى الأمير قرقماس الأشرفي أحد أمراء الطبلخانات وقريب الملك الأشرف برسباي ما أخذه منه من ثمن قرية ابتاعها قرقماس منه بالدقهلية ، والقرية تسمى منية العرايا من أعمال القاهرة ، والثمن - المذكور - نحو أربعة آلاف دينار . وكان لما باعها الزيني [٢٠٩] عبد الرحمن - المذكور - لقرقماس من سنين // ، استأجرها بمبلغ هائل ، فلما انقضت مدة الإجارة واستولى عليها قرقماس لم يجدها نفياً بالمبلغ المعين من

الخراج في كل سنة، فشكاه إلى السلطان، فطلبه السلطان وألزمه برد الثمن إلى قرقماس - المذكور - وأخرج السلطان القرية - المذكورة - إلى الذخيرة السلطانية، واستمر ابن الكويز في الترسيم أياماً حتى عمل المصلحة وأفرج عنه، وردت القرية إليه.

وفي أوائل هذا الشهر وردت الأخبار من النواب بالبلاد الشامية بعود جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز وبغداد من ديار بكر بن وائل إلى جهة بلاد ه بعد أن أقام بديار بكر وحواشيه تحاصر مدينة آمد وماردين نحو الستين، وأقام جيشه على حصار جهان كير بن علي بك بن قرايلك بآمد قريباً من ستين، وكذلك على ماردين، ثم رحلوا بعد ذلك بغير طائل، وداموا في هذه المدة الطويلة بديار بكر، ورحلوا ولم يستولوا على قلعة واحدة من قلاعها، غير أنهم استولوا على مدينة ماردين ما خلا قلعتها لا غير، والمقصود من ماردين قلعتها.

ولما أراد جهان شاه الرحيل من جهة ديار بكر أظهر الصلح بينه وبين جهان كير بن علي بك بن قرايلك وتصاهرا باللفظ، وأرسل جهان شاه خلخته إلى جهان كير، ثم سافر.

قلت: وكان عود جهان شاه من ديار بكر على رغمه، لانه^(١) بلغه أن بابوراً ابن باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك وصل إلى الري، وأنه يريد المشي على بلاد جهان شاه - المذكور - انتهى.

وفي يوم الاثنين تاسعه، لبس القاضي عب الدين ابن الأشقر خلعة الاستمرار على وظيفة كتابة السر، وباشر الوظيفة على عادته.

قلت: وما كن أغناه عن لبس هذه الكاملية التي غرم قبل لبسها خمسة آلاف دينار، وقد استراح المرحوم القاضي كمال الدين ابن البارزي من هذا النموذج القبيح.

وفي يوم الاثنين سادس عشره، خرجت تجريدة من القاهرة إلى البحيرة، وفيها زيادة على مائتي مملوك من المماليك السلطانية، وعليهم الأمير خثقدم

(١) في: ٥١٠ : ٥١١.

٢١٠ [الناصرى المؤيدى حاجب الحجاب، والأمير يشبك من سلمان شاه المؤيدى // الفقيه، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة.

وفى هذا اليوم عمل السلطان الموكب بالحوش السلطانى من قلعة الجبل، وأبطل موكب القصر بالكلية، وهذا شيء لم نعهده ولا سمعنا بمثله فى سالف الأعصار.

وفى يوم الخميس تاسع عشره، عمل السلطان الموكب بالقصر على العادة، وأبطل ما كان أمر به من عمل الخدمة بالكلفتاه بالحوش السلطانى، لما بلغه أنه أشيع عنه أنه قد عجز عن الحركة والمشى من الدور السلطانية إلى القصر، ولما انفض الموكب خرج السلطان من باب القصر ماشياً إلى باب الستارة، فلما كان فى أثناء الطريق تقدم عن الأمراء بالمشى حتى صار أمامهم، ثم قال: يشاع عني أني عجزت عن المشى، انظروا إليّ كيف أمشي.

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه توفى الأمير برسباي المؤيدى أحد أمراء العشرات، وأنعم بإقطاعه من الغد على السيفى جانم الساقى الظاهري جقمق، وأنعم بإقطاع جانم - المذكور - وهو حصّة من جبين القصر^(١) على حفيده سيدي محمد ابن المقام الفخري عثمان ابن الملك الظاهر جقمق.

وفى هذا الشهر ورد الخبر بقتل الملك الكامل خليل ابن الملك الأشرف أحمد ابن العادل غازي صاحب حصن كيفا فى العشر الأخير من شهر ربيع الأول من هذه السنة، قتله ولده الملك الناصر صبراً، دخل عليه فى أناس قلائل بالليل وقتلوه وباع لنفسه، وتم أمره على أنه تخلّف عن طاعته عدة أناس غير لما فعله من قتل أبيه، لا جزاه الله خيراً.

جمادى الآخرة

أوله الاثنين.

فى يوم الثلاثاء ثانيه، ويوافقه سادس عشرين بؤنه - أحد شهور القبط -

(١) المقصود بذلك « شيبين القناطر »، محافظة القليوبية .

أخذ قاع النيل، فجاءت القاعدة - أعني الماء القديم - خمسة أذرع وأربعة وعشرين إصبعاً، والله الحمد.

واستمرت الزيادة في كل يوم .

وفي يوم الاثنين ثامنه - ويوافقه ثاني أبيب - تماسك عن الزيادة في اليوم المذكور وثانيه، بل قيل : إنه نقص إصبعاً واحداً، واستمرت الزيادة في كل يوم .

وفي يوم الخميس حادي عشره، سافر الأمير تنك البردبكي الظاهري برقوق - أحد مقدمي الألوف - إلى ثغر رشيد لحفظ الثغر - المذكور - من مفسدي الفرنج .

وفي هذه الأيام استقر السلطان بالقاضي زين الدين عمر ابن القاضي شهاب الدين أحمد بن السفاح الحلبي في كتابة سر حلب، عوضاً عن ابن الشحنة، ورسم له بحمل // التشریف إلى حلب . [٢١١]

وفي يوم الثلاثاء سلخه، وهو تاسع عشرينه وصل إلى القاهرة من ثغر دمياط الأمير جانبك الشبكي والي القاهرة، المتوجه قبل تاريخه إلى بلاد التركية لعمل المراكب بسبب الجهاد في سبيل الله - تعالى - وطلع إلى السلطان، وأخلع عليه فوقاني بطرز ذهب .

وفي هذا الشهر كان الفراغ من مدرسة الأمير زين الدين يحيى الأستاذار، التي أنشأها بخط الحبانية على بركة الفيل، وأما مصروفها فمال جزيل .

وفيه فرق الشيخ علي المحتسب على الفقراء طعاماً كثيراً بأمر السلطان، فلا أعلم من أي جهة هو، ومن له شيء فله أجره .

شهر رجب

أوله الأربعاء .

في يوم الأحد خامسه رسم السلطان بنفي الأمير قانصوه المحمدي الأشرفي الساقى - كان في أول دولة أستاذه - إلى مدينة حلب من غير أمر يوجب ذلك .

وقانصوه - هذا - من خيار أبناء جنسه .
وفي يوم الثلاثاء سابعه ، رسم السلطان بحبس قاضي القضاة ولي الدين
محمد السباطي المالكي في المقشرة .

وسببه أن شخصاً مسلماً ادعى عنده على شخص يهودي من تجار الجاركنس
بأنه لا يطالبه بحقه إلا من الشرع الشريف ، فحكم عليه قاضي القضاة
- المذكور - بذلك ، فلم يرض اليهودي بالحكم ، وقال : أنا أشتكي من حيث
ثت والخطر خاطري في طلب حقي . فكرر القاضي عليه الكلام على لسان
الترجمان ، فلم يسمع ، فضربه القاضي وجسه ، ثم أطلقه ، فشكا اليهودي
- المذكور - القاضي إلى السلطان ، فطلب السلطان قاضي القضاة - المذكور -
فقال : الذي فعلته هو الشرع . فقال السلطان ما معناه : إن السياسة هي تجري
مجري الشرع ، وأنت حكمت بغرض . ثم غضب ، وأمر به إلى الحبس ، فعزل
القاضي نفسه في الحال ، وقام من المجلس وتوجه إلى جامع الناصر بالقلعة ،
وأقام به قليلاً حتى شفع فيه ونزل إلى داره معزولاً إلى أن أعيد في يوم الخميس
تاسعه .

وفي يوم السبت حادي عشره وصل الأمير حاج إينال البشبيكي نائب
الكرك إلى القاهرة ، وأخلع عليه (السلطان) خلعة الاستمرار وهو يظهر
الاستعفاء من النيابة المذكورة .

وفي يوم الاثنين ثالث عشره - ويوافقه سابع مسرى أحد شهور القبط - زاد
[٢١٢] البحر أربعين إصبعاً ، وكان زاد قبل تاريخه // أربعين أخرى على دفعتين ،
عشرين في عشرين ، ثم زاد في يوم الثلاثاء رابع عشره ثلاثين إصبعاً ، فتكون
ريادته في أربعة أيام مائة إصبع وعشرة أصابع . وبقي للوفاء اثنان وعشرون^(١)
إصبعاً ، فزاد في يوم الأربعاء خامس عشره - ويوافقه تاسع مسرى - أربعاً
وعشرين إصبعاً ، أوفى في الستة عشر ذراعاً وزاد إصبعين من الذراع السابع
عشر ، فنزل المقام الفخري عثمان ابن السلطان الملك الظاهر جقمق في وجوه

(١) في ١٠ : « اثنين وعشرين » .

الدولة حتى خلق المقياس، ثم عاد وفتح خليج الأسد على العادة، ثم عاد إلى القلعة، فحصل للناس بهذا الوفاء سرور زائد إلى الغاية، والله در الأديب ناصر الدين ابن النقيب - رحمه الله - حيث يقول في هذا المعنى :

كأن النيل ذو فهم ولب لما يبدو لعين الناس منه
يأتي عند حاجتهم إليه ويمضي حيث يستغنون عنه
(الوافر)

وفي يوم السبت ثامن عشره، أنعم على الأمير حاج إينال - المذكور قبل تاريخه - بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق عوضاً عن الأمير مازي الظاهري برفوق بحكم لزوم مازي بيته، واستقر في نيابة الكرك عوضاً عن الحاج إينال - الأمير طوغان دودار السلطان بدمشق، واستقر في دوادارية السلطان بدمشق السيفي خشكلدي الدودار الثالث بالقاهرة، واستقر في الدوادارية الثالثة عوضاً عن خشكلدي - المذكور - شخص لا أعرفه من أولاد الناس يدعي ابن جانبك، كان بخدمة السلطان قديماً في أيام إمرته.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه، استقر النصراني سليمان اليعقوبي بطرق النصارى عوضاً عن أبي الفرج النصراني المتوفي قبل تاريخه، وذلك بعد شغورها أشهراً إلى أن قدم سليمان - هذا - من بلاد الصعيد.

وفي يوم السبت خامس^(١) عشرينه نودي على النيل بزيادة إصبع واحد^(٢) لتتمة ستة عشر إصبعاً من الذراع السابع عشر، وكان للبحر نحو سبعة أيام لم يزد شيئاً. واختلفت الأقوال في عدم زيادته - والله أعلم - ثم استمرت الزيادة بعد ذلك في كل يوم / / على ما سيأتي ذكره عند انتهاء الزيادة . [٢١٣]

(١) في هامش «أ»: وحاشية: صوابه ثامن عشره؛ نودي على النيل بثلاثة أصابع لتتمة ستة عشر من الذراع السابع عشر، ثم نقص يوم الأحد أربعة أصابع لانكسار مقطع من لسان سنيت، وأقام إلى يوم الجمعة رابع عشرينه زاد ثلاثة أصابع، واستمرت الزيادة.

(٢) في «أ»: «وفي يوم السبت خامس عشرينه نودي على النيل بإصبع واحد، نودي على النيل بزيادة أصبع واحد لتتمة...».

وفي أواخر العشر الأخير من هذا الشهر أشيع بمجيء أبي الخير النحاس إلى القاهرة، وأنه وصل على النجب، ونزل بتربة الأمير طيغا الطويل الناصري بالصحرَاء خارج القاهرة، ثم انتقل منها إلى القاهرة، وتحدث جماعة برؤيته، وماجت أهل الدولة لذلك .

قلت: وهذا من أغرب ما اتفق في زماننا هذا، فإن السلطان لما نكب أبا الخير - المذكور - وصادره، ووقع له ما حكيناه فيما تقدم في هذا الكتاب من الدعوى عليه بمجلس الشرع وحجسه أياماً^(١)، ثم بعد ذلك كله أخرج منفياً إلى طرسوس، وكان خروجه من القاهرة في الثالث الأول من ليلة الجمعة ثامن عشرين جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين وثمانمائة، ودام في حبس طرسوس، ثم حبس بقلعتها على أقبح حال، (و) من ثم وهو في ضيق عظيم إلى الغاية، ونال من يعاديه منه ما هو فوق غرضه، وصار السلطان يتفقده في كل قليل بعصيات، وهو أنه كلما أشيع بالقاهرة ممن يحبه أو يبغضه بمجيئه من حبس طرسوس يتكلم فيه بعض من له غرض في إبعاده، فيبرز مرسوم السلطان إلى نائب طرسوس بضرب أبي الخير - المذكور - فيضرب على رجليه وتارة على بدنه، فكان جملة ما ضرب في مدة حبسه نحو الألف عصاة - تحمناً - على نفذات متفرقة، ولم يزل في محبسه في ضيق وإبعاد وحواشيه متفرقة بذل وصغار إلى أن أشيع ما أشيع على حين غفلة، ولم يعلم أحد من عظماء الدولة بمجيئه ولا بكيفية الإفراج عنه، حتى ولا كاتب السر وغيره ممن هو أقرب للملك من كاتب السر - المذكور - وأخذ أعيان الدولة في تكذيب الخبر، وبقي الناس في أمر مجيئه على قسمين، واستمر ذلك مدة إلى ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

شعبان

أوله الخميس .

ففي يوم الخميس ثامنه وصل إلى القاهرة جانبك بن عبد الله الظاهري جقمق من بندر جدة، وصحبته قصاد صاحب الحبشة من المسلمين - ملك جبرت - فعمل السلطان الموكب بالحوش السلطاني من قلعة الجبل بالكلفتاه

(١) في الأصل : أيام .

والقماش ، وقد انقطع السلطان عن التوجه إلى القصر [السلطاني]^(١) من نحو شهر ، وذلك لضعف حركته فيما أظن .

وفي يوم الجمعة تاسعه طلع أبو الخير النحاس في بكرته إلى القلعة ودخل إلى السلطان بالقلعة من الدهيثة، صحبة سيدي عبد العزيز ابن سيدي // [٢١٤] يعقوب ابن أخي الخليفة القائم بأمر الله حمزة، ليشفع - المذكور - فيه على لسان الخليفة، ولم يكن عند السلطان في ذلك الوقت من أعيان الدولة سوى الأمير تمرغا الدودار الثاني والأمير أسنباي الظاهري، فقام السلطان لابن أخي الخليفة المذكور وأجلسه، ودخل أبو الخير النحاس وقبل رجل السلطان، فلم يلتفت إليه السلطان، بل نهره وأوسعه سباً ولعنأ وتوبيخأ، وأخذ يعدد له أفعاله القبيحة في أيام وصلته بالسلطان، ثم أمر بحبسه بالبرج من قلعة الجبل بعد أن اعتذر لابن أخي الخليفة لعدم قبول شفاعته، بل قال: أنا كنت أريد (أن) أوسطه، فلأجل الخليفة عفوت عنه . ثم أنعم على عبد العزيز - المذكور - بمائة دينار، وانفض المجلس إلى أن أصبح السلطان من الغد في يوم السبت، جلس على الدكة بالحوش السلطاني، وأحضر أبا الخير - المذكور - في الملأ من الناس، ثم أمر بضربه، فضرب بين يديه بيد الطواشية ما يقارب ألف عصاة أو ما دونها - تقريباً - على رجله وسائر بدنه، وشرع السلطان يذكر أفعاله القبيحة، ثم أمر بحبسه ثانياً بالبرج من القلعة، فتحير الناس من هذه الأفعال المتناقضة، وهي كونه أفرج عنه سراً وأحضره إلى القاهرة، فظن كل أحد بعود - المذكور - إلى أعظم مما كان عليه، ثم لما وقع له ما ذكرناه من الإخراق والضرب والحبس تحقق كل أحد إبعاده ونزوله إلى البهيموت، وقد كثر كلام الناس في ذلك، فممنهم من يقول: أمر السلطان بإطلاقه لا بجيئه إلى القاهرة، فحنق عليه لما قدم إلى القاهرة. فيرد على قائل هذا الكلام قول من يقول: إذا كان كذلك فممن أين لأبي الخير (ب) النجب التي جاء عليها بعد خروجه من حبس طرسوس مع ما كان عليه من الذل لولا توصية السلطان لمن يعينه على ذلك؟ وأيضاً كيف تمكن من المجيء من نواب البلاد الشامية؟ لو لم يكن معه ما يدفعهم عن تعويقه من

(١) مضاف من ب . هـ .

المراسيم السلطانية، ومنهم من يقول: كان أمره قد انبرج مع السلطان، وأن الجماعة الذين يخافونه اجتهدوا ووعدوا السلطان بوعود كثيرة أضعاف ما وعده [٢١٥]- المذكور- وسهروا عليه. وأظن هذا هو الأقوى، والله أعلم، والله در //

القائل:

بعثت في حاجتي رسولا يكنى أبا درهم فتمت
ولو سواه بعثت فيها لم تحظ نفسي بما تمت

(مخلع البسيط)

وفي هذا اليوم أخذ أبو عبد الله التركي المغربي من بيته إلى بيت الوالي، ورسم عليه، ثم ادعى عليه بمجلس القاضي المالكي أو غيره بأنه التزم للسلطان عن أبي الخير النحاس بمائة ألف دينار أو أكثر، فقال: أنا قلت إن ولاه ما عينه من الوظائف، ولم يقع ذلك، وعرف كيف أجاب، فاستمر في الترسيم إلى يوم الثلاثاء ثالث عشره، طلب إلى القلعة، فطلع وفي رقبته جنزير، ثم عاد إلى الترسيم من غير جنزير، وقد أشيع أنه وقع في حق قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي بأمور شنيعة، ودام في الترسيم على ما سيأتي ذكره.

وفيه نودي على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة ثمان^(١) عشرة إصبعا من الذراع الثامن عشر، وكان الموافق لهذا اليوم أول توت، يوم النوروز.

وفي يوم الأربعاء رابع عشره أخرج أبو الخير النحاس من حبسه ببرج القلعة منفياً إلى البلاد الشامية ليحبس بقلعة (ال) صبيبة، فنزل على حالة نستعيز بالله منها، وهو أنه راكب على بغلة وفي رقبته باشة وجنزير، وصحبته جماعة من الجبلية موكلون به، وقد شقوا به شارع القاهرة إلى أن خرج من باب النصر والمشاعلي ينادي عليه: هذا جزاء من يكذب على الملوك، ويأكل مال الأوقاف، ونحو ذلك. ورسم السلطان بأن يفعل به ذلك في كل بلد يمر بها إلى أن يصل إلى محبسه، وما ريك بظلام للعبيد.

وفي يوم الخميس خامس عشره، استقر الأمير حاج إينال في نيابة حماد، عوضاً

(١) في ١٠ : ١٠ ثمان عشرة .

عن الأمير سودون الأوبكري المؤيدي بحكم عزله وتوجهه على الإمرة المنعم بها قبل تاريخه على الحاج إينال - المذكور - وهي مقدمة ألف بدمشق.

وفيه رسم بفتح سد قناطر بحر منجا، فتوجه الأمير زين الدين الأستاذار بتجمل زائد^(١)، وتوجه صحبته غالب أهل الدولة حتى رأوا فتح السد - المذكور - واتفق أمر مزعج، وهو أنه لما وقف والي القاهرة على الجسر وفتح السد من عدة أماكن والناس وقوف للفرجة، فكانت طائفة من العوام واقفة على الجسر - المذكور - والماء قد عمل من تحته، فهوّر بهم الجرف ونزلوا البحر، فلما أرادوا النهوض منه انهار عليهم جرف آخر فطمهم // الجميع، فماتوا عن [٢١٦] آخرهم، ولم يوقف لهم على خبر^(٢)، وكانوا زيادة على عشرين نفراً، فما شاء الله كان.

وفي يوم الجمعة سادس عشره، ورد الخبر بموت الجمالي يوسف بن يغمور نائب قلعة صفد بها.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره وصل السيقي دقماق الشبكي المنفي قبل تاريخه إلى مدينة القدس، فرحب السلطان به ورد له إقطاعه الذي كان بيده قديماً.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه جلس السلطان بالحوش، وحضر القضاة

(١) في هامش «أ» قوله: «حاشية: يوم الخميس خامس عشر شعبان، وبات تلك الليلة في جامع الذي أنشأ ببولاق، وأوقد قيداً عظيماً، على كل شرافة قنديل ومثذنة، وكانت ليلة عظيمة».

«حاشية: وكان الأمير زين الدين يحيى الأستاذار عمر حمالة ليسيرها للبحر الملح بثلاث طبقات وسبع قلوغ، فعومها في ذلك اليوم إلى شبرا، وكان صحبته الأمير إينال الأجرود - الذي تسلطن في سنة سبع وخمسين - وتتم من عبد الرزاق أمير مجلس، وقانباي الجاركسي أمير آخور، ودولات باي الدويدار الكبير، ومتربقا الدويدار الثاني - الذي تسلطن في سنة اثنتين وسبعين - وكاتب السر ابن الأشقر، ونظر الخاص يوسف، والوزير ابن الهيصم، وغالب أرباب الدولة من الأمراء والمباشرين، ويقال: إنه أمد الكل بالآكل والمشارب والفاكهة والحلوى، وكان ذلك اليوم آخر سعه، فإنه أخذ في أول صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة كما يأتي في هذا الكتاب».

(٢) في هامش «أ» «حاشية: وطلع من الذين انهار بهم الجسر جماعة، وغرق جماعة لا يحصى عددهم كثرة، مع أنهم حذروا فلم يقبلوا ومن غرق حولي الجسر يوسف النيلي مجراي من كاتبه».

الأربعة^(١)، ثم حضر والي القاهرة بأبي عبد الله التركي المغربي، وكان التركي قد أقام قبل تاريخه بيت قاضي القضاة الشافعي المناوي أياماً، فلما مثل التركي بين يدي السلطان سأل السلطان قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي عن أمر التركي وما وجب عليه، فقال القاضي: يا مولانا السلطان، ثبت عليه عند نائبي نجم الدين ابن النبيه لمولانا السلطان عشرة آلاف دينار، فقام ابن النبيه في الحال وأخبر السلطان بذلك، فنهى السلطان - القاضي الشافعي عند مقالته عشرة آلاف دينار، وقال: ما أسأل إلا عما وجب عليه من التعزير، أيش عشرة آلاف دينار؟ ولم تحسن مقالة القاضي الشافعي ببال أحد من الحاضرين، ثم أجاب ابن النبيه بأن قال: أما المال فقد ثبت عندي، وأما أمر التعزير فهو إلى القاضي شمس الدين ابن خيرة. فقال ابن خيرة: حكمت عليه بتغريبه سنتين، وأما التعزير فلمولانا السلطان على ما وقع منه من الأيمان الخائنة. فلما سمع السلطان كلام ابن خيرة أمر بالتركي فطرح على الأرض وضرب ضرباً مبرحاً يزيد على مائتي عصاة وأقيم، فتكلم فيه ابن (ال) نبيه وأحضر محضراً مكتتباً عليه بدمشق بواقعة وقعت له لما كان قاضياً بها، فأمر به السلطان ثانياً فضرب - أيضاً - نحو ما ضرب أولاً، واختلفت الأقوال في عدد الضرب، فأكثر ما قيل ستمائة عصاة، وأقل ما قيل أربعمائة، ثم أنزل في الترسيم إلى بيت الأمير جانبك والي القاهرة .

قلت: كل ذلك لمعاداة أرباب الدولة له بسبب تكلمه لأبي الخير النحاس وانتمائه إليه قديماً وحديثاً.

وفي هذا الشهر عزل السلطان الإمام محب الدين محمد الطبري، إمام مقام إبراهيم - عليه السلام - بالمسجد الحرام، ثم أعاده بعد أيام.

شهر رمضان

أوله السبت.

[٢١٧] في يوم الاثنين ثالثه، وصل إلى القاهرة من البحيرة الأمير خنسم //

(١) في د أ : د الأربع .

الناصري حاجب الحجاب، والأمير يشبك من سليمان شاه المؤيدي الفقيه أحد
أمراء العشرات ورأس نوبة بمن معها من المماليك السلطانية.

وفي يوم الأربعاء خامسه أخرج أبو عبد الله التركي المغربي المالكي من
حبس الرحبة وفي رقبته الجنزير ماشياً إلى بيت الأمير جانبك والي القاهرة بين
القصرين، ثم ركب من هناك وخرج منفياً في الترسيم إلى بلاد المغرب.

وفي يوم السبت (ثامنه)^(١) سافر القاضي محب الدين محمد ابن الشحنة
قاضي قضاة حلب بعد أن أقام بالقاهرة شهراً لا لأمر يستحق الإقامة بها،
وأخذت منه جمل مستكثرة، وأخرجت عنه وظيفتي نظر جيش حلب وكتابة سرها
حسبما تقدم.

وكان لما قدم إلى القاهرة حدثته نفسه بأن يلي كتابة السر بالديار المصرية في
حياة القاضي كمال الدين ابن البارزي، فلم يصل إلى ذلك، واتفق مرض ابن
البارزي ثم موته، فعند ذلك اجتهد ابن الشحنة - المذكور - في السعي وبذل
الأموال ووعد بأشياء كثيرة، ودامت الوظيفة شاغرة أياماً كثيرة إلى أن طلب
السلطان القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيوش المنصورة، وولاه كتابة
السر عوضاً عن القاضي كمال الدين ابن البارزي، وتولى صاحب جمال الدين
ناظر الخواص نظر الجيش، عوضاً عن القاضي محب الدين - المذكور - مضافاً إلى
ما بيده من نظر الخاص حسبما تقدم ذكره.

وفيه وصل مبارك شاه نائب الكرك، وعزل وانحط قدره، وتحقق السلطان
سوء سيرته، وأخذ أمره من يومئذٍ في إدار إلى أن سافر من القاهرة في التاريخ
المذكور.

وفي يوم الاثنين عاشره - ووافقه ثامن عشرين نوت أحد شهور القبط -
فيه انتهت زيادة النيل إلى اثني^(٢) عشر إصباعاً من عشرين ذراعاً، وهذه غاية
زيادة النيل في هذه السنة، إلا أنه ثبت إلى أواخر بابه.

(١) مضاف من «ب».

(٢) في «أ»: اثني عشرة إصباعاً.

وفي يوم الخميس العشرين منه برز المرسوم الشريف بحضور المقام
الغربي خليل ابن الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق بن أنص من ثغر
الإسكندرية إلى القاهرة ليتوجه إلى الحجاز الشريف، وكتب له بالمر الكريم،
والعلامة والده، وكانت الناس في سفره على قسمين: ما بين مكذب ومصدق،
إلى أن برز (ت) المراسيم الشريفة فتَمَن كل أحد بصديق الخير.

قلت: وهذه الواقعة من الغرائب، فإننا لا نعلم أحداً من أولاد السلاطين
حج في الدولة التركية بعد وفاة والده إلا هذا، على أنه شوكتة قوية جداً،
وغالب الأمراء والمماليك ممالك أبيه الناصر فرج وجده الظاهر برقوق.

[٢١٨] وفي أواخر هذا الشهر رسم // السلطان بإخراج نصف إقطاع الأمير
جانبك النوروزي المعروف بنائب بعلبك للسيفي بربك التاجي الخاصكي،
وكلاهما مقيم بمكة، فأما جانبك النوروزي فباش الممالك السلطانية بمكة، وأما
بربك التاجي فناظر الحرم وشاد العمائر ومحتسب بمكة، ورسم لبربك أن
يكون من جملة أمراء العشرات.

وهذا الإقطاع أصله كان بين الأمير جانبك - هذا - وبين الأمير تغري
برمش الفقيه نائب قلعة الجبل نصفين بالسوية، فلما نفى السلطان تغري برمش
- المذكور - أنعم بما كان يخصه من الإقطاع - المذكور - على شريكه جانبك
النوروزي هذا، وسيره إلى مكة في سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، فاستقل جانبك
بالإقطاع مدة إلى أن بدا للسلطان إخراج نصفه، وهو ما كان بيد تغري برمش
لبربك - هذا - في التاريخ المذكور.

شوال

أوله الأحد.

في يوم الخميس رابعه، استقر الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق
وزيراً بالديار المصرية، مضافاً إلى ما بيده من كشف الأشمونين والبلاد الجيزية،
عوضاً عن الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم بحكم استغفائه عن الوزر،
وأنعم السلطان على تغري بردي - المذكور - بأمره مائة وتقدمة ألف بالديار

المصرية، مما كان بيد المقام الفخري عثمان ولد المقام الشريف ليستعين بذلك على كلف الدولة.

وكانت خلعة تغري يردي - المذكور - بالوزر أطلسين متمراً وعليه فوقاني بطرز ذهب ، وهذه خلعة الأتابكية بالديار المصرية .

وأخلع علي زين الدين فرج بن ماجد بن النحال كاتب الممالك السلطانية بوظيفة نظر الدولة ، مضافاً إلى ما بيده من كتابة الممالك ، وكانت هذه الوظيفة شاغرة منذ ولي صاحب أمين الدين - المذكور .

وفي يوم الاثنين تاسعه عملت الخدمة بالكلفته بالدهيشة من الحوش السلطاني، ورسم السلطان بأن تكون الخدمة دائماً في كل يوم اثنين وخميس بالدهيشة . وهذا - أيضاً - شيء لم نعهده .

وفي يوم الثلاثاء عاشره، استقر السيفي قاني باي طاز البكتمري في نيابة قلعة صفد بعد شغورها أشهراً بعد وفاة يوسف بن يغمور .

وفي هذا اليوم - أيضاً - وصل المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج إلى القاهرة // ونزل عند صهره - زوج أخته خوند شقراء - الأمير جرباش [٢١٩] المحمدي الناصري، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وكان دخوله إلى القاهرة من ساحل شبرا بعد ثلث الليل، واستمر في بيت أخته والناس تتردد إليه ما عدا الأمراء إلى يوم الخميس ثاني عشره، طلع إلى القلعة بعد انقضاء الخدمة، قبل نزول مباشري الدولة، واجتمع بالسلطان الملك الظاهر جقمق بالدهيشة من الحوش السلطاني، ووافي دخول الغرسي خليل إلى الدهيشة خروج السلطان من القاعة إليها، وتلاقيا على إيوان الدهيشة، فلما أن وقع بصر المقام الغرسي خليل على السلطان وقرب منه أراد تقبيل الأرض، فمنعه السلطان من ذلك، تعانقا طويلاً، وقبل كل منهما الآخر، وجلسا من غير مقعد ولا مرتبة، وتحدثا ساعة إلى أن طلب السلطان خلعة المقام الغرسي خليل، وهي كاملية تحمل بغرور سمور بمقلب سمور، وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وتم السلطان واقفاً إلى أن تم لبس المقام الغرسي الكاملية، وعاد وقبل يد السلطان، فقبل

السلطان يده، فأهوى المقام الغرسي إلى رجل السلطان فقبلها غصباً، فنزل السلطان - أيضاً - على رجل المقام الغرسي وقبلها وتباكيا، وقال له^(١) السلطان: أنا مملوكك ومملوك والدك وجدك، ثم استأذن صاحب جمال الدين يوسف - ناظر الجيش والخاص - السلطان في توجه المقام الغرسي إلى زيارة القرافة وتربة جده الملك الظاهر يرقوق، فقال السلطان: يتوجه حيث شاء. ثم التفت إلى المقام الغرسي وقال له: أنا ما أسمع الكلام الفشار، اركب وانزل، وسر حيث أردت من غير حجر. ثم شال صاحب جمال الدين - أيضاً - السلطان في توجه المقام الغرسي خليل إلى المقام الفخري عثمان ولد المقام الشريف، فاستغاث السلطان وقال: لا، بل عثمان يتوجه إليه ويقبل يده، وما يكفي أننا قللنا أدبنا وما نزلنا إلى سيدي حتى هو طلع إلينا، فيتوجه إلى عثمان - أيضاً -؟! هذا لا يمكن أبداً. فآلح المقام الغرسي في ذلك فلم يجبه السلطان إلى ذلك، وانفض المجلس، ونزل من حيث طلع - من باب السر - إلى بيت صهره الأمير جرباش، وفرشت الشق الحرير تحت رجلي فرسه ونثر على رأسه الذهب والفضة.

واستحسنت الناس ما فعله السلطان مع المقام الغرسي وزيادة الإكرام له - انتهى.

وسبب إحضار المقام الغرسي من الإسكندرية أن السلطان لما أمر بحج ولده المقام الفخري عثمان في هذه السنة فعلم خواص عماليكه أنه قوي عليه الضعف وخشوا أن يموت في غيبتهم في الحج، فتخرج الملكة من أيديهم، فقوا على السلطان حتى أبطله من الحج، وقالوا له: «إلى العام القابل»، فلما أن رأى السلطان ذلك وعلم من نفسه الضعف، وعلم أن ولده إذا تسلطن لا يخلوه، فأرسل خلف المقام الغرسي ليعهد إليه بالسلطنة، ويجعل ولده من جملة الأمراء، فاستشار أخصاءه في ذلك، فلم يمكنه من فعل ذلك - أيضاً - ولم يزالوا به حتى خلع نفسه وعهد لولده المقام الفخري عثمان - كما سيأتي - ولعمري كان رأيه هو الصواب.

(١) وقال له: مكرر في، ١٠١.

وفي يوم الجمعة ثالث عشره نزل المقام // الفخري عثمان ولد السلطان [١٢٠] الملك الظاهر جقمق إلى المدرسة الظاهرية برفوق بعد صلاة الجمعة، وحضر بالمدرسة - المذكورة - عقد ولد شيخه الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي، ثم ركب من المدرسة - المذكورة - وتوجه إلى المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج بدار صهره الأمير جرباش المحمدي أحد مقدمي الألف، وسلم عليه، ثم ركب وعاد إلى القلعة.

وفي ليلة الأربعاء ثامن عشره توفي الزيني خشقدم بن عبد الله الشبكي مقدم الماليك - كان في الدولة الأشرفية برسبائي - يأتي ذكره مع من توفي في هذه السنة إن شاء الله تعالى.

وفيه ورد الخبر بمقتل طوغان نائب الكرك على ما سيأتي ذكره أيضاً .

وفي يوم الخميس تاسع عشره، برز أمير حاج المحمل الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير بالمحمل إلى بركة الحاج، وكان الحاج في هذه السنة ركباً واحداً، وهذه حجة دولات باي - المذكور - بالمحمل ثاني مرة، ثم بعد خروج الأمير دولات باي إلى بركة الحاج برز إليه المرسوم الشريف بأن يرسل مملوكه - أعني دواداره السيقي فارس - بجماعة من الحاج أمامه كالركب الأول، ففعل ذلك، وسافر المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج صحة المحمل بعد يومين.

وكان سفر السيقي فارس الدوادار من البركة في ظهر يوم السبت حادي عشرينه، وسافر أستاذه الأمير دولات باي بالمحمل في ليلة الأحد ثاني عشرينه بعد طلوع القمر.

وفي يوم الجمعة عشرينه - ويوافقه سابع هاتور - لبس السلطان القماش الصوف الملون وألبس الأمراء المقدمين على العادة في كل سنة.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه، خلع السلطان على السيقي طقتمر الناصري البارزي رأس، نوبة الجمدارية، ورسم له أن يتوجه إلى القدس الشريف لإحضار الأمير يشبك الصوفي نائب طرابلس - كان - إلى القاهرة ليتجهز منها ثم

يعود إلى دمشق أتابكاً بها، ورسم لطقمتر - المذكور - أن يتوجه إلى دمشق - أيضاً - ويقبض على أتابكها الأمير خير بك المؤيدي، ويحمله إلى الصبيبة ليسجن بها.

وفيه رسم بنقل الأمير يشبك طاز المؤيدي حاجب حجاب طرابلس إلى نيابة الكرك عوضاً عن طوغان المقتول قبل تاريخه، واستقر عوضه في حجویة [٢٢١] طرابلس الأمير مغل باي البجاسي نائب قلعة الروم بحال // وعد به، واستقر في نيابة قلعة الروم ناصر الدين محمد والي الحجر بقلعة حلب.

ذو القعدة

أوله الثلاثاء.

في يوم الأحد سادسه، رسم السلطان بحبس تقي الدين عبد الرحمن بن حجي ابن عز الدين الشافعي قاضي قضاة طرابلس بحبس المقشرة، فتوجهوا به على حمار إلى المقشرة وهو ينادي عليه بشوارع القاهرة: هذا جزاء من يزور المحاضر. ثم أمر السلطان من وقته بحبس ماماي الخاصكي الدوادار السيفي ببيغا المظفري بالبرج من قلعة الجبل.

وكان ماماي - هذا - هو المتوجه إلى طرابلس لكشف خبر ابن عز الدين المذكور - فعاد ماماي من طرابلس وعرف السلطان بحسن سيرة ابن عز الدين المذكور - فلم يلتفت السلطان إلى كلامه، وحمله على الغرض، وفعل به وبابن عز الدين ما ذكرناه.

واستمر ماماي بالبرج إلى يوم الاثنين سابعه، أطلق ورسم بنفيه إلى حماء، فتجهز وتوجه إلى حماء بعد أيام، واستقر في وظيفته - أعني الدوادارية - السيفي فانصوه البجمقدار الظاهري جقمق.

وفي يوم الخميس عاشره، وصل إلى القاهرة الأمير يشبك الصوفي ليتجهز بالقاهرة، ثم يتوجه إلى دمشق على أتابكيتها.

وفيه رسم السلطان بالإفراج عن الأمير جانبك المحمودي من حبس المرقب، وأن يتوجه بطلاً إلى طرابلس.

وفي يوم الاثنين رابع عشره، وصل إلى القاهرة الأمير تنبك البردبكي
الظاهري أحد مقدمي الألف بها وحاجب الحجاب - كان - المتوجه قبل تاريخه
إلى حفظ ثغر رشيد.

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه، خلع السلطان على الأمير يشبك من
جانبك المؤيدي المعروف بالصوفي بامبتقاره أتابك العساكر بدمشق، عوضاً عن
الأمير خيربك بحكم القبض عليه حسبما تقدم ذكره.

وفي هذا الشهر انحطت الأسعار في جميع المأكولات انحطاطاً زائداً بالنسبة
إلى ما كانت عليه فيما مضى من تلك السنين، وذلك لعموم الريّ بالنيل في جميع
بلاد الديار المصرية وتغليق تخضير أراضيها، فأبيع القمح بثلاثمائة وعشرين
درهماً الإردب إلى ما دونها، وأبيع الفول بثلاثمائة درهم الإردب إلى ما دونها،
وأبيع الشعير بمائة وأربعين درهماً الإردب إلى ما دونه، والدقيق العلامة بمائة
وعشرين درهماً البطة إلى ما دونها، والخبز بدرهم ونصف الرطل، واللحم
الضاني باثني عشر درهماً الرطل، واللحم البقري بتسعة دراهم الرطل، والجبن
المقلي بشمانية دراهم الرطل، // والجبن الأبيض بستة دراهم الرطل، والشيرج [٢٢٢]
باثني عشر^(١) درهماً الرطل، وقس على ذلك.

وفي هذه الأيام ثبت سعر الدينار الظاهري الذي زنته درهم وقيراطان
بثلاثمائة وعشرين درهماً، وهذا شيء لم يعهد مثله.

ذو الحجة

أوله الأربعاء.

ففي يوم الخميس ثانيه توجه الأمير يشبك الصوفي - المقدم ذكره - إلى محل
إقامته بدمشق.

وفي يوم السبت حادي عشره قدم القاضي بدر الدين حسن بن المزلق إلى
القاهرة، ولبس كاملية بفرو سمور.

(١) في: ١٠١: «باثني عشرة درهماً».

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره شكى شخص من الحلبيين يسمى أحمد بن العطار على القاضي محب الدين ابن الشحنة قاضي قضاة حلب، وذكر عنه أشياء شنيعة، وأدعى أحمد - المذكور - أنه يثبت في جهة ابن الشحنة - المذكور - مائة ألف دينار تناولها من أوقاف حلب وغير ذلك بالطريق الشرعي، وذكر - أيضاً - أن ابن الشحنة هدم مسجداً وأدخله في داره التي بناها بحلب، فلما سمع السلطان كلام المذكور رسم بهدم دار ابن الشحنة والقبض عليه وجبه بقلعة حلب، وكتب بذلك مرسوماً شريفاً على يد بشير الساعي، ثم ندب السلطان بعد ذلك السيفي الطنبغا الطربائي إلى التوجه إلى حلب بسبب ابن الشحنة والكشف عن أحواله، وسافر بعد أيام.

وفي يوم الخميس سادس عشره، استقر القاضي حسام الدين محمد ابن تقي الدين عبد الرحمن بن بريطع قاضي قضاة حلب، عوضاً عن ابن الشحنة.

وفي يوم الاثنين عشرينه استقر أسنبغا الكبكي نائب بعلبك في نيابة القدس، وأضيف إليه نظر الحرمين بعد وفاة القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الديري.

وفي الثلاثاء حادي عشرينه، تكلم الوزير تغري بردي القلاوي مع السلطان في عزل زين الدين فرج ناظر الدولة عن نظر الدولة، فعزل السلطان فرجاً^(١) - المذكور - عن نظر الدولة وأبقى معه كتابة الممالك على عادته أولاً.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه، وصل إلى القاهرة مبشر الحاج السيفي فارس دوادار الأمير دولات باي الدوادار، وأخبر بالأمن والسلامة.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه، حضر السلطان الملك الظاهر جقمق صلاة الجمعة بجامع القلعة على عادته وبه توعك، وبعد خروجه من الصلاة // غشي عليه، فأرجف في القاهرة بموته، ولهج الناس بذلك، فأصبح من الغد في يوم السبت خامس عشرينه حضر الخدمة في الدهيشة من القلعة، وحضرت الأمراء من غير كلفتاه، وعلم على عدة قصص، ثم أصبح في يوم الأحد سادس عشرينه ركب من القلعة ونزل إلى بيت ابنته زوجة الأمير أزيك من ططخ الظاهري

(١) في د ١: ١: وخرج.

الساقى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، فلم يطل الجلوس عندها وعاد إلى القلعة من وقته. وكان سكن أربك - المذكور - يومئذ في الدار التي هي خلف حمام بشتك بالقرب من جامع الأمير سودون من زاده.

وفي يوم الاثنين سابع عشرينه، عمل السلطان الخدمة بالحوش لقصاد جهان شاه بن قرا يوسف متملك تبريز وغيرها، وكان قدوم القصاد - المذكورين - لإعلام السلطان بأن جهان شاه كسر عساكر يابور بن باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك، واستولى على عدة بلاد من ممالكه، وأن عسكر جغتاي ضعف أمره لوقوع الرباء في خيولهم ومواشيهم.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه ضرب السلطان القاضي جلال الدين عبد الرحمن بن الأمانة - أحد نواب الحكم الشافعية - بيده عشرة عصي، لكونه حكم على بعض العوام أنه لا يطالب إلا بحكم الشرع الشريف.

وفي هذه السنة وقع ببلاد المشرق فتن عظيمة، فمن ذلك الحروب التي وقعت بين أولاد باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك، وهي مستمرة إلى يومنا هذا، ثم ما وقع بين يابور بن باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك وبين جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد متملك تبريز، وأظن الفتنة بينهما كائنة لأن كلا منهما عنده طمع في الإستيلاء على ممالك الآخر، ومن ذلك ما وقع للملك حصن كيفا من ديار بكر، وهو أن الملك الكامل صاحبها قتله الملك الناصر ولده صبراً بين يديه وملك الحصن من بعده، واستوثق له الأمر من شهر ربيع الأول من السنة حسبما تقدم ذكره، ويأتي فيمن^(١) توفي هذه السنة، إلى شهر رمضان من السنة - أيضاً - وثب علي الناصر - المذكور - في ثامنه ابن عمه الملك حسين ابن الملك عثمان ابن الملك الأشرف، دخل الحصن وقتل جماعة كثيرة من أعوان الناصر، ثم طلع إلى قلعة الحصن وقتل الناصر صبراً، فكانت مدة ملكه نحو ستة أشهر، ولم يتهن^(٢) بالملك بعد أبيه.

(١) في «أ» : « فيها ».

(٢) المراد : « يهنا ».

قلت: لا جرم، أن الله عامله من جنس فعله الذي فعله بأبيه الذي هو [٢٢٤] سبب // إيجاده بإذن الله، ولكن كما تدين تدان، وما ربك بظلام للعبيد.

ثم ساق الملك حسن - المذكور - وأقى بالملك الناصر أحمد ابن الملك الكامل أخيه الناصر المقتول - وكان الناصر هذا هو ولي عهد أبيه الكامل، لأنه أكبر أولاده - وملكه الحصن، واستفحل أمره وتم.

قلت: وأمر الناصر هذا من الغرائب، لأنه كان قد خرج في أيام أبيه الكامل إلى بعض القطر لأمر ما، فوثب أخوه الناصر في غيته على أبيه الكامل وقتله وتملك الحصن، فاستمر الملك الناصر أحمد هذا مشتتاً عن بلاده حتى كان ما كان من قتل أخيه ودخوله إلى الحصن سلطاناً، وتم أمره ولقب بالملك الكامل كأبيه.

وكان دخول الناصر إلى الحصن بعد قتل أخيه باثني^(١) عشر يوماً - أعني في عشرين شهر رمضان.

ولما استفحل أمره قتل عدة كبيرة من الذين كانوا ثاروا مع أخيه على أبيه كما ذكرنا بعض هذه الواقعة في حوادث شهر ربيع الأول من هذه السنة.

ووقع - أيضاً - في هذه السنة بين أولاد علي بك بن قرايلك فتن كثيرة، واستولى حسن بن علي بك بن قرايلك على آمد وأخذها من أخيه جهان كير بن علي بك بن قرايلك، وأرسل بمفاتيحها إلى السلطان الملك الظاهر جقمق سلطان الديار المصرية، فشكر له السلطان ذلك، ورد إليه مفاتيح آمد، واستحسن منه هذه الفعلة.

وفي هذه السنة - أيضاً - استولى الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة المشرفة على مدينة حلى من أطراف اليمن عنوة، وأخرج صاحبها عنها، وجعل إقامة ولده بها.

(١) في د أ : «باثني عشرة يوماً».

وفي هذه السنة شرع الرئيس سعد الدين إبراهيم بن الجيعان في عمارة
مدرسته على النيل بساحل بولاق بين الحجازية والبرابجية.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - خمسة أذرع وأربعة وعشرين إصبعاً،
وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة - أيضاً - تسعة عشر ذراعاً واثنًا عشر إصبعاً.

* * *

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الشيخ علاء الدين ، علي ابن قطب الدين أحمد القلقشندي^(١) ، الشافعي ، أحد علماء الشافعية في يوم الاثنين ، مستهل المحرم ، ودفن من الغد في يوم الثلاثاء .

وكان مولده بالقاهرة في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم وعدة متون في مذهبه، وتفقه بعلماء عصره كشيخ ١٢٢٥ الإسلام سراج الدين عمر // البلقيني، وولده قاضي القضاة جلال الدين، والعلامة عز الدين ابن جماعة، والعلامة سراج الدين ابن الملحق، وغيرهم. وأخذ علم الحديث عن الشيخ زين الدين العراقي، والشيخ نور الدين الهيثمي، وسمع الحديث على جماعة كالبرهان الشامي، والعلاء ابن أبي المجد، والجمال الحلوي، وسمع - أيضاً - على العراقي والهيثمي، وبرع في الفقه والأصول والعربية والمعاني والبيان والقراءات، وشارك في عدة علوم، وتصدى للإفتاء والتدريس والإشغال عدة سنين، وانتفع به الطلبة، وتفقه به جماعة من الأعيان، وولى تدريس الشافعي عوضاً عن الشيخ نور الدين التلواني، وطلب لقضاء دمشق فامتنع، ورشح^(٢) لقضاء الديار المصرية غير مرة، وكان سنه حين تصدر للتدريس دون

(١) هو علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي القلقشندي . له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٢ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٤٠٤ - ٤٠٦ ، الفسوة اللامع ج ٥ ص ١٦١ - ١٦٣ تر ٥٥٧ ، ابن أبياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٣ .

(٢) في ١٠١٠ : وريح . وهو خطأ . والتصويب من النجوم الزاهرة للمؤلف ج ١٦ ص ١٢ .

العشرين سنة، وولي تدريس الشافعية بالمدرسة الشيخونية عوضاً عن قاضي القضاة شمس الدين القاياتي، وولي تدريس القراءات بمدرسة السلطان الملك الناصر حسن بالرملة تجاه قلعة الجبل، وتدرس الحديث بجامع ابن طولون عوضاً عن الحافظ شهاب الدين ابن حجر - رحمه الله تعالى - وولي مشيخة المدرسة التي أنشأها تغري بردي المؤذي الدوادار الكبير بخط صلية ابن طولون وتدرّسها - أيضاً، ولما توفي تولّاها من بعده ولده برهان الدين إبراهيم، ولازم الحضور من بعده، وتصدّر للتدريس.

(٢) وتوفي الشيخ الإمام العالم المقرئ المجيد ناصر الدين محمد بن كزلبغا^(١) شيخ القراء بالديار المصرية، الحنفي، إمام المدرسة الأشرفية برسباي^(٢) بالعبرانيين^(٣) في يوم الأحد تاسع عشر صفر.

وأصل والده مملوكاً تركياً^(٤) من ممالك الأمير الطنبغا الجوباني نائب الشام، وكان مولد الشيخ ناصر الدين - المذكور - في أوائل القرن - تقريباً - وكان بارعاً في علم القراءات، جيد الصوت، عديم النظر في القراءات في المحراب، أوحّد أهل زمانه في علم التجويد فصيحاً، مؤدياً لكتاب الله - تعالى - أحسن تأدية، لم يكن في زمانه مثله في تجويد الحروف ومعرفة مخارجها. وكان فيه حدة مزاج وسوء خلق وسطوة على الطلبة على قاعدة بعض أبناء الأتراك، وكان إذا احتد تحصل له غثمة^(٥) زائدة خارجة عن الحد.

(١) ويعرف بابن الجندي، وابن كزلبغا - له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٢ - ١٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤١٥، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ تر ٨٢٠، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) بناها الأشرف برسباي سنة سبع وعشرين وثمانمائة للهجرة - راجع: علي مبارك. الخطط ج ٢ ص ١١٠.

(٣) كانت لبائعي العنبر، وكانت تقع فيما بين الحريريين الشراريين وقيسارية العنبر، تجاه الخراطين.

راجع: المقرئ. الخطط ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٤) كذا بالأصل، وصوابه: «مملوك تركي».

(٥) أي عجمة في النطق.

وكان له حرمة عظيمة على أرباب الوظائف بالمدرسة الأشرفية كالمؤذنين والفراشين بها، رحمه الله تعالى.

(٣) وتوفي عظيم الدولة ورئيسها وعالمها القاضي كما الدين أبو المعالي محمد^(١) [٢٢٦] ابن القاضي / ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن القاضي كمال الدين محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله البارزي ، الجهنى ، الشافعي ، الحموي الأصل والمولد والمنشأ ، المصري الدار والوفاة ، كاتب السربها ، وصهر السلطان الملك الظاهر جقمق .

سألته عن مولده فقال: مولدي بحماه في ذي الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة.

قلت: ونشأ بحماه في حفظ القرآن الكريم وعدة متون، وصلى التراويح بالناس في الديار المصرية لما قدم مع والده في سنة تسع وثمانائة، ثم عاد إلى حماه، وحفظ التميز^(٢) في الفقه، وقراه على الحافظ برهان الدين الحلبي المعروف بالقوف^(٣)، ثم قدم إلى الديار المصرية مع والده - أيضاً - بعد قتل الناصر فرج بن برقوق صحبة الأمير الكبير شيخ الحمودي - أعني المؤيد - في سنة خمس عشرة وثمانائة، وأخذ عن علماء عصره - قد استوعبنا ذكرهم في تاريخنا المنهل الصافي

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٧٧ - ٦٧٨ تر ٢٣٢٢ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٧٣ أ - ١٧٤ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٣ - ١٨ ، السخاوي . التبر المسوك ص ٤١٧ - ٤٢٠ ، الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٣٦ - ٢٤٠ تر ٥٨٣ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢) التميز في فروع الفقه الشافعي ، ألفه شرف الدين ، هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزي الحموي (ت ٧٣٨ هـ) ، وعليه شرح لبهاء الدين ، محمد بن علي الأنصاري (ت ٧٥٣ هـ) . راجع : حاجي خليفة . كشف الظنون ج ١ ص ٤٨٥ .

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن مجاهد بن خليل ، سبط ابن المعجمي ، (ت ٨٤١ هـ) ، له ترجمة في:

ابن فهد المكي . لحظ الألفاظ ص ١٠٨ - ١١٥ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٦ تر ٦٩ ، المنهل الصافي ج ١ ص ١٤٧ - ١٥٣ تر ٧٠ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٥ .

والمستوفي بعد الوافي - حتى برع في الفقه والأصول العربية وعلمي المعاني والبيان، ومهر في المنظوم والمنثور، لاسيما في الأدب والإنشاء والترسل، وباشر نيابة كتابة السر عن والده في عنفوان شببته في الدولة المؤيدية شيخ، ثم وليها استقلالاً بعد وفاة والده في يوم السبت خامس عشرين شوال سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة إلى أن صرف بصهره علم الدين داود بن الكويز، وتولى نظر الجيش عوضاً عن علم الدين - المذكور - واستمر في وظيفة نظر الجيش إلى أن صرف بالزيني عبد الباسط بن خليل الدمشقي في يوم الاثنين سابع ذي القعدة سنة أربع وعشرين وثمانمائة، فلزم - المذكور - داره على أجل وجه إلى أن طلبه الملك الأشرف برسباني وولاه كتابة سر دمشق بعد موت بدر الدين حسن، في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، ثم أضيف إليه قضاء القضاة بدمشق في يوم الأربعاء مستهل شعبان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة، فباشر القضاء وكتابة السر إلى أن طلبه الملك الأشرف إلى الديار المصرية وولاه كتابة سر مصر، بعد عزل صاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ في يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، فباشر الوظيفة إلى أن صرف بالشيخ محب الدين محمد بن الأشقر، في يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع وثلاثين، فلزم داره إلى أن أعيد إلى قضاء دمشق عوضاً عن سراج الدين عمر بن موسى // [٢٢٧] الحمصي - مسئولاً - في ذلك - في يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة أربعين وثمانمائة، وتوجه إلى دمشق وباشر قضاءها وخطابة الجامع الأموي .

ولما كان بدمشق كتب إليه الشرفي يحيى بن العطار يقول :

يا سيداً جد بالنوى لي وطال ما جاد بالنوال
من منذ سافرت زاد نقصي يا طول شوقي إلى الكمال
(مخلع البسيط)

فأجابه القاضي كمال الدين وأنشدنيها من لفظه رحمه الله :

خيالك في عيني يؤنس وحسدي على أن داء الشوق في مهجتي أعيا
فإن مات من فرط اشتياقي تصبري أعلله بالوصل من سيدي بحبي
(الطويل)

واستمر في قضاء دمشق إلى أن طلبه صهره الملك الظاهر جقمق لما كان

مدبر مملكة الملك العزيز يوسف، فقدم القاهرة بعد سلطنة الملك الظاهر جقمق، واستقر في كتابة السر عوضاً عن صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وهذه آخر ولاياته، فإنه استمر في الوظيفة إلى أن توفي في التاريخ المقدم ذكره، وكثر أسف الناس عليه لكثرة محاسنه وعظيم كرمه.

ولقد كان من محاسن الدنيا علماً وفضلاً وكرماً وسؤدداً وسياسة وتواضعاً وحلماً. وهو أحد من أدركناه من الأفراد في معناه، يضيق هذا المختصر عن إيراد ما ذكرناه في ترجمته في تاريخنا المسمى بالمنهل الصافي، رحمه الله تعالى. ولله در القائل:

حلف الزمان ليأتين بمثله حثت يمينك يا زمان فكفر
(الكامل)

(٤) وتوفي الشيخ زين الدين، طاهر بن محمد بن علي النويري^(١)، المالكي، أحد فقهاء المالكية، وأحد مشايخ القراء في يوم الاثنين خامس شهر ربيع الأول، وسنه نيف على ستين سنة تقريباً.

كان إماماً فقيهاً عالماً بارعاً محققاً ديناً خيراً صالحاً متواضعاً، مليح الشكل، حسن الهيئة، رضي الخلق، ساكناً، عديم النظر، قل أن يتصف أحد في عصره بمحاسنه، رحمه الله - تعالى - وعفا عنه.

(٥) وتوفي الملك الكامل خليل ابن الملك الأشرف أحمد ابن الملك العادل سليمان^(٢)، صاحب حصن كيفا^(٣) قتيلاً بيد ولده في شهر ربيع الأول.

(١) هو زين الدين، أبو الحسن، طاهر بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن مكين، له ترجمة في:

ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٠ - ٤٠١، الضوء اللامع ج ٤ ص ٥ - ٦، السيوطي. نظم العقيان ص ١٢٠ تر ٩٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٩٩ - ٤٠٠، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٩١ - ١٩٢ تر ٧٣٤، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٥.

(٣) حصن كيفا: بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة، بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر.

وسبب ذلك أن ولده المدعو بالملك الناصر دخل عليه ليلاً ومعه جماعة وقتله صبراً وملك بعده، وتم أمره إلى شهر رمضان من // السنة، وثب الملك [٢٢٨] حسن ابن عمه وقتله، وسلطن أخاه أحمد، ولقبه بالملك الكامل على لقب أبيه.

وكان الملك الكامل هذا قد تسلطن بعد قتل أبيه الملك الأشرف أحمد في سنة ست وثلاثين وثمانمائة، وكان له شعر ونظم كثير ذكرنا منه نبذة جيدة في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. وكان نظمه بحسب الحال، رحمه الله تعالى.

(٦) وتوفي شهاب الدين أحمد بن يعقوب^(١)، نقيب القاضي الشافعي في يوم الأحد حادي عشر شهر ربيع الأول، وكان مشكور السيرة، محباً للناس، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٧) وتوفي السيفي قانصوه الأشرفي^(٢) برساي المصارع في يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول، وهو في أوائل الكهولية.

وهو أحد من أدركناه من الأفراد في القوة وفن الصراع، مع الشجاعة والإقدام، وحسن الشكالة، وتمام الخلقة، رحمه الله - تعالى - وعفا عنه.

(٨) وتوفي بدر الدين، محمد ابن فتح الدين صدقة المحرقى^(٣) في يوم لأربعاء رابع عشر شهر ربيع الأول.

= راجع : ياقوت . معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٥ ، البغدادى . مراصد الإطلاع ج ١ ص ٤٠٧ .

(١) هو شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن يعقوب بن أحمد بن عبد المنعم بن أحمد، المعروف بابن يعقوب.

له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٩٦ - ٣٩٧ ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٤٥ تر ٦٨٢ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨ - ١٩ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٤٠٩ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٩٨ تر ٦٧٨ .

(٣) هو محمد بن محمد بن أبي بكر بن أيوب المحرقى، له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٤١٦ ، الضوء اللامع ج ٩ ص ٥٦ تر ١٥٧ .

كان من بياض الناس^(١) ، ونسبته إلى المحرقة - قرية بالجيزة من أعمال القاهرة - رحمه الله .

(٩) وتوفي أبو بكر المصارع المعروف بابن الإمام^(٢) - أحد أولاد الناس الذين أنشأهم الملك الظاهر جقمق - في يوم الأحد ثامن عشر شهر ربيع الأول .

وكان والده إمام الأمير جاركس القاسمي المصارع، ونشأ أبو بكر هذا على هيئة الأجناد، وكان يقرأ في المحافل بالحق بغير أجر، وكان عالماً بفن الصراع، وله فيه اليد الطولى، وكان من جملة الممالك السلطانية أرباب الجوامك إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق تحرك له بعض سعد وتولى خدمة الإمام الليث بن سعد والإمام الشافعي - رضي الله عنهما - وعدة زوايا بالقرافتين الكبرى والصغرى، فباشروا قافهم بعسف، وأثرى من ذلك - وحسابه على الله - وتولى ذلك من بعده يوسف شاه العلمي معلم السلطان وكبير الممارية، وباشر ذلك بعد أبي بكر - المذكور - رحمه الله تعالى.

(١٠) وتوفي الشيخ المعتقد المعروف بالشيخ ولي الدين الرومي^(٣) الحنفي ، نزيل الجامع الأزهر في يوم السبت مستهل شهر ربيع الآخر ، وهو في أوائل الكهولة .

وكان على قدم جيد من العبادة والانقطاع بالجامع المذكور، وكان يكتب الخط المنسوب، وفيه محاسن، رحمه الله .

[٢٢٩] (١١) وتوفي الرئيس سعد الدين أبو / / غالب القبطي الحنفي المعروف بابن عويد السراج^(٤) في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر ، ودفن من الغد .

(١) المقصود بذلك : أعيان الناس .

(٢) ويعرف - كذلك - بابن الشاطر . له ترجمة في : السخاوي . الثبر المسبوك ص ٣٩٧ - ٣٩٨ ، الضوء اللامع ج ١١ ص ١٠٠ - ١٠١ تر ٢٩١ .

(٣) له ترجمة في : السخاوي . الثبر المسبوك ص ٤٢١ ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢١٠ تر ٩١٣ .

(٤) سماء و السخاوي : إبراهيم ، له ترجمة في :

السخاوي . الثبر المسبوك ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ، الضوء اللامع ج ١١ ص ١١٠ تر ٣٧٥ .

وكان لديه فضيلة، وله مشاركة جيدة ومحاضرة حسنة، وكان يحب طلبه العلم، ويجتنب القبط والنصارى، وكان جماعة للكتب، وبالجملة فإنه كان خير أبناء جنسه، رحمه الله.

(١٢) وتوفي الأمير سيف الدين الطنبغا بن عبد الله الظاهري برقوق المعلم المعروف باللفاف^(١)، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية بطلاً، في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الآخر، ودفن من يومه.

أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، وطالت أيامه في الجندية والحمول، ثم صار من جملة معلمي الرمح في الدولة الأشرفية برسباي، واستمر على ذلك إلى أن كانت الوقعة بين الملك الظاهر جقمق وبين الأتابك قرقماس الشعباني، أصابت الطنبغا - المذكور - جراحات، وتقنطر عن فرسه، فعرف له الملك الظاهر جقمق ذلك وقربه، وأنعم عليه بإقطاع السيقي قلمطاي^(٢) الإسحافي الأشرفي الخاصكي، ثم بعد مدة يسيرة أنعم عليه بإمرة عشرة زيادة على ما بيده، عوضاً عن الأمير سودون المغربي الظاهري برقوق بعد نفيه، ثم بعد مدة يسيرة أنعم عليه بإمرة طبلخاناه زيادة على ما بيده، عوضاً عن الأمير أقطوه الموساوي الظاهري برقوق بعد نفيه - أيضاً - ثم ولاء نيابة الإسكندرية، فأقام بالإسكندرية مدة وعزل وقدم القاهرة على إقطاعه إلى أن أنعم عليه بإقطاع الأمير سودون السودوني الظاهري برقوق بعد نفيه - أيضاً - زيادة على ما بيده، وجعله من جملة الأمراء الألوف، وأمره بالجلوس، ثم أنعم عليه بعد سنين في سنة ثلاث وخسين وثمانمائة بإمرة مائة وتقدمة ألف، بعد موت الأمير غمرباي رأس نوبة النوب، فاستمر على ذلك إلى أن ضعف وحصل له بوادر الاختلاط، استعفى ولزم داره مدة يسيرة، وتوفي كما تقدم ذكره.

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي: الدليل الشافي ج ١ ص ١٥٢ تر ٥٤٢، المنهل الصافي ج ٣ ص ٨٠-٨٢ تر ٥٤٤، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨-١٩، السخاوي: التبر المسبوك ص ٣٩٧، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٠ تر ١٠٣٢، ابن أبيس: بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٥.

(٢) كان رأس نوبة في دولة الأشرف إينال، له ترجمة في: ابن تغري بردي: الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٤٩ تر ١٨٨٥، المنهل الصافي مع ج ٣ ص ١٣٦-١٣٧، السخاوي: الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٤ تر ٧٥٢.

وكان رجلاً ديناً خيراً عاقلاً عفيفاً عن المنكرات والفروج، رأساً في لعب
الرمح، تركي الجنس، وعنده سلامة باطن، وقلة معرفة في كل شيء، حتى إنه
كان يضعف رايه عن مباشرة إقطاعه، رحمه الله.

(١٣) وهلك بطرق النصاري أبو الفرج يعقوبي النصراني^(١) في ليلة
الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر، ودفن من الغد في سقر وبش المصير.

[٢٣٠] (١٤) وتوفي / / الأمير برسبای^(٢) المؤيدي الساقی، أحد أمراء
العشرات في يوم الجمعة سابع عشرين جمادي الأولى، وأنعم بإقطاعه على
السيفي جانم الساقی الظاهري جقمق.

وأصل برسبای - هذا - من عماليك الملك المؤيد شيخ، وصار خاصكياً في
الدولة الأشرفية برسبای، ثم صار ساقياً في الدولة الظاهرية جقمق، ثم أنعم
عليه الملك الظاهر جقمق بإمرة عشرة، بعد موت الأمير إينال الكمالي
الناصري، فاستمر من جملة أمراء العشرات إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان عاقلاً ساكناً ديناً نادرة في أبناء جنسه، رحمه الله تعالى.
(١٥) وتوفي الجمالي يوسف بن يغمور^(٣) نائب قلعة صفد في أوائل
شعبان.

ومولده بالقاهرة في حدود التسعين وسبعمائة تخميناً، ونشأ بها، وقاسى
خطوب الدهر ألواناً في الدولة الناصرية، وتشتت في البلاد الشامية سنين إلى أن
جعله الملك الظاهر ططر خاصكياً، ودام في ذلك سنين طويلة، ثم صار في آخر
الدولة الأشرفية مقدم البريدية إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة قلعة

(١) له ترجمة في: السخاوي. التبر المبروك ص ٤٠٩، الضوء اللامع ج ١١ ص ١٢٧ - ١٢٨
تر ٤٠٩.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٦ تر ٦٥٢، المنهل الصافي ج ٣
ص ٢٧٩ تر ٦٥٣، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٩، السخاوي. التبر المبروك ص ٣٩٨،
الضوء اللامع ج ٣ ص ١٠ تر ٤٣.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٩ - ٢٠، السخاوي. التبر
المبروك ص ٤٢١ - ٤٢٢، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٣٨ تر ١٢٧٨.

صفد، فدام بها سنين، ثم نقل إلى أتابكية صفد، وتولى عوضه الأمير يسق الشبكي إلى أن قدم الجمالي يوسف - المذكور - إلى القاهرة ، وأعيد إلى نيابة قلعة صفد ثانياً، وعزل يسق الشبكي، فدام على ذلك إلى أن مات بها، رحمه الله تعالى.

(١٦) وتوفي السيد الشريف شرف الدين محمد الحسني المعروف بصهر نور الدين السفطي^(١) في يوم الأحد ثامن عشر شعبان .

وكان أولاً تاجراً في بعض الحوانيت، ثم عانى الخدم الديوانية بعد موت صهره نور الدين ، فولى عوضه عدة وظائف ، رحمه الله تعالى .

(١٧) وتوفي الملك الناصر^(٢) صاحب الحصن قتيلاً في ثامن شهر رمضان ، تقدم ذكر قتله في ترجمة والده في هذه السنة ، وتولى عوضه أخوه أحمد .

(١٨) وتوفي الشيخ الإمام العلامة زين الدين عمر ابن الأمير سيف الدين قديد القلمطاوي^(٣) بمكة المشرفة في ثامن عشر شهر رمضان وسنة ثمان وستون سنة .

وكان إمام عصره في العربية والتصريف، وله مشاركة في عدة علوم، وكان متقشفاً لا يتجمل في ملبسه ولا مركبه، وكان زيه على هيئة أولاد الأجناد - الحلقة - مع دين وعقل وسكون ، رحمه الله تعالى .

(١٩) وتوفي الأمير الطواشي زين الدين خشقدم الرومي الشبكي^(٤) مقدم

(١) لم أمتد إلى مصدر لترجمته .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ١ ص ٥٠٣ نر ١٧٥٠ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣٢٦ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٠ ، السخاوي . التبر المبروك ص ٤٠٨ ، الضوء اللامع ج ٦ ص ١١٣ - ١١٤ نر ٣٥٨ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٨٥ نر ٩٨٠ ، المنهل الصافي مج =

[٢٣١] المماليك - كان - في ليلة الأربعاء ثامن عشر شوال وسنه نيف على / / سبعين سنة .

وخشقدم - هذا - أصله من خدام الوالد - رحمه الله - اشتراه في نيابته لحلب قبل الثمانمائة، وقدمه إلى الملك الظاهر برقوق في جملة مماليك وخدام، فأنعم به الظاهر (برقوق) على الأمير فارس الحاجب، ثم ملكه الأمير يشبك الشعباني الأتابك بعد قتل الأمير فارس الحاجب في سنة اثنتين وثمانمائة وأعتقه، ودام بخدمته إلى أن قتل يشبك عاد إلى خدمة والدي - رحمه الله - ثانياً، ودام عنده إلى أن توفي والدي - رحمه الله - صار من جملة الجمدارية عند الملك المؤيد شيخ، واستمر على ذلك إلى أن ولي نيابة مقدمة المماليك السلطانية بعد موت الملك المؤيد، ودام على ذلك سنين إلى أن نقله الملك الأشرف برسبائي إلى مقدمة المماليك السلطانية بعد موت افتخار الدين ياقوت الأرغون شاري في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، واستمر على وظيفته إلى أن قبض عليه الملك الظاهر جقمق وجبسه بشجر الإسكندرية، لمالآته إلى الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسبائي، فدام في حبس الإسكندرية مدة ثم أطلق، ورسم له بالتوجه إلى المدينة النبوية، فتوجه إلى المدينة الشريفة، ودام بها مدة طويلة، ثم قدم القاهرة بطلاً، واستمر بها إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان حشماً، طوالاً، جسيماً، جميلاً، إلا أنه كان متعاطفاً شحيحاً عارياً من كل فضيلة، ضئيلاً برأي نفسه، ولله در أبي العلاء المعري حيث يقول:

فوا عجباً كم يظهر الفضل ناقص ووا أسفاً كم يدعى النقص فاضل
وكيف تنام الطير في وكساتها إذا نصبت للفرقدين الحبائل
(الطويل)

(٢٠) وتوفي الأمير طوغان^(١) نائب الكرك قتيلاً بنواحي الكرك في أواخر سنة ست وخمسين .

= ٢ في ٣٨ - ٣٩ أ. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٠ - ٢١. السحاي. التبر المسبوك ص ٣٩٩.
الفضوء اللامع ج ٣ ص ١٧٤ تر ٦٧٧، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٩٧.
(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النذيل الشافي ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ - تر ١٢٨٢، المنهل =

وطوغان - هذا - أصله من مماليك الأمير نوروز الحافظي ، وقيل من مماليك الأمير آقبردي المنقار المؤيدي ، ثم صار من جملة المماليك السلطانية سنين طويلة إلى أن جعله الملك الظاهر جقمق خاصكياً ، ثم ولاه نيابة دمياط ، ثم نقله إلى البلاد الشامية على إمرة ، ثم صار بعد مدة طويلة أمير // طبلخاناه بدمشق [٢٣٢] ودوا دار السلطان بها ، وحج أمير حاج (المحمل) الشامي غير مرة ، ثم نقل إلى نيابة الكرك في سنة ست وخمسين - المذكورة - عوضاً عن الأمير إينال الشبكي المعروف بحاج إينال بحكم انتقال إينال إلى نيابة حماه ، فتوجه إلى الكرك ، وبعد أيام يسيرة ركب بمماليكه وكبس بعض الأعراب الطائفة وقتلهم وظفر منهم بجماعة ، فأسرف في قتلهم ، ثم نزل بمكان هناك فعادوا عليه العرب من وقتهم فقاتلهم ثانياً ، فكسروه وقتلوه أشر قتلة .

وكان مهملاً وضيعاً أهوج ظالماً ، سيء الخلق ، إلا أنه كان مشهوراً بالشجاعة مع طيش وخفة ، رحمه الله تعالى .

(٢١) وتوفي القاضي أمين الدين عبد الرحمن^(١) ابن قاضي القضاة شمس الدين محمد ، وأخو شيخ الإسلام سعد الدين الديري الحنفي بالقدس الشريف في يوم السبت رابع ذي الحجة ، وهو على ولاية نظر القدس والخليل .

سأله عن مولده فقال: بالقدس الشريف في شعبان سنة سبع عشرة وثمانائة . وأمه أم ولد ، وكانت لديه فضيلة ، وله نظر جيد ، ويكتب الخط المنسوب ، وعنده تكارم مع طيش وخفة وإظهار النعمة على ديون كان يتحملها ، رحمه الله تعالى .

= الصافي مج ٢ ق ١٦٩ ب ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٤٠١ ، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٢ تر ٤٣ ، ابن أبياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٧ .
(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبي بكر ، له ترجمة في :
ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٤٠٦ - ٤٠٧ تر ١٤٠٠ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢١١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٤٠٢ ، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٣٤ - ١٣٥ تر ٣٥٣ ، ابن أبياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٢٢) وتوفي بدمشق في هذه السنة - أيضاً - القاضي جمال الدين يوسف بن الصفي الكركي الأصل^(١) .

ومولده بالكرك في حدود السبعين وسبعمائة - تقريباً - وقدم القاهرة فقيراً مملقاً قبل سنة ثمانين وسبعمائة ، ثم عاد إلى بلده ، ثم قدمها ثانياً في سنة اثنتين وتسعين في خدمة قاضي القضاة عماد الدين الكركي واستوطنها ، ثم اتصل بخدمة التاجر برهان الدين إبراهيم المحلي فحسنت حاله عنده ، ثم خدم بالطالع والنازل إلى أن ولي الوظائف الجليلة بالبلاد الشامية ، ثم قدم القاهرة فولى بها كتابة السر بعد موت القاضي علم الدين داود بن الكويز في سنة ست وعشرين وثمانائة ، فلم تطل مدته وعزل ولزم داره إلى أن ولي نظير جيش دمشق ، بعد موت بدر الدين حسين في سنة إحدى وثلاثين ، ثم أضيف إليه في بعض الأحيان كتابة سر دمشق ، ثم استعفى عن ذلك كله لكبر سنه ، ولزم داره بدمشق إلى أن مات في هذه // السنة ، وخلف ملاً جزيلاً ، وورثه ابنه موسى ناظر جيش طرابلس .

وكان عارياً من الفضيلة ، عارفاً بقلم الديونة على عادة الأقباط ، ومات وسنه نحو التسعين سنة ، عفا الله عنا وعنه .

* * *

(١) له ترجمة في : ابن نغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٨٠٢ تر ٢٦٩٨ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٣١٥ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٤٢١ ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣١٨ - ٣١٩ تر ١١٩٦ .

سنة سبع وخمسين وثمانمائة

أهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلاني الظاهري برقوق وهو متوعك، والخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، وقضاة القضاة: الشافعي قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي، والحنفي شيخ الإسلام سعد الدين ابن الديري، والمالكي قاضي القضاة ولي الدين السباطي، والحنبلي قاضي القضاة بدر الدين ابن عبد المنعم البغدادي.

والأمراء: أتابك العساكر إينال العلاني الناصري، والمقام الفخري عثمان ابن السلطان، وأمير سلاح جرباش الكريمي الظاهري، وأمير مجلس تنم من عبد الرزاق المؤيدي، والأمير آخور [الكبير] قاني باي الجاركي، ورأس نوبة النوب أسنبغا الطياري الناصري، والدوادار الكبير دولات باي المحمودي المؤيدي، وحاجب الحجاب خشقدم المؤيدي، وباقي مقدمي الألوف: تنبك البرديكي حاجب الحجاب - كان - وطوخ من تمرار الناصري، وجرباش المحمدي الناصري، وشاد الشراب خاناه يونس الأقبائي أمير طبلخاناه، والخازندار قراجا الظاهري بإمرة طبلخاناه، والزردكاش لاجين الظاهري أمير عشرة، ونائب القلعة يونس العلاني الناصري، والأمير آخور الثاني يَرْشْبَاي الإينالي المؤيدي، ورأس نوبة ثاني جانبك القرماني، والدوادار الثاني تمرغنا^(١) الظاهري على إمرة عشرة، والحاجب الثاني نوكار على إمرة عشرة ضعيفة،

(١) في هامش دا: وحاشية: صوابه تغري بَرْدِي الفلاوي.

والزمام والخازندار فيروز النوروزي، ومقدم الممالك مرجان العادلي المحمودي،
ووالي القاهرة جانبك الشبكي أمير عشرة.

ومباشروا الدولة: كاتب السر محب الدين ابن الأشقر، وناظر الجيش
والخاص صاحب جمال الدين يوسف بن كاتب حكم، والوزير إصاحب أمين
الدين إبراهيم بن الهيصم، والأستاذار زين الدين يحيى - قريب ابن أبي الفرج -
ونائب كاتب السر معين الدين ابن العجمي، وناظر الدولة فرج بن النحال^(١)،
وهو - أيضاً - كاتب الممالك السلطانية، ومحتسب القاهرة الشيخ علي العجمي
[٢٣٤] الخراساني، وناظر الأسطبلات السلطانية // برهان الدين إبراهيم بن الديري.

نواب البلاد الشامية وغيرها: نائب الشام الأمير جليان، ونائب حلب الأمير
قاني باي الحمزاوي، ونائب طرابلس يشبك النوروزي، ونائب حماه حاج إينال
الشبكي، ونائب صفد بيغوث المؤيدي الأعرج، ونائب غزة جانبك التاجي
المؤيدي، ونائب الكرك يشبك المؤيدي المعروف بطاز، ونائب ملطية جانبك
الحكمي، ونائب الإسكندرية برسباي البجاسي، ونائب دمياط بيغوث
المؤيدي، وباقي نواب القلاع يطول الشرح في ذكرهم، ومن ذكرناه هو
المصطلح.

المحرم

أوله الجمعة.

في يوم الخميس سابعه أرفج بموت السلطان الملك الظاهر جقمق.
وفيه ورد الخبر بموت الشهابي أحمد بن أبي الفرج متولي قطيا.

وفي يوم السبت تاسعه خرج السلطان الملك الظاهر جقمق من قاعة
الدهيشة إلى الدهيشة ماشياً وجلس من غير أن يستند إلى أحد، وعلم على عدة
مناشير وقصص، ثم عاد إلى القاعة. وكان ذلك آخر خروجه إلى الدهيشة،
واستمر متمرساً بقاعة الدهيشة وهو يعلم في بعض الأحيان وينفذ في بعض
الأمور، ودام على ذلك إلى ما سيأتي ذكره.

(١) في هامش واه: «حاشية: فرج بن النحال عزل عن نظر الدولة في ذي الحجة».

وفي هذه الأيام لهج بعض الناس بأن الملك الظاهر رسم بتوجه المقام
الغربي خليل ابن الملك الناصر فرج من عقبة إيلاء إلى القدس الشريف، ولم
يكن لذلك حقيقة.

وفي يوم الأربعاء عشرينه وصل إلى القاهرة الأمير جانبك النوروزي مقدم
الماليك السلطانية بمكة المشرفة بن معه من الماليك السلطانية، ودخل إلى
الملك الظاهر جقمق إلى القاعة المذكورة، ثم خرج من عنده وقبل يد المقام
الفخري عثمان ابن الملك الظاهر.

وفي اليوم - المذكور - تكلم السلطان الملك الظاهر مع بعض خواصه في
خلع نفسه من المملكة وسلطنة ولده المقام الفخري عثمان في حياته، فراجع في
ذلك فلم يقبل، ورسم بجمع الخليفة والقضاة من الغد في يوم الخميس حادي
عشرينه إلى الدهيشة وقت أذان الفجر، وبعده، وخلع الملك الظاهر جقمق
نفسه وتسلطن ولده المقام الفخري عثمان.

* * *

[٢٣٥] سلطنة السلطان الملك المنصور // فخر الدين، أبي السعادات عثمان

أقيم في السلطنة بعد خلع أبيه الملك الظاهر جقمق في الثانية من يوم الخميس الحادي والعشرين من المحرم، فكانت البيعة بعد طلوع الشمس بخمسة وعشرين درجة، وركوبه من القصر إلى الدهيشة بأبهة السلطنة على نحو الثلاثين درجة، وكان الطالع عند بيعته برج الحوت على سبعة وعشرين درجة منه، والغارب برج السنبلة، والمتوسط برج القوس، والساعة ساعة المريخ، والقمر بالوجه الثالث من العقرب. وتوجه الأمراء، والخليفة القائم بأمر الله حمزة، والقضاة الأربعة^(١) بين يديه مشاة ما عدا الخليفة، وجلس على تخت^(٢) الملك، وقبل الأمراء الأرض بين يديه، وحمل الأمير الكبير إينال العلاني الناصري القبة والطير على رأسه إلى أن جلس بالقصر - المذكور - وخلع على الخليفة، وعلى الأمير الكبير كل منهما أطلسين مئمر^(٣)، وقيد لكل واحد منها فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وأنعم على الخليفة بألف دينار وإقطاع زائد على ما بيده، واستمر الملك

(١) في «أ» : «الأربع».

(٢) التخت : هو المقعد أو السرير الذي يجلس عليه السلطان في الإيوان والمواكب، ويقال له : سرير الملك، ويُتخذ من أبنية كالرخام ونحوه، أو خشب، أو فرش محشوة متراكبة، ويكون مرفوعاً على هيئة منابر الجوامع إلا أنه مستند إلى الحائط، حتى لا يتساوى الجالس عليه مع جلسائه. وقد يبالغ في صنعه على نحو ما فعل الظاهر بيبرس، من الجلوس في صدر الخيمة على تخت مصنوع من أبوس وعاج مصفح بالذهب مسمر بالفضة، غرم عليه ألف دينار.

راجع : القلقشندي - صبح الأعشى ج ١ ص ١٣٢ - ١٣٣، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٦٦٧.

(٣) في «أ» : «مئمر».

المنصور بالقصر إلى أن نزل الخليفة والأمراء إلى منازلهم ، خرج هو - أيضاً - من بعدهم وتوجه من داخل القصر إلى منزله بالحوش السلطاني من القلعة ، وهذا بخلاف العادة ، فإن عادة الملوك يجلسون بالقصر ثلاثة أيام ، فلم يفعل الملك المنصور ذلك ، بل توجه إلى منزله - حسبما ذكرناه .

ولم يدخل الدهيشة^(١) - أيضاً - وإنما فعل ذلك مراعاة لوالده ، فإنه ممرض بقاعة الدهيشة . انتهى .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه وصل الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار أمير حاج المحمل بالمحمل إلى بركة الحجاج ، ووصل - أيضاً - صحبته المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق . وكان الركب الأول قد سبقه إلى بركة الحاج بيوم ، وكان أمير الركب الأول السيفي تمرباي الدوادار الثاني بخدمة دولات باي المذكور .

وفي يوم السبت ثالث عشرينه جلس السلطان الملك المنصور عثمان على الدكة الملاصقة لباب البحرة من الحوش السلطاني ، وأخذ وأعطى ، وحكم بين الرعية ، وخلع على الأمير دولات باي ، وعلى ولديه كل منها كاملية بفرو سمور ، ثم خلع على الأمير عيسى بن عمر الهواري أمير // العربان بالوجه [٢٣٦] القبلي ، وعلى جماعة آخر من مشايخ العربان باستمرارهم على عادتهم .

وفي يوم الأحد رابع عشرينه طلع المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج من تربة جده الملك الظاهر برقوق إلى القلعة ، وسلم على السلطان الملك المنصور عثمان ، فأخلع عليه كاملية صوف بنفسجي بمقلب سمور ، ثم خرج المقام الغرسي من عند الملك المنصور وتوجه إلى الملك الظاهر جقمق ، فدخل

(١) الدهيشة : قاعة كبيرة مرتفعة البناء ، كانت مفروشة بأنواع البسط والمقاعد الزركش ، بناها الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وبلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم ، سوى ما قدم من دمشق وحلب وغيرها من مستلزمات البناء .

راجع : المقرئزي الخطوط ج ٢ ص ٢١٢ ، السلوك ج ٢ ص ٢١٢ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

إليه وسلم عليه كما فعل الأمير دولات باي بالأمس، ثم نزل وقد رسم له أن يسافر إلى ثغر دمياط من يومه .

وكان أولاً مقام الغرسي خليل بالإسكندرية، فاختار هو دمياط، فأنعم له بذلك، وسافر من يومه .

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه أنعم السلطان الملك المنصور بإقطاعه الذي كان بيده في أيام والده الملك الظاهر جقمق على الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس، وأنعم بإقطاع الأمير تنم - المذكور - على الأمير يونس الأقباني شاد الشراب خاناه، وصار الأمير يونس - المذكور - أمير مائة ومقدم ألف، وأنعم بإقطاع يونس - المذكور - وهي إمرة طبلخاناه على الأمير جانبك القرمانى الظاهري برقوق أحد أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة ثان^(١)، وأنعم بإقطاع جانبك - المذكور - على الأمير يشبك الناصري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وأنعم بإقطاع الأمير يشبك - المذكور - على الأمير كزل السودوني المعلم، وكان لكزل - المذكور - مدة سنين بطلاً .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه حضر السلطان الملك المنصور عثمان خدمة القصر على العادة قديماً؛ فإن والده الملك الظاهر جقمق كان قد أبطل خدمة السبت والثلاثاء من القصر - حسبما ذكرناه في السنين الماضية في هذا الكتاب - ثم خرج الملك المنصور من القصر ودخل إلى البحرة من الحوش السلطاني بعدما خلع على الأمير لاجين الزردكاش باستقراره شاد الشراب خاناه عوضاً عن الأمير يونس بحكم انتقاله إلى مقدمة ألف، وخلع على الأمير جانبك الظاهري جقمق رأس نوبة باستقراره زردكاشاً عوضاً عن لاجين - المذكور .

[٢٣٧] ولما جلس الملك المنصور بالبحرة أرسل طلب إلى عنده مباشرة الدولة // وحضر الأمير قاني باي الجاركي أمير آخور، والأمير فيروز النوروزي الزمام والخازندار، وكلمهم في أمر النفقة، وطال جلوسهم عند السلطان إلى قريب

(١) في «أ» : «ثاني» .

الزوال، ثم انفض المجلس على أن صاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص يقوم من ماله بمائة ألف دينار للخزانة الشريفة برسم نفقة الممالك السلطانية، والتزم الزيني بحى الأستاذار بحمل ثلاثين ألف دينار بعد أمور، ووقع الاتفاق على صرف النفقة في أول شهر ربيع الأول، وذلك لعجز بيت المال عن القيام بنفقة الممالك السلطانية، فإن الملك الظاهر جقمق لم يدع في الخزانة شيئاً، ولا الدرهم الفرد، كل ذلك والملك الظاهر جقمق في قيد الحياة غير أنه على خطة^(١).

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه، أخلع السلطان الملك المنصور عثمان على الأمير جانبك الظاهري جقمق بشد بندر جدة، على عادته في السنين الماضية.

وفيه - أيضاً - خلع السلطان على عدة من الخاصكية وندبهم للتوجه إلى البلاد الشامية، وعلى يدهم تقاليد النواب باستمرارهم، وهم: السيفي جانم البهلوان الأشرفي إلى نائب الشام الأمير جلبان، والسيفي طرخ الخاصكي النوروزي إلى نائب حلب الأمير قاني باي الحمزاوي، والسيفي برسباي الأشرفي الأمير آخور - كان - إلى نائب طرابلس الأمير يشبك النوروزي، والسيفي قايتباي الأشرفي إلى نائب حماء الأمير حاج إينال الشبكي، والسيفي دولات بساي إلى نائب صفد الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي، والسيفي سودون يكرك - أعني مجرى باللغة التركية - إلى نائب غزة الأمير جانبك التاجي المؤيدي، وخشقدم السيفي قراجا إلى نائب الكرك والقدس، والسيفي إينال الظاهري جقمق إلى نائب الإسكندرية الأمير برسباي البجاسي، والسيفي تمر الأشرفي الخاصكي إلى نائب قلعة دمشق وقضاتها وأرباب وظائفها.

وفي يوم السبت سلخه^(٢) قبض السلطان الملك المنصور عثمان على الأمير زين الدين يحى - قريب ابن أبي الفرج - الأستاذار ورسم بالحوطة على جميع

(١) في هامش «أ»: «وفيه - أي يوم السبت ثامن عشرين صفر سنة سبع - عزل السلطان قاضي القضاة الشافعية يحى المناوي، وولي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، بمبلغ يقال: إنه ثلاثة آلاف دينار». وقد أشير إلى أنها «حاشية».

(٢) أي في مرض الموت.

موجوده وحواشيه، واستقر الأمير جانبك الظاهري شاد [بندر] جدة في
الاستادارية عوضه، وخلع عليه لوقته.

[٢٣٨] وسبب نكبة زين الدين // الأستاذار - المذكور - عدم القيام بما التزمه
لأجل نفقة الممالك، ولأمر غير ذلك ذكرناه في ترجمته في تاريخنا المسمى بالمنهل
الصافي والمستوفي بعد الوافي، وسر الناس بالقبض على زين الدين - المذكور -
سروراً زائداً؛ لأنه كان في أيام ولايته ظلم وعسف، وطال واستطال، واستولى
على عدة إقطاعات للجند والأمراء، وعلى عدة جهات كالرزق الموقوفة على
المساجد والربط، واخترع مظالم، وأحدث أموراً لم يفعلها أحد من قبله من
الأستادارية، فلذلك كثر ماله وعمر العمائر الهائلة المشهورة به، وبني الجوامع
والربط والسبل من ذلك المال الخبيث، فإنه كان قبل ولايته الأستادارية فقيراً
معلقاً لا يملك إلا ما يتجمل به بين الناس لا غير، فعلم من ذلك أن جميع هذه
العمائر من هذا المال الذي هو من دماء المسلمين، فلله در القائل حيث يقول:
بنى جامعاً لله من غير ماله فكان بحمد الله غير موفق
كمطعمة الأيتام من كد فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدق^(١)
(الطويل)

وفيه أنعم الملك المنصور على الأمير بردبك البجمقدار - أحد أمراء
العشرات ورأس نوبة - بإقطاع من الذخيرة، وأنعم بإقطاع بردبك - المذكور -
على السيفي سودون من سلطان الخاصكي الظاهري جقمق رأس نوبة
الجمدارية، وصار من جملة الأمراء، وأنعم السلطان - أيضاً - على السيفي
جانبك القجماسي الأشرفي المعروف بدوادار سيدي بامرة عشرة - أيضاً - مما كان
في الذخيرة.

وفيه استقر الأمير قاني باي المؤيدي - أحد أمراء العشرات - من جملة
رءوس النوب، وكذلك الأمير جاني بك من أمير الأشرفي استقر من جملة رءوس
النوب.

وفي آخر هذا اليوم تسلم الأمير جانبك الظاهري - زين الدين الأستاذار

(١) في «أ»: «ولا تتصدق».

من القلعة، ونزل به إلى داره على أنه يعاقبه ويقوم بنفقة المالك بما يأخذه منه في مصادره.

وتسلم - أيضاً - صهره تاج الدين ابن المقسي وطواشيه، وأخذهم الجميع إلى داره.

وأصبح الأمير جانبك من الغد أخبر السلطان أن زين الدين الأستاذار أقر أن في حاصله مائة ألف دينار، وأنه وجد منها أربعة وأربعين ألف دينار، وأنه في طلب الباقي.

صفر

أوله الأحد.

في يوم // الاثنين ثانيه أخلع الملك المنصور على الأمير الطواشي فيروز [٢٣٩] النوروزي الزمام والخازندار بعود الذخيرة إليه .

وفيه وجد لزين الدين الأستاذار في قاعته بدرج شمس الدولة من القاهرة سبعة وأربعون ألف دينار، فصار الجملة نيفاً وتسعين ألف دينار.

وفيه أخلع السلطان على الأمير قشتم المحمودي الناصري بناية البحيرة على عادته أولاً.

وفيه أنعم السلطان على السيفي قانصوه المحمدي الأشرفي بإمرة عشرة مائة كان - أيضاً - متوفراً.

وفي يوم الاثنين - هذا - توفي الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلاني الظاهري برقوق بين المغرب والعشاء، فبات تلك الليلة والعزاء^(١) حوله إلى أن جهز من الغد وصلى عليه بمصلاة باب القلة بالقلعة، وحضر ولده السلطان الملك المنصور عثمان الصلاة عليه، وصلى عليه الخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، فكان يوماً مشهوداً لم نر لملك جنازة كجنازته لعدم الغوغاء وكثرة الناس

(١) في داء: العزي.

والخفر الذي حصل على جنازته، بخلاف جنازة الملوك. كل ذلك لكون ولده تسلطن في حياته.

ودفن بترية الأمير قاني باي الجاركسي الأمير^(١) آخور التي جددها وأنشأها عند دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل، ومات وسنه نيف على التسعين سنة، رحمه الله.

وفيه استقر القاضي أبو الفضل ابن كاتب السعدي ناظر ديوان^(٢) المفرد. وفي يوم الأربعاء رابعه نودي بالأمان والنفقة للمماليك السلطانية في آخر الشهر - أعني صفر هذا.

وفيه نقل زين الدين الأستاذار من بيت الأمير جانبك الأستاذار إلى القلعة بطبقة الأمير قراجا الخازندار على أنه يقوم بخمسمائة ألف دينار، ثم استقر الحال في الغد - أي يوم الخميس - على ثلاثمائة ألف دينار، خارجاً عن المبلغ المتقدم الذي أخذ منه قبل تاريخه، وهو النيف على التسعين ألف دينار، فتكون الجملة أربعمائة ألف دينار.

وفي يوم الخميس - هذا - وقف بعض العوام تجاه باب المدرج - أحد أبواب قلعة الجبل - إلى أن ينزل الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيش فرجوه وأفحشوا في أمره، كما فعلوا معه ذلك - أيضاً - في أمسه، فنزل ابن أبي الفرج^[٢٤٠] المذكور - إلى بيت الأمير تمرغا الدوادار الثاني، // ثم شكا إلى السلطان ما وقع به، فنودي بأن لا يقف أحد عند باب المدرج من العوام، ومن وقف وقع به ما هو كيت وكيت من أنواع العذاب.

وفي يوم السبت سابعه خلع السلطان على الشيخ على المحتسب، وعلى الأمير جانبك الشبكي والي القاهرة، وعلى الناصري محمد نقيب الجيش باستمرارهم على وظائفهم.

وفي يوم الاثنين تاسعه خلع السلطان الملك المنصور عثمان علي الأمير قراجا

(١) «الأمير»: مكرر في «أ». .

(٢) «ديوان»: مكرر في «أ». .

العمرى - المتولى قبل تاريخه نيابة بعلبك - باستقراره كاشف الشرقية بالوجه البحرى من أعمال القاهرة عوضاً عن عبد الله الكاشف، وأراح الله المسلمين من عبد الله - المذكور - فإنه كان بشس الرجل سيرة وفعلًا، ظلم وعسف في ولايته، وطالت أيامه، وقاست أهل تلك النواحي منه شدائد، ألا لعنة الله على الظالمين.

وفيه أخلع على يوسف شاه العلمى معلم المعمارى باستمراره على وظيفته.

وفيه عوقب زين الدين يحيى الأستاذار وعصر بالمعاصير، وضرب على سائر أعضائه، وحضر الناصرى محمد بن أبى الفرج نقيب الجيوش المنصورة عصره؛ فإن السلطان كان ألزم نقيب الجيش - المذكور - أن يتولى عقوبة زين الدين، وقال له: ما أعرف الخمسمائة ألف دينار إلا منك، فلهذا صار نقيب الجيش يتولى عقوبته.

ثم عوقب زين الدين من الغد ثانياً، واستمر في المصادرة والعقوبة إلى ما سيأتى ذكره.

وفي يوم الثلاثاء عاشره استقر زين الدين فرج بن النحال كاتب الممالك السلطانية ناظر ديوان المفرد، عوضاً عن أبى الفضل ابن الحكيم المستقر في الوظيفة قبل تاريخه بمدة يسيرة.

وفيه استقر تنم رصاص الخاصكى شاد بندر جدة عوضاً عن الأمير جانبك الأستاذار.

وفي يوم الخميس ثانى عشره قبض السلطان الملك المنصور عثمان على جماعة من الأمراء المؤيدية، وهم: الأمير دولات باي المؤيدي المحمودي الدوادار الكبير، والأمير يرشباي الإينالى المؤيدي الأمير آخور الثانى وأحد أمراء الطبلخاناه، والأمير يلباي الإينالى المؤيدي رأس نوبة وأحد أمراء العشرينات. وكان مسك دولات باي من قاعة الدهيشة، ويرشباي من الإسطل السلطاني، ويلباي من سوق الخيل، // وقيدوا الجميع وداموا بالقلعة، إلى بعد أذان الظهر [٢٤١]

أنزلوا بالقيود على البغال والأجاقية^(١) خلفهم على العادة، والممالك الأشرفية من الخاصكية وغيرهم بالسيوف والرماح والدرق تمشي حولهم إلى أن أوصلوهم إلى بحر النيل، ولم يكن معهم من الأمراء المقدمين سوى الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب، والأمير خشقدم المؤيدي حاجب الحجاب، وسافروا من ساعتهم إلى ثغر الإسكندرية، وحصل للممالك الأشرفية بالقبض على هؤلاء المؤيدية سرور^(٢) زائداً إلى الغاية .

قلت : وهكذا شأن الدنيا، فإني رأيت جماعة المؤيدية تمشي مع الأمراء الأشرفية الذين قبض عليهم الملك الظاهر جقمق في سنة اثنتين وأربعين وثمانئة على هذه الهيئة بعينها، فكما تدين تدان، فلا شك أنهم جوزوا من جنس عملهم .

وكان مسفر الأمير دولات باي الأمير جانبك الظاهري جقمق الزردكاش، وقد استقر نائب الإسكندرية في الباطن عوضاً عن برسباي البجاسي بحكم عزله، ثم حمل إليه التقليد بعد يومين .

وكان مسفر يرشباي الأمير سودون من - اطان الظاهري الذي تأمر عشرة من أمسه في هذه الدولة .

وتوجه - أيضاً - معهم من الممالك السلطانية نحو المائة مملوك .

قلت : وبمسك هؤلاء الأمراء اتضع أمر المؤيدية وارتفع حال الأشرفية .

وفي يوم الاثنين سادس عشره أنعم السلطان على الأمير قرقماس قريب الملك الأشرف بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية عوضاً عن الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار، وأنعم بإمرة قرقماس - المذكور - وهي إمرة طبلخاناه على جانبك النوروزي رأس نوبة وأحد أمراء العشرات، والقادم من مكة المشرفة في موسم هذه السنة .

وفيه استقر الأمير تمرغا الدوادار الثاني في الدوادارية الكبرى عوضاً عن

(١) الأوجاقية : هو الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة - راجع : الفلشندي . صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٤ .

(٢) في الأصل : سروراه .

دولات باي - المذكور - وأنعم عليه زيادة على ما بيده بإقطاع الأمير يرشباي الأمير آخور الثاني المقبوض عليه، والإقطاع إمرة أربعين، وكان بيده إمرة عشرة وزيادة، ثم أنعم عليه بالإقطاع - المذكور - وهو طبلخاناه، فصار جميع ما بيده نحو التقدمة //، لكن استرجع منه إمرة عشرة بعد ذلك يشبك الظاهري، [٢٤٢] ودقت الطبلخاناه على بابه؛ واستقر الأمير أسنباي الجمالي الظاهري أحد أمراء العشرات دواداراً ثانياً عوضاً عن تمرغا الدوادار - المذكور - على إقطاعه، إمرة عشرة من غير زيادة كما كان تمرغا أولاً.

وفيه استقر الأمير سنقر الأمير آخور الثالث أمير آخوراً ثانياً عوضاً عن يرشباي على إقطاعه إمرة عشرة من غير زيادة، واستقر الأمير بردبك الظاهري أحد أمراء العشرات أميراً آخوراً ثالثاً عوضاً عن سنقر المذكور.

وفيه استقر الأمير جانبك الشبكي أحد أمراء العشرات ووالي القاهرة زردكاشاً كبيراً، عوضاً عن الأمير قرا جانبك المتولي نيابة الإسكندرية في أمسه، مضافاً إلى ما بيده من ولاية القاهرة والحجوية وشد الدواوين، وما مع ذلك.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره أنعم السلطان على الأمير سونجبغا اليونسي الناصري ورأس نوبة بإقطاع الأمير يلباي الإينالي بحكم القبض عليه، وأنعم بإقطاع سونجبغا - المذكور - وإقطاع الأمير جانبك النوروزي نائب بعلبك على جماعة من الخاصكية، كل منهم أمير عشرة، وهم: السيفي قانبك (و) السيفي يشبك من أزدمر الدوادار والسيفي قوزي الساقى الظاهري جقمق والسيفي يشبك البجمقدار الظاهري جقمق.

واستقر سنبطاي الظاهري ساقياً عوضاً عن قوزي، واستقر خير بك الأشرفي دواداراً عوضاً عن قانبك.

وفيه عوقب زين الدين الأستاذار أشد عقوبة حتى أشرف على الهلاك وهو لا يتكلم غير كلامه الأول، وهو يقول: لا أملك إلا ما هو مكتوب في أيديكم.

هذا والبيع مستمر في أمتعته وأملكه في كل يوم في الأسواق ، وإلى الآن لم يغلق ما أورده مائتي ألف دينار .

وفي هذه الأيام كثر إلحاح الممالك على السلطان في طلب إقطاعات الفقهاء والمتعممين .

وكان سبب تجربتهم على ذلك إخراج السلطان لإقطاعات زين الدين الأستاذار الموقوفة عليه وعلى جوامعه ومساجده ، وكان ذلك شيئاً كثيراً ، حتى إنه فرق على خلق كثير من الممالك السلطانية .

[٢٤٣] وفيه استعفى الوزير الأمير تغري بردى القلاوي الظاهري // جقمق عن الوزير ، فأعفى على أنه يقوم بالكلف السلطانية في يومه ومن الغد .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره وقف ممالك زين الدين الأستاذار إلى السلطان ، وكانوا زيادة على ثمانين مملوكاً ، وهؤلاء غير الكتابية الصغار ؛ وهذا شيء لم نعهده لتعمم ، فأبقى السلطان منهم نحو الثلاثين مملوكاً في بيت السلطان على جوامكهم ، وقطع من بقي ، وأمر بصرف الجميع .

وفيه عقد مجلس بالقضاة الأربعة بين يدي السلطان بسبب أملاك زين الدين الموقوفة عليه وعلى جوامعه ومساجده وربطه وعلى وجوه البر والصدقة .

وسبب ذلك أمر ، وهو أن زين الدين كان قد وعد السلطان الملك الظاهر جقمق بأن يفضل له بعض جوامك الممالك في كل شهر أكثر من عشرة آلاف دينار أو شيء من هذا المعنى ، ثم سكت الملك الظاهر عنه وجرى ما جرى ، فبلغ الملك المنصور ذلك ، فندب القاضي شرف الدين موسى التائي وكيل بيت المال بأن يدعي على زين الدين - المذكور - بألف ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار على ما قيل ، فأرسل القاضي الشافعي من المجلس جماعة من موقعي الحكم حتى يسمع جوابه ، فقال زين الدين : ما عندي إلا ألف ألف دينار ، فشهد الموقعون عليه بذلك ، وعادوا بالخبر إلى السلطان والقضاة ، فقال القاضي شرف الدين يحى المناوي لشيخ الإسلام قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي : ما تقول يا مولانا شيخ الإسلام في أملاكه وأوقفه؟ فقال : قد

ثبت عندي أوقافه، وحكمت بها من مدة طويلة، لكني أبقيت الخلاف ولم أحكم إلا على مقتضى مذهبي. فقال بعض من حضر: هذا لما وقف كانت ذمته مشغولة بأزيد من مائة ألف دينار، فالوقف غير صحيح. ثم انفض المجلس وقد ألزم قاضي القضاة ولي الدين السناطي المالكي بالحكم في حل أوقافه بهذا المقتضى، وحكم بعد ذلك وأبيعت أوقافه، واستمر في المصادرة إلى ما سيأتي ذكره.

وفي يوم الخميس تاسع عشره خلع السلطان الملك المنصور عثمان على صاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم بإعادته إلى الوزر عوضاً عن الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق، واستقر القلاوي في كشف الوجه // [٢٤٤] القبلي^(١).

وفي يوم السبت حادي عشرينه عمل السلطان الخدمة بالحوش السلطاني بسبب قصاد الحبشة.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه رسم السلطان الملك المنصور للأمير جرباش الكريمي الظاهري برقوق أمير سلاح المعروف بقاشق بأن يلزم داره بحكم كبير سنه وعجزه عن الحركة، وأنعم بإقطاعه على الأمير قراجا الظاهري جقمق الخازندار، وأنعم بإقطاع قراجا ووظيفته على الأمير أزيك من ططخ الظاهري الساقبي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وأنعم بإقطاع أزيك على الأمير بتخاص العثماني الظاهري برقوق.

وفيه - أيضاً - استقر الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس - أمير سلاح عوضاً عن الأمير جرباش الكريمي المقدم ذكره.

وفيه خلع على الأمير تمر بغا الدوادار الكبير خلعة الإنظار على عادة الدوادارية من قبله.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه استقر الأمير تنبك البرديكي الظاهري برقوق أمير مجلس، عوضاً عن الأمير تنم المنتقل إلى إمرة سلاح في أمسه.

(١) في هامش (١)، حاشية: يعني البهناوية.

وفيه عزل السلطان جماعة من البوابين^(١) الخاصكية المؤيدية ، وولى عوضهم جماعة من الخاصكية من حاشيته . وكلما وقع شيء من ذلك انحط قدر المؤيدية في الدولة .

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه وصل إلى القاهرة مملوك الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب وصحبته - أيضاً - مملوك حاجبها ونائب قلعتها، وقبلوا الأرض بين يدي السلطان الملك المنصور عثمان، وأخبر مملوك نائب حلب - المذكور - أن مخدومه الأمير قاني باي نائب حلب قبل الأرض للسلطان وابتهج بسلطته وسر بذلك سروراً زائداً، وأنه مملوكه ومملوك والده الملك الظاهر - رحمه الله - فرحب السلطان به وبرفيقيه، ونزلوا إلى محل إقامتهم .

وفيه ورد الخبر من حلب المحروسة - أيضاً - أنه ثبت على القاضي محب الدين ابن الشحنة مبلغ بمحضر - ستين ألف دينار - مما تناوله في أيام ولايته من ريع الأوقاف التي تحت نظره وغيرها بغير طريق شرعي .

وفي يوم الخميس سادس عشرينه قرىء تقليد السلطان الملك المنصور عثمان بالقصر الكبير السلطاني من قلعة الجبل، فجلس السلطان على كرسي الملك، وجلس الخليفة القائم بأمر الله أبي البقاء حمزة، والقضاة الأربعة^(٢) [٢٤٥] تحت، وقراه // القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر الشريف إلى أن نجز من قراءته خلع السلطان عليه كاملية خضراء بمقلب سمور، ثم خلع على الخليفة فوقاني بطرز زركش، وخلع على القضاة الأربعة^(٣) .

وفيه خلع علي القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن نصر الله بنظر بندر جدة على عادته .

وفي يوم السبت ثامن عشرينه خلع السلطان على شيخ الإسلام علم الدين صالح البلقيني بقضاء الشافعي بالديار المصرية، بعد عزل القاضي شرف

(١) البوابون : واحداهم بابا ، وهو لقب عام لجميع رجال الطست خاناه ، ممن يتعاطى الفصل والصقل وغير ذلك - راجع : الفلقشندي . صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧٠ .

(٢) في ١ : ٤١ : والأربع .

(٣) نفسه .

الدين يجيى المناوي، ونزل إلى داره وبين يديه وجوه الدولة، وقد ازدحم الناس لرؤيته، وكان يوماً مشهوداً .

وفيه أعيد عبد الله الكاشف لولاية الكشف بالشرقية، وعزل الأمير قراجا العمري .

وفيه استقر السيفي يشبك القرمي والي القاهرة، عوضاً عن الأمير جانبك الشبكي بحكم رغبته عنها .

شهر ربيع الأول

أوله الاثنين .

فيه كان ابتداء الوقعة التي خلع فيها الملك المنصور عثمان من السلطنة . وسبب ذلك، أنه لما كان يوم الاثنين - المذكور - أمر السلطان الملك المنصور فيه بالنفقة على الممالك، وبات السلطان ليلة الاثنين بالحريم، وأبطل خدمة القصر، وباتوا الأمراء في دورهم، فلما كان وقت السحر ركب الجميع وأرادوا الطلوع إلى القلعة فأحاط بهم الممالك السلطانية ومنعهم من الطلوع ما خلا الأمير تنم من عبد الرزاق أمير سلاح فإنه بدر بالطلوع وفاتهم، فرجع الأمير الكبير إينال العلائي إلى بيته ومعه أمراء الألف بأجمعهم والقوم حولهم، والمقدمون هم: الأمير تنبك أمير مجلس، والأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب، والأمير خشقدم حاجب الحجاب، والأمير جرباش المحمدي كرد، والأمير يونس المشد، والأمير طوخ من تمراز، والأمير قرقماس الأشرفي، والأمير الكبير إينال المذكور .

ثم بعد ساعة هيئة قبض فرقة من الممالك السلطانية - أيضاً - على الأمير قراجا الخازندار أحد مقدمي الألف - أيضاً - وأتوا به إلى بيت الأمير الكبير، فصار جملة مقدمي الألف تسعة، إلا أن قراجا أمسك وحبس بمكان هو والأمير تغري بردي المعزول عن الوزر والأمير برديك الأمير آخور الثالث .

ثم تكاثر الجمع عند الأمير الكبير من الأمراء الطبلخانات والعشرات

والخاصكية والممالك ولازالوا به حتى وافقهم على الركوب، ولبس آلة الحرب، [٢٤٦] ولبس الجميع آلة القتال وتحالفوا // على خلاف الملك المنصور عثمان وحواشيه وموافقة الأمير الكبير إينال العلاني .

وانتقل الأمير الكبير بمن معه من بيته تجاه الكيش إلى البيت المعد قديماً لسكني من يلي الإمرة الكبرى في العادة تجاه قلعة الجبل، أعني بيت قوصون .

وكان سبب تغير الممالك السلطانية أنه بلغهم أن السلطان يريد (أن) يفرق النفقة على أقوام بالكامل، وعلى أقوام بحكم النصف، وعلى آخرين بحكم الربع، وقيل: إن النفقة كانت مبلغ سبعة وعشرين ألف درهم التي كان أمر بتفريقها، فعلم كمية النصف والربع، فلما بلغ ذلك الممالك السلطانية عظم عليهم ما سمعوا وتوغرت خواطرهم، ثم بلغهم خبر آخر، وهو أنه قيل لهم: إن السلطان كان اتفق مع حواشيه وممالك أبيه الظاهرية أنه يقبض على جماعة كثيرة من الأمراء والخاصكية، فثاروا عليه بهذا المقتضى .

وقبل أن يخرج الأمير الكبير من بيته حلف جميع الأمراء على طاعته، وكانوا جمعاً كبيراً، وأرسل عدة من الممالك السلطانية ليحضروا الخليفة إلى عنده فحضر الخليفة، ثم ساروا إلى البيت - المذكور - تجاه القلعة وشرعوا في القتال، واستعد الملك المنصور - أيضاً - لقتالهم، ونزل إلى المقعد بباب السلسلة، وترامى الفريقان بالنبل والمكاحل، وقتل بينهم خلق كثير من الزعر والمتفرجين وغيرهم، وهذا بعد أن أرسل الأمير الكبير إلى السلطان مع الأمير سونجبغا اليونسي والأمير نوكار الحاجب الثاني وبرديك دواداره يطلب منه أن يرسل إليه جماعة من الأمراء، وهم: الأمير تمربغا الدودار الكبير، والأمير أسنباي الجمالي الدودار الثاني، والأمير لاجين شاد الشراب خاناه، فأبي السلطان تسليمهم، فأعادهم مرة ثانية، فأبي السلطان - أيضاً - وعوق عنده سونجبغا - المذكور - ونوكار، وأرسل برديك دوادار الأمير الكبير وصهره، فعند ذلك وقع القتال واشتد (ت) الحرب .

ولما كان وقت الظهر من اليوم المذكور رسم الأمير الكبير بأن تنقب مدرسة

السلطان حسن ، فنقبوا نقباً من جهة حدة البقر^(١) ودخلوا منه إلى المدرسة المذكورة - وعمرها سلم السطح ، وتوصلوا منه إلى المآذن^(٢) ورموا على القلعة .

واستفحل أمر الأمير الكبير بأخذ المدرسة - المذكورة - واستمر أمره في كل يوم في نمو ، وأمر الملك المنصور ومن معه من عماليك أبيه وغيرهم في إدبار ، ودام القتال إلى ليلة الأربعاء ، نزل إليهم من القلعة الأمير جانبك الظاهري جقمق الأستاذار // والأمير يردبك الظاهري جقمق البجمقدار أحد أمراء العشرات [٢٤٧] ورأس نوبة ، واستمر نزول الخاصكية والممالك في كل يوم من عند الملك المنصور إلى عند الأمير الكبير ، يدخلون تحت طاعته ، فقوى بذلك جيش الأمير الكبير وكثر حزبه حتى تزايد عن الحد ، ولعله صار بقدر من عند الملك المنصور ثلاث مرار .

هذا والخليفة القائم بأمر الله حمزة مقيم عند الأمير الكبير ، وقد أرسل أحضر جميع أقاربه خوفاً من أن يطلع منهم أحد إلى القلعة ، وقد أشيع بين الناس أن الخليفة خلع الملك المنصور من السلطنة .

ولما كان يوم الخميس رابعه نزل من عند السلطان إلى الأمير الكبير الأمير سونجبغا اليونسي رأس نوبة ، والأمير نوكار الحاجب الثاني ، والزيني عبد الرحمن ابن الكويز ، وشهاب الدين الإخميمي الإمام ؛ ومشوا في الصلح ونزلوا معهم بمندبل الأمان إلى الأمير الكبير .

وكان متكلم القوم الإخميمي ، وترددوا مرتين ، وكثر الكلام بين الفريقين ، وطلب الأمير الكبير جماعة من السلطان وطلب السلطان جماعة منه ، وآخر الأمر انفصل المجلس على غير صلح ، وعوق الأمير الكبير عنده سونجبغا ونوكار ، وأرسل الإخميمي وحده ، فعاد القتال في الحال على العادة .

(١) حدة البقر : مكانها الآن شارع المظفر . ابتداء بالسيفية وانتهاء بحديقة مسجد السلطان حسن - راجع : علي مبارك . الخطط ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) في : أ . : الموازن . .

فلما وقع ذلك التفت الخليفة إلى الأمير الكبير وسأله بالسلطنة، فامتنع امتناعاً هيناً، ثم أجاب بعد ذلك، بعد أن سأل الخليفة الأمراء والممالك عن سلطنته فقال الجميع بلسان واحد: نحن راضون بالأمير الكبير.

وصرحوا بذلك غير مرة، وقبل بعض الخاصكية الأرض بين يديه، وقال الخليفة: قد خلعت الملك المنصور، وكرر ذلك غير مرة بحضرة الملأ من الناس.

وأصبح يوم الجمعة خامسة حضر صاحب جمال الدين ناظر الخاص والجيش، ثم حضرت القضاة عند الأمير الكبير بالمقعد، وشاهدوا الرمي بالمدايع والنفوط والنشاب من القلعة على الخليفة والأمير الكبير، حتى إن بعض الرمي بالمكاحل وصل إلى باب السر الذي بالشارع عند حدة البقر، بل وعدى الباب ووصل إلى الدور المجاورة للباب.

ولما حضرت القضاة عند الخليفة والأمير الكبير تكلموا في خلع الملك المنصور عثمان، وأطالوا الكلام إلى أن طلبوا بدر الدين ابن المصري أحد موقعي الدست، وأملاه قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني ألفاظاً كتبها تتضمن خلع الملك المنصور من السلطنة، ذكر فيها نحواً عما حكيناه في هذه الأيام، ثم أمره [٢٤٨] بأن يثب قائماً على رجله ويقرأها بأعلى // صوته، فنهض قائماً وقرأها على العسكر، وخلع الملك المنصور عثمان من السلطنة. وكان ذلك الوقت في أوائل الساعة الثالثة - تقريباً - من يوم الجمعة - المذكور - فكانت مدة سلطنته ثلاثة وأربعين يوماً، وترشح الأمير الكبير للسلطنة، بل صرح له الخليفة والقضاة بذلك لما قرئت الورقة على العسكر، فإن قاضي القضاة علم الدين صالح سأل العسكر عن سلطنته ثلاث مرات، فصاحوا كما صاحوا أولاً، ولقب بالملك الأشرف، لكنه لم يلبس شعار الملك ولا أبهة السلطنة، وصار الناس في مخاطبته على أقسام، فمن الناس من يقول: أغاه، ومنهم من يقول: خوند، ومنهم من يقول: الأمير الكبير، ومنهم من يقول: يا مولانا السلطان.

واستمرت القضاة عنده، وطلب التجارين فصنعوا منبراً في الحال وأحضروا كرسيّاً، وخطب بهم في المقعد من البيت - المذكور - قاضي القضاة علم الدين صالح وصلي بهم الجمعة، ثم انصرفوا بعد الصلاة إلى منازلهم.

هذا والقتال عمال في كل يوم، وقتل من الفريقين خلائق.

وفي هذا اليوم وقت الضحوة منه، مرض الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب، وقام من مجلس الأمير الكبير وعليه آلة السلاح بعد أن رمل على علامة (الأمير) الكبير التي كتبها على المراسيم، ودخل إلى البيت وقلع آلة الحرب ولزم الفراش إلى أن مات بعد نصف ليلة السبت، فكان مرضه يوماً واحداً، وغسل في مكانه، وصلى عليه الخليفة والقضاة بمقعد الأمير الكبير، ودفن من يومه بالصحرَاء.

وكان من محاسن الدنيا، تأتي ترجمته إن شاء الله في آخر هذه السنة مع من توفي بها .

ولما أصبح يوم السبت سادسه، حضرت القضاة وناظر الخواص والجيش وكاتب السر القاضي محب الدين ابن الأشقر، وكتبوا محضراً يتضمن ما وقع في أمسه من خلع الملك المنصور، وحكوا فيه الواقعة من أولها من ركوب الممالك السلطانية وأخذهم الأمير الكبير إلى آخرها، وشهد في المحضر الأمير جانبك الأستاذدار والأمير بردبك البجمقيدار، وشهادتهما: أن السلطان الملك المنصور حصل منه قلة أدب في حق الخليفة، ومسك قصاده - أعني سونجبغا ونوكار - وأشياء من // هذا النمط، وحكموا فيه القضاة. [٢٤٩]

وطلب^(١) الأمراء من الأمير الكبير أن يلبس السواد الخلفي ويجلس على سرير الملك، فأبى وقال : في غير هذا الوقت .

وأخذ الأمير الكبير في التحريض على القبض على من يطلع إلى القلعة من العوام بالمآكل، وضرب جماعة كبيرة بالمقارع والعصي بسبب ذلك، ورتب الأمراء المقدمين على المواضع والمخارص التي يطلع منها إلى القلعة، فقعد الأمير خشقدم حاجب الحجاب بجماعة بباب القرافة، والأمير طوخ من تراز بالمسجد الذي عمره قاني باي الجاركسي والحمامين، وقعد الأمير قرقماس الأشرفي ببيت الأمير نوروز الحافظي تجاه القلعة، وجماعة كثيرة من أمراء الطبلخانات والعشرات

(١) في «أ»: وطلبت .

بالمواضع ، مثل صهريج منجك^(١) وباب الوزير وقبو السلطان حسن وسويقة
منعم وغير ذلك

وقع في اليوم - المذكور - قتال شديد بين الفريقين مواجهة وبالنبال ، وقتل
عدة أناس .

هذا وخيربك القصري الذي ولاه الأمير الكبير قبل تاريخه والي القاهرة
يشتد في طلب الزعر ومن طلع إلى القلعة من العوام بالمأكل ، ونقيب الجيش
الناصري عمدين أبي الفرج واقف بين يدي الأمير الكبير وعليه آلة الحرب
وبيده عصا ينفذ الأحكام . وصارت الأمراء الألوف تخاطب الأمير الكبير وقوفاً
وهو لا يقوم لأحد منهم إلا في النادر .

هذا وعسكر الملك المنصور لا يمل ولا يكل من القتال والرمي بالنبال
والأسهم الخطائية^(٢) والمكاحل والمدافع والنفوط ، حتى أبادوا عسكر الأمير
الكبير وأحرموا أحداً من عسكره أن يظهر من بيت الأمير الكبير .

على أنه لم يكن عنده من المقاتلين إلا جانب يسير من الأمراء والجند ،
وغالب من عنده من مماليك أبيه .

وعنده من الأجانب الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير سلاح ، فهذا
من مقدمي الألوف لا غير ، والأمير كزل السودوني المعلم ، أحد أمراء العشرات ،
والأمير مغلباي الشهابي ، أحد أمراء العشرات - أيضاً - والأمير يونس العلائي
نائب قلعة الجبل ، والجميع في الترسيم بالحشمة .

وأما من بقي من حواشيه من الأمراء فهم : الأمير قاني باي الجاركسي
[٢٥٠] الأمير آخور الكبير - وهو مملوك عم الملك المنصور «الأمير جاركس المصارع» //

(١) صهريج منجك : جامع تحت القلعة ، خارج باب الوزير ، أنشأه الأمير « سيف الدين منجك
اليوسفى » سنة إحدى وخمسين وسبع مائة للهجرة ، وصنع فيه صهريجاً ، فصار يعرف به .
راجع : علي باشا مبارك . الخطط ج ٥ ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٢) الأسهم الخطائية : أشار الفلقشندي (صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٤) إلى أنها « سهام عظام ،
يرمى بها عن قسي عظام توتر بلوالب يجربها ويرمى عنها ، فتكاد تحرق الحجر » .

القاسمي» - والأمير ثربغا الظاهري الدوادر الكبير، أحد أمراء الطبلخانات، والأمير لاجين الظاهري، شاد الشراب خاناه ولالة السلطان، والأمير أسنباي الجمالي الدوادر الثاني، أحد أمراء العشرات، والأمير أزيك من ططخ الظاهري الخازندار، أحد أمراء الطبلخانات وصهر السلطان - زوج أخته - والأمير سنقر الظاهري آستادار الصحة - وهو في ترسيم الحشمة أيضاً - والأمير جانم الظاهري الساقى، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، والأمير قوزي الساقى، أحد أمراء العشرات، والأمير سودون الظاهري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، والأمير جانبك البواب الظاهري. وهؤلاء الثلاثة تأمروا في الدولة المنصورية، فهم كالأجناد.

وباقى من عنده خاصكية وماليك، ولعلمهم أقل من ألف نفر، والله أعلم.

وفي يوم الأحد سابعه، رتب الأمير الكبير عدة من الأمراء على المواضع التي يتوصل منها إلى القلعة.

واستمر الحال إلى قريب الظهر، ظهر جماعة من عسكر الأمير الكبير إلى جهة سبيل المؤمني، فخرج جماعة من السلطانية ورمى عليهم - أيضاً - جماعة من القلعة، وتقاتلوا قتالاً شديداً بالرماح والسيوف والأطبار، واقتروا غير مرة والتقوا غير مرة، حتى أردف عسكر الأمير الكبير الأمير طوخ من تراز من مكانه الذي أكن فيه عند زاوية الأمير قاني باي الجاركسي وحاميهِ. والتحم القتال معهم، وقبض السلطانية على السيفي طقتمر البارزي الخاصكي رأس نوبة وقتلوه صبراً تهيباً بالسيوف، وقتل جماعة آخر من الطائفين إلى أن ملك عسكر الأمير الكبير سبيل المؤمني من عسكر المنصور الذي بالقلعة، وأطلقوا في البيوت التي بجواره النار، فإن عسكر السلطان كان غالبه على أسطحة البيوت التي هناك، فعملت النار فيهم حتى وصلت إلى سقف السبيل - أيضاً - فأحرقت عن آخره. هذا والقتال مستمر من فوق ومن أسفل، ثم هدموا سور الميدان ودخلوا منه إلى الميدان، فعظم القتال في هذا اليوم حتى إنه قتل فيه أكثر مما قتل من ابتداء الوقعة إلى يوم تاريخه، فكان يوماً مهولاً قاسى الناس فيه شدايد عظيمة وخطوباً وحروباً.

[٢٥١] ولما رأى عسكر السلطان دخول عسكر الأمير الكبير // إلى الميدان انهزموا وولوا الأدبار، لا يلوي أحد منهم على أحد، وطلع السلطان الملك المنصور عثمان من المقعد بالإسطبل إلى القصر السلطاني.

كل ذلك والأمير الكبير لا يتحرك من مكانه، فلما بلغه انهزام القوم ندب الأمير جرباش المحمدي المعروف بكرد - أحد مقدمي الألوف - لأخذ باب السلسلة، فركب جرباش على الفور وخرج إلى باب السلسلة وتسلمه بعد ساعة هيئة من غير قتال، فعلى قدر شدة عزم أهل القلعة في هذه السبعة أيام كانت هزيمتهم وتسليمهم القلعة في أسرع ما يكون.

وسبب ذلك أن غالبهم شبان لم تمر^(١) بهم التجارب ولا لهم خبرة بالحروب ومكابدتها^(٢)، فقاتلوا أشد قتال، وأظهروا من الشجاعة ما لا يوصف، ولم يحسنوا الهروب ولا تسليم القلعة، وكان يمكنهم بعد أخذ الميدان حفظ القلعة حتى تؤخذ منهم بالأمان، وتعمل مصالحهم في نوع اختاروه - على عادة من سلم القلاع قبلهم - لكنهم لما رأوا أخذ الميدان منهم خارت طباعهم وانقطعت قلوبهم.

وكان وقت أخذهم القلعة وقت العصر - تقريباً - فإننا لم نسمع الأذان في ذلك الوقت لعظم الغوغاء، لاشتغال كل أحد بما هو فيه من شدة القتال، وعظم الخطب في ذلك اليوم، وتفانت الناس، وأصيب خيول كثيرة، وجرح حلائق لا تحصى كثرة، وتهدم دور كثيرة.

ولا نعلم في سالف الأعصار في الدولة التركية بأن قلعة الجبل حوصرت سبعة أيام إلا في هذه الواقعة، مع علمي أن الملك الناصر فرج بن برقوق ركب عليه الأمير يشبك الشهباني بجماعة من الأمراء وأقاموا نحو السبعة أيام ملبسين - أيضاً - آلة الحرب، لكن لم يكن القتال كالقتال ولا الحصار كالحصار، فإن جماعة كثيرة من عسكرنا هذا باشروا تلك الواقعة وكلهم قائلون بأنهم لم يروا مثل هذه الواقعة.

(١) في «أ»: «يمر».

(٢) في «أ»: «ومكابدتها».

وفي مدة هذه الأيام السبعة لم يبطل القتال بالرمي والنفوط والمدافع ساعة واحدة. هذا والزعر تقتل من الطائفتين وتصيبهم السهام، وبالجملة كانت القتلى من الزعر ومن المتفرجين أكثر من الجند .

ولما ملك الأمير جرباش باب السلسلة قبضت الممالك على الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي // أمير سلاح وأخذه على فرس وعلى رأسه طاقة خضراء [٢٥٢] من غير تخفيفه^(١)، ومظوا به إلى الأمير الكبير والضرب مستمر على رأسه وسائر جسده من الأمراء، وهو يصيح: المروءة المروءة، حتى أدخلوه إلى الأمير الكبير فحبس هناك، ثم قبضوا على الأمير كزل السودوف المعلم وحبسوه عند تنم، ثم قبضوا على عبد الله الكاشف وأنزلوه على فرس مكشوف الرأس بلا تخفيف، وألبسوه شيئاً كالطرطور، والدم يسيل على شيبته بعد أن أرادوا الفتك به غير مرة، فصار بعضهم يحميه من ذلك ويقول: يذهب ماله، دعوه حتى يأخذ الأمير الكبير ماله، وأدخلوه على تلك الهيئة القبيحة إلى عند الأمير الكبير.

قلت: وما ربك بظلام للعبيد، فإن عبد الله - هذا - فعل في ولايته لكشف الشرقية ما لا يفعله إلا من ليس له حظ في الإسلام، من أخذ الأموال وسفك الدماء، فلم أدر ماذا يكون جواب الملك الظاهر عند الله - تعالى - بسبب ولايته لهذا الظالم الغاشم المراق الدم؟!

فلم يكن بعد ذلك إلا نحو الخمس درجات وركب الأمير الكبير من محل إقامته والخليفة عن يمينه والأمير تنبك عن يساره، وطلع إلى باب السلسلة، والناس من البيت - المذكور - إلى باب السلسلة مصطفون وقوفاً دهليزاً واحداً وهو يمر عليهم حتى نزل إلى الحراقة من باب السلسلة وجلس هناك، وشرعت العساكر في النهب والأخذ، فنهبوا شيئاً كثيراً من الأموال والخيول والمتاع، وأخذوا في القبض على الأمراء واحداً بعد واحد، فقبض في الليلة - المذكورة - على جماعة كثيرة من الأمراء، وهم: الأمير تنم - المذكور - والأمير كزل المعلم

(١) أي من غير عمامة - راجع: ماير . الملابس المملوكية ص ٣١ - ٣٢ .

- المذكور أيضاً - وعبد الله الكاشف، فهؤلاء الذين ذكرناهم أولاً. وأما الذين قبض عليهم بعد طلوع الأمير الكبير من أمراء الألو ف فهم: الأمير قاني باي الجركسي الأمير آخور الكبير، ومن الطبلخانات: الأمير تمرغا الظاهري الدوادار الكبير، والأمير أربك من ططخ الظاهري الخازندار الكبير، ومن العشرات: الأمير لاجين الظاهري شاد الشراب خاناه ولالة الملك المنصور عثمان، والأمير سنقر الظاهري العائق الأمير آخور الثاني، والأمير سنقر الظاهري آستادار الصحبة، [٢٥٣] والأمير جانم الظاهري الساقى، // والأمير سودون من سلطان الظاهري، والأمير جانبك - وكلاهما تأمر في الدولة المنصورية عثمان.

وتسحب من الأمراء العشرات الذين كانوا عند الملك المنصور عثمان بالقلعة جماعة، وهم: الأمير أسنباي الجمالي الظاهري الدوادار الثاني، والأمير قوزي الظاهري الساقى، والأمير يشبك الظاهري البجمقدار، والأمير مغلباي الشهابي.

وفي الحال نودي في القاهرة بالأمان والاطمئنان^(١) والطلوع من الغد إلى القلعة بالكلفتاه^(٢) والتتريات^(٣) البيض لسلطنة الأمير الكبير، وقلع السلاح في الحال، ويات الناس في أمن وسلامة، وسر الناس بإخماد الفتنة.



(١) في ١ أ: «والأطمان».

(٢) الكلفتاه: طاقة تؤلف هيكل العمامة، لا يلبسها إلا رجال الطبقة الرفيعة - راجع: دوزي. المعجم المفصل ص ٣١٢ - ٣١٣.

(٣) التتريات: أفية من الحرير الأحادي اللون، المزركش الحواشي، والمطعم بالذهب - نفس ص ٨١.

ذكر سلطنة السلطان الملك الأشرف، سيف الدين أبي النصر، إينال العلائي الظاهري، ثم الناصري

لما كان صباح يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول، اجتمع أعيان الدولة من القضاة والأمراء وأرباب الوظائف في الحراقة من الإسطنبول السلطاني بحضرة الخليفة والأمير الكبير، وبويع الأمير الكبير بالسلطنة، ولبس أبهة السلطنة من مبيت الحراقة من باب السلسلة في أول ساعة من اليوم - المذكور - بعد طلوع الشمس بنحو ست درجات في ساعة القمر، والظالم الحمل. وكان قد بويع بالسلطنة غير مرة في أيام الوقعة، يوم الأربعاء ثالثه، وفي يوم الجمعة خامسه، وفي يوم السبت سادسه، وفي عصر يوم الأحد بعد طلوعه إلى باب السلسلة، ولكن لم تحدد سلطنته إلا بعد لبسه أبهة السلطنة.

ولما لبس خلعة السلطنة خرج من مبيت الحراقة ومشى حتى ركب فرس النوبة، وحمل ولده المقام الشهابي أحمد القبة والطير على رأسه حتى طلع إلى القصر وجلس على تحت الملك، وقبلت الأمراء الأرض بين يديه، وخلع على الخليفة فوقاني أخضر وأبيض بطرز زركش، وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، واستمر جلوسه بالقصر إلى يوم الخميس، والأمراء وأعيان الدولة بين يديه، وأخلع في يومه على الأمير يونس العلائي الناصري نائب قلعة الجبل باستقراره في نيابة الإسكندرية، عوضاً عن الأمير قرا جانبك الظاهري، وجلس في باب القلعة عوضه الأمير قانباي الناصري الأعمش.

[٢٥٤] وفيه قبض على // الأمير مغلباي الشهابي، وعلى جماعة أخرى، وحبسوا بالركبخانه بباب السلسلة.

وفي يوم الثلاثاء (تاسعه)^(١)، أخلع السلطان الملك الأشرف إينال على جماعة من الأمراء بعدة وظائف:

فخلع على ولده المقام الشهابي أحمد أتابك العساكر عوضاً عن نفسه.
واستقر الأمير تنبك البردبكي الظاهري برقوق أمير سلاح^(٢)، عوضاً عن الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي.

واستقر الأمير طوخ من تراز الناصري أمير مجلس، عوضاً عن الأمير تنبك المذكور.

ولبس الأمير خشقدم المؤيدي خلعة الاستمرار على حجوبة الحجاب.
واستقر الأمير جرباش المحمدي المعروف بكرد أمير آخور كبيراً، عوضاً عن الأمير قاني باي الجاركسي.

واستقر الأمير يونس الأقبائي دواداراً كبيراً، عوضاً عن الأمير تمرغا الظاهري جقمق.

واستقر الأمير قرقماس الأشرفي رأس نوبة النوب، عوضاً عن الأمير أسنبغا الطياري بعد وفاته.

وخلع على الأمير جانبك الظاهري جقمق باستمراره على وظيفة الاستادارية.

ومن غريب ما اتفق في هذه الواقعة أن رجلاً من المماليك السلطانية أصله من عنقاء الأمير جمال الدين يوسف البيري الأستاذار، يسمى يلبغا المجنون، وهو من أصحابنا، صار يخرج من بيت الأمير الكبير عند شدة اشتعال الحرب بلا خوذة على رأسه، بل عليه قرقل^(٣) مخمل عتيق منقوش، فيمشي إلى أن يصير

(١) مباحث من ١٤١٥ مثبت من «ب».

(٢) في «أ»: «أمير سلاح».

(٣) القرقل: درع يعمل من الصفائح المتخللة من الحديد المتواصل بعضها ببعض، مع نقشته =

في وسط الرملة في وقت لا يطيق أحد أن يخرج من بيت الأمير الكبير لعظم الرمي بالنشاب والنفوط، فلما يصير في وسط الرملة يقف وحده هناك فيرمي عليه أهل القلعة رمياً عظيماً ويرمي هو - أيضاً - عليهم فلا يصيبه منهم سهم واحد^(١)، ثم يأخذ يلبغا هذا في السب والتوبيخ لهم والرمي عليهم، فيجتمع عليه من أعيان رماة أهل القلعة عدة، ويرمون عليه بالتحريض حتى يصير حوله من النشاب ما لا يحصي كثرة، وهو لا يصيبه منهم شيء، وهو مستمر على رميهم - أيضاً - وسبهم. فكان لما يتعب يأخذ في ضم النشاب الذي حوله، فكان يلتقط في اليوم من حوله المتئين بل الألوف من النشاب، ولا يستجريء أحد أن يضم معه شيئاً إلا بعض الصغار، على أنه انصاب من الصغار جماعة كثيرة. وكان إذا تعب من الرمي وضم النشاب نام على ظهره وينش على وجهه، واستمر على ذلك في غالب أيام الوقعة، فكان كلما فعل ذلك اشتد غضب السلطان الملك المنصور عليه وأمر بالرمي عليه، فيرمي عليه ما شاء الله أن يرمي فلا يصيبه شيء

فلما أعيأ // الملك المنصور أمره، أمر بالنداء للزعر والجند: من أتى بهذا [٢٥٥]

الجندي - يعني يلبغا المذكور - له مائتا دينار. وبالف بعض الناس حتى قال: إنه سمع المنادي يقول: ألف دينار. فلما نودي بذلك غر بعض الزعر الطمع فجاء على حين غفلة وحمله من خلفه، فضربه يلبغا - المذكور - بخنجر كان معه على ما قيل. وقد كان مرة أخرى جاء عدة من الزعر وحملوه، فنجده بعض عسكر الأمير الكبير وخلصوه منهم، ثم عادوا بسرعة إلى بيت الأمير الكبير خيفة من النشاب.

واستمر يلبغا - هذا - على ذلك إلى أن كان هو السبب للقتال الذي أخذ فيه باب السلسلة، فكان أمر يلبغا - المذكور - في هذه الوقعة غريباً، ولا يعلم أحد ما كان أمره، فإنه لم يشتبه قبل تاريخه بصلاح ولا فساد، وإنما كان متوسط السيرة.

وقد اختلف الناس في أمره، فمن الناس من يقول: كان معه هيكل منيع، ومن الناس من يقول: كان يتحوط بأدعية عظيمة، ومن الناس من

= بالديباج الأحمر أو الأصفر - راجع: القلشندي. صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٣، ماير. الملابس المملوكية ص ٧٣ - ٧٤.

(١) في دأ: : وسهماً واحداً.

يقول: كان ساحراً. وفي الجملة، كان أمره من الغرائب.

وقد سأله عن ذلك فقال لي: والله لم يكن معي شيء، غير أنني معتقد أنني لن يصيبني إلا ما كتب عليّ. وهو صادق في مقالته، فإنه كان قبل ذلك كثير التردد إليّ، ولا أعلم عليه إلا خيراً.

وفي يوم الأربعاء عاشره، أشيع في القاهرة بإثارة فتنة بسبب النفقة، وبلغ السلطان أن المماليك السلطانية تقول: ما نأخذ إلا مائتي دينار، فنودي بالقاهرة: إن العرض يوم السبت والنفقة يوم الاثنين، وإن أحداً من المماليك السلطانية وغيرهم لا يعدى من الربيع بفرس إلى القاهرة.

وفيه - أيضاً - حمل جماعة من المقبوض عليهم إلى ثغر الإسكندرية في وقت الظهر على البغال في القيود على العادة، وهم:

الأمير تنم أمير سلاح، والأمير قاني باي الجاركسي أمير آخور، والأمير تمربغا الظاهري جقمق الدوادار، والأمير لاجين الظاهري جقمق شاد الشراب خاناه، والأمير أزبك من ططخ الظاهري جقمق الخازندار، والأمير سنقر الظاهري جقمق الأمير آخور الثاني، والأمير جانم الساقى الظاهري جقمق رأس نوبة، والأمير سودون من سلطان الظاهري جقمق رأس نوبة، والأمير جانبك الظاهري البواب - وكلاهما تأمر في الدولة المنصورية. وسافروا من يومهم.

وفي يوم الخميس حادي عشره، تغير ما كان قرره السلطان الملك الأشرف [٢٥٦] إينال من وظائف // الأمراء، وهو أنه بلغه تغير خاطر المماليك السلطانية بسبب توليته لولده المقام الشهابي أحمد لأتابكية العساكر، فأخلع على الأمير تنبك المستقر قبل ذلك في إمرة سلاح بأتابكية العساكر عوضاً عن ولده، واستمر ولده على إقطاع إمرة مائة وتقدمة ألف على عادة أولاد الملوك الذين كانوا قبله، وسكن بالحوش السلطاني تجاه الدهيشة في بيت الملك المنصور عثمان.

وخلع على الأمير خشقدم المؤيدي حاجب الحجاب باستقراره أمير سلاح عوضاً عن الأمير تنبك.

وأخلع على الأمير قراجا الظاهري جقمق باستقراره في حجوبة الحجاب عوضاً عن خشقدم.

وفيه - أيضاً - استقر الأمير تمتاز الأشرفي المعروف بالزردكاش دواداراً ثانياً، عوضاً عن أسنباي .

واستقر الأمير جانبك من قجماس الأشرفي برسباي المعروف بدوادار سيدي شاد الشراب خاناه، عوضاً عن الأمير لاجين الظاهري .
واستقر الأمير خيربك المؤيدي الأشقر أمير آخور ثانياً، عوضاً عن سنقر الظاهري العائق .

واستقر الأمير قاني باي الناصري الأعمش نائب قلعة الجبل عوضاً عن الأمير يونس العلائي المتولي نيابة الإسكندرية قبل تاريخه .

وفيه خلع السلطان على القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر بوظيفته قديماً - نظر خانقاه سرياقوس - وعلى ولده الشهابي أحمد بمشيخة الشيوخ - أيضاً - وكلاهما عوضاً عن يار علي العجمي الطويل المحتسب .

وفيه أنعم السلطان على الأمير جانبك القرمانلي الظاهري برقوق بأمرة مائة وتقدمة ألف، واستقر عوضه رأس نوبة ثانياً الأمير يشبك الناصري .

وفيه أنعم السلطان على الأمير أرنبغا اليونسي الناصري بأمرة مائة وتقدمة ألف أيضاً .

وفيه أنعم على الأمير برسباي البجاسي المعزول عن نيابة الإسكندرية بأمرة مائة وتقدمة ألف، عوضاً عن الأمير طوخ أمير مجلس، بحكم انتقال طوخ إلى إقطاع الأمير تنبك أمير سلاح، بعد انتقال تنبك إلى إقطاع الأمير تنم .

والتقدمتان المنعم بهما على جانبك القرمانلي وأرنبغا، إحداهما عن قاني باي الجاركسي والأخرى عن أسنبغا الطياري .

وفيه - أيضاً - أنعم على جماعة كثيرة بعدة إقطاعات وإمريات طبليخانات وعشرات يطول السرح في تسميتهم، عوضاً عن الأمراء المقبوض // عليهم . [٢٥٧]

وفي يوم السبت ثالث عشره استقر البدري حسن بن حسين بن الطولوني معلم المعمارية عوضاً عن يوسف شاه .

وفيه أعيد عبد الله الكاشف إلى ولاية الشرقية على عادته بعد أن التزم بعمل الجرايف بالأعمال الشرقية في هذه السنة.

وفيه أعيد أمير زاده بن حسين بك بن سالم الدوكاري إلى كشف الوجه القبلي على عادته أولاً.

وفيه استقر الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي المعروف بالظريف خازنداراً كبيراً ، عوضاً عن الأمير أزيك.

وفيه استقر السيفي بردبك دودار السلطان قديماً وزوج ابنته دوداراً ثالثاً ، وأنعم عليه بالإقطاع الذي كان بيد المقام الشهابي أحمد ابن السلطان أيام إمرة أبيه ، وهي إمرة عشرة.

واستقر السيفي يشبك الأشقر آستادار الصحبة ، عوضاً عن سنقر الظاهري جقمق.

وفي يوم الاثنين خامس عشره ابتدأ السلطان في نفقة الممالك السلطانية ، لكل مملوك مائة دينار ، وسعر الدينار مائتان وثمانون درهماً فلوساً ، فيكون لكل نفر ثمانية وعشرون ألف درهم فلوساً ، هذه الكاملة . وأما النصف والربع فمعروف .

على أنه منع العطية من جماعة كثيرة من أولاد الناس [و] الممالك السلطانية والقرانيص ، ولم يعطهم إلاً بحكم النصف والربع وأقل من ذلك .

وفيه خلع على صاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ناظر الجيوش المنصورة والخاص باستمراره على وظيفته .

وفيه خلع على إمامه الشيخ علاء الدين الغزي الحنفي باستقراره في نظر الأوقاف ، عوضاً عن علاء الدين على ابن آقبرس ، ورسم له - أيضاً - بالتكلم في إقطاع المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال ، والتحدث في الجزائر التي هي برسم الخوندات ، كل ذلك بعد استقراره إماماً على عادته .

وفيه - أيضاً - استقر القاضي ناصر الدين ابن أصيل موقع السلطان قديماً في نظر الزردخاناه ، عوضاً عن القاضي بدر الدين ابن ظهير .

وبعد عصر هذا اليوم نودي بالقاهرة بأن جميع الممالك السلطانية تكون سواء في // أخذ النفقة، لأنه كان في أول هذا اليوم نفق السلطان على الممالك [٢٥٨] السلطانية وعوق جماعة كثيرة منهم، مثل أولاد الناس والقرانيص وما أشبه ذلك، وصرف عليهم بعد ذلك، لكن منهم من أخذ بالكامل، ومنهم (من) أخذ بحكم النصف، ومنهم من أخذ بأقل من النصف. كل ذلك لعجز الخزانة الشريفة، فإن الملك الظاهر جقمق لم يدع في الخزانة مالا، وكان يفرق جميع ما كان يحصل في يده أولاً فأول قبل موته، ولم يدع في الخواصل إلا المفاتيح والخزنة في كل جهات المملكة، فأما خزانة الذهب فلم يدع فيها لا قليلاً ولا كثيراً، وأما الزردخانه والشئون والإسطبلات السلطانية فترك فيها ربع ما خلف^(١) الملوك السالفة أو أقل.

على أنه لم يتجرد في منذ سلطنته إلى البلاد الشامية ولا أرسل تجريدة قط غير مرة واحدة، وهي نوبة [إينال] الحكمي في أول سلطنته، وجميع ما أتلفه إنما هو على النسوة والتراكمين وما أشبه ذلك.

فكل ما وقع بعد موته من الفتن والشور واضطراب الدولة والمملكة على ولده وغيره إنما هو لقلة الأموال وفراغ الخواصل.

قلت: والله الحمد والمنة الذي أمات^(٢) هذا الرجل قبل أن يطرق البلاد الشامية أحد من الخوارج، فإنه كان لا يطيق الخروج لقتاله لما ذكرناه، فكانت البلاد تعود إلى أعظم ما فعل فيها تيمورلنك - لعنه الله - من النهب والسبي والقتل، هذا إذا لم يتحرك من مكانه، فإذا أراد الخروج لمقاتلته كان هو يفعل في الديار المصرية من المصادرات وأخذ أموال الناس ما هو أعظم من فعل الخابحي الذي يرد البلاد.

وتصديق ما قلته أنه من يوم وفاته إلى يومنا هذا عجزت الملوك عن القيام بنفقة الممالك السلطانية في هذه المدة الطويلة، بعد المصادرات والضرب والعصر

(١) في أ: : خلفت .

(٢) في أ' : : مات .

والسلف والتوزعة على أعيان المباشرين؛ كل ذلك لنفقة واحدة، وهي أقل من أربعمائة ألف دينار، فكيف لو أرادوا النفقة على الممالك وقيام برك السلطنة من الزردخاناه والخيول والحميم وما أشبه ذلك مما يحمله معه في الخزائن السلطانية على عادة الملوك. فما ذكرناه قدر النفقة مرات عديدة، فما كان يحصل ذلك إلا بعد [٢٥٩] أمور // لا حاجة في ذكرها.

ولم أرد بذلك التعصب ولا الخط على الملك الظاهر، ولا يخفي ذلك على أدنى من له معقول - انتهى.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره أخلع السلطان على جماعة من الأمراء أصحاب الوظائف خلع الأنظار على العادة.

وفي يوم الأربعاء سابع عشره وصل الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار - كان - إلى القاهرة من سجن الإسكندرية، وقبل الأرض بين يدي السلطان الملك الأشرف إينال (ورحب به السلطان ووعد به بكل خير، وتنزل إلى داره ووجوه الناس بين يديه، وسر الناس بإطلاقه سروراً زائداً، وكانت مدة القبض عليه وذهابه وسجنه بالشعر ورجوعه سنة وثلاثين يوماً، فانظر إلى قدرة الله فيما وقع لهذا الرجل لما قبض عليه المنصور وبعثه إلى الإسكندرية - كما تقدم - كان عزم غرماؤه تأييد حبسه، فما كان بأسرع من قبض الأشرف إينال عليهم^(١)، وبعث بهم إلى الإسكندرية.

وأغرب من هذا أنه لما خرج الأمير دولات باي - هذا - من مدينة الإسكندرية عائداً إلى الديار المصرية واجه أخصامه هؤلاء الأمراء الظاهرية خارج الإسكندرية وهم بالقيود على تلك الحالة القبيحة، فمشى دولات باي عن بعد وولى وجهه عنهم ولم يظهر الشماتة بهم، بل صار يحمد الله - تعالى - على ما وقع له.

وبلغني أن بعض خدم دولات باي أراد أن يتكلم ويسمع القوم نوعاً من

(١) ساقط من دأ، مضاف من دب .

التوبيخ، وبدأ بكلمة واحدة، فمنعه دولات باي من ذلك، وقال: قد كفانا الله فيهم.

وفي ليلة الخميس ثامن عشره توفي الأمير جانبك بن عبد الله الشبكي الزردكاش، وكان ابتداء مرضه من يوم تسلطن الملك الأشرف إينال، ودفن من الغد بتربة طيغا الطويل بالصحراء، ومات وهو في أوائل الكهولة، وأنعم بإقطاعه على الأمير يونس العلائي الناصري نائب الإسكندرية، وأنعم بإقطاع يونس - المذكور - على الأمير قاني باي الناصري الأعمش نائب قلعة الجبل.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره أطلق السلطان الملك الأشرف إينال - زين الدين يحيى الاستادار من محبسه بالقلعة، وخلع عليه كاملية بمقلب سمور، وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، فلبس الكاملية ونزل إلى داره وهو لا يستطيع المشي إلا بكلفة مما به من آثار الضرب والعصر، ونزوله على أنه يلبس الاستادارية ويقوم بمائة ألف دينار، نصفها عاجلاً ونصفها أجلاً، فيكون ما وزنه للملك المنصور في أيام مصادرتة وما وزنه // الآن جلته مائتا ألف دينار [٢٦٠] وخمسون ألف دينار.

وعزل الأمير جانبك الظاهري جقمق عن الاستادارية، ورسم له بالتوجه إلى بندر جدة على عادته .

وفي يوم السبت العشرين منه استقر نوكار الحاجب الثاني زردكاشاً بعد وفاة جانبك الشبكي، واستقر عوضه الأمير سممام الحسيني حاجباً ثانياً، وكان سممام قد استقر بالأمس من جملة رؤوس النوب.

وفيه استقر جماعة ممن تأمر في هذه الدولة رؤوس نوب، وجماعة آخر من الخاصكية أرباب وظائف، حتى وصلت عدة الدوادارية إلى عشرة نفر، وكانوا قبل ذلك خمسة، والسقاة الخاص إلى عشرة وكانوا قبل ذلك ستة، والبجمقدارية كذلك - واقتحمت الأنذال والأوباش على الرياسة، وأخذ الإقطاعات الهائلة، وصار الواحد منهم لا يقنع إلا بعدة إقطاعات، وكان قبل ذلك يود عشر ما ناله الآن، على عادة تقلبات الدول.

كل ذلك والملك الأشرف يعطي كلاً منهم ما سأل، ويترضاهم بكل ما أمكن، حتى ترسخ قدمه في الملك ويستفحل أمره.

وفي يوم الأحد حادي عشرينه قبض السلطان الملك الأشرف على نيف وثلاثين مملوكاً من الممالك الظاهرية جقمق الخاصكية، وجس الجميع بالبرج من القلعة.

وكان السلطان قبل تاريخه قد نفى جماعة آخر من الأمراء الظاهرية والخاصكية، منهم: الأمير سنقر آستادار الصحة، والأمير شاهين الفقيه، توجهوا إلى القدس الشريف في يوم الاثنين خامس عشره، ثم بعدهما في يوم الثلاثاء سادس عشره توجه سَنَطَبَايَ رأس نوبة الجمدارية، وشبك الظاهري الذي كان تأمر في أمسه، وشبك الساقى، توجهوا إلى طرابلس، وبعدهم جماعة آخر، ثم قبض على هؤلاء المذكورين.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه لبس زين الدين الأستاذار خلعة الأستاذارية، وأعيد إلى وظيفته بغير سعي منه، وفي الظن أنه يعود إلى ما كان عليه، فجاء بخلاف ما كان في الظن، وبأشر على عادته.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه لبس الأمير بردبك صهر السلطان والدوادار الثالث نظر القراقفة، عوضاً عن يوسف شاه العلمي.

[٢٦١] وفيه وصل إلى القاهرة من ثغر دمياط // الأمير يرشباي المؤيدي الإينالي الأمير آخور الثاني - كان - والأمير يلباي الإينالي المؤيدي أحد أمراء العشرينات ورأس نوبة - كان - وكان إقامتهما بالثغر يوماً واحداً، وجاءهما الطلب من السلطان وطلعا إلى القلعة، وقبلا الأرض بين يدي السلطان فوعدهما بكل خير، ونزلا إلى دورهما.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه وصل إلى القاهرة من القدس الشريف الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش أحد أمراء العشرات - كان - ورأس نوبة، وكان له نحو الثلاث سنين مقيماً بالقدس من يوم نفاه الملك الظاهر جقمق، فرحب السلطان به - أيضاً - ووعد بالانظر في حاله.

وفيه استقر خير بك القصري والى القاهرة شاد الدواوين .
وخير بك هذا كان قبل توليته ولاية القاهرة من أصاغر المماليك السلطانية
الأوباش .

وفي يوم الأحد ثامن عشره أخرج الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر
جقمق من محبسه بالقاعة الموسومة بالبحر بالحوش من قلعة الجبل على فرس بوز
مقيداً من غير أن يركب أحد من الأوجاقية خلفه على عادة الأمراء، وأنزلوه من
باب القرافة، ومضوا به على المجرة من القرافة الكبرى إلى مصر القديمة إلى أن
أوصلوه إلى بحر النيل، وأنزلوه إلى المركب، وسافر من وقته، ومسفره الأمير خير بك
المؤيدي الأشقر الأمير آخور الثاني. وهذا شيء لم يعهد مثله من أن سلطان
الديار المصرية ينزل على هذه الصورة في وسط النهار والعسكر من الأمراء
والخاصكية حوله بالرماح والسيوف وآلات الحرب، والعامّة تزدهم على الترحّة
عليه، فكان في هذه الكائنة عبرة لمن يعتبر؛ لأنه بالأمس كان سلطان الديار
المصرية والمتصرف في الممالك والرعية كيف شاء، وإليه الأمر والنهي، والأمراء
والجند والناس بأجمعهم له طائعون وأمره سامعون، وهو الآن صار في أيديهم
كالأسير، وليس له من الحكم لا ما قل ولا ما كثير، حتى ولا على نفسه.

قلت: لا جرم، أن الله - تعالى - عامله من جنس فعل والده الملك الظاهر
جقمق بالملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسباي.

وقد ورد في الإسرائيليات أن الله - تعالى - قال لنبيه داود عليه السلام: «يا
داود، أنا الرب الودود، أعامل الآباء بما صنع الجدود». انتهى.
وفي الثلاثاء سلخه ظهر الأمير أسنباي الجمالي الظاهري الدوادار الثاني
- كان. بأمان، فتكلّم فيه بعض الأمراء ليتوجه إلى القدس // الشريف بطالاً، [٢٦٢]
فرسم له بذلك على أنه يقيم بالقاهرة أياماً ليتجهر بها ثم يسافر.

شهر ربيع الآخر

أوله الأربعاء.

في عصره وصل الأمير جانم - قريب الملك الأشرف برسباي - من محبسه

بقلعة صفد إلى القاهرة، ونزل بتربة الملك الأشرف برسبائي بالصحراء خارج القاهرة، وأصبح يوم الخميس من الغد طلع إلى السلطان وقبل الأرض بين يديه، فرحب به السلطان وخلع عليه كاملية بمقلب سمور، ووعدته بكل خير، وأنزله عند مملوكه وصهره الأمير بردبك الدوادار الثالث بيت الأمير منجك اليوسفي الذي جدده الأمير قمرغا الدوادار الظاهري جقمق.

وفي ليلة الأحد خامسه سافر الأمير أسنبائي الجمالي الظاهري الدوادار الثاني - كان - إلى القدس الشريف.

وفي ليلة الاثنين سادسه توفي الأمير سمام الحسيني الظاهري برقوق الخاجب الثاني وأحد أمراء العشرات، ودفن من الغد، وأنعم بإمرته على الأمير جانبك الإينالي الأشرفي برسبائي القادم من طرابلس في أمسه - المعروف بقلقز^(١)، أعني: بلا أذن - وأنعم بوظيفة الحجوبية الثانية على الأمير بتخاص العثماني الظاهري برقوق.

وفي يوم الاثنين - المذكور - تمت نفقة السلطان على الممالك السلطانية بعد أن ظهر في تفرقتها من العجز ما يستحيا من ذكره من وجوه عديدة.

منها أنها فرقت في أيام كثيرة، فكانت تفرق في كل (يوم) موكب ثلاث طبقات، لا غير، ثم صارت تفرق في كل يوم موكب طبقة واحدة.

ومنما أنها فرقت على ضروب، فأعلى من أخذ من الممالك السلطانية أخذ ثمانية وعشرين ألف درهم، وأدنى من أخذ أخذ ألف درهم، فكان يقع في كل يوم تفرقة أمور شنيعة ممن تعطى له النفقة الناقصة عن أعلى ما ذكر، فكان منهم من يستغيث ويرمي بها ويفحش في اللفظ حتى يأخذ بالكامل، ومنهم من يتركها ويمضي حتى يترضوه، ومنهم من يفعل أعظم من ذلك ويأخذ بالناقص.

وبالجملة كانت هذه التفرقة نوعاً من أنواع العجز الذي ظهر بالديار المصرية.

(١) في «أ»: «بلقز».

وفيه رسم السلطان الملك الأشرف إينال بدوران المحمل^(١) في شهر رجب، ولعب الرماحة على عادة من تقدمه من الملوك في السنين الماضية. وكان ذلك بطل من نحو العشر سنين، وعين معلم // المحمل الأمير جانبك من أمير [٢٦٣] الأشرفي الخازندار، وذلك بعد أن عين السلطان جماعة من أمراء الألوف، فاعترف الجميع بعدم معرفة هذا الفن، فترشح مؤلفه للمعلمية، ورضي كل من الباشات بذلك، فدخل جانبك - المذكور - وسأل في أن يكون معلماً للمحمل فأجابه السلطان لذلك - وقد تقدم أن السلطان يداري الجماعة بكل ما يمكنه - فرسم له بذلك، وفي النفس من ذلك ما فيها.

وعين باشات أربعة، وهو الأمير جانبك الأشرفي المعروف بقلقسز - المقدم ذكره في أخذ الإمرة عن سمam الحسي - والأمير قانصوه الحمدي الساقى الأشرفي أحد أمراء العشرات، والأمير جانم الساقى - أيضاً - والأمير كساي الششمانى المؤيدى أحد أمراء العشرات - أيضاً. وكان لدوران المحمل سنين عديدة لم يعمل من منذ أبطله الملك الظاهر جقمق، وسر الناس بعمله.

وفي يوم الثلاثاء سابعه استقر الأمير خيربك المؤيدى الأجرود أتابك دمشق - كان - والقادم إلى القاهرة قبل تاريخه في نيابة طرسوس بعد تمتع زائد. وفيه أمسك السلطان جماعة من الممالك الظاهرية جقمق، وقد تداول قبضه عليهم قبل تاريخه.

وفيه استقر الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق كاشف الوجه القبلى من الجهنساوية بعد أن كان السلطان الملك الأشرف قد لهج بخروج إقطاعه وإمرته.

وفيه خلع على السيفى أزيك التمرازى بشد خانقاه سرياقوس، وهذا شيء بخلاف العادة، ولم يعهد إلا أن السلطان يولي مشيختها ونظرها لا غير، فتجدد ذلك ولم يتم.

(١) راجع بشأن علنتهم في فلك تفصيلاً : الفلفشندى . صبح الاعشى ج ٤ ص ٥٧ - ٥٨ .

وفي يوم الأربعاء ثامنه وصل مسفر الملك المنصور عثمان من الإسكندرية وهو الأمير خيربك الأشقر المؤيدي الأمير آخور الثاني.

وفيه استعفى الأمير خيربك المؤيدي الأجروود من نيابة طرسوس فأعفى .
وفيه رسم للأمير جانم الأشرفي الأمير آخور الكبير - كان - بنيابة طرابلس فلم يقبل، فرسم بإقامته "قاهرة إلى أن ينحل له إقطاع يليق به بالديار المصرية.

وفي يوم الخميس تاسعه أعيد إلى صاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص التكلم في الذخيرة على عادته.

وفي يوم الجمعة عاشره ووافقته - خامس عشرين برمودة - لبس السلطان [٢٦٤] الملك الأشرف إينال القماش الأبيض المعتدل للصيف على عادة // الملوك.

وفيه أطلق السلطان جميع الممالك الظاهرية المقبوض عليهم قبل تاريخه إلى حال سبيلهم. بعد أن حبس جماعة منهم بالبرج بقلعة الجبل نحو العشرين يوماً.

وفي يوم السبت حادي عشره استقر الأمير تمتاز الأشرفي برسباي الدوادار الثاني ناظر خانقاه سرياقوس، عوضاً عن القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر الشريف، بعد أمور وقعت بين محب الدين - المذكور - وبين ير على الخراساني محتسب القاهرة.

وفي يوم الأحد ثاني عشره عين السلطان جماعة كبيرة من الممالك الظاهرية جقمق لحفظ الثغور، فعين منهم مائة نفر إلى حفظ ثغر رشيد، وعين خمسين إلى ثغر دمياط، وجعل على كل طائفة أميراً من أمراء العشرات.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره استقر قراجا القصري نائب كختا.

وفي يوم الأربعاء خامس عشره نودي بالقاهرة بخروج الممالك البطالة إلى الأقطار، وتكرر النداء بذلك، وهدد من تخلف عن الخروج.

وسبب ذلك أن السلطان لما وثب على الملك المنصور طلب الممالك

البطالة وندبهم للقتال معه، وصار يكتب من ينضم إليه منهم، ووعد أكثرهم بأنه يجعله من جملة المماليك السلطانية إذا صار الأمر له، ووعد جماعة منهم - أيضاً - بنفقة ينفقها عليهم، فلما تسلطن بعدهم ولم يوف لهم بما وعدهم، فصاروا يقفون له ويطلبون منه إنجاز ما وعدهم به، وألحوا في ذلك، فلم يجد بداً من أنه ينفقهم خوفاً من وثوبهم، ووقوع فتنة، فاشتغلوا عند المنادة بأنفسهم وسكتوا عن الطلب.

على أنه أرجف في اليوم - المذكور - بوقوع فتنة، وطلب السلطان الخليفة وأقاربه إلى عنده، فطلع من ساعته، وأقام بقلعة الجبل بالبحر من الحوش السلطاني، وكثر الكلام بسبب ذلك، وترقب الناس وقوع فتنة من الغد، ولا يعلم أحد من القائم بذلك، فأصبح الناس في أمن وانفض الموكب على خير وسلامة.

وفيه - أعني يوم الخميس سادس عشره - استقر القاضي ناصر الدين محمد ابن المخلطة - أحد نواب الحكم المالكية، وأحد أخصاء الملك الأشرف إينال - قديماً - في نظر البيمارستان المنصوري، عوضاً عن شرف الدين موسى الثاني الأنصاري.

وفيه فرق السلطان النفقة على الأمراء مقدمي الألف، فأرسل إلى الأمير الكبير تنك البردبكي الظاهري برقوق بأربعة آلاف دينار، ولمن دونه من أمراء الألف بثلاثة آلاف دينار، ولمن تجدد // منهم بألفي دينار. [٢٦٥]

وفي يوم الجمعة سابع عشره نزل الخليفة القائم بأمر الله حمزة من القلعة إلى داره بعد أن خلع السلطان عليه كاملية بمقلب سمور، وبعث إليه بأربعين رأساً من السكر المكرر.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه عقد السلطان عقد ابنه المقام الشهابي أحمد على ابنة الأمير دولاباي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير - كان - بجامع القلعة.

وفي يوم السبت خامس عشرينه خلع على شرف الدين موسى الثاني
الأنصاري خلعة الاستمرار بوظائفه : الجوالي ووكالة بيت المال وغيرهما .

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه وسط السلطان ثلاثة أنفار بعد أن رسم
بتسميرهم على الجمال ، منهم بلبان الزيني عبد الباسط ورفيقاه .

وسبب توسيطهم أن بلبان - المذكور - كان يطلب المرأة الجميلة من
الخواطيء إلى عنده ويفعل فيها ثم يقتلها ويأخذ ما عليها ، ويساعده على ذلك
رفيقاه - المذكوران - حتى هتكهم الله - تعالى - وكشف سريرتهم ، وظفر بهم .

وفي يوم الخميس سلخه خلع السلطان علي السيد تاج الدين عبد الوهاب
باستقراره قاضي قضاة الشافعية بحلب ، عوضاً عن القاضي شهاب الدين أحمد
ابن الزهري .

وفيه - أيضاً - استقر القاضي نور الدين علي بن مفلح قاضي قضاة
الحنابلة بدمشق ، عوضاً عن ابن عمه برهان الدين إبراهيم بن مفلح .

وفيه أنعم السلطان على الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش
بإقطاع عبد الله الكاشف ، والإقطاع - المذكور - إمرة عشرة .

وفيه قبض السلطان على شخص من المماليك الأشرفية برسباي يسمى
قجماس وحبسه بالبرج على أنه يعاقبه من الغد ، وسببه أنه أراد إثارة فتنة .

جمادى الأولى

أوله الجمعة .

في عصره قبض السلطان الملك الأشرف على الأمير قراجا الظاهري جقمق
حاجب الحجاب ، وحبسه بالبحرة من الخوش السلطاني بقلعة الجبل من غير ذنب
ولا سبب ، وما هو إلا أن جماعة الأشرفية صارت توغر خاطر السلطان على
المماليك الظاهرية وتخوفه منهم طمعاً في أرزاقهم وإقطاعاتهم ، ولا زالوا به في
حق قراجا - هذا - حتى وافقهم وقبض عليه وحبسه بالبحرة كما ذكرنا إلى ما
سيأتي ذكره من توجهه إلى القدس - الشريف - بطالاً .

// وقراجا - المذكور - من خيار الأمراء ديناً وعقلاً وكرماً وحشمة وصيانة [٢٦٦]
وعفة عن القاذورات والمنكرات والفروج، لم يكن في أبناء جنسه مثله.

وفي يوم السبت ثانیه أنعم السلطان بإقطاع الأمير قراجا - المذكور - على
الأمير جانم قريب الملك الأشرف برسبای، واستقر الأمير جانبك القرمانی في
حجوبية الحجاب، عوضاً عن الأمير قراجا المذكور.

وفیه عاقب السلطان قجماس المقبوض علیه قبل تاريخه ليقر على من هو
القائم بهذا الأمر فلم يقر على أحد.

وفیه قيد الأمير قراجا ورسم بتوجهه إلى ثغر الإسكندرية ليسجن بها، ثم
تكلم فيه، وفك قيده من يومه، واعتذر السلطان بنحو ما ذكرناه من أن ذلك
فعل بغير إرادته، ورسم بتوجهه إلى القدس - الشريف - بطالاً، فسافر في يوم
الاثنين رابعه.

وفي يوم الثلاثاء خامسه قريء تقليد السلطان الملك الأشرف إينال بالقصر
السلطاني من القلعة، وحضره الخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، والقضاة
والأعيان، وجلس السلطان على الأرض من غير كرسي، وإلى جنبه الأيمن الخليفة
- المذكور - ثم القضاة على منازلهم، وقرأه القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب
السر الشريف، فشكر الناس جلوس السلطان من غير كرسي؛ لأن الخليفة القائم
بأمر الله - المذكور - يوم خلع الملك المنصور عثمان عد من ذنوبه أنه جلس على
كرسي يوم قريء تقليده، وبقي الخليفة تحت رجليه بجانب الكرسي.

فلت: وكذا كان فعل والده الملك الظاهر جقمق مع الخليفة المعتضد بالله
أبي الفتح داود يوم قريء تقليده أيضاً.

ولعل ذلك عادة الملوك السالفة، والله أعلم، فإن (الملك) الظاهر جقمق
كان عنده تواضع مع العلماء والفقهاء، فكيف الخلفاء؟!

ثم أن الملك الأشرف بعد القراءة خلع على الخليفة وغيره، وانفض
المجلس.

وفي ليلة الجمعة سابعه توفي قاضي القضاة بدر الدين، محمد ابن الشيخ ناصر الدين محمد ابن العلامة شرف الدين عبد المنعم البغدادي الحنبلي، ودفن من الغد، وكانت جنازته مشهودة، رحمه الله. وسيأتي ذكره في آخر السنة إن شاء الله - تعالى - مع من يذكر عن توفي فيها.

وفي يوم الخميس - المذكور - رسم السلطان بعود الأمير قيزطوغان انغلائي [٢٦٧] الأستاذار - كان - إلى دمشق، ورسم - أيضاً - بعود الأمير غرس // الدين خليل من شاهين الشيخي أحد مقدمي الألوفا بدمشق، وكان جاوز قطيا.

وفي يوم الجمعة ثامنه عقد عقد الأمير يونس الأقبائي الدوادار الكبير على بنت السلطان الملك الأشرف إينال بجامع القلعة، بحضرة السلطان.

وفي يوم السبت تاسعه استقر الشيخ العلامة القاضي عز الدين أحمد، قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية بعد موت قاضي القضاة بدر الدين ابن عبد المنعم - رحمه الله .

وفيه رسم السلطان بأن يحط عن البلاد بالوجه القبلي والبحري ربع ما كان يطرح عليهم في الأيام الظاهرية جقمق من النظرون، فسّر الناس بذلك وتباشروا بإزالة المظالم .

وفي يوم الأحد سابع عشره ورد الخبر على السلطان من الوجه القبلي بقتل الأميرين: الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق كاشف البهناوية، والأمير سونجيجا اليوسي الناصري فرج أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة، وأمرهما من الغرائب، وهو أن السلطان لما ندب الأمير سونجيجا لمسك الأمير تغري بردي - المذكور - وخرج من القاهرة حتى وصل إلى قرية قمن لاقاه الأمير تغري بردي - المذكور - بالقرب منها وقد علم بما جاء سونجيجا بسببه، فأذعن بالطاعة وتقدم وسلم عليه، فلما حاده قبض عليه سونجيجا وقال له: معي مرسوم شريف بالقبض عليك، ووضع الجزير في عنقك. فقال تغري بردي: السم والطاعة، ولا يحتاج لذلك. فقال سونجيجا - لحظ نفس كان بينها قديماً: لا بد من ذلك. فنادى تغري بردي رفقة: الجيرة. فحطموا على سونجيجا

ورفقته، وكانوا في كثرة ورفقة سونجبغا في قلة، ووقع القتال، فأصاب سونجبغا سهم في رقبته فيسقط منه عن فرسه إلى الأرض مغشياً عليه، ثم أفاق فتكلم كلمة واحدة، ثم قضى نجه. فلما رأى رفقة سونجبغا ذلك انتدب بعضهم وضرب تغري بردي بالسيف ضربات إلى أن طارت يده ثم مات.

ووقع القتال بين الطائفتين إلى أن انهزم أعوان سونجبغا، وأخذهم ولده وعاد نحو القاهرة، وترك والده سونجبغا ميتاً على الأرض، وكذلك القلاوي.

وقيل غير ذلك. وقد اضطربت الروايات في هذا الخبر لاختلاف أغراض الطائفتين، وأيضاً لضعف الرواة، فإن غالب من كان هناك غير ثقة. والصحيح أنها قتلا في ساعة / / واحدة.

[٢٦٨]

وفي يوم الاثنين استقر الطواشي لؤلؤ الأشرفي الرومي مقدم الممالك السلطانية بعد عزل الأمير مرجان العادلي المحمودي الحبشي.

وفيه استقر الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي الخازندار أمير حاج المحمل بعد موت سونجبغا.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره رد السلطان إقطاع الأمير يلباي الإيتالي المؤيدي بعد موت سونجبغا؛ لأن سونجبغا كان أخذه في الدولة المنصورية عثمان لما قبض على يلباي - المذكور - وحبس بشغر الإسكندرية حسب ما تقدم.

وفي يوم الأربعاء العشرين منه وصلت رمة الأمير سونجبغا إلى القاهرة، ودفنت بالقرافة بالقرب من قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه نودي بالقاهرة على الدينار الذهب الأشرفي بأن يكون سعره مائتين وخمسة وثمانين درهماً، وكان الدينار - المذكور - قد مشى بين الناس من مدة أشهر وتعاطوه بثلاثمائة درهم وثلاثين درهماً، فشق ذلك على الناس إلى الغاية.

ونودي - أيضاً - بعدم المعاملة بالدينار المنصوري الذي زنته درهم واحد،

وكان هذا الدينار قد ضربه الملك المنصور عثمان في أيام سلطنته، وجعله بمائتين وتسعين درهماً.

وفيه أنعم السلطان على الأمير يرشباي الإينالي المؤيدي. الأمير آخور الثاني - كان - بإقطاع تغري بردي القلاوي.

وأنعم على الأمير سودون الإينالي المؤيدي - المعروف بقراقاش - بإقطاع عبد الله الكاشف، وكان قد وعد به قبل تاريخه كما تقدم ذكره.

وأنعم على الأمير تنم الحسني الأشرفي بإقطاع برسباي الساقى، وعلى الأمير قلمطاي الإسحاقى الأشرفي برسباي بإقطاع يلغا الجاركسى بحكم عجزه. لكل واحد إمرة عشرة.

وكان إقطاع يلغا - هذا - قد وعد به الأمير يلباي - قبل تاريخه - فلما رد إلى يلباي إقطاعه أنعم السلطان بإقطاع يلغا على تنم وقلمطاي المذكورين.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه وصلت رمة الأمير تغري بردي القلاوي إلى القاهرة ودفنت - أيضاً - بالقرافة.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه أنعم السلطان على السيفي أربك المؤيدي الخاصكى، وعلى السيفي أربك البواب الأشرفي برسباي بإمرة عشرة لكل واحد منها إمرة خمسة.

[٢٦٩] وكان هذا الإقطاع // - أيضاً - من جملة ما بيد سونجبغا من الإقطاعات.

وفيه استقر قراجا العمري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة كاشف إقليم البهناوية عوضاً عن تغري بردي القلاوي.

وفيه استقر الأمير يلباي والأمير سودون قراقاش كل منهما رأس نوبة. وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه نودي على الدينار الذهب بأن يكون سعره على عادته (ب) ثلاثمائة وعشرين درهماً.

وفيه استقر الأمير تنم والأمير قلمطاي كل منهما رأس نوبة من جملة رءوس النوب.

وفيه كتب مرسوم شريف يعود محب الدين ابن الشحنة إلى حلب بعد أن قارب قطيا أو تجاوزها على أقبح وجه.

وفي يوم الجمعة تاسع عشرينه كان الفراغ من مدرسة الرئيس سعد الدين إبراهيم بن الجيعان التي أنشأها بخط بولاق على شاطئ النيل بين قاعة الحجازية والبرابجية، وأقيم بها الخطبة، وصلى فيها الجمعة، وحضر فيها جماعة من أعيان الدولة.

جمادى الآخرة

أوله السبت.

فيه توفي الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير - كان - وأحد مقدمي الألف الآن، ودفن من يومه بالصحراء خارج القاهرة.

قلت: لا مفر من الموت، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، وهو أنه لما قبض عليه الملك المنصور عثمان وحبسه بشعر الإسكندرية وقد قصد حاشية المنصور أخذ روحه، فلم يلبث في السجن غير أحد وثلاثين يوماً وخلصه الله على يد الملك الأشرف إينال، وأنعم عليه الأشرف - المذكور - بإمرة مائة وتقدمة ألف بعد موت الأمير أرنبغا اليونسي، فلم تطل مدته ومرض ولزم الفراش حتى توفي، فكانت مدة أيامه بعد الإفراج عنه تقارب مدة أيام حبسه، فإنه قبض عليه يوم الخميس سابع عشر صفر، وقدم القاهرة في يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول، يأتي ذلك كله في هذا الكتاب مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وفي يوم الاثنين ثالثه أنعم السلطان بإقطاع دولات باي الدوادار على الأمير خيربك المؤيدي أتابك دمشق - كان - وهو إمرة مائة وتقدمة ألف، بعد أن أخرج السلطان ما كان في الإقطاع من الزيادات، فأنعم بقرية منبابة تجاه بولاق // على الخليفة، وقرية أخرى بالوجه القبلي على الأمير جانبك الظاهري [٢٧٠] جقمق شاد بندر جدة.

وفي يوم الأربعاء خامسه ورد الخبر بموت الأمير قانصوه النوروزي أحد

مقدمي الألف بدمشق، وأنعم بإمرته على الأمير قانك المحمودي المؤيدي أحد
الأمراء البطالة بدمشق.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره عين السلطان تجريدة إلى البحيرة نحو ثلاثمائة
مملوك من المماليك السلطانية، وعليهم الأمير طوخ من تراز الناصري أمير مجلس.
وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة - أعني الماء القديم والذي أضيف
إليه من زيادة هذه السنة - ثمانية أذرع وخمسة أصابع.

وفي يوم الجمعة رابع عشره وصل إلى القاهرة القاضي محب الدين
محمد بن الشحنة بعدما كان رسم السلطان بعوده إلى حلب ثانياً، فلما بلغه ذلك
أرسل وعد السلطان بمال كثير، فرسم له بالقدوم فقدم في اليوم - المذكور -
وحمل إلى الخزانة الشريفة نحو العشرة آلاف دينار - على ما قيل - وطولب بأكثر
من ذلك، وهو الآن في شغل بنفسه بسبب ما طولب به .

قلت: وهذا دأب هذا الشقي ؛ فإنه لم يزل يحمل ذمته ويحمل إلى أرباب
الدولة الأموال الكثيرة والتحف حتى يبلغ مقاصده السيئة في أذى المسلمين، على
أنه لم يزل في ذل وصغار ويهدلة وتراسيم، بل ربما أهين بالضرب والحبس في
بعض الأحيان، وهو مع ذلك لا يزداد إلا حرصاً في السعي والتردد إلى الأكابر.

وقد ذكرنا من حاله شيئاً كثيراً مفصلاً في وقته، على أننا سكتنا عن
الأكثر ؛ وذلك لما فيه من الشناعة، من كونه متخلق بأخلاق الفقهاء، بل
قاضي الشريعة ومن أعيان فقهاء الحنفية، ومن بيت علم وفضل.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه سافر الأمير طوخ بمن معه من المماليك
السلطانية إلى البحيرة.

شهر رجب

أوله الأحد.

فيه رخصت الأسعار حتى أبيع الإردب القمح بمائة وأربعين درهماً إلى ما
دونها، والفول بتسعين درهماً الإردب إلى ما دونها، والشعير كذلك، وانحط سعر

سائر الحبوب، وكذلك سائر المأكولات من اللحوم وغيرها، ولله الحمد.

وفي هذا الشهر لهجت الناس بوقوع فتنة، ولم يدر // أحد من القائم [٢٧١]
بهذا الأمر، بل الظاهر أن جماعة من أعيان الدولة نفروا خاطر السلطان من
جماعة الأشرفية حسداً لهم، ووغروا خاطره عليهم، وحذروه منهم، فانقاد لهم
السلطان قليلاً في الباطن لما عنده من إلحاح الأشرفية عليه في طلب الإقطاعات
والوظائف، وإدخالهم فيما لا يعنيه، على أنه إلى الآن يعطيهم ما سألوا،
ويظهر لهم المحبة والميل.

وفي يوم^(١) الخميس ثاني عشره نوادي بزيينة القاهرة لأجل دوران
المحمل، فزينت القاهرة أحسن زينة.

وفي يوم الجمعة ثالث عشره عقد عقد الأمير جانبك الأشرفي الخازن دار
على بنت الملك الظاهر جقمق بحضرة السلطان الملك الأشرف إينال.

وفي يوم الاثنين سادس عشره دار المحمل بالقاهرة، ولعبت الرماحة
بالرملة بين يدي السلطان على عادة السنين الماضية، وكان محملاً بهيجاً إلى
الغاية، وسر الناس بعمله سروراً زائداً، وتغالوا في اكتراء البيوت والخوانيت
والأسطحة مغالاة كبيرة.

ومما وقع فيه من اللطائف أنهم لما زينوا القاهرة وشرعت عفاريت المحمل
تضحك الناس على العادة - وهم جماعة من الأجناد وغيرهم يغيرون صفاتهم
هيئة مزعجة مهولة إلى الغاية، ويركبون خيولاً بالقلاقل والأجراس والشراشح،
ويعتبون على العوام - فلما كان يوم المحمل خرج شخص من التجار المشاركة
يسمى سليمان على فرس له، وقصد جهة من الجهات، فلما صار في وسط الحلقة
قصده عفريت وطعنه برمح حتى رماه عن فرسه بعد أمور وقعت بينها، فضحك
الناس من ذلك، فقال في هذا المعنى شخص من الفضلاء يسمى الشيخ حسن
ابن الشيخ إبراهيم التلوي الحصني بيتين، وأنشدنيهما من لفظة :

أرى كل شيء يستحيل بضده ولم أر شيئاً في الزمان كما كانا
سليمان كم أرمى العفاريت في بلا وعفريت هذا الدهر أرمى سليمانا
(الطويل)

(١) يوم « مكررة في الأصل .

وفي يوم الخميس تاسع عشره لبس عب الدين ابن الشحنة خلعة
الاستمرار بقضاء حلب.

وفيه ندب السلطان الأمير قائم الأشرفي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة
بنقل الأمراء المسجونين بشعر الإسكندرية منها إلى حبوس البلاد الشامية، ما خلا
[٢٧٢] الأمير تميم أمير سلاح والأمير قاني باي الجاركي أمير / / آخور، وهم:

الأمير تمرغا الدوادر، والأمير لاجين شاد الشراب خاناه، والأمير أربك
الحازندار، والأمير سنقر الأمير آخور الثاني، والأمير جانم الساقى رأس نوبة،
والأمير قراجانبك نائب الإسكندرية، والأمير سودون رأس نوبة، والأمير جانبك
البواب، والجميع ظاهرة جقمقية .

وفي هذا اليوم استقر السفي طوغان شيخ الأشرفي ناصر الحرم
بمكة - المشرفة - وما معها ، عوضاً عن بردك التاجي لكثرة الشكاة عليه .

وفي يوم السبت حادي عشره استقر القاضي^(١) الزيني أبو بكر ابن
القاضي بدر الدين محمد بن مزهر في نظر الإصطبلات، عوضاً عن القاضي
برهان الدين ابن الديري الحنفي .

وفي يوم الجمعة سادس عشره ورد الخبر بقتل الأمير قشتم المحمودي
الناصري فرج كاشف البحيرة .

وأمره: أنه لما نزل عرب لبيد بالقرب من تروجة حسن إليه جماعة من عرب
الطاعة أنه يتوجه إليهم ويردعهم، وكانوا لبيد في الاف من العربان، فتوجه
قشتم - المذكور - إليهم وقاتلهم بمن معه من البلاصية لا غير وعربان الطاعة، ثم
انكسر وقتل هو وجماعته وجماعة من العربان، ولم ينج منهم إلا القليل .

وأما أمر الأمير طوخ أمير مجلس بمن معه من الممالك السلطانية، فإنه لم
يوافق قشتم على قتال لبيد، واعتذر أنه لم يكن معه مرسوم بقتلهم، فسلم هو
وجماعته، وقتل قشتم - رحمه الله .

(١) في : أ : : القاضي .

وكان قشتم - المذكور - من محاسن الدهر، يأتي ذكره في آخر هذه السنة، عند تراجم من مات فيها - إن شاء الله تعالى .

وفي هذه الأيام أنعم السلطان على السيئي حكم الأشرفي - خال الملك العزيز، الذي قدم قبل تاريخه من مكة المشرفة - بإقطاع بردك التاجي المقيم بمكة؛ لسوء سيرة بردك - المذكور - ولشكوى الناس منه، ورسم بنفي بردك - المذكور - من مكة إلى البلاد الشامية . والإقطاع إمرة عشرة .

وفي يوم الاثنين سلخه - ويوافقه ثالث عشر مسرى أحد شهور القبط - أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً، وزاد أربعة أصابع من الذراع السابع عشر، فندب السلطان الملك الأشرف إينال ولده المقام الشهابي أحمد للنزول لفتح الخليج، فركب في وقته من قلعة الجبل في وجوه // الدولة، ونزل وعدى النيل حتى خلق [٢٧٣] المقياس، ثم عاد في الحراقة وفتح خليج السد على العادة، ثم عاد إلى القلعة، وخلع عليه والده فوقاني بطرز زركش، وكان يوماً مشهوداً، وسر الناس بوفاء النيل سروراً زائداً، والله الحمد . وما أحسن قول سبط الملك الحافظ في هذا المعنى :

لله در الخليج إن له تفضلاً لا يزال نشكره
حسبك منه بأن عادته يجبر من لا يزال يكسره
(المسرح)

وفيه استقر ابن حسن بك الدوكاري في كشف الوجه البحري، عوضاً عن قشتم المذكور .

شعبان

أوله الثلاثاء .

فيه عين السلطان تجريدة إلى البحيرة نجدة للأمير طوخ لقتال لبيد، وهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية، وجماعة من الأمراء الألوف والطبلخانات والعشرات .

فأما الألوف فرأسهم الأمير خشقدم المؤيدي أمير سلاح، والأمير قرقماس الأشرفي رأس نوبة النوب، والأمير برسباي البجاسي .

وأما الطبلخانات والعشرات فجماعة يطول الشرح في تسميتهم.
وسافروا الجميع من الغد في يوم الأربعاء.

وفي يوم الخميس ثلثه لبس الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم
ناظر الجيوش المنصورة والخاص كاملية بسمور، لكونه قام بتمام جهاز بنت
السلطان.

وفي يوم السبت خامسه حمل جهاز بنت السلطان الملك الأشرف إينال إلى
بيت زوجها الأمير يونس الأقبائي الدوادار الكبير تجاه الكبش، وكان
الجهاز - المذكور - يقارب جهاز أولاد السلاطين، ولكن أين هذا من جهاز بنت
الملك الظاهر جقمق التي زوجها بمملوكه الأمير أزيك من ططخ الساقى؟! فإنه
كان أكثر تحفاً وأحسن قماشاً.

وفي يوم الثلاثاء ثامنه عمل السلطان مدة بالحوش السلطاني للأمراء
وغيرهم. وكان الأمير يونس عمل في أمسه يوم الاثنين مدة - أيضاً - للأمراء
بحسب الوقت والحال، واستمر المهم من يوم الاثنين إلى يوم الخميس تاشره،
ثم حملت بنت السلطان في محفة في آخر النهار - المذكور - إلى بيت زوجها يونس،
وبنى بها في تلك الليلة.

ووقع في نزوها أمر قبيح إلى الغاية، وهو أن النسوة اللاتي كن في المهم
[٢٧٤] بالدور السلطاني لما خرجن في العنمة اختطف بعضهن جماعة // من المماليك
السلطانية الأجلاب الذين بالأطباق، وكثر كلام الناس في هذا السبب، وتشوش
خاطر كل من كان حريمه بقلعة الجبل من أن المأخوذ يكون حريمه، فإنه لا يدري
أحد من المأخوذ.

فأصبح السلطان يوم السبت أعرض ممالك الأطباق، ورسم بنزول جماعة
منهم إلى القاهرة.

وفي يوم الاثنين رابع - عشره رسم السلطان بكتابة مرسوم شريف إلى
دمشق المحروسة بالإفراج عن أبي الخير النحاس من سجن قلعة دمشق، ورسم
له بالركوب والنزول والتوجه إلى حيث شاء.

وفي يوم الخميس سابع عشره رسم السلطان بمجىء الأمراء الذين بالبحيرة بمن معهم من العساكر السلطانية، فعندما بلغهم ذلك عادوا إلى جهة القاهرة حتى وصلوها في يوم الأحد سابع عشرينه، فخلع السلطان على الأمراء الألوف كل واحد فوقاني بطرز زركش.

شهر رمضان

أوله الأربعاء، ويوافقه ثامن توت أحد شهور القبط. فيه ركبت الممالك السلطانية بالرميلة بغير سلاح، وطلبوا من السلطان نفقة ثانية، وقالوا: تلك النفقة التي أخذناها كانت النفقة التي صرنا الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق، وصمموا على ذلك، وترددت الرسل بين السلطان وبينهم، وهم: الأمير جانبك المرتد، والأمير سودون قراقاش المؤيدي رأس نوبة، وتكرر نرددهم ثلاث مرات حتى انتهى الكلام أن السلطان يرضيهم بعد ثلاثة أشهر، واعتذر لهم أنه لم يكن بالخزانة الدينار الواحد.

وفي هذا اليوم تسحب صاحب الوزير أمين الدين إبراهيم بن الهيصم لعجزه عن القيام بالكلف السلطانية، وأُشيع تولية الجمالي ناظر الجيش والخاص الوزير، فصمم على عدم القبول واستعفى غير مرة.

وفي يوم السبت رابعه استقر زين الدين فرج بن ماجد بن النحال كاتب الممالك السلطانية وزيراً بعد تسحب صاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم.

وفي يوم الاثنين سادسه لبس فرج - المذكور - خلعة الوزير - الطرحة^(١) والقيع^(٢) الزركش والقلادة^(٣) والأخفاف - على عادة الوزراء ؛ فإنه كان يوم

(١) الطرحة هي الطيلسان المقور - راجع : المقرئزي : الخطط ج ١ ص ٤٤٠ ، دوزي . المعجم المفصل ص ٢١٢ - ٢١٦ .

(٢) القبع ، والجمع : أقباع ، هو الكلوتة أو الطاقية أو العرقية - دوزي . المعجم المفصل ص ٢٧٩ - ٢٨١ .

(٣) أشار المقرئزي (الخطط ج ١ ص ٤٤٠) إلى أنه (لقصور أحوال الدولة - على وقته - جعل عرض العقد الجواهر الذي كان للوزير - وفك بخمسة آلاف مثقال ذهباً - قلادة من عنبر مغشوش ، يقال لها : العنبرية : ويتميز بها الوزير خاصة) .

السبت لبس كاملية بمقلب سمور لا غير ، وهو أن السلطان كان عين الكاملية للصاحب أمين الدين المتسحب لتكون خلعة الاستمرار ، فلما تم اختفاء [٢٧٥] صاحب أمين الدين طلب السلطان - فرج المذكور / / والبسه إياها ، ثم أطلع عليه في يوم الاثنين هذا خلعه الوزير .

وفيه استقر شخص من القبطية يسمى زين الدين عبد الرحمن من جملة كتاب الممالك في كتابة الممالك ، عوضاً عن فرج المذكور .

وفي يوم الأربعاء ثامنه ورد الخبر على السلطان بموت الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي الأعرج نائب صفد ، فرسم السلطان بنقل الأمير إياس الناصري فرج الطويل أتاك طرابلس إلى نيابة صفد ، عوضاً عن بيغوث - المذكور - وحمل إليه التشريف والتقليد على يد الأمير خشكلدي القوامي الناصري أحد أمراء العشرات .

واستقر حطط الناصري المعزول عن نيابة غزة قديماً ، وهو إذ ذاك أحد أمراء طرابلس في أتاكية طرابلس ، عوضاً عن إياس المذكور .

وأنعم بإقطاع حطط - المذكور - على جانبك المحمودي المؤيدي أحد البطالين بطرابلس ، وهي إمرة عشرين .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره لبس الأمير خشكلدي القوامي خلعة السفر .

وفي عصر يوم الجمعة سابع عشره ركب الأمير جانبك من أمير الأشرفي الخازندار أمير حاج المحمل المسيرة على النجب ، ودار الرملة ، ثم توجه إلى جهة الصحراء خارج القاهرة ، وعاد بعد عشاء الآخرة من يومه ، وكانت هذه المسيرة من المحاسن التي أبطلها الملك الظاهر جقمق .

وفي يوم الاثنين عشرينه - ويوافقه سابع عشرين توت أحد شهور القبط - بلغت زيادة النيل المبارك إلى اثنين وعشرين إصباعاً من الذراع التاسع عشر ، وهو آخر زيادة النيل في هذه السنة .

وفي ليلة الأربعاء تاسع عشرينه دخل رجل من العامة إلى الجامع الأزهر من القاهرة، فمسكه المجاورون، وهم الذين برواق الريافة، وذكروا أنه أخذ لهم قبقاباً، فتكاثروا عليه وضربوه حتى مات، وألقوه على باب الجامع - المذكور - فحضر والي القاهرة خير بك القصري لدفنه، وهرب من الجامع من الريافة أجمعين، وطلبهم العامة للفتك بهم فلم يجدوا بالجامع أحداً منهم، وتغير خاطر الخاص والعام عليهم، وانطلقت الألسن بسبهم، وذكروا مساوئهم وما يفعلونه من القبائح. ثم عادوا بعد أيام بأمان من السلطان.

هذا، والناس في قلق زائد من الإشاعة بركوب المماليك السلطانية على السلطان في يوم عيد الفطر.

شوال

أوله الجمعة.

فيه حضر السلطان الملك الأشرف صلاة العيد // بجامع القلعة، ثم [٢٧٦] خلع على الأمراء وأرباب الوظائف على العادة في كل سنة، وانفض الموكب ولم يحصل إلا الخير والسلامة.

ثم حضر السلطان من يومه صلاة الجمعة بالجامع - المذكور - وعاد إلى الدور، ونزل كل أمير إلى بيته، وقد كثر كلام الناس في هذين الخطبتين في يوم واحد، ولهجت الألسن بالتشاؤم بهن على الملك، فسبحان علام الغيوب.

وفي يوم الاثنين حادي عشره لبس الأمير جانبك الظاهري جقمق شاد بندر جدة على عادته في السنين الماضية، عوضاً عن برديك التاجي، ونفى برديك التاجي إلى القدس، وهو يوم وصوله من الحجاز إلى الصحراء، فتوجه إلى القدس قبل دخوله إلى القاهرة.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشره ورد الخبر بانضمام ممالك الزيبي يحمي الأستادار الذين توجهوا إلى جهة قبلى لقتال عرب قتيل الخارجة عن الطاعة، بعد أن قتل من ممالك الزيبي يحمي الأستادار نحو ستة أنفار.

وفي يوم الجمعة خامس عشره وصل الخبر من الشريف بركات بن حسن ابن عجلان أمير مكة يتضمن خروج القواد ذوي عمر عليه وانضمامهم على الأشراف، ورأس الأشراف أحمد بن إبراهيم بن حسن بن عجلان، وأراد الجميع نهب التجار الذين بمكة والفتك ببركات - المذكور - وأن بركات لبس وعسكره آلة الحرب، ونزل بين جدة وحدة ليقاثل هؤلاء المذكورين ويمنعهم من مقصودهم، وطلب - أيضاً - خمسين مملوكاً من المماليك السلطانية زيادة على الخمسين التي تتوجه صحبة الحاج على العادة في كل سنة لتتمة مائة مملوك.

فلما بلغ السلطان الخبر أصبح من الغد في يوم السبت قبض على الشريفين زاهر بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان، وابن علي بن حسن بن عجلان، وحبسهما بالبرج من القلعة، وكانا بالقاهرة.

وفي يوم الاثنين ثامن عشره برز أمير حاج المحمل الأمير جانيك - المستأجر - إلى بركة الحجاج، وأمير حاج الركب الأول عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الأجناد الحجاب.

وفيه تسحب الزيني يحيى الأستاذار ولم يعرف أين ذهب، وبلغ السلطان الخبر فأرسل طلب علي بن الحاج محمد الأهناشي أستاذار ولد السلطان المقام الشهابي أحمد، وخلع عليه باستقراره أستاذاراً عوضاً عن زين الدين المذكور.

وعلى - هذا - كان برددارا عند زين الدين الأستاذار في أيام مباشرته، [٢٧٧] ولكنه أعرف بديوان // المفرد من غيره، ونزل بالخلعة وبين يديه أعيان الدولة.

قلت: والله در القائل:

بذا قصت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

[الطويل]

ثم إن السلطان بعد ولاية الأهناشي الأستاذارية رسم من يومه بأن يكتب إلى الأقطار والأعمال مراسيم شريفة تتضمن القبض على زين الدين - المذكور - حيث أمكنهم، والفحص عليه وتطلبه في كل مكان وجهة.

وأصبح على الأهناسي الأستاذار قبض على جماعة من مماليك زين الدين الأستاذار وحواشيه، وضرب دوداره جانبك وأمير آخوره فرج، وألزمهما بحمل مال له صوره، وفعل ذلك بغيرهم من مباشري الديوان في إلزام المال لا غير.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه فرق الأستاذار الجامكية على العادة.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه وصل قاصد خوندكار محمد بن مراد بن عثمان متملك برصا وغيرها من بلاد الروم لتهنئة السلطان الملك الأشرف إينال بالسلطنة، وأيضاً يبشره بهذا الفتح العظيم الذي فتحه الله على مرسله محمد المذكور.

وهو انه فتح مدينة إسطنبول عنوة، وأخذها من الفرنج بعد قتال عظيم في يوم الثلاثاء، العشرين من جمادي الأولى بعد أن أقاموا في محاصرتها من يوم الجمعة سادس عشرين ربيع الأول من السنة، وقدم القاصد - المذكور - معه بأسيرين من عظماء أهل قسطنطينية - وقسطنطينية هي كنيسة اسطنبول، وهي قدر مدينة عظيمة - وشق بهم القاهرة وقد زينت القاهرة بسبيهم - والله الحمد - واستمرت الزينة بالقاهرة أياماً والطبلخاناه السلطانية تدق في صباح كل يوم، وحصل للناس قاطبة السرور الذي لا مزيد عليه.

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه طلع قاصد خوندكار محمد بن مراد بن عثمان إلى القلعة بعد أن شق القاهرة ثانياً وقد زينت - وكان قد أنزله السلطان بدار زين الدين يحى الأستاذار بعد هروبه، تجاه مدرسته التي عند باب سعادته - وقد احتفل السلطان لطلوع القاصد - المذكور - وعمل الخدمة بالحوشر السبطاني من القلعة من غير أن تحضر القضاة، وتمثلوا بين يدي السلطان. وقدموا ما معهم من الهدية التي أرسلها محمد بك المذكور.

وكانت على عدة أقفاص حمالين، تسعة^(١) // أقفاص سمور، وتسعة [٢٧٨]

وشق، وتسعة قاقم، وتسعة سنجاب، وتسعة غملم مذهب، وتسعة غملم ملون بلا ذهب، وتبعة شقق أطلس، ومماليك نحو من ثلاثين مملوكاً

(١) تسعة: مكررة في ١٤١.

فقبل السلطان الهدية ورحب به، ثم أنزل إلى محل إقامته ومعه رفقته، وهم يتفرجون في زينة القاهرة - وكانت زينة عظيمة - واستمرت الزينة أياماً كثيرة، وتغالت العوام فيها، واستمرت البشائر تدق في صباح كل يوم أياماً.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه خلع السلطان على الأستاذار على الأهناسي باستقراره ملك الأمراء بالوجه القبلي والبحري، وكشف الجسور بالوجه البحري.

وفيه نودي بالقاهرة على زين الدين الأستاذار وهدد من أخفاه بالشنق ووعد من أحضره بألف دينار إن كان متعمداً، وإن كان جندياً يعطي إقطاعاً

ثم أصبح في يوم الأربعاء - أيضاً - نودي بمثل ذلك في شوارع القاهرة، وأضيف إلى الأستاذار صاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم الذي كان تسحب قبله، ثم نودي في يوم الخميس - أيضاً - بذلك.

وفيه نودي بتقوية الزينة. وما كان يحتاج إلى هذه المناداة، فإن العامة تغالوا في ذلك، ولم يبق أحد منهم ممكناً، ولم تكن الزينة في الشارع الأعظم وحده، بل كانت في كل شارع من شوارع القاهرة، ووقع في مدة أيام هذه الزينة مفساد عظيمة إلى الغاية؛ من فسق وتعاطي منكرات لطول مكث الزينة في هذه الأيام.

وفي يوم الجمعة سلخه - الموافق لسادس هاتور أحد شهور القبط - لبس السلطان الملك الأشرف إينال القماش الصوف الملون، وألبس الأمراء على العادة - في كل سنة.

ذو القعدة

أوله السبت

ثبت سعر الذهب الأشرفي في الصرف ثلاثمائة وخمسة وثلاثين درهماً، وفي المعاملة ثلاثمائة وأربعون، والمنصوري بمائتين وخمسة وتسعين درهماً، وبثلاثمائة في المعاملة، وهو الدينار الذي ضربه الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر

جقمق، وزنته درهم واحد، وكانت هذه الزيادة من أواخر الشهر الماضي .
وفيه أضاف السلطان القاصد - المذكور - بالحوش من القلعة ومد له مدة
هائلة ، وخلع عليه كاملية مخمل أحمر بفرو سمور بمقلب سمور .
وفيه نودي بهدم زينة القاهرة .

/ / وفي يوم الاثنين ثالثه استقر القاضي محب الدين ابن الشحنة الحنفي [٢٧٩]
كاتب السر الشريف بالديار المصرية، بعد عزل القاضي محب الدين ابن الأشقر
على مال بذله في ذلك، وهو مبلغ عشرة آلاف دينار .

وفي يوم الثلاثاء رابعه خلع السلطان على العلائي علي بن إسكندر
باستقراره والي القاهرة بعد عزل خير بك القصري على مال بذله - أيضاً - وهو
مبلغ أربعة آلاف دينار .

وعلى - هذا - هو الذي كان ولي الحسبة الكبرى بالقاهرة في الدولة
الظاهرية جقمق بسفارة أبي الخير النحاس .

وفي يوم الخميس سادسه خلع علي الشيخ على المحتسب العجمي كاملية
بمقلب سمور، خلعة الاستمرار على وظيفة الحسبة .

وسبب ذلك أن شخصاً من أوباش الناس سعى في الحسبة بمبلغ ثلاثة
آلاف دينار، وكان السلطان قد مال إلى توليته، فتكلم بعض أرباب الدولة في
استمرار الشيخ علي - المذكور - على أن يحمل إلى الخزانة الشريفة ألفي دينار،
ويكون على حاله .

وفي يوم الاثنين عاشره خلع (علي) يوسف ابن الأمير يشبك الحمزاوي
بنيابة قلعة الروم .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره خلع على الأستاذار خلعة كشف التراب،
وخلع على الوزير - أيضاً - مثل ذلك، وخلع على ابن الشحنة خلعة الأنظار
المتعلقة بكتابة السر .

وفيه استقر شخص من الكتبة يعرف بابن السكر والليمون ناظر ديوان المفرد.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره نزل المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من القلعة، وتوجه إلى الرماية. ومعه الأمير خشقدم أمير سلاح، والأمير برسبای البجاسي أحد مقدمي الألوف بالقاهرة، وجماعة آخر من أمراء العشرات وغيرهم - وهذا أول نزوله إلى الرماية - وعاد من الغد في يوم الخميس.

وفي يوم السبت خامس عشره استقر ناصر الدين محمد بن أصيل - موقع السلطان قديماً في أيام إمرته - في نظر الجوالي بعد عزل شرف الدين موسى الثاني الأنصاري عنها.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره خلع السلطان على القاضي محب الدين ابن الأشقر باستقراره في نظر خانقاه سرياقوس، عوضاً عن تمتاز الإينالي الأشرفي الدوادار الثاني بحكم عزله.

[٢٨٠] وفي هذا // اليوم أمر السلطان بهدم مكان مبنى على يمين محراب زيادة جامع الحاكم، فهدم بحضرة قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، والصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص، وجماعة - أيضاً - من أعيان الدولة حتى أتوا على قطعة جيدة منها فلم يقعوا على قصدهم، فكفوا عن الهدم وعادوا أخبروا السلطان بما وقع.

وسبب ذلك أنه شخصاً من العبيد البابية برحبة الأيدمري طلع إلى السلطان، وقال له : عندي ما يدل على أن بالموضع الفلاني صندوق بلور فيه أوراق تدل على خبيثة بالجامع المذكور. فسمع له السلطان وفعل ما ذكرناه بحضرة العبد - المذكور - فلم يجد إلا التعب والقالة.

وانصرف كل أحد إلى حال سبيله، وكثر تردد الناس إلى موضع الهدم للفرجة أياماً.

وفي يوم الخميس عشرينه سافر الأمير يرشباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني - كان - رسولاً إلى بلاد الروم، وسافر قاصد متملك الروم بعده في يوم السبت ثاني عشرينه.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه بلغ السلطان خروج صاحب
أمين الدين إبراهيم بن الحصم من اختفائه، وأنه متمرض عند بعض أقاربه
بالمقس، فأمنه السلطان وأمره بلزوم داره.

وفيه ورد الخبر من الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب بأخذ مدينة
دوركي وقلعتها من نائبها ابن شهري، وأن نائبها - المذكور - هرب منها بعد أن
حوصر عدة أيام كثيرة.

وسبب ذلك أن ابن شهري - المذكور - لما كان نائباً بدوركي داخله
الطمع، فاستولى على مال للسلطان وغيره في ذلك الاضطراب في أوائل الدولة،
وعصى بعد أخذ المال، فقاتله أهل دوركي أياماً كثيرة إلى أن هرب منها،
وتسلمها جماعة من جهة نائب حلب، وأرسل نائب حلب يعلم السلطان بذلك.

وفي هذا اليوم أعيد منصور بن شهري إلى نيابة كركر، فإنه كان قدم قبل
تاريخه بأيام بعد أن عصى أخوه نائب دوركي خوفاً من الكلام.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه مسك السلطان ير علي الخراساني محتسب
القاهرة وجبسه عند الأمير فيروز النوروزي الخازن دار على مال طلبه منه.

وفي يوم السبت // تاسع عشرينه استقر علي ابن شهاب الدين أحمد [٢٨١]
الكاشف المعروف أبوه بابن أم خرج في حبة القاهرة، بعد عزل الشيخ (ير)
على الخراساني - المذكور - وذلك بمال بذله نحو الثلاثة آلاف دينار.

ذو الحجة

أوله الأحد.

كان هذا الشهر والذي قبله نواقص، لأن أول شوال كان الجمعة، وأول
ذي القعدة السبت، بل أرخه بعض الناس الأحد، فيكون ذو القعدة على حكم
من أرخه الأحد ثمانية وعشرين يوماً - انتهى.

ففي يوم الاثنين ثاني ذي الحجة خلع السلطان على الأمير جانبك
النوروزي المعروف بنائب بعلبك - أحد أمراء الطليخانات ورأس نوبة - نبابة

الإسكندرية، بعد عزل الأمير يونس العلاني الناصري، ولبس خلعة السفر في يوم الخميس خامس، ومار إلى محل نيابته.

وفي يوم الاثنين سادس عشره وصل الأمير يونس العلاني من الإسكندرية إلى القاهرة وهو مريض، (و) لازم الفراش:

وفي هذه الأيام عزل السلطان عبد الله كاشف الشرقية، وألزمه بحمل عشرين ألف دينار، وتولى عوضه كشف الشرقية تغري بردي السيفي بخشي باي الأمير آخور الأشرفي.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه استقر الأمير خشكلدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز، أتابك طرابلس، بعد موت الأمير حطط الناصري بمال وعد به، وهو مبلغ أربعة آلاف دينار، ثم تغير ذلك في الوقت، وأنعم السلطان بأتابكية طرابلس على الأمير سودون من سيد (ي) بك القرمانى الناصري أحد أمراء الألوف بحلب.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه ظهر الأمير زين الدين يحيى الاستادار بأمان من السلطان في أمسه، وأصبح طلع إلى القلعة من الغد في يوم الثلاثاء - المذكور - صحبة صاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص، وتمثل بين يدي السلطان وعلى رأسه فوق عمامته منديل الأمان، وعليه ملوطة طرح أو ملوطة بيضاء^(١)، وقبل الأرض، فخاشنه السلطان وأغلظ له في اللفظ ووبخه، وأمره أن يسكن في بعض الدور، ولا يجتمع بأحد البتة، ولا يكتب أحدًا من أعيان الدولة، ومتى وقع منه خلاف ذلك آذاه، وأظهر السلطان عدم الالتفات [٢٨٢] إليه إلى الغاية، ثم تأخر ونزل من القلعة كالمختفي / / من بعض أبوابها وحده.

وفي يوم الثلاثاء - هذا - والذي قبله والذي بعده نودي بالقاهرة على الذهب الأشرفي بأن يكون صرف كل أشرفي ثلاثمائة درهم وعشرين درهماً، وهدد من زاد على ذلك.

(١) الملوطة : الجبة أو اللباس الفرقاني الواسع الملبوس فوق الفرجية - راجع : دوزي . المعجم المفصل ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .

وكان قد وصل إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً، بل إلى يوم المنادة على ذلك
السعر، وأظنه يزيد عن ذلك أيضاً.

وفي يوم الجمعة سابع عشرينه صلى السلطان صلاة الجمعة، ودخل إلى
الحريم، فحصل له توعك انقطع فيه إلى باكر يوم الأحد خرج إلى الدهيشة،
ودقت البشائر السلطانية لذلك.

وفي هذا الشهر ورد الخبر من نائب الشام بأن الحاج العراقي نهب، وقتل
غالب من فيه شخص من الخوارج يدعى شعشاع- المدعي أنه المهدي بنوحي
العراق- ولم يبلغ السلطان ذلك من مبشر الحاج المصري، فإنه مرض قبل
وصوله إلى ينبوع، وقدم بالبشارة بعض المهجانة الأعراب، فلم يذكر شيئاً من
ذلك.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة- أعني الماء القديم- ثمانية أذرع وخمسة أصابع، وكان مبلغ
الزيادة ثمانية عشر ذراعاً واثنان وعشرون إصباعاً.



ذكر (من توفي)^(١) من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الشهابي أحمد ابن الأمير فخر الدين عبد الغني ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن أبي الفرج^(٢) والي قطيا في أوائل المحرم ، وهو في أوائل الكهولة ، رحمه الله - تعالى - وعفا عنه .

(٢) وتوفي السلطان الملك الظاهر جقمق العلاني ، أبو سعيد الظاهري^(٣) ، سلطان الديار المصرية ، الرابع والثلاثون من ملوك الترك ، والعاشر من ملوك الجراكسة في ليلة الثلاثاء ثالث صفر ، وصلى عليه من الغد بمصلاة باب القلة من قلعة الجبل ، وحضر ولده السلطان الملك المنصور عثمان الصلاة عليه ، وصلى عليه الخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة ، ودفن بتربة الأمير قاني باي الجاركسي الأمير آخور التي جددها بالقرب من دار الضيافة تجاه قلعة الجبل ، ومات وسنه زيادة على ثمانين سنة .

وكانت مدة ملكه إلى أن خلع بولده الملك المنصور عثمان أربع عشرة سنة [٢٨٣] وعشرة أشهر ويومين ؛ لأنه ولي السلطنة بعد خلع الملك العزيز / / يوسف ابن

(١) ساقط من ١٠١ ، مثبت من ب ، .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٢ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٠ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ تر ٨٤٧ ، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٧٥ - ٣١٢ تر ٨٤٩ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٥٧ - ١٦١ ، ١٦٢ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٧١ - ٧٤ تر ٢٨٧ ، السيوطي . نظم العقبان ص ١٠٣ تر ٦٣ ، عبد الباسط الحنفي . نزهة الأساطين ص ١٣٤ - ١٣٥ تر ١١ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٩ - ٣٠١ ، جواهر السلوك ج ١ ق ١١٨ .

الملك الأشرف برسبائي في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وخلع من السلطنة بولده الملك المنصور عثمان برغبة منه إليه لشدة مرضه في يوم الخميس حادي عشرين المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة، ومات بعد أن خلع باثني عشر يوماً في التاريخ المقدم ذكره.

وكان أصله جاركسي الجنس، جلبه من بلاده خواجاً كذلك إلى الديار المصرية، فاشتراه أمير علي ابن الأتابك إينال اليوسفي ورباه، وأرسله إلى الحجاز صحبة والده وأعتقه، وبقي عنده مدة حتى عرفه أخوه الأمير جاركس القاسمي المصارع وهو إذ ذاك من أعيان خاصكية الملك الظاهر برقوق، وكلم الملك الظاهر برقوق في طلب جقمق - هذا - من أستاذه أمير علي بن إينال المذكور - فطلبه الملك الظاهر من أمير علي وأخذه منه، ولم يعلم أنه أجرى عليه العتق، وأعطاه لأخيه جاركس أئياً^(١) في طبقة الزمام، ثم أعتقه الملك الظاهر برقوق بعد مدة يسيرة، وأنعم عليه بخيل وقماش، ثم جعله بعد أيام خاصكياً؛ كل ذلك بسفارة أخيه جاركس المصارع، واستمر على ذلك سنين إلى أن صار ساقياً في الدولة الناصرية فرج، ثم تأمر عشرة، ثم قبض عليه الملك الناصر فرج وحبسه بالقاهرة لما خرج أخوه عن الطاعة، ثم أطلقه الملك الناصر من الحبس؛ وضرب الدهر ضرباته وتسلطن الملك المؤيد شيخ (ف) أنعم عليه بإمرة عشرة ثم طبلخاناه، وجعله خازنداراً بعد الأمير يونس الركني الأعور بحكم انتقال يونس إلى نيابة غزة، فاستمر على ذلك إلى أن صار بعد موت الملك المؤيد شيخ أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية^(٢)، ثم ولي حجوية الحجاب في أوائل الدولة الأشرفية برسبائي، ثم نقله الملك الأشرف (إلى) الأمير آخورية الكبرى في سنة ست وعشرين وثمانمائة بعد الأمير قصروة من تمرز، بحكم انتقال قصروة - المذكور - إلى نيابة طرابلس بعد (عزل) ^(٣) الأمير إينال النوروزي وقدمه إلى القاهرة على إقطاع قصروة المذكور - كل ذلك حررناه في ترجمته في

(١) الإنى ، والجمع : إنيات ، لعل المراد به الزميل الصغير في خدمة السلاطين والأمراء لأقرانه الكبار .

(٢) في هامش أ: «حاشية: في أيام الظاهر ططر» .

(٣) مضاف من «ب» ،

تاريخنا النهل الصافي والمستوفي بعد الوافي مفصلاً باليوم والسنة - فاستمر جقمق - المذكور - أمير آخوراً سنين عديدة إلى أن نقل إلى إمرة سلاح ، ثم صار أتابك العساكر بعد الأمير إينال الجكمي ، بحكم انتقال الجكمي إلى نياية حلب عوضاً [٢٨٤] عن الأمير قرقماس الشعباني ، وقدم // قرقماس - المذكور - إلى القاهرة أمير سلاح^(١) عوضاً عن جقمق - هذا - واستمر الملك الظاهر جقمق أتابك العساكر إلى أن مات الملك الأشرف برسباني في سنة إحدى وأربعين ، وأوصاه على ولده الملك العزيز يوسف ، فلم يمض غير أشهر حتى وثب جقمق - هذا - على العزيز وخلعه من ملكه - بعد أمور حكيناها في عدة أماكن - ونسطن في التاريخ المقدم ذكره .

ووقع له في أوائل دولته خطوب وحروب وقاسي أهوالاً ، منها : تسحب الملك العزيز يوسف ، ومنها وقعة الأتابك قرقماس الشعباني ، ومنها خروج الأتابك إينال الجكمي نائب الشام ، وخروج الأمير تغري برمش نائب حلب ، ووقع له أمور وحوادث ، ثم صفا له الوقت بعد ذلك ، وأخذ وأعطى ، وأمر ونهى ، وقرب من أحب وأبعد من أبغض ، وصار يخلط الصالح بالطالح ، والعدل بالظلم ، فكان نارة يحكم أحكام سريجية^(٢) ، وتارة أحكام قراقوشية^(٣) .

وأبطل أشياء كثيرة من شعار المملكة ، وأحدث أشياء كثيرة من المساوىء ، وأتلف في سلطنته من الأموال والسلاح والخيول والقماش ما^(٤) لا يدخل تحت حصر كثرة ، وحمل ديوان السلطنة من الكلف ما أتعب من جاء بعده .

كل ذلك والأقدار تساعد ، والسعد يعاضده ، إلى أن بلغ غاية الأمنية

(١) في : « : » أمير سلاح .

(٢) نسبة إلى الفقيه الشافعي أحمد بن عمر بن سريج البغدادي ، المعروف بابن الباز ، (ت ٣٠٦ هـ) ، وكان صاحب مؤلفات ومناظرات موفورة دفاعاً عن السنة ؛ والمراد أن أحكامه شرعية صائبة .

(٣) نسبة إلى « بهاء الدين قراقوش » ، وزير « صلاح الدين يوسف الأيوبي » ، و « العادل أبي بكر » ، وكان مع جلالة قدره ، وما نسب إليه من اهتمام بالعمارة والبناء ، صاحب أحكام خرقاء وصارمة ، ألف « ابن مساتي » انتقاداً لها كتاباً أسماه : « الفاشوش في أحكام قراقوش » ، والمراد أحكامه خرقاء ، لا موجب لها من عرف أو شرع .

(٤) في : « : » ومن .

هجمت عليه المنية ومرض أشهراً، وصار يظهر التجلد، ويحمل نفسه ويخرج إلى الدهيثة، ويصلي المكتوبة قائماً على قدميه، ويجلس ويعلم على المناشير والقصاص، حتى غلب عليه الضعف، وعجز عن نفسه، وانحط ولزم الفراش إلى أن مات رحمه الله.

وكان سلطاناً ديناً، كثير الصلاة والعبادة، عفيفاً عن المنكرات والفروج، طاهر الذيل، لا تعرف له صبوة قديماً ولا حديثاً، كثير التقشف، متواضعاً، يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخلوا عليه، يحب من يسلم عليه بخلاف قاعدة الملوك، فإنه لا يسلم أحد عليهم عند الدخول إليهم، وكان له معرفة بالفقه، وعنده استحضار لمذهبه وتعصب هين على عادة الملوك الخنفية، وكان ملازماً للقراءة على مشايخ القراء، وكان كريماً جداً (م) ستلاًفاً مبذراً.

وكان يتصدى للأحكام بنفسه، وعنده الدعوى لمن سبق على قاعدة الأتراك، مع حدة مزاج، وبطش، وسوء خلق. ولهذا حبس بسجن المقررة جماعة من العلماء والقضاة والأعيان، وضرب جماعة كثيرة من الرؤساء.

// وفي الجملة، كانت محاسنه أكثر من مساوئه، رحمه الله وعفا عنه. [٢٨٥]

وقد ذكرناه في تاريخنا المنهل المسافي بأطول من هذا، وأما من أراد أن ينظر ترجمته مفصلة مع استيعاب جميع أحواله بتمامها وكماها مياومة، وما وقع في أيامه، وما أبطل، وما أحدث، فليُنظر في تاريخنا المسمى بالنجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة^(١)، وليس هذا الكتاب محل الإطناب، فإنما المقصود منه ذكر الحوادث والتراجم من غير إسهاب.

(١) يحيل المؤلف في كتابه «النجوم الزاهرة» - ج ١٥ ص ٤٥٦ - بعبارة قريبة من هذا المعنى على «حوادث الدهور»، قائلاً:

«... وقد استوعبنا أحوال الملك الظاهر - هذا - من مبدأ أمره إلى آخره، محرراً بالشهر واليوم في جميع ما وقع له من ولاية وعزل وغريبة وعجبية، في تاريخنا حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور. فليُنظر هناك وما ذكرناه هنا جميعه نوع من تكثير الفائدة، لا القصة على حليتها، بل نشير بذكرها إعلالاً لوقت واقعيتها لا غير». ولا تناقض في هذا، إذ يبدو أن الإحالة إلى «النجوم الزاهرة» قد أريد بها ترجمته الشاغلة للصفحات (٤٤٨: ٤٦٤) من ج ١٥. وقد خُص فيها العناصر المثبتة في الإحالة، بينما أريد بالإحالة في «النجوم» على «الحوادث» الاستيعاب الشفط من الحوادث المنشورة في الثاني.

(٣) وتوفي الأمير سيف الدين أسنبغا^(١) بن عبد الله الناصري الطياري^(٢) - رأس نوبة النوب - في ليلة السبت سادس شهر ربيع الأول ببيت الأمير قوصون في أيام الوقعة وعليه آلة الحرب ، وكان مرضه أقل من يوم واحد ، فإنه مرض يوم الجمعة قبل الصلاة ومات من ليلته.، وصلى عليه الأتابك إينال العلاني - أعني الملك الأشرف - والخليفة القائم بأمر الله - في مقعد البيت المذكور - وغالب العسكر المصري وعليهم السلاح ، ثم حمل ودفن من يومه بالصحراء خارج القاهرة ، ومات وهو في عشر الثمانين .

وكان من محاسن الدهر عقلاً وكرماً وشجاعة ومعرفة، وكان أصله من ماليك الوزير ناصر الدين محمد بن كلبك، ثم خدم عند الأمير سودون الطياري^(٣) وحظي عنده، وبه عرف، ثم تنقل في الدول إلى أن تأمر في الدولة الأشرفية برسباي إمرة عشرة، ثم نكب وصور وأخرج إلى البلاد الشامية، ثم طلبه الأشرف ثانياً وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه وحجوبية ثانية، فدام على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى الدوايرية الثانية مدة يسيرة، ثم صار أمير مائة ومقدم ألف، وتولى نيابة الإسكندرية، ثم عزل، وقدم القاهرة على إقطاعه - إمرة مائة وتقدمة ألف - إلى أن استقر رأس نوبة النوب بعد موت الأمير تمرباي التمرغاوي في أوائل سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، فاستمر على ذلك إلى أن وثب الملك الأشرف إينال على الملك المنصور عثمان ووافقه أسنبغا - المذكور - مع من وافقه من الأمراء وغيرهم، ولبس معه آلة الحرب، ودام من حزبه إلى أن مرض ومات - رحمه الله تعالى - وخلف ولداً كبيراً ناجباً وآخر صغيراً.

[٢٨٦] ومات أسنبغا - هذا - ولم يخلف // بعده مثله في أبناء جنسه فيما اشتمل عليه من المحاسن، من العقل التام والشجاعة والكرم والمعرفة بأنواع الفروسية، وحسن المحاضرة والأدب الزائد والتواضع، مع البشاشة وحسن الخلق.

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ١٣٢ تر ٤٦٢ ، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٣٧ - ٤٤٠ تر ٤٦٣ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٢ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١١ تر ٩٨٤ .
(٢) في : أ : الطياري .

(٤) وتوفي الأمير جانبك بن عبد الله الشبكي الزردكاش^(١) في ليلة الخميس ثامن عشر شهر ربيع الأول ، ودفن من الغد وهو في أوائل الكهولية .

وكان أصله من مماليك الأمير يشبك الحكمي ، الأمير آخور الكبير في الدولة الظاهرية ططر ، وترقي من بعده إلى أن صار خاصكياً في الدولة الأشرفية برسباي ، ثم صار ساقياً في الدولة الظاهرية جقمق ، ثم تأمر عشرة بعد سنة ثمان وأربعين ، وصار رأس نوبة ، ثم ولى ولاية القاهرة على كره منه والحجوبية ، ثم أضيف إليه حصة القاهرة في سنة أربع وخسين ، ثم عزل بعد مدة من الحصة ، ودام والي القاهرة إلى أن نقله الملك الأشرف إينال^(٢) إلى الزردكاشية بعد القبض على الأمير لاجين الظاهري ، فلم يباشر الوظيفة ومريض ولزم الفراش أياماً قليلة ومات .

وكان أميراً مشكور السيرة في أحكامه ، وعنده ظرف ورشاقة ، عارفاً بأنواع الفروسية بحسب الحال ، وله مشاركة في العلوم ، وحسن محاضرة ، وعنده ذكاء ومعرفة ، وبالجملية ، فكان نادرة في أبناء جنسه ، رحمه الله وعفا عنه .

(٥) وتوفي الأمير سيف الدين أرنبغا^(٣) بن عبد الله اليونسي الناصري ، أحد مقدمي الألف في الديار المصرية في ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول ، بعد أخذه إمرة مائة وتقدمة ألف بثمانية أيام ، وأنعم بتقدمته على الأمير

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافى ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ تر ٨٢٠ ، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٣ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٦١ - ٦٢ تر ٢٤٩ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١١ .

(٢) في هامش دأ : «صوابه الملك المنصور عثمان (وهو موافق لما جاء في النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٣ للمؤلف) بعد نقل الأمير لاجين عنها إلى شادية الشربخانة ، وكان غرضه مع الظاهرية فأمسك يوم الركوب قبل الصعود إلى القلعة ، وكان عليه ترسيم حشمه من جماعة الأشرفية برسباي ، ثم أنه صلى مع الأشرف إينال أول جمعة ولى السلطنة وشرب المشروب مع المقدمين بباب الستارة ، فقيل : إنه سم في المشروب ، فنزل بعد الصلاة في عفة ولزم الفراش إلى أن مات . وكان قد أخذ الولاية عنه بعد انتقاله إلى الزردكاشية يشبك القرمي الظاهري جقمق .»

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافى ج ١ ص ١١١ تر ٣٨٤ ، المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ تر ٣٨٦ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٣ - ١٦٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ تر ٨٤٢ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١١ .

دولت باي المحمودي المؤيدي القادم من سجن الإسكندرية .

وكان أصل أرنبغا - هذا - تركيا من ماليك الملك الناصر فرج ، وقاسي من بعد أستاذة خطوب الدهر ألواناً إلى أن أنعم عليه الملك المؤيد شيخ بإقطاع هائل ، ثم تأمر بعد موته إمرة عشرة ، وصار رأس نوبة ، ودام على ذلك نحو الثلاثين سنة ، وتوجه إلى الحجاز غير مرة ، إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بزيادة على إقطاعه ، وجعله من أمراء الطبلخانات ، واستمر على ذلك [٢٨٧] إلى أن كانت الوقعة / / بين الملك المنصور عثمان وبين الأتابك إينال العلاني انضاف - المذكور - إلى إينال ، فلما تسلطن إينال أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف ، عوضاً عن الأمير قاني باي الجاركي بحكم القبض عليه ، فلم يقم^(١) غير ثمانية أيام وهو ممرض ، ومات^(٢) وهو في السبعين تقريباً .

وكان أميراً شجاعاً مقداماً ، غير أنه كان قليل التجميل في ملبسه ومركبه ، وكان قليل الحشم والمالِك ، يقتني العبيد الجبوش كثيراً ، وكان مسرفاً على نفسه ، سامحه الله - تعالى - وعفا عنه .

(٦) وتوفي الأمير سمّام الحسني^(٣) الظاهري - أحد أمراء العشرات وحاجب ثاني - في ليلة الاثنين سادس شهر ربيع الآخر ، ودفن من الغد ، وسنه نيف على السبعين تخميناً .

كان أصله من الممالِك الظاهرية برقوق ، ومن صار خاصكياً في الدولة الناصرية فرج ، ثم انحط قدره دهرأ إلى أن صار خاصكياً - أيضاً - في الدولة الظاهرية ططر ، ودام على ذلك سنين إلى أن أمره الملك الظاهر جقمق أمير عشرة في أوائل دولته ، وأظنه كان ندم على ذلك ، مما^(٤) كنت ألحظه منه في حق سمّام

(١) في دأ : ولم يقيم .

(٢) ومات : مكررة في دأ .

(٣) في دأ : وما .

(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردی . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٢ تر ١٠٣٠ .

المذكور ، ولم يزل على إمرته ، وحج أمير الركب الأول غير مرة إلى أن جعله الملك الأشرف إينال من جملة رؤوس النوب ، ثم بعد أيام صار حاجباً ثانياً ، عوضاً عن نوكار ، بحكم انتقال نوكار إلى الزردكاشية بعد موت جانبك الشيبكي الوالي ، فلم تطل أيامه ومرض ومات ، كل ذلك في دون الشهر .

وكان - رحمه الله - مهملأ جداً ، لا للسيف ولا للضيف ، عفا الله عنه .

(٧) وتوفي الشيخ الفاضل الواعظ المعتقد أبو السيادات يحيى ابن الشيخ المعتقد العارف الواعظ شهاب الدين أحمد ابن الإمام العارف بالله - تعالى - المعتقد سيدي محمد وفاء^(١) في يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر ، ودفن بمشهدهم بالقرافة .

وكان قد صار يعمل الميعاد ويجلس مكان أخيه سيدي أبي الفتح ، ويعظ الناس ، وصار على ميعاده القبول ، وكثر ترداد الناس إليه ، فلم تطل مدته غير سنين قلائل ومات .

وكان حسن الصوت ، مجيد القراءة في المحراب وغيره ، وله نظم حسن على طريقة القوم ، وهو من بيت صلاح ودين وعفة^(٢) وخير ، رحمه الله - تعالى - ونفعنا ببركته وبركة سلفه .

(٨) وتوفي قاضي القضاة بدر الدين محمد ابن / / القاضي ناصر الدين [٢٨٨] محمد ابن العلامة شرف الدين عبد المنعم^(٣) البغدادي الأصل ، المصري المولد والمنشأ والوفاة ، الحنبلي ، قاضي قضاة الديار المصرية ورئيسها ، في ليلة الخميس سابع جمادي الأولى ، ودفن من الغد ، وصلى عليه الخليفة القائم بأمر الله حمزة بمصلاة باب النصر في وجوه الناس ، وكانت جنازته مشهودة ،

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤ ، السخاوي . الضو اللامع ج ١٠ ص ٢٢١ تر ٩٤٨ .

(٢) في «أ» : وهو من بيت صلاح ودين وعفة وخير .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤ ، السخاوي . الضو اللامع ج ٩ ص ١٣١ - ١٣٤ تر ٣٣٦ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٢ .

وكثر تأسف الناس عليه ؛ لحسن سيرته وعفته عن ما يرمي به قضاة سوء .

وكان مولده في أوائل القرن - تخميناً - بالقاهرة ، وبها نشأ ، وحفظ القرآن - العزيز - وتفقه بعلماء عصره ، وناب في الحكم سنين عديدة ، وعرف بالفقه والدين والتبث في أحكامه ، إلى أن توفي شيخ الإسلام قاضي القضاة محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي الحنبلي ، طلبه السلطان الملك الظاهر جقمق وولاه قضاء القضاة - من غير سعي منه في ذلك - في يوم الاثنين العشرين من جمادي الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، فباشر القضاء بعزة وعفة زائدة ، وحدث سيرته إلى الغاية ، حتى إنه نال في المنصب من الوجاهة والحرمة الوافرة والعظمة الزائدة والكلمة النافذة ما لم ينله قاض في عصرنا هذا من جميع المذاهب ، هذا مع علمي بتراجم من رافقه من القضاة ، ومع هذا لم يكن أحد منهم يدانيه في معناه من التحري في أحكامه ، وإقامة حرمة الشرع الشريف ، وعدم الالتفات إلى رسائل أرباب الشوكة ، وهو مع ذلك لا يزداد إلا حرمة ومهابة ، على أنه لم يكن من أعيان علماء الحنابلة ، غير أنه عارف بمذهبه وبالشروط ، ويحسن صناعة القضاء ، وكان عنده تأناً^(١) وتبث في كلامه ، وله معرفة تامة بمعاشرة الناس .

وكان كريماً جواداً ، يحب الفقهاء والفقراء ، ويعتقد أهل الصلاح والخير ، وكان ديناً خيراً كثيراً العبادة والصلاة ، وله أوراد هائلة ، وحج غير مرة ، وكان مقصداً لأرباب الحوائج ، وفيه تعصب لمن يقصده بماله وجاهه .

وكانت له خصوصية زائدة بالملك الظاهر جقمق ، بحيث إن رفقة كانوا يهادون السلطان ، وكان هو يأخذ من السلطان الجمل من الأموال .

وطالت أيامه في القضاء إلى أن مرض ، وطال مرضه شهراً ، وتوفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المقدم ذكره ، عفا الله عنه .

(٩) وقتل الأمير الوزير تغري بردي الظاهري القلاوي^(٢) في واقعة كانت

(١) في ١ : ١ ، ٢ : ١ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤ - ١٦٥ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨ - ٢٩ تر ١٣٧ ، ابن أبياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٢ .

بينه وبين سونجبغا الآتي ذكره ، لأنه قتل - أيضاً - في هذا اليوم ، أعني / / في [٢٨٩] يوم السبت ، سادس عشر جمادي الأولى ، حسبما ذكرناه مفصلاً في هذا الكتاب في حوادث جمادي الأولى من السنة .

وكان تغري بردي - هذا - من جملة ممالك الملك الظاهر جقمق في أيام امرته ، وكان كثيراً ما يرسله إلى إقطاعه قلاً بالوجه القبلي ، فسمى القلاوي ، فبدأ تسلطن الملك الظاهر ولاء كشف الجزيرة ، ثم نقله في عدة ولايات إلى أن ولاء الوزير في آخر دولته ، عوضاً عن صاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ، فلم يبق في الوزارة إلا شهراً وعزل - أيضاً - بالصاحب أمين الدين - المذكور - في الدولة المنصورية عثمان ، وأعيد إلى كشف البهنساوية بالوجه القبلي ، ووقع له أمور مع الملك الأشرف إينال ، وأخذ منه جملة مستكثرة ، ثم ولاء البهنسة ثانياً ، فلما خرج إليها ندم السلطان على ذلك وأرسل إليه الأمير سونجبغا رأس نوبة ، فخرج إليه سونجبغا وقبض عليه بيده وتجاذبا حتى قتل تغري بردي - المذكور - ثم قتل سونجبغا - أيضاً - في الحال على ما سيأتي ذكره ، رحمه الله تعالى .

(١٠) وقتل الأمير سونجبغا بن عبد الله اليونسي الناصري^(١) ، أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ، وأخوه الأمير أرنبغا - المقدم ذكره - شقيقه .

كان - أيضاً - من ممالك الملك الناصر فرج ، ومن تأمر في أوائل دولة الملك الظاهر جقمق ، لأن كلاهما - أعني الملك الظاهر وسونجبغا - كان متزوجاً ببنت القاضي ناصر الدين البارزي ، وعظم في الدولة بحسب الحال ، وحج أمير حاج المحمل غير مرة ، ودام على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك المنصور بإقطاع الأمير يلباي الإينالي المؤيدي أحد أمراء الطبلخاناه بعد القبض عليه ، ودام على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال زاده على هذه الطبلخاناه إمرة عشرة التي كانت بيده قديماً في الدولة الظاهرية جقمق ، ثم توفي أخوه الأمير أرنبغا - المتقدم ذكره - وكان أرنبغا هو الأسن ، فورث مالا جزيلاً ، فلم يتهن بالإقطاع

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٥ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ تر ١٠٩٤ ، ابن أبياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٢ .

ولا بالمال ، وتوجه إلى تغري بردي القلاوي ووقع بينهما ما حكيناه ، وقتل في يوم السبت سادس عشر جمادي الأولى ، ومات وسنه أزيد من ستين تخميناً .

وكان متوسط السيرة ، بخيلاً ، عفيفاً عن المنكرات والفروج في آخر عمره ، عفا الله - تعالى - عنه .

(١١) وتوفي عز الدين محمد بن محمد الكتبي المعروف بالتركوري^(١) - أحد الطلبة - في يوم الأربعاء سابع عشرين جمادي الأولى .

[٢٩٠] وكان يتجر في الكتب // وله حانوت بسوق الكتبيين . وكان له وجاهة عند الأكابر ، وله فضل ومشاركة ، وله نظم بنحسب الحال ، رحمه الله تعالى .

(١٢) وتوفي الأمير دولاب باي المحمودي^(٢) المؤيدي - أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ، والدوادار الكبير كان - في يوم السبت أول جمادي الآخرة ، ودفن من يومه بالصحراء خارج القاهرة .

كان جاركسي الجنس ، جلبه خواجه محمود إلى الإسكندرية ، فاشتره منه نائبه الأمير أقبردي المنقار المؤيدي ، فأقام عنده أياماً ، وبلغ الملك المؤيد ذلك فطلبه منه ، فأرسله إليه ، فأخذ الملك المؤيد منه وأتمقه ، وأخرج له خيلاً ثم جعله خاصكياً ثم خازنداراً ، ثم صار ساقياً إلى أن أخرجه الملك الأشرف (برسباي) من السقاية ، واستمر خاصكياً دهنراً طويلاً إلى أن صاهر الأمير جانم - قريب الملك الأشرف - صار أمير عشرة ورأس نوبة بسفارته ، واستمر على ذلك إلى أن جعله الملك الظاهر جقمق أمير طبلخاناه وأمير آخوراً ثانياً ، ثم نقله بعد أشهر إلى الدوادارية الثانية ، بعد الأمير أسنبغا الطياري ، بحكم انتقاله إلى مقدمة ألف بالديار المصرية ، كل ذلك في سنة اثنتين وأربعين

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن سليمان بن عمر ، المعروف بالعز التركوري . له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٥ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ٢-٣ تر ٣ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٩ تر ١٠٢٦ ، المتهل الصافي مج ٢ ق ٦٥ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٥ - ١٦٧ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٢٠ - ٢٢١ تر ٨٢٧ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٣ .

وثمائماته ، فباشر الدوادارية الثانية بحزمة وافرة ، وكلمة نافذة ، وترددت الناس إلى بابه لقضاء حوائجهم ، ونالته السعادة ، وأثرى وعمر الأملاك الكثيرة ، واقتنى الخيول المسومة الخاص ، والتحف . وكان متجملًا في ملبسه ومركبه ومماليكه ، إلا أنه كان بخيلًا مسيئًا ؛ فلذلك كثر ماله ، وعظم في الدولة .

واستمر على ذلك إلى أن نقله السلطان إلى مقدمة ألف بعد موت الأمير قمرز القرمشي في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، وتولى الدوادارية الثانية عوضه الأمير تمرغا الظاهري ، فأقام دولات باي - هذا - في المقدمة أقل من عشرين يوماً - بل ولا عشرة ، بل من موكب اثنين أو خميس إلى مثله - ونقل إلى الدوادارية الكبرى بمال وعد به ، عوضاً عن الأمير قاني باي الجاركي بحكم انتقال قاني باي - المذكور - إلى الأمير آخورية الكبرى بعد موت الأمير قراقجا الحسني الظاهري .

ولما ولي دولات باي الدوادارية الكبرى انحط قدره في أعين الناس ، لكونه سعى في ذلك بالرشوة ، وانحل برمه ، وهان في أعين الناس ، لا سيما لما راج أمر تمرغا في الدوادارية الثانية لقربه من السلطان ؛ لكونه مملوكه ومن خواصه شاع ما قلناه ، وصار السلطان في كل قليل يرشحه لنيابة حلب ، ودولات باي - هذا - يستعفي من ذلك ، واستمر - كذلك - إلى أن ولاه أمير حاج المحمل // في سنة ست وخمسين ، فوليها - المذكور - وحج بالناس من غير [٢٩١] أن يتناول من السلطان معلوم أمراء الحج ، وكان دولات باي قد ولي إمرة حاج^(١) المحمل - أيضاً - في سنة تسع وأربعين ، وأخذ من السلطان مبلغ عشرة آلاف دينار في تلك السنة ، وبينما حج دولات باي وعاد إلى القاهرة ؛ فكان يوم نزوله إلى بركة الحاج يوم خلع الملك الظاهر نفسه من السلطنة ، وتولى السلطنة ولده الملك المنصور عثمان ، فقدم هو من الغد إلى القاهرة ، واستمر على وظيفته إلى يوم الخميس ثاني عشر صفر قبض عليه الملك المنصور ، وعلى الأمير برسباي الأمير آخور الثاني ، وعلى الأمير يلبي ، وأرسل الثلاثة إلى ثغر الإسكندرية ، فاستمر دولات باي - هذا - محبوساً إلى أن أطلقه الملك الأشرف إينال في عاشر

(١) في « أ » : « الحاج » .

شهر ربيع الأول ، وقدم القاهرة في يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول بإمرة مائة وتقدمة ألف ، بعد موت الأمير أرنبغا الناصري ، فلم تطل مدته غير أيام قليلة ، ومريض أياماً ومات في التاريخ المذكور ، رحمه الله .

وكان أميراً جليلاً معظماً في الدول ، مهاباً ، وقوراً ، حسن الشكل ، طويل القامة ، رشيقاً ، عارفاً بأنواع الفروسية ، ومقابلة^(١) الملوك ، جامعاً للأموال والخيول والتحف ، كثير الأدب والحشمة ، عظيم الحرمة على ممالكه وحواشيه ، وكان عاقلاً جيد الرأي والتدبير ، وعنده بر وصدقات للفقراء ، وكان يعتقد الصلحاء والفقهاء ويبرهم كثيراً ويعظمهم ، وعظم في آخره وضخم ، وتحدث الناس بلسلطنته كثيراً ، حتى إنه كان ثقل على الملك الظاهر جقمق ، ثم على ولده الملك المنصور عثمان .

قلت : وندم - أيضاً - الملك الأشرف إينال على إطلاقه من سجن الإسكندرية في الباطن ، وخافه كثيراً فعاجلته المنية ، فأراح واستراح ؛ لأنه كان غير شجاع - أعرف منه ذلك - ولو كان عنده شجاعة أو قوة قلب لكان هو أحق بأن يثب من أول قدومه من الحج إلى القاهرة ، لأنه كان هو عظيم الممالك المؤيدية وغيرها ، وكلمه بعضهم في ذلك فلاح له بعض ما قلته ، رحمه الله .

وبالجملة ، فكان به تجمل في الزمان ، عفا الله عنه .

(١٣) وتوفي الأمير سيف الدين قانصوه بن عبد الله النوروزي^(٢) ، أحد [٢٩٢] مقدمي الألف بدمشق بها في أواخر / جمادي الأولى ، وسنه نحو الستين سنة تخميناً .

وكان أصله من ممالك الأمير نوروز الحافظي نائب دمشق ، ثم صار خاصكياً في الدولة المؤيدية شيخ إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة عشرة ثم طبلخاناه ، فدام على ذلك سنين إلى أن قبض عليه الملك الأشرف برساء

(١) في «أه : ومقالة المذكور» .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٧ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ٦٨٦ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٣ .

وحبسه مدة يسيرة، ثم أطلقه على إمرة طبلخاناه، فدام على ذلك سنين إلى أن أخرجته الملك الأشرف برسبای إلى نياية طرسوس، فتوجه إليها، وأقام بها مدة إلى أن نقله إلى حجوبة الحجاب بحلب، ثم إلى مقدمة ألف بدمشق، فدام في دمشق إلى أن خرج الأمير إينال الحكمي نائب الشام على الملك الظاهر جقمق، وافقه قانصوه - المذكور - وامتنحن بسبب ذلك واختفى مدة، ثم خرج بأمان وقام بالقاهرة، وتولى نياية ملطية أياماً إلى أن عزل عنها، وعاد إلى دمشق أمير ثمانين، فاستمر على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف إينال بتقدمة ألف بدمشق، فمات بعد ذلك بدون الشهر.

وكان أميراً شجاعاً، مليح الشكل، معتدل القد، رأساً في رمي النشاب، إلا أنه كان قليل السعادة خاملاً، لم يزل فقيراً منذ عرفته قديماً وحديثاً، قليل الخظ من الملوك؛ مبعوداً عنهم، رحمه الله تعالى.

(١٤) وتوفي الأمير سيف الدين قشتم بن عبد الله المحمودي الناصري^(١) نائب البحيرة، في وقعة كانت بينه وبين عرب لبید في أواخر شهر رجب - حسب ما ذكرناه في حوادث شهر رجب من هذه السنة - ومات وسنه مناهز الستين سنة . وكان أميراً عاقلاً، شجاعاً، كريماً، متواضعاً، جواداً، مليح الشكل، بشوشاً، محبباً للناس، مشكور السيرة في ولايته، عارفاً، مقداماً. وأصله من مماليك الملك الناصر فرج رحمه الله .

(١٥) وتوفي الأمير بيغوت بن عبد الله من صفر خجا^(٢) المؤيدي الأعرج نائب صفد بها في أواخر شعبان .

وكان أصله من مماليك الملك المؤيد شيخ، وعمن صار خاصكياً بعد موته إلى أن نفاه الملك الأشرف برسبای إلى البلاد الشامية، ثم أمره بها إمرة طبلخاناه،

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٧ - ١٦٨ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٢ تر ٧٣٨ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٤ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي : الدليل الثاني ج ١ ص ٢١٠ تر ٧٤٣ ، المنهل الصافي ج ٣ ص ٥٠٦ - ٥١٠ ؛ النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٨ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٣ - ٢٤ تر ١١٦ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٤ .

فاستمر على ذلك إلى أن ولاه الملك الظاهر جقمق نيابة حمص بعد الأمير سنقر العزي في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، ثم نقله إلى نيابة صفد بعد الأمير قاني بباي البهلوان، بحكم انتقال البهلوان إلى نيابة حماه، فدام في صفد سنين، ثم [٢٩٣] نقل // إلى نيابة حماه بعد الأمير تنم المؤيدي، فأقام بحماه سنين إلى أن شكاه هو وولده بعض أهل حماه، فأرسل الملك الظاهر يطلب ولده إبراهيم - المذكور - وابن العجيل على أقبح وجه، فأرسل بيغوت - هذا - ولده في الحديد، فحبسه السلطان بالبرج من قلعة الجبل، ثم أرسل يطلب بيغوت - المذكور - إلى دمشق ليحبس بقلعتها، ففطن بيغوت بذلك، فخرج من حماه عاصياً حتى لحق بالأمير جهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد، وانضم إليه، واتفقا على العصيان على الملك الظاهر جقمق، فبينما هم في ذلك طرقتهم بعض أمراء جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز وقبض على بيغوت - المذكور - وأخذ جميع ما معه، وأرسل أخبر السلطان الملك الظاهر بذلك، ثم حبسه بقلعة الرها، فدام بها إلى أن استولى عليها الشيخ حسن بن علي بك ابن قرايلك، وأطلق بيغوت - هذا - وخيره أين يذهب، فاختار الرجوع إلى طاعة الملك الظاهر، وركب حتى وصل إلى البيرة ثم إلى حلب، فأرسل نواب البلاد الشامية إلى الملك الظاهر بالشفاعة في بيغوت - المذكور - فقبل الملك الظاهر شفاعتهم، ورسم له بالقدوم إلى القاهرة، فقدمها في سنة خمس وخمسين، وأقام بها أياماً، ثم رسم له بالتوجه إلى دمشق، ورتب له ما يكفيه إلى أن ينحل له إقطاع، فلم يبق بدمشق إلا مدة يسيرة ومات الأمير بردبك العجبي أحد أمراء الألف بدمشق، فأنعم السلطان عليه بإقطاع بردبك - المذكور - فلم تطل مدته غير أشهر قليلة ومات الأمير يشبك الحمزاوي نائب صفد في رمضان من السنة، فنقله السلطان إلى نيابة صفد عوضاً عن يشبك - المذكور - وحمل تقليده وتشريفه على يد الأمير يشبك الفقيه المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، فدام في نيابة صفد إلى أن توفي بها حسب ما ذكرناه .

وكان - عفا الله عنه - شجاعاً مقداماً، عاقلاً، عفيفاً عن المنكرات والفروج، ديناً خيراً، معظماً في الدول، ومات وسنه أزيد من ستين سنة، رحمه الله تعالى .

وتولى نيابة صفد من بعده الأمير إياس الطويل الناصري ، أتاك طرابلس .

(١٦) وتوفي الأمير جفغوس^(١) الناصري المعزول قبل تاريخه عن نيابة بيروت في أوائل العشر الأخير من شهر رمضان .

ولم يكن // جفغوس - المذكور - من ذوي الرياسات لشكر أفعاله أو تدم . [٢٩٤]

(١٧) وتوفي الشيخ الصالح المعتقد درويش^(٢) ، ويقال : محمد ، ويقال : غيبي بظاهر خانقاه سرياقوس في يوم الاثنين ثالث ذي القعدة ، ودفن شرقي الخانقاه - المذكورة - وقبره هناك يقصد للزيارة .

وكان أصله من آقصرای ، وكان رجلاً صالحاً ديناً خيراً معتقداً ، أفنى عمره في السياحة والحج في كل سنة ماشياً .

وكان مجرداً لا يلتفت إلى ما في أيدي الناس ، ولا يدخر شيئاً من المال ، بل ولا من المأكول ولا من المشرب ، حتى إنه كان إذا سافر إلى الحج أو إلى غيره لم يصحب معه قصعة ولا زنبيل ، ولم يكن عليه غير ما يستر عورته ، وكان لا يطلب من أحد شيئاً ، وإن أتاه من أحد شيء أكل منه شبع بطنه ، ثم (يـ) ترك ما بقي ، فكان هذا شأنه .

وكان عارفاً عاقلاً ، فصيحاً باللغة التركية ، يفهم القليل من اللغة العربية ، وكان منور الشيبة ، حسن الشكل ، للطول أقرب ، له شعر برأسه أبيض ، لا يغطي رأسه إلا نادراً ، اجتمعت عليه مزاراً ، وكان لي فيه اعتقاد ومحبة ، رحمه الله تعالى .

(١٨) وتوفي الأمير حطط^(٣) الناصري أتاك طرابلس بها في أوائل ذي الحجة .

(١) له ترجمة في : السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٧٠ تر ٢٨٤ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٥ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٩ - ١٦٨ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٩ ، السخاوي . الضوء اللامع =

وكان أصله من ممالك الناصر فرج، وتنقل من بعده حتى ولى نيابة قلعة حلب في الدولة الأشرفية برسباي، وطالت أيامه إلى أن عزله الملك الظاهر جقمق وصادره في سنة سبع وأربعين، ثم ولاه بعد مدة طويلة نيابة غزة، فلم تطل مدته بها وعزل - أيضاً - عنها، وأنعم عليه بعد حين بإمرة عشرين بطرابلس، فدام على ذلك سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إينال إلى أتابكية طرابلس بعد انتقال الأمير إياس الطويل إلى نيابة صفد، بعد موت الأمير بيغوت المؤيدي، فأقام حطط بعد هذا دون الشهر ومات، رحمه الله.

(١٩) وتوفي الأمير علي باي من طراباي العجمي^(١) المؤيدي أتابك العساكر بحلب في أواخر ذي الحجة بها.

كان أصله من ممالك الملك المؤيد شيخ، قدم من بلاد الجاركرس صغيراً، ثم حضر بعده أبواه وإخوته، وكانوا نحو ستة نفر ذكوراً وإناثاً، ثم اعتقه الملك المؤيد وجعله خاصكياً، واستمر من بعده على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمرة عشرة، وجعله رأس نوبة، وحظي عنده، وأمر ونهى، وطنى وتجير، واستمر على ذلك إلى بعد سنة ثمان وأربعين [٢٩٥] نفى إلى البلاد الشامية، / / ثم أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بحلب، ثم جعله أتابكها بعد الأمير سودون أبو بكري المؤيدي بحكم انتقاله إلى نيابة حماه، فدام علي باي على ذلك إلى أن توفي - كما ذكرنا - وسنه أزيد من خمسين سنة.

ونسبته بالعجمي إلى خاله بردبك العجمي الحكيم نائب حماه - كان.

وكان علي باي - هذا - أميراً جليلاً متجماً في مركبه وملبسه، عارفاً بأنواع الفروسية، إلا أنه كان كثير الكذب والدهاء على نفسه وماله، عفا الله - تعالى - عنا وعنه.



= ج ٣ ص ١٦١ تر ٦٢٠، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٧ .
(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٤٩١ تر ١٧٠٥ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣١٤ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٩ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٥ ص ١٥١ تر ٥٢٦ .

ومضت هذه السنة والأسعار رخيصة إلى الغاية، ما عدا اللحوم والأجبان فإنها قليل وسعرها زائد، وأما الحبوب ففي غاية الرخص، فالقمح بمائة وأربعين درهماً الإردب إلى ما دونها، والبقول بثمانين درهماً^(١) الأردب إلى ما دونها، والشعير من ستين إلى سبعين، والذهب قد^(٢) نودي على الدينار الأشرفي بثلاثمائة وعشرين درهماً، وكان قد وصل سعره قبل تاريخه؛ بل وإلى الآن بعد المناداة في الباطن إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً في المعاملة، وهو في غم وزيادة.

والناس في أمن، غير أن السلطان الملك الأشرف إينال كان قد توقع في يومي الجمعة والسبت، ثم عوفي ودقت الكوسات السلطانية وغيرها لذلك ثلاثة أيام، وفرح بعافيته الناس، وشق ذلك على آخرين من الذين في قلوبهم مرض. انتهت حوادث هذه السنة^(٣).



(١) في دأ : درهم .

(٢) وقد : مكررة في دأ .

(٣) على غير عادة يتبع «ابن تغري بردي» الوفيات ببعض الحوادث في ذات سنة وقوعها، ويبدو أن هذا كان استدراكاً منه على فائت في الحوادث، على أن قوله «انتهت حوادث هذه السنة» لا يعني أن المثلث هنا موضعه قبل ترجمات الوفيات، إذ أن الوفيات المترجمة لديه هي في حد ذاتها حوادث ذات نوعية معينة، اقتضته إيرادها مترجمة في هذا الموضع من الحولية.

سنة ثمان وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية الملك الأشرف أبو النصر إينال العلاني الظاهري ثم الناصري .
والخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة .

والقضاة: الشافعي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، والحنفي قاضي القضاة سعد الدين سعد بن الديري، والمالكي قاضي القضاة ولي الدين محمد السنباطي، والحنبلي قاضي القضاة عز الدين أحمد .

والأمراء: أتابك العساكر الأمير تنبك الظاهري، وأمير سلاح الأمير خشقدم المؤيدي، وأمير مجلس الأمير طوخ من تمتاز الناصري، والأمير آخور الكبير جرباش المحمدي الناصري المعروف بكرد، ورأس ندية النوب الأمير [٢٩٦] قرقماس الأشرفي^(١)، وحاجب الحجاب جانبك القرمان، والدوادار الكبير//
يونس السيفي أقباي، وأعظم مقدمي الألوف المقام الشهابي أحمد ابن السلطان رأس ميسرة، وباقي مقدمي الألوف: الأمير جانم قريب الملك الأشرف برسبائي الأمير آخور - كان - والأمير خيربك المؤيدي، وقد ولاه السلطان كشف إقليم البهنسا، والأمير برسبائي البجاسي .

وباقى أرباب الوظائف من أمراء الطبلخانات وغيرهم : الخازندار الكبير جانبك من أمير الأشرفي برسبائي ، وقد سار إلى الحجاز أمير حاج المحمل ، وشاد الشراب خاناه جانبك القجماسي الأشرفي برسبائي ، والزردكاش نوكار (١) في هامش «أ»: «حاشية: المعروف بالجلب قريب الأشرف برسبائي» .

الناصرى أمير عشرة ، ونائب القلعة قاني باي الناصري المعروف بالأعمش ،
والأمير أخور الثاني خيربك المؤيدي الأشقر ، ورأس نوبة ثاني يشبك الناصري ،
والحاجب الثاني بتخاص العثماني الظاهري برفوق أمير عشرة ، والدوادار الثاني
تمراز الإينالي الأشرفي برسباي أمير عشرين ، والحازندار والزمام فيروز النوروزي
الطواشي الرومي ، ومقدم الممالك لؤلؤ الباسطي ، ثم الأشرفي الطواشي
الرومي أمير عشرة ، ونائبه عنبر الهندي .

المباشرون: كاتب السر القاضي محب الدين محمد بن الشحنة، وناظر
الجيش والخاص عظيم الدولة صاحب جمال الدين يوسف بن كاتب حكيم،
والوزير فرج بن النحال، والأستادار علاء الدين علي الأهناسي، ومحتسب
القاهرة علي ابن الشهاب ابن أم حرج - شخص من أصاغر الناس - ونائب
كاتب السر معين الدين عبد اللطيف بن العجمي ، وناظر الدولة التاج الخطير ،
وناظر (ديوان) المفرد فخر الدين الأصفر ، وناظر الإسطبلات السلطانية زين
الدين أبو بكر بن مزهر ، وكاتب الممالك شخص وضيع من الأقباط يسمى
عبد الرحمن ، من أقارب فرج الوزير ، ووالي القاهرة علي بن إسكندر .

نواب البلاد الشامية وغيرها: نائب الشام الأمير جلبان الأمير أخور،
ونائب حلب قاني باي الحمزاوي، ونائب طرابلس يشبك النوروزي، ونائب
حمه حاج إينال اليشبيكي، ونائب صفد إياسن الطويل الناصري، ونائب غزة
جانبك التاجي المؤيدي، ونائب الكرك يشبك طاز المؤيدي//، ونائب ملطية [٢٩٧]
جانبك الحكمي، ونائب الإسكندرية جانبك النوروزي.

المحرم

أوله الثلاثاء.

ففي يوم الأربعاء ثانيه استقر القاضي قطب الدين أبو الخير محمد
الخيبري كاتب سر دمشق، بعد عزل القاضي صلاح الدين محمد بن السابق
الحموي.

وفي يوم الأحد سادسه ورد الخبر من حلب بموت الأمير علي باي من

طراباي المؤيدي العجمي أتاك حلب بها، وأنعم السلطان بإقطاعه ووظيفته على الأمير أقبردي السلقي الظاهري جقمق نائب قلعة حلب، واستقر في نيابة قلعة حلب الزيني قاسم بن جمعة القشاشي^(١) المنعم عليه قبل تاريخه بمدة يسيرة بتقدمة ألف بحلب، عوضاً عن الأمير سودون القرماني المنتقل إلى أتابكية طرابلس. فلما استقر ابن جمعة - المذكور - في نيابة قلعة حلب أنعم السلطان بالتقدمة المذكورة على مملوكه يشبك البجاسي دودار السلطان بدمشق وأحد أمراء الطبلخانات بها، وأنهم بإقطاعه ووظيفته علي السيفي خشكلدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز. وخشكلدي - المذكور - وقاسم بن جمعة كانا كلاهما بالقاهرة، ووليا بمال وعدا به، ولبسا خلعهما في يوم الاثنين سابعه.

وفي يوم الخميس عاشره استقر الزيني أبو بكر بن مالك الحلبي في نيابة طرسوس على عادته أولاً، وعزّن آقباي السيفي جارقطلو.

وفي يوم الاثنين رابع عشره نزل من القلعة طواشي ومعه امرأتان، وذكر أن السلطان رسم لهما أن يأخذا من كل دكان بالشارع درهم فلوس جدد لدين أصابهما، ودار بهما الطواشي شوارع القاهرة، كل واحدة على حمار مكاري، وجبى من الدكاكين وهو يقول: حسب المرسوم الشريف.. فكانت هذه الواقعة من أعرّ الأشياء وأقبحها.

وكثر في هذا اليوم ترحم الناس على السلطان الملك الظاهر جقمق وتأسفهم عليه، حتى كلم السلطان في ذلك بعض خواصه، فقال السلطان: لم أشعر بشيء من ذلك ولا رسمت به، ثم أمر بإحضار النسوة والطواشي من [٢٩٨] الغد وضربهم ضرباً مبرحاً، ورسم بإشهارهم في شوارع القاهرة، فأنزلوا// ونودي عليهم: هذا جزاء من يكذب على الملوك.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه قدمت مقدمة الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب، وكانت تشتمل على ممالك ثلاثة، وخيول مائة فرس لا غير، ولم تكن هذه عادة مقدمة نائب حلب، وإنما الظاهر أنه استعجل بإرسال ذلك ليعلم

(١) في «أ»، «ب»، «د» : القشاشي.

كل أحد أنه في طاعة السلطان ، وينقطع عنه كلام كل أحد ممن يشن الغارات ويشير^(١) الفتن .

وفيه وصل إلى القاهرة أمير حاج الركب الأول عبد العزيز ابن المعلم محمد الصغير ، وأصبح من الغد حضر أمير حاج المحمل الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي الخازندار .

وفي يوم السبت سادس عشرينه استقر الشيخ الإمام العالم العلامة محيي الدين محمد الكافيجي^(٢) الحنفي في مشيخة شيوخ خانقاه شيخون ، عوضاً عن الشيخ الإمام العالم العلامة كمال الدين محمد بن الهمام ، بحكم مجاورته بالمدينة الشريفة ورغبته عن المشيخة المذكورة .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه رسم السلطان بإخراج زين الدين يحيى الأستاذار - كان - إلى القدس الشريف ، ومسفره على جك البريدي ، وعلى جك تصغير علي باللغة التركية .

فلما أصبح من الغد في يوم الثلاثاء رجعت الممالك الجلبان الأستاذار على الأهناسي ؛ بسبب أنه جعل الجامكية تفرق في خمسة أيام من أيام المواكب ، وكانت العادة أنها تفرق في ثلاثة أيام ، كل ذلك لعجز الأستاذار عن القيام بالجامكية ، فلما وقع ذلك لهجت الناس بتولية زين الدين - المذكور - للأستاذارية ، فلم يصح ذلك ، ورسم السلطان بسفر زين الدين في يوم الخميس على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) في د أ ، : د نيور .

(٢) هو محيي الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود ، الرومي ، الحنفي ، (ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م) .

له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٢٤ تر ٢١٤٦ ، المنهل الصافي مسج ٣ ق ١٠٦ ب - ١٠٧ أ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٥٩ - ٢٦١ تر ٦٥٥ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٤٩ - ٥٥٠ تر ٥٥ ، المنجم في المعجم ق ٧١ ب - ٧٢ ب ، طاش كبرى زادة . مفتاح السعادة ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٨ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٢٦ - ٣٢٨ .

ففي يوم الخميس ثانيه خرج زين الدين يحيى الأستاذار متوجهاً إلى القدس الشريف، فلما وصل إلى سبيل ابن قايماز - خارج القاهرة - أحيط به وطلب إلى القلعة، وقبض عليه السلطان وحبسه عند الطواشي فيروز النوروزي. وسبب ذلك أن زين الدين - المذكور - لما خرج إلى القدس أوسع في بركه [٢٩٩] وخدمه على غير عادة المنفيين، بل على هيئة من هو خارج إلى نيابة من // النيابة، فوشى عليه بعض الناس عند السلطان، أنه سحب معه في حموله مالا عظيماً، ففتشت حموله فلم يوجد فيها غير ثلاثمائة دينار وديناراً واحداً، وقليل من الفضة، وثياب بدنه، وبعض كتب مجلدات.

فلما كان يوم السبت رابعه طلبه السلطان إلى الدهيشة بحضرة أرباب الدولة من المباشرين وغيرهم، وطلب منه مالا، وكثر الكلام حتى وقع من زين الدين - المذكور - كلام في حق علي بن الأهناسي الأستاذار ومحصول كلام زين الدين أنه قال: في جهة ابن الأهناسي نحو السبعين ألف دينار، وعليّ محاققة ذلك. وانفض المجلس على الحساب من الغد.

وفي اليوم المذكور سلم السلطان القضاي معين الدين بن الطرابلسي - أحد نواب الحكم الحنفية - وشهاب الدين ابن الأوجاقي إلى نقيب الجيش ليستخرج منهما مالا، وكانا قد خرجا لوداع زين الدين المذكور، فقبض عليهما معه.

ثم أصبح من الغد في يوم الأحد حضر جماعة من مباشري ديوان المفرد وغيرهم لعمل الحساب، ثم انفض المجلس بعد أمور وقعت، وآل الأمر إلى حبس زين الدين بالبحرة من الخوش السلطاني، وإلى استمرار ابن الأهناسي في الأستاذارية، وخلع عليه من الغد في يوم الاثنين سادسه، ورسم بالإفراج عن ابن الطرابلسي وابن الأوجاقي.

واستمر زين الدين بالبحرة في الترسيم إلى يوم الخميس تاسعه، عوقب

بالمعاصير وأنواع العقوبة فلم يقر بجمال، بل قال: أنا أبيع أوقاف مدارسى وغيرها وأرضى السلطان. كل ذلك والصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص قائم في أمره ومساعدته أشد قيام، ويوافقه على ذلك الأمير يونس الأقبائي الدوادار الكبير والأمير تمتاز الإينالي الأشرفي الدوادار الثاني .

واستمر الصاحب جمال الدين يسعى في أمره حتى انبرم أمره مع السلطان وحواشيه، وطلب السلطان زين الدين - المذكور - في بكرة يوم الأحد ثاني عشره إلى الدهيشة، فحضر محمولاً في مقعد إلى بين يدي السلطان بين أربعة أنفس، فقعه وهو لا يطيق الجلوس إلا بشدة من عظم ما حصل عليه من العقوبة التي أجريت عليه، فلما رآه السلطان على // هذه الحالة كلمه بكلام لين وطيب [٣٠٠] خاطره، وأعاده إلى وظيفة الأستاذارية، وألبسه كاملية بمقلب سمور، وعزل ابن الأهناسي، وألزم بعمل الحساب، فصار الطالب مطلوباً^(١).

وقلت: وهكذا شأن الدهر، الخفض والرفع.

ونسودي في اليوم المذكور بزيينة القاهرة لأجل ولاية زين الدين - المذكور - الأستاذارية .

وأما ابن الأهناسي، فإنه لما ولى زين الدين وطلب منه الحساب نزل من وقته إلى بيت الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص، فلما وصل إلى البيت المذكور طلب ثانياً إلى القلعة، ورسم عليه بها إلى أن أطلق في يوم الاثنين ونزل إلى داره.

واستمر زين الدين بقلعة الجبل إلى يوم الثلاثاء رابع عشره خلع عليه خلعة الأستاذارية، ونزل إلى داره، وابتهج الناس بولايته، وكان يوماً مشهوداً.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرة استقر عبد العزيز بن محمد الصغير محتسب القاهرة بعد عزل علي بن شهاب الدين الكاشف.

(١) في أ : : مطلوب .

وفي يوم الاثنين عشرينه أعيد خيربك القصري إلى ولاية القاهرة بعد عزل علي بن إسكندر على مال بذله في ذلك.

وفي يوم السبت خامس عشرينه أخلع السلطان علي زين الدين يحيى الأمتاذار باستقراره كاشف الكشاف، وباستقراره في آستادارية ولده المقام الشهابي أحمد عوضاً عن علي بن الأهناسي بحكم عزله.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه ورد على السلطان مطالعة الأمير قاني باي الحمزاوي - نائب حلب - تتضمن أن قاضي قضاة الحنابلة بحلب وهو مجد الدين سالم قتل رجلاً من الفقهاء بيده بعد أن حكم عليه بالكفر.

وأمره أنه ادعى عليه بالكفر، وأقيمت البينة عليه، وكتب بذلك محضر، فحكم القاضي - المذكور - بكفره وإراقة دمه، فأخذ المقتول يقول: أنا بيني وبين القاضي سالم خصومة، وطعن في الشهود، وطلب عقد مجلس بالقضاة الأربعة في مجلس النائب فلما رأى القاضي ذلك خشي أنه متى أصبح دافع عن نفسه، فطلبه في الحال ووضع في رقبته حبلاً وخنقه، ثم جعله من الغد في تابوت ونادى عليه بالكفر.

فعظم ذلك على الناس وعلى نائب حلب، وأرسل كاتب السلطان بذلك، [٣٠١] وأرسل القاضي // مجد الدين سالم المحضر المكتتب على المقتول، وفيه ألفاظ قبيحة لا تذكر، وفيه مصورة الدعوى.

فغضب السلطان لذلك غضباً شديداً، ورسم من الغد بعقد مجلس بالقضاة الأربعة، فعقد المجلس وقرىء المحضر، فلم يلتفت القضاة إلى المحضر، وانطلقت الألسن في حق القاضي سالم - المذكور - حتى قال قاضي القضاة شيخ الإسلام سعد الدين بن الديري الحنفي: لم يسمع بمثل هذه الحادثة في الإسلام، ورسم السلطان لنائب حلب بالقبض على القاضي مجد الدين سالم وحجسه بقلعة حلب هو والمدعي والشهود إلى أن يرد عليه ما يعتمده.

وفي هذا الشهر رسم السلطان بإطلاق أبي الخير النحاس من سجن المرقب إلى حال سبيله.

شهر ربيع الأول

أوله الجمعة.

في يوم السبت ثانيه استقر السيقي الماس الأشرفي برسباي - أحد أمراء دمشق - دوا دار السلطان بحلب.
وفيه استقر الشرفي حمزة بن البشير ناظر الدولة ، بحكم عزل التاج الخطير ، ثم عزل بعد ثلاثة أيام .
وفيه خلع السلطان على الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج خلعة الاستمرار على وظيفته ، نقابة الجيش .
وفي يوم الأحد عاشره عمل السلطان المولد النبوي بالحوش من القلعة على العادة .

وفي يوم الأحد سابع عشره وصل إلى القاهرة ابن الأمير يشبك النوروزي - نائب طرابلس - وقبل الأرض بين يدي السلطان ، وأصبح من الغد يوم الاثنين قدم مقدمة والده يشبك إلى السلطان . وكانت مقدمة هائلة تشمل على نحو ثمانين رأساً من الخيل ، وعدة أثواب غمل مذهب ، وغمل منقوش ، وشقق حرير ، وعدة حمالين من الوبر كالسمور والوشق والسنجاب ، وقرصيات كثيرة ، وبعلبكي نحو المائة وخمسين ثوباً ، وأشياء غير ذلك ، ومبلغ كبير له جرم على ما قيل .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه ركب السلطان من قلعة الجبل بغير قماش الخدمة ، ونزل سيراً إلى جهة قبة النصر^(١) - خارج القاهرة - وعاد من باب النصر ، وشق القاهرة ، وخرج من باب زويلة حتى طلع إلى القلعة . وهذا أول ركوبه منذ تسلطن .

وفي هذا الشهر كثر الطاعون ببلاد // الصعيد ، وفنى به خلائق كثيرة . [٣٠٢]

(١) قبة النصر : كانت زاوية في الصحراء ، تحت الجبل الأحمر ، يسكنها فقراء العجم ، جدد لها

لهم « الناصر محمد بن قلاوون » .

راجع : المقرئزي . الخطوط ج ٢ ص ٤٣٣ .

شهر ربيع الآخر

أوله الأحد.

ففي يوم الخميس خامسه سافر الأمير جانبك الظاهري جقمق لشد بندر جدة .

وفي يوم الاثنين تاسعه ثار الممالك السلطانية الجلبان وغيرهم على الفقهاء والمتعممين وضربوا منهم خلائق وأخذوا خيولهم من تحتهم، وفعلوا ذلك بجماعة كثيرة من القضاة والأعيان بسوق الخيل^(١) وغيره، ونهبوا بعض حوانيت القاهرة، وادعوا أن السلطان أمرهم بأخذ الخيول من للفقهاء والمتعممين، وأظن ذلك حقيقة، لأنهم لما أخذوا خيول الناس طلّعوا بها إلى الأمير آخور الكبير جرباش الحمدي المعروف بكرد، وقالوا له : اضرب داغ السلطان^(٢) عليها، فامتنع من ذلك، وأمرهم بردها إلى أربابها، وأصبحوا على ما هم عليه، وأفحشوا في ذلك، حتى إنه لم يبق في القاهرة أحد من المتعممين إلا وقد ركب بغلاً أو حماراً، كل أحد بحسب مقامه، وانقطع غالب الناس في بيوتهم، ورسم السلطان بالمناداة، فنودي بالأمان والاطمئنان^(٣)، ولم يذكر المنادي في مقالته بأن « يركب المتعممون على عادتهم » بل صار ينادي : الأمان والاطمئنان^(٤)، لا غير، فدام الناس على ركوب البغال والحمر أياماً كثيرة، ثم عادوا إلى ركوب الخيل على عادتهم، لما^(٥) وقع بين الممالك الأشرفية برسباي والممالك الظاهرية جقمق على ما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وفي يوم الاثنين سادس عشره ثارت الممالك الظاهرية جقمق على الممالك الأشرفية برسباي، وضربوا منهم السيفي برسباي أمير آخور، وسنقرق شبق ضرباً مبرحاً، وكثر الكلام في اليوم المذكور، وبلغ السلطان ذلك، وتيقن

(١) سوق الخيل : لم يعرف المقرئ بها ضمن ما ذكره من أسواق، لكن يستفاد مما أورده في الخطط (ج ٢ ص ٢١٢) تعريفاً بالدار الجديدة أن باب سر قلعة الجبل كان مطلقاً عليها.

(٢) أي وسمها برنك أو شارة السلطان .

(٣) في « أ » : « والاطمان » .

(٤) نفسه .

(٥) في « أ » : « ولما » .

كل أحد هوقوع فتنة بين الطائفتين، وأصبح من الغد في يوم الثلاثاء كل من الطائفتين بسوق الخيل في جمع كثير، وكثر الكلام بسبب ذلك، لكن لم يتفاوضوا بالكلام مواجهة، ثم افترق الجمع بعد وقوف طويل، وقد انحط قدر الأشرفية في الدولة لكون السلطان لم ينتصر لهم، ولم ينهر أحداً من الظاهرية. بل قال: الكل ممالكي، وهم عندي سواء. فعلم كل أحد بانحطاط قدر الأشرفية.

ثم بعد أيام رسم السلطان بنزول الممالك الأشرفية من // الأطباق، [٣٠٣] فتحقق الناس انحطاط قدرهم بهذه الواقعة، ثم بعزل لؤلؤ مقدم الممالك، ثم بقضية تمتاز الدواidar الثاني على ما سيأتي ذلك كله في وقته.

وفي يوم الجمعة عشرينه - الموافق لرابع عشرين برموده - أحد شهور القبط - لبس السلطان القماش الأبيض البعلبي، قماش الصيف.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه، عزل السلطان الطواشي لؤلؤ الأشرفي الرومي عن مقدمة الممالك السلطانية، وأعاد الأمير مرجان العادي المحمودي الحبشي إلى مقدمة الممالك على عادته أولاً.

جمادى الأولى

أوله الثلاثاء.

في هذا الشهر ظهر بعض طاعون بالقاهرة، ومات به ناس قليلة جداً ممن لا يؤبه إليه.

وفي يوم الثلاثاء المذكور استقر القاضي جلال الدين عبد الرحمن ابن القاضي نور الدين علي ابن العلامة شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن الملحق الشافعي في نظر البيمارستان، عوضاً عن القاضي ناصر الدين محمد بن المخلطة المالكي بحكم وفاته، واستمر القاضي بدر الدين ابن المخلطة في نيابة النظر عن القاضي جلال الدين كما كان نائباً عن أبيه أولاً.

وفي يوم الأحد سادسه عزل الأمير تمتاز الإينالي الأشرفي عن الدواidar الثانية، وذلك لسوء خلقه ومجاوبته للسلطان بقلة أدب، وقد تقدم من تمتاز

- المذكور - عزل نفسه غير مرة والسلطان يسأله في العود إلى أن وقع بين بعض محاليكه وبعض محاليك السلطان قتال بالدبابيس ، ووقع بسبب ذلك كلام كثير . وكان قبل ذلك بمدة يسيرة أو في أمس تاريخه وقع بين تمراز - المذكور - وبين الأمير يونس الدوادار الكبير كلام بسبب محاكمة حكم فيها يونس - المذكور - فأغلظ تمراز على يونس في اللفظ ، ثم بعد ذلك كله دخل تمراز إلى السلطان وتكلم معه بقلة أدب كالمشتكي على يونس وعلى المحاليك السلطانية الذين تقاتلوا مع محاليكه ، ولم يزل يتكلم مع السلطان إلى أن قال له السلطان : أنزل استرح في بيتك . فنزل من وقته ولزم داره إلى ما سيأتي ذكره إن شاء الله .

وفي يوم السبت ثاني عشره خرج المقام الشهابي أحمد ولد السلطان إلى خائفاه سرياقوس وصحبته الأمير خشقدم أمير سلاح ، ويونس الدوادار الكبير ، [٣٠٤] والقاضي ناظر الجيش ، وجميع مقدمي الألف // ما عدا الأمير الكبير تنبك ، والأمير طوخ أمير مجلس لمرض به ، والأمير آخور الكبير إلى ملاقة الأمير جلبان نائب الشام ، بعد أن أرسل السلطان إلى جلبان - المذكور - بعدة خيول بسروج ذهب وكنابيش زركش وأشياء غير واحدة .

وفي يوم الأربعاء سادس عشره أخلع السلطان علي زين الدين يحيى الأستاذار فوقاني بطرز ذهب لعافيته من مرضه .

وفي يوم الخميس سابع عشره وصل الأمير جلبان - نائب الشام - إلى القاهرة بعد أن احتفل الأمراء وأرباب الدولة إلى ملاقاته ، وطلع إلى القلعة ، ودخل إلى السلطان بالقصر الأبلق المطل على الرملة ، المعروف بالخرجة ، فلما رآه السلطان قام إليه واعتنقه بعد أن قبل جلبان - المذكور - الأرض بين يديه ، ثم أجلسه السلطان على ميسرته فوق ولده المقام الشهابي أحمد ، ولم يطل جلوسه حتى طلب السلطان خلعتة ، وخلع عليه خلعة الاستمرار بنبابة دمشق على عادته في مكان جلوسه بالخرجة المذكورة ، ولم يقع ذلك لأحد من النواب ؛ لأن العادة : لا يخلع السلطان على من يخلع عليه إلا بالقصر الأبلق من داخل الخرجة . ثم قام السلطان وخرج إلى القصر ولم يدع جلبان - المذكور - يقف ، بل أمره أن يتوجه إلى حيث أنزله السلطان ، فنزل محمولاً لضعف به وكبر سنه - أيضاً - ونزل

غالب أكابر الأمراء وأرباب الدولة بين يديه إلى أن أوصلوه إلى الميدان الكبير بطريق بولاق تجاه بركة الناصري، ومد له مدة هائلة، وترددت الناس إليه نهاره كله، واستمر إلى يوم الأحد عشرينه قدم إلى السلطان مقدمة، وكانت مقدمة هائلة تشتمل على عشرة ممالك، ومائتي فرس منها اثنان بقماش ذهب والباقي على العادة، وعدة حاملين منها ستون حمالاً عليها قسي، كل حمال خمسة أقواس، ومنها مائة وعشرون حمالاً بعلبكي على كل حمال خمسة أثواب، النصف منها عال موصل، وستون حمالاً عليها أبدان سنجاب، وعشرة حاملين عليها فرو سمور، وعشرة عليها وشق، وعدة حاملين فرو قاقم، وستون حمالاً عليها قرصيات كثيرة، وعدة حاملين عليها أثواب صوف ملون، وعدة حاملين عليها شقق حرير وأثواب مخمل تزيد على مائة حمال، وطبق مغطى فيه ذهب مبلغ عشرة آلاف دينار على ما قيل. فقبل السلطان ذلك، وأخلع على أرباب وظائف جلبان المذكور خلعة^(١) سنية، وفرق // السلطان من الخيول على أمراء [٣٠٥] الألوف جميعهم على قدر مراتبهم.

وفي هذا اليوم - أيضاً - رسم السلطان لنقيب الجيش أن يخرج الأمير تمراز الإينالي الأشرفي الدوادار الثاني إلى القدس بطلاً، فنزل وتوجه به من يومه إلى خانقاه سرياقوس

قلت:

ما يفعل^(٢) الأعداء في جاهل ما يفعل الجاهل في نفسه

(السريع)

فإن تمراز هذا كان في الدولة الظاهرية جقمق من جملة أمراء العشرات، وكان ممن لا يؤبه إليه حتى مات الظاهر وثار مع الملك الأشرف إينال لما وثب على الملك المنصور عثمان مع من انضم إليه من المماليك الأشرفية والمؤيدية والناصرية وغيرهم، فلما تسلطن الأشرف قرب تمراز - هذا - وجعله دواداراً ثانياً

(١) في ١٠١ : : خلع .

(٢) في ١٠١ : : تفعل .

وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وصار له كلمة في الدولة وحرمة وافرة، وهابته الناس لشراسته خلقه وحدة مزاجه، وباشر الدوايرية أقبح مباشرة من الظلم والعسف والإخراق بالناس والبطش بحواشيه وأرباب وظائفه ومماليكه، حتى تجاوز الحد، وما كفاه ذلك حتى صار يخاطب السلطان بما يكره، وبقي في كل قليل يغضب ويعزل نفسه، ووقع له ذلك غير مرة، فلما زاد وخرج عن الحد عزله السلطان، ولزم داره أياماً، ثم أخرج إلى القدس حسباً تقدم ذكره، وأراح الله المسلمين منه، وما ربك بظلام للعبيد. وأنعم السلطان بإقطاع تمرّاز - المذكور - على الأمير كزل السودوني المعلم، وعلى الأمير قلمطاي الإسحاقى الأشرفى نصفين بالسوية.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه أعيد الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيضم إلى الوزر بعد عزل فرج بن النحال كاتب الممالك عنها، وسر الناس بولاية أمين الدين هذا سروراً عظيماً؛ لحسن سيرة أمين الدين - المذكور - ولقبح سيرة فرج؛ فإنه باشر الوزر على طريقة أشرار القبطة، وأخذ ما لا يستحقه، وقطع في وزارته للناس (أشياء)، هذا مع الوضاعة والحرفشة والبهدة الزائدة والعجز عن القيام بالكلف السلطانية، فكان في أيام التفرقة يركب فرسه ويدور على الناس يقترض منهم النزر اليسير الذي لا قيمة له. وبالجملية فلم نعهد في زماننا وزيراً أقبح سيرة ولا أسوأ حالاً منه.

[٣٠٦] وما وقع له من البهدة أنه لبس يوم عيد الفطر خلعتة // مع جملة أرباب الدولة، ونزلوا الجميع من الشارع، فبينما هم في الطريق وقفوا الجميع من عظم ازدحام الناس، فنظر إليه شخص من أصحابنا الأشراف وقال له: أنت غلس، ولو لبست حلة من الجنة. فقال له فرج المذكور: أضربك يا شريف؟ فقال له الشريف: تكذب؟ ولا الملك ما يقدر على ذلك. فضحك الناس من ذلك. واستمروا يضحكون من ذلك أياماً كثيرة.

وفي هذا اليوم - أيضاً - استقر الأمير بردبك صهر السلطان دوايداراً ثانياً، عوضاً عن تمرّاز الإينالي الأشرفى المذكور آنفاً.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشرينه أضاف السلطان الأمير جلبان نائب الشام .
وفي يوم الخميس رابع عشرينه استقر الأمير جانبك من أمير الأشرفي
الخازندار أمير حاج المحمل على عادته في السنة الماضية .
وفيه قدم الأمير خير بك المؤيدي - أحد مقدمي الألفوف - من كشف
اليهنسا ، والبسه السلطان كاملية بمقلب سمور .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه أخلع السلطان على الأمير حديثة بن عذار
ابن عجل بن نكير بإمرة عرب الشام ، بعد عزل ابن عمه عساف ، بسفارة
الأمير جلبان نائب الشام من غير رضى نائب حلب .

جمادى الآخرة

أوله الأربعاء .

ففي يوم الخميس ثانيه لبس قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني
الشافعي خلعة الاستمرار ؛ فإنه كان أشيع بعزله بالسراج الحمصي أو يحيى
المتاوي .

وفيه سافر الأمير جلبان نائب دمشق إلى محل كفالته .

وفيه نودي على الذهب بالقاهرة وأعمالها بأن يكون صرف كل دينار
بثلاثمائة وعشرين درهماً ، بعد أن كانت المعاملة به قبل تاريخه قد وصلت إلى
ثلاثمائة وخمسين درهماً .

وفيه رسم السلطان بنقل الأمير قاني باي الموساوي السيفي تمربغا
المشطوب نائب البيرة إلى نيابة ملطية بعد عزل الأمير جانبك الحكمي عنها ،
واستقر في نيابة البيرة ناصر الدين محمد والي الحجر - كان - بقلعة حلب ، عوضاً
عن قاني باي المذكور .

وفي يوم الجمعة ثلثة وصلت رمة سيدي خليل ابن الملك الناصر فرج بن
برقوق من ثغر دمياط ، وصلى عليه بتربة جده الملك الظاهر برقوق ، ودفن بها

- أيضاً - بعد أن أقاموا العزاء عليه نحو العشرة أيام ، وأمعنوا في ذلك وأفحشوا فيه إلى الغاية ، بحيث أن امرأة ماتت من عظم اللطم على وجهها وصدرها في العزاء المذكور ، وهذا شيء لم // نعهد مثله . [٣٠٧]

وفي يوم الخميس تاسعه نودي على الذهب - أيضاً - بالسعر الذي نودي به في ثاني الشهر المذكور .

قلت : وهذا شيء لا يتم ، وأظنه ينمو إلى أزيد من ثلاثمائة وخمسين درهماً ، والله أعلم .

وفي يوم الأربعاء خامس عشره استقر القاضي تاج الدين ابن المقسي في كتابة الممالك السلطانية ، عوضاً عن فرج بن النحال القبطي المعزول عن الوزر ، وكان المباشر للوظيفة في مدة ولاية فرج الوزير شخصاً^(١) من أصاغر الأقباط يسمى زين الدين عبد الرحمن .

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه - الموافق لسادس عشرين بثونة - أخذ قاع النيل المبارك فجاءت القاعدة - أعني الماء القديم وما أضيف إليه من الماء الجديد - سبعة أذرع وخمسة عشر إصباعاً .

وفيه خرجت تجريدة إلى البحيرة بسبب نزول عرب لبيد ، نحو ستمائة نفر من الممالك السلطانية ومقدمهم الأمير جانم الأشرفي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ، وصحبته الأمير برسباي الجاسي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية - أيضاً - وعدة أمراء من أمراء الطبلخانات والعشرات .

وفي هذا الشهر كان الفراغ من مدرسة الأمير بردبك الدوادار التي أنشأها بخط قناطر السباع^(٢) ، وأقيم بها الخطبة .

(١) في « أ » : « شخص » .

(٢) حط قناطر السباع ، نسبة إلى قناطر السباع التي أنشأها « الظاهر بيبرس » ، ناصباً عليها سباعاً هي رنكه ، ثم جدها « الناصر محمد بن قلاوون » توسعةً وخفضاً ستة خمس وثلاثين وسبعمئة للهجرة .

شهر رجب

أوله الجمعة.

فيه أعيدت المعاملة بالدينار الذهب الأشرفي إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً من غير مناداة السلطان.

وفي يوم الثلاثاء خامسه أعيد القاضي محب الدين محمد بن الأشقر إلى وظيفة كتابة السر الشريف بالديار المصرية بعد عزل محب الدين محمد بن الشحنة عنها، وسر الناس بولاية محب الدين ابن الأشقر سروراً زائداً .

وفي يوم الاثنين حادي عشره دار المحمل بالقاهرة ، ولعبت الرماحة بالقاهرة بالرميلة كما فعلوا في العام الماضي .

وفي يوم الأحد سابع عشره عرض القاضي جمال الدين ناظر الجيش والخاص الكسوة التي عملها لمقام سيدنا إبراهيم الخليل - عليه السلام - وخلع عليه من الغد في يوم الاثنين كاملية مخمل أحمر بفرو سمور بمقلب سمور ، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش ، فلما وصل إلى داره ألبس الخلعة المذكورة للأمير بردبك الدوادار الثاني ، وأركبه - أيضاً - الفرس المذكور بسرجه وقماشه ، ثم أصبح السلطان أخلع على القاضي ناظر الخاص المذكور - أيضاً - // مثل خلعته بالأمس ، وأركبه فرساً مثل فرسه بالأمس . [٣٠٨]

قلت : لا يستكثر عليه ، إذا لبس في كل يوم خلعة مثل ذلك ، فإن القاضي ناظر الخاص - المذكور - هو عظيم المملكة - الآن - والمشار إليه في حلها وعقدها ، وهو أهل لما هو أكثر من ذلك .

وفي يوم الثلاثاء المذكور خلع السلطان على الشريف مخدم بن عقيل بإمرة مدينة ألبنيح بعد موت عمه معزاً .

= راجع : المقرئ . الخطط ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧ .
ولعل ميدان السيدة زينب - الحالي - يأتي في موضعها .

وفي يوم الخميس حادي عشرينه وصل شاهين التاجي دوا دار الأمير جانم الأشرفي من البحيرة ومعه قائد من قواد عرب لييد ، يذكر أن عرب لييد طائفة للسلطنة ، وأنهم يريدون رضى السلطان عليهم ، فرحب به السلطان .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه سافر الأمير بردبك الدوا دار الثاني وصهر السلطان إلى القدس الشريف وعلى يده كسوة برسم مقام الخليل عليه الصلاة والسلام ، وسافر مع بردبك - المذكور - القاضي شرف الدين التتائي الأنصاري ، والطواشي شاهين الساقى الظاهري ، وخرج بردبك - المذكور - من القاهرة بتجمل زائد ، وبين يديه أكابر الدولة وأعيانها .

وفي يوم الأحد رابع عشرينه استقر يار على العجمي الخراساني الطويل في حلبة القاهرة بعد عزل عبد العزيز بن محمد الصغير عنها ، وقد تقدم ولاية الشيخ (يار) على هذا لحلبة القاهرة غير مرة كما تقدم ذكره .

شعبان

أوله السبت .

ففي يوم الخميس سادسه وصل الأمير يرشباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني - كان - من بلاد الروم إلى القاهرة المحروسة وعليه خلعة خوند كار محمد بن مراد بك بن عثمان متملك برصا وغيرها من بلاد الروم ^(١) - ولبسهم غير لبس المصريين - فقدم يرشباي - المذكور - بتلك الهيئة على عادة من يتوجه إليهم ، وطلع إلى القلعة وقبل الأرض ، وعرف السلطان أن محمد بك - المذكور - أحسن إليه غاية الإحسان ، ثم نزل إلى داره .

وفي يوم الأحد تاسعه أحضر إلى بين يدي السلطان البدوي المعروف بالفضل ، الذي كان قبل تاريخه يقطع الطريق ويخيف السبيل ومعه ابن عمه . فأمر السلطان بضربهما بالمقارع ، فضربا بين يديه ، ثم سمرا ^(٢) على جملين ،

(١) بعدد في واه : إلى القاهرة المحروسة ، وهو تكرار لا فائدة منه

(٢) التسمير : عقوبة قاسية تلقى فيها بعض أعضاء المعاقب في لوح من الخشب أو نحوه بمسامير =

ثم سلخا وجعل جلدتهما بوا^(١) ، وأرسلا إلى الشرقية .

وسبب ذلك أن الفضل - المذكور - كان خارجاً عن الطاعة قاطعاً للطريق مخيفاً للسبيل ، دام على ذلك // مدة سنين ، وشهر بالشجاعة ، وتطلبته الولاة [٣٠٩] والكشاف فلم يقدروا على تحصيله ، فكان يأتي البلد الكبيرة نهاراً ويقوم على بعد منها ، ثم يرسل قاصده إلى أهل تلك البلد يقول : قد قرر عليكم الفضل كيت وكيت . فيقوم أهل البلد - المذكور - يجيبون له ما طلبه بسرعة ويأتونه به من غير تهاون ، وإن لم يفعلوا ذلك غضب عليهم وغاب عنهم أياماً قلائل ثم يطرقهم ليلاً ويأخذ ما شاء ؛ وأقام على ذلك مدة وأعيى الحكام أمره ، إلى أن قدم إلى السلطان طائعاً ، فأمنه السلطان وتاب عن ذلك ، ونزل إلى القاهرة وشق بها ، وأقام بها أياماً ، وصار إذا مشى بالقاهرة تعدو العوام خلفه للفرجة عليه ، وهو يضحك من ذلك ، ثم توجه بعد ذلك إلى بلاده وأقام أشهراً ، فبلغ السلطان من الأستاذ زين الدين أن الفضل صار يفعل كما كان يفعل أولاً ويقطع الطريق في الباطن ، فلا زال به زين الدين الأستاذ حتى استقدمه بالأمان ، وطلع به إلى السلطان ، وكان ذلك آخر العهد به .

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره - الموافق لرابع عشر مسرى - أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً ، وزاد سبعة أصابع من الذراع السابع عشر ، ونزل المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من القلعة وعدى النيل حتى خلق المقياس ، وعاد وفتح خليج السد على العادة ، وكان يوماً مشهوداً .

= غلاظ ، ثم يوضع على جمل يطوف به تشهيراً وتنكيلاً ، تمهيداً لتوسيطه (قتله) إن لم يكن هناك من يشفع فيه وتقبل شفاعة .

راجع : ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ١١٥ - ١١٦ ح ٩ ، ابن مصري . الدرة المضية في الدولة الظاهرية ص ١٠٤ .

(١) البو : ولد الناقة ، وجلد الحوار يخشى ثماماً أو ثبناً فيقرب من أم الفضل ، فيمطف عليه فتدر .

راجع الفيروزآبادي . القاموس المحيط ص ١٦٣٣ .
وعلى ذلك فالمراد أن جلدتهما سلخ وحشى ثبناً على صورة جلد الحوار .

ولله در القائل في ذلك :

خزن الخزان لما أن رأى نيلنا قد عم سهلاً وجبل
ورأى الزرع عروفاً أخرجت سيلات ذات حب فاخبت
وبكى إذ رمدت مقلته زاده الله عروفاً وسبل

[الرمل]

وفي يوم الخميس العشرين منه ورد الخبر على السلطان من البحيرة بأن الأمير جانم - أحد مقدمي الألوف - ركب بمن معه من الممالك السلطانية من منزله وطرق عرب لبيد وحصل بين الفريقين قتال عظيم، وانتصر جانم - المذكور - على عرب لبيد، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر جماعة أخرى، وغنم عسكره شيئاً كثيراً، ولم يقتل من عسكره غير أناس قليلة، من الممالك السلطانية اثنان ومن مماليك الأمراء واحد، فسر السلطان بذلك وخلع على شاهين دودار [٣١٠] الأمير جانم // وشكر له ذلك، ورسم باستمرار العسكر هناك إلى أن يرسم السلطان بعودهم.

وفي هذه الأيام كلم زين الدين الأستاذار السلطان في قطع جوامك أولاد الناس المستخزة، فمال السلطان إلى كلامه وعرضهم في يوم الأحد ثالث عشرينه بالحوش السلطاني، وقطع جوامك جماعة كثيرة منهم، فعظم ذلك على الناس، وانطلقت الألسن في حق زين الدين الأستاذار وغيره، ودام هذا الأمر إلى أن حضر الأمير بردبك صهر السلطان - الدودار الثاني - من القدس الشريف وصحبته القاضي شرف الدين موسى التائي الأنصاري، والطواشي شاهين الساقى الظاهري، وخلع السلطان عليهم ونزلوا إلى دورهم، ثم طلع بردبك - المذكور - بعد ذلك إلى السلطان وعرفه أن فيما فعله من قطع جوامك أولاد الناس دماراً عليه وعلى مملكته، فرجع السلطان إلى كلامه على ما سيأتي ذكره.

ولما عرض السلطان أولاد الناس في اليوم المذكور وقطع من قطع منهم وعظم ذلك على الناس استأنف السلطان من العرض ثانياً؛ فإنه لم يعرض في ذلك اليوم غير ستة أطباق، ورسم لزين الدين الأستاذار أن يتحدث (في) ذلك،

وينظر من يكون إقطاعه كبيراً يقطع جامكيته، ومن يكون إقطاعه دون ذلك يقيه؛ فحينئذ وصل زين الدين إلى مراده وفتك في الخلق، فلما رأى الوزير صاحب امين الدين إبراهيم ذلك تحرك - أيضاً - وشكا إلى السلطان كثرة الرواتب، فرسم السلطان بقطع من يكون له زيادة على زبدية من اللحم الراتب، فقطع شيء كثير - والزبدية عبارة عن رطلين ونصف وربع رطل، وإن كان صاحب وظيفة يكون له خمسة أرطال لا غير، وكان قبل ذلك يأخذ صاحب الوظيفة ثمانية أرطال، وبعضهم يأخذ عشرة، وهذا الأمر ليس هو بالتخصيص في حق أولاد الناس بل الممالك السلطانية جميعهم قاطبة - فعند ذلك كثر هرج الناس وماج العسكر، فتكلم بردك مع السلطان في ترك ذلك جميعه، وأن يكون كل أحد على حاله، فرسم له بذلك.

شهر رمضان

أوله الاثنين.

فلما كان يوم الأربعاء ثالثه نودي بالقاهرة من قبل السلطان بأن كل أحد مستمر على حاله، ومن قطع له شيء يعود إليه كما كان أولاً، من أولاد الناس و (من) غيرهم، وكذلك في رواتب // اللحم وغيره، فسر الناس بذلك. [٣١١]

وفي يوم الخميس رابعه وصل الأمير جانبك الظاهري جقمق - أحد أمراء الطبلخانات وشاد بندر جدة - من الحجاز الشريف إلى القاهرة، وطلع إلى السلطان، وقبل الأرض، وخلع عليه وعلى رفيقه القاضي تقي الدين ابن نصر الله. وفي يوم الخميس ثامن عشره قدم من البحيرة إلى القاهرة قوزي القردمي الخاصكي (وأخبر) بأن عرب لبید رحلت من البحيرة إلى نحو بلادهم.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه قبض زين الدين يحيى الاستادار على علي ابن الأهباسي المعزول عن الاستادارية قبل تاريخه من بيت بعض الأقباط الكتبة، وأخذه هو ووالده على أقبح وجه إلى داره، فأقام عنده ثلاثة أيام ثم تسلمه منه المقر الجمالي ناظر الجيش والخاص.

وسبب قبض زين الدين عليه بحساب كان بينهما متعلق بديوان ابن
السلطان، وأيضاً لما في النفوس.

وكان علي بن الأهناسي قبل تاريخه بمدة يسيرة وقع بينه وبين زوجته أمور
وشكاو^(١) عند القضاة، ورافعت في زوجته - المذكورة - عند السلطان وغيره،
وأفحشت في ذلك إلى الغاية.

قلت: وهذا تصديق قول من قال: كن من الخيرات منهن على حذر ولو
طالت المدة.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه وصل الأمير جانم بمن معه من الأمراء
والعساكر من البحيرة، وخلع السلطان عليه وعلى رفقته.

شوال

أوله الثلاثاء، ويوافقه سابع عشرين توت.

فيه نودي على النيل المبارك بزيادة أحد عشر إصبعاً من عشرين ذراعاً،
وهذا انتهاء زيادته في هذه السنة.

وفي يوم الخميس ثالثه خلع السلطان على جماعة من مشايخ البحيرة بعد
أن ضمنوا أمر عرب لبيد، وأن لبيد يقيموا بالبحيرة للبيع والشراء حتى ينتهي
أمرهم ثم يعودون إلى بلادهم، فرسم لهم السلطان بذلك.

وفي ليلة الجمعة رابعه - ويوافقه الثلاثين من توت - أمطرت القاهرة مطراً
عظيماً مع رعد وبرق حتى غرقت الطرقات، هذا والبحر في عشرين ذراعاً حسبما
تقدم ذكره، لكنه من يومه أخذ في النقص، فسبحان من يتصرف في ملكه كيف
يشاء.

[٣١٢] وفي يوم الخميس عاشره // قدم من طرابلس الأمير فياض بن ناصر الدين
بك بن دلغادر ليسعى في نيابة أبلستين بعد وفاة أخيه سليمان بن ناصر الدين

(١) في ١٠ : ١٠ : وشكاوي .

بك بن دلغادر، وقد راج أمر ولاية ابن أخيه رسلان بن سليمان في نيابة أبلستين، ولم يبق إلا سفر من يتوجه إليه بالتقليد والتشريف، فلم ينتج أمر فياض المذكور، وسافر يشبك الخاصكي الأشرفي وعلى يديه تقليد رسلان المذكور بنيابة أبلستين، واستمر فياض هذا على إمرته بطرابلس، وهي إمرة طبلخاناه.

وفي يوم السبت ثاني عشره قدم إلى القاهرة ركب المغاربة وصحبهم مقدمة هائلة من صاحب الغرب للسلطان، فأنزلهم السلطان بالميدان من تحت قلعة الجبل، وكانوا جمعاً كبيراً إلى الغاية، ومعهم أشياء كثيرة من أنواع المتجر كالرقيق والخيول والأقمشة وغير ذلك، ونفق سوقهم على المصريين وباعوا أحسن بيع.

وفي يوم السبت تاسع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي الخازندار بالمحمل إلى بركة الحجاج، وأمير الركب الأول في هذه السنة الأمير خير بك الأشرفي برسباي - أيضاً - أحد الدوادارية الأجناد، واستقل الركب الأول بالمسير من بركة الحجاج في صبيحة يوم الاثنين، وسافر المحمل من الغد في يوم الثلاثاء ومعهما خلائق لا تحصى من الحجاج من أجناس مختلفة كالمغاربة والتكرور والتركمان وغيرهم، فالله تعالى يعاملهم بلطفه بمنه وكرمه.

وفيه وصل قاصد الأمير قاني باي الحمزاوي - نائب حلب - إلى القاهرة وعلى يده مطالعة مرسله تتضمن طلب حضور نائب حلب - المذكور - إلى القاهرة، فشكر له السلطان ذلك ولم يأذن له في المجيء، وأرسل إليه فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وكثر الكلام في طلب نائب حلب المجيء؛ فإنه كان قد أشيع بعضيانه من أول دولة السلطان، بل من أواخر الدولة الظاهرية جقمق، وأنه لا يعلن بالعصيان ولا إذا طلب للحضور إلى الديار المصرية يحضر، واستمر على ذلك، فلما طلب - الآن - الحضور. فمن الناس من قال: إن هذا الطلب مكيدة، وأنه أرسل ليستفهم لينظر ما يفعله السلطان، ومن الناس من قال غير ذلك، والله أعلم.

قلت: والذي فعله السلطان هو الصواب؛ لأنه إن كان عاصياً كانت // الفتنة تشور. ويصير الأمر إلى أمور، وإن كان طائعاً فلا يضره عدم [٣١٣] مجيئه.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه وصلت إلى القاهرة من نابلس رأس محمد بن عبد القادر المعزول عن مشيخة نابلس بابن عمه قبل تاريخه، وطيف بها على رمح في شوارع القاهرة ، ثم علقت أياماً .

وسبب قطع رأسه أنه كان لما عزله الملك الظاهر جقمق - رحمه الله - حبسه بسجن الإسكندرية، فاستمر في السجن إلى هذه السنة تحيل بأن لبس زي النسوة، وخرج من السجن، ولازال حتى توصل إلى نابلس، وانضم إليه جماعة من أعوانه وأصحابه، وطرق ابن عمه المتولي وتقاتلا، فانكسر محمد - هذا - وقتل، وقتل معه جماعة من أصحابه، وأرسل ابن عمه رأسه إلى السلطان، فسر السلطان بذلك وأرسل إلى ابن عمه باستمراره .

وفي العشر الأخير من هذا الشهر حضر إلى القاهرة الأمير سودون الأبو بكري المؤيدي المعزول عن نيابة حماه قبل تاريخه في الدولة الظاهرية ، والمستقر على مقدمة ألف بدمشق .

وسبب قدومه أنه كان قد مرض في العام الماضي مرضاً شديداً، فأخرج الملك الأشرف إينال تقدمته للناصرى محمد بن مبارك، فلما عوفي حضر لطلب رزق، فأنعم السلطان عليه بتقدمة ألف بطرابلس إلى أن ينحل له إقطاع .

وفي هذه الأيام - أيضاً - هرب محمد بن علي بن إينال ولم يعلم أحد أين توجه .

وسبب تسجبه شكوى خوند بنت الملك المؤيد عليه بسبب هدمه لمنظرة الخمس وجوه المعروفة بالتاج وسبع وجوه وأخذه أنقاضه .

ومحمد هذا كان من مساوىء الملك الظاهر جقمق، رباه صغيراً؛ لأن الظاهر كان قبل أن يتصل إلى الملك الظاهر برقوق كان مملوكاً لأمير على والد محمد المذكور ، فلأجل ذلك أخذه ورباه ، ثم جعله من جملة مماليكه لما كبر، واستمر على ذلك سنين ، ثم بدا له أن يترك زي الجند ويلبس بالفقيري ، ففعل ذلك . وتفقر وسأل الناس ، وتخومل ، ودام على ذلك دهوراً إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق طلبه وأمره أن يلبس كعادته أولاً ، فامتنع ولم يفعل ، واستمر على حاله . وكان أخوه أحمد - أيضاً - بخدمة الملك الظاهر جقمق ،

وأحمد هو الأسن // ، وهم غير أشقاء ، فأنعم الملك الظاهر جقمق على أخيه [٣١٤] أحمد بإمرة عشرة ، فلما رأى محمد هذا ما وقع لأخيه أحمد داخله الحسد ، وبقي لا يمكنه العود إلى الجندية ، ففتح باباً آخر من السوال والطلب والبص ، وصار لا يقنعه ما في بيت المال من الملك الظاهر جقمق ، وبقي يركب حماراً ويطلع إلى القلعة ويتردد إلى الأكابر ويسألهم طيبة وغصباً ، وأظهر من قبيح الخصال وعظم الطمع ما سيذكر عنه إلى يوم القيامة ، ثم بعد مدة ركب فرساً ثم صار أمير شكاراً ، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة ، وذلك بعد أن أخذ عدة إقطاعات حلقة ، ولم يكفه هذا كله حتى أنهى إلى الملك الظاهر أن التاج - المذكور - يقع فيه من المتفرجين فواحش وأمور عظيمة ، وأن هدمه من أكبر المصالح ، ولم يكن لكلامه صحة ، وإنما كان هذا المكان من أحسن أبنية مصر وأنزهها ، وأما الشيخ حيدر الذي كان ساكناً به فكان من خيار الناس ديناً وصلاحاً وعفة ، وكان ممن يلتبس منه الدعاء ، وكان قد عمل فيه محراباً وأعلاماً من أعلام الرفاعية ، وصار لا يسمى التاج - هذا - إلا الزاوية .

وبالجملة ، لقد كان التاج من محاسن الدنيا ، وهو من البناء القديم بالقرب من كوم الريش خارج القاهرة ، وتشعث بنيانه وتهدم ، فجدده الملك المؤيد شيخ - رحمه الله - وغرم عليه نحو العشرين ألف دينار ، ونزل إليه من القلعة غير مرة ، وأقام به وعمل فيه الخدمة ، وأراد أن يعمر ما حوله فأدركته المنية ، فلما تسلطن الملك الأشرف برسباي أسكن به الشيخ محمد حيدر الرفاعي هذا وإخوته وأنعم عليه برزقة بالقرب منه ، فدام به حيدر - المذكور - نحو الثلاثين سنة . وكان بيني وبينه صفة أكيدة ، وكان من الأفراد في معناه ، ديناً خيراً عفيفاً عن ما يرمي به أوباش العجم - رحمه الله تعالى .

فلما سمع الملك الظاهر كلام محمد - هذا - صدقه وأمر بهدمه ، فتولى محمد - هذا - هدمه ، واستولى على جميع أنقاضه ، وباع منه بجمل مستكثرة من أحجار وأخشاب وشبابيك حديد وأشياء غير ذلك لا تدخل تحت حصر ، وصار التاج - المذكور - خراباً قفراً ، وما كفاه هدم التاج حتى عمر ببعض أنقاضه موضعاً على كوم القنطرة الجديدة سموه العوام : المخلوعة ، فصار // يأويه [٣١٥] الحشاشين والفسقة ، فعظم على الناس قاطبة هدم التاج - المذكور - إلى الغاية .

وهيئة محمد - هذا - أنه رجل طوال كبير اللحية والشوارب، أهوج^(١) في كلامه، وأما لبسه، فيلبس على رأسه قطعة شاش زي العامة السوقة، ويلبس ثياباً بأكمام كبار كهيئة عرب البحيرة، ويركب بصرج بداوي، يركب قدور كهيئة الأعراب - أيضاً - ثم يحمل في بعض الأحيان على يده طيراً من الطيور الجوارح، ويمشي على هذه الهيئة بالشوارع، فإذا نظر إليه من لا يعرفه يتحير في أمره واختلاف ملبسه، فكانت هيئته مهولة مضحكة، وكل ذلك من الجنون وخفة العقل، والجنون فنون، واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف إبنال أخرج إمرته عنه ومنعه من الأمير شكارية، وأخذ أمره في انحطاط إلى أن شكت عليه بنت المؤيد وطلبت منه ثمن ما باعه من أنقاض التاج، فأقام في الترسيم أياماً ووزن بعض ذهب - أقل من ألف دينار - ثم هرب فلم يعرف أين ذهب - إلى حين ألفت^(٢) - ثم ظهر بعد أيام ولزم داره .

ذو القعدة

أوله الأربعاء .

ففي يوم الثلاثاء سادسه عين السلطان تجريدة إلى البحيرة بسبب عود عرب لبيد، ومقدم العسكر الأمير الكبير تنبك الظاهري، فاستعفى تنبك - المذكور - فعين عوضه الأمير خير بك المؤيدي - أحد مقدمي الألوف - وعين معه عدة أمراء طبلخانات وعشرات .

وفي يوم الجمعة عاشره - ويوافقه خامس هاتور - لبس السلطان القماش الصوف الملون ، وألبس الأمراء على العادة .

وفي يوم السبت حادي عشره عرض السلطان الممالك السلطانية وكتب منهم جماعة كبيرة إلى البحيرة، ثم عرض في يوم الأحد من الغد - أيضاً - وكتب جماعة أخرى، ثم في يوم الأربعاء خامس عشره ، ثم سكن الحال ، وورد بعد ذلك الخبر بردود (عرب) لبيد .

(١) في د أ : : أهوجاً .

(٢) كذا في الأصل .

وفي يوم السبت حادي عشره - أيضاً - هرب الوزير صاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم واختفى ، فتغير السلطان على جماعة المباشرين .

ثم في يوم الاثنين قبض السلطان علي زين الدين يحيى الأشقر وعوقه بقلعة الجبل ، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج نقيب الجيوش المنصورة في يوم الثلاثاء رابع عشره بالاستدارية ، عوضاً عن زين الدين المذكور ، وخلع - أيضاً - علي فرج كاتب الممالك بعوده إلى الوزر ، عوضاً عن صاحب أمين الدين إبراهيم // بن الهيصم ، وكان في أمه قد خلع علي فرج المذكور [٣١٦] بعوده إلى كتابة الممالك ، عوضاً عن القاضي تاج الدين عبد الله بن المقسي ، وكان القاضي تاج الدين - المذكور - قد باشر كتابة الممالك أحسن مباشرة ، وسلك فيها أجمل طريقة ، وحسنت سيرته في ذلك وأحبته الناس .

وفي يوم الأربعاء ضرب السلطان زين الدين الاستادار وألزمه بحمل جملة كبيرة من المال ، وأخذ زين الدين في بيع قماش بدنه وأوانيه وغير ذلك .

وفي يوم الاثنين العشرين منه أخلع علي القاضي حسام الدين ابن بربطع باستقراره قاضي قضاة الحنفية بدمشق ، عوضاً عن القاضي حميد الدين ، بحكم عزله وإخراجه إلى حلب .

وفي يوم الخميس أخرج القاضي محب الدين ابن الشحنة إلى القدس بطلاً .

وفي يوم السبت خامس عشرينه أطلق زين الدين يحيى الاستادار من محبسه بالقلعة ونزل إلى بيت القاضي ناظر الجيش والخاص على أنه يفني ما بقي عليه ثم يتوجه إلى القدس ويقيم به بطلاً .

وفيه استقر عبد العزيز بن محمد الصغير في نقابة الجيش ، عوضاً عن الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج ، بحكم استقراره في الاستادارية عوضاً عن الأمير زين الدين يحيى الأشقر .

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه رسم السلطان أن يطلع المهندسون إلى

مدرسة السلطان حسن لكشف مئذنتها القبلية، فإنه قيل: للسلطان إنها أشرفت على السقوط، فطلع إليها جميع مهندسي القاهرة فلم يجدوا بها شيئاً مما قيل، بل من كثرة الرمي عليها بالمكاحل في أيام الحروب تحرق بعض رصاص القبة وانعوج هلال القبة، فأخرج الهلال وبقيت القبة بلا هلال.

قلت: وهذا أمر سهل (لا) بالهلال ولا بالمئذنة؛ فإن هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا، وهي أحسن بنيان بني في الإسلام، وقد استكملت هذه المدرسة من يوم الابتداء في عملها إلى سنتنا هذه مائة سنة؛ فإن الملك الناصر حسن شرع في بنائها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وقتل في سنة اثنتين وستين وسبعمائة - رحمه الله تعالى - وكان بناؤه لهذه المدرسة وعمارته لها على هذه الهيئة مما يدل على علو همته، رحمه الله تعالى.

ذو الحجة

أوله الخميس.

[٣١٧] ففي يوم الجمعة ثانيه سافر زين الدين // الأستاذ دار إلى القدس بطلاً.

وفي يوم الاثنين خامسه خلع السلطان على شخص من الأسالة بسمى شمس الدين نصر الله بن النجار باستقراره في نظر الدولة، وكان لهذه الوظيفة مدة أشهر شاعرة.

قلت: ما أحلى هذا القران، ما لهذا الوزير إلا هذا الناظر الدولة، ولو ولى التاج الخطير استيفاء الدولة لكان تكمل الدست به.

وفي يوم السبت عاشره صلى السلطان صلاة عيد الأضحى ثم خرج إلى الإيوان ليضحى، وجلس حتى يقوم للذبيحة وإذا بالمماليك الجلبان قد هجموا على الإيوان، فردهم من حضر من رءوس النوب، فتقهقروا قليلاً، ثم حطموا حطمة كبيرة، وأكثروا من الرجم حتى أصيب بعض الأمراء، ثم اقتتلوا فيما بينهم وعظمت الغوغاء، فقام السلطان من وقته ولم يذبح شيئاً بالجملة، وتوجه إلى الحوش وذبح به. فكانت هذه القضية من أقبح الأمور.

وفي يوم الثلاثاء العشرين منه وصل إلى القاهرة الأمير أقبردي الساقى
الظاهري أتاك حلب ، وقبل الأرض بين يدي السلطان ، وأخلع عليه كاملية
بمقلب سمور .

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه نزلت الممالك الجلبان الذين بالأطباق
وقصدوا بيت الأستاذار ابن أبي الفرج ، ونهبوا جميع ما كان فيه من قماش
وذهب ومتاع وأوان^(١) وسلاح ، وقيل : كان شيئاً كثيراً إلى الغاية ، قيل : إن
قيمة ما أخذ من بيته في هذه النهبة خمسة وعشرون ألف دينار ، هذا بعد هتك
حرمة والرعب الذي حصل لهم ، وكان سبب ذلك تعويق الجامكية .

ولما وقع ذلك شاعت الأخبار وانتشرت بالبلاد والقرى ، وكثر قطع الطريق
وإخافة السبل ، كل هذا والسلطان لا يكثرث بما وقع ولا يلتفت إلى إصلاح
شأنه ، فسبحان المدير .

وفي يوم الأربعاء مسك السلطان عبد الرحمن كاتب الممالك ، وضربه
علقة هائلة ، وحبس بالقلعة إلى أن تكلم فيه فأطلقه من الغد على أنه يقوم
بخمسة آلاف دينار ، ثم آل أمره إلى حمل ألف دينار .

وفي يوم الخميس - المذكور - أخلع على الأستاذار ابن أبي
الفرج - المذكور - خلعة الاستمرار بعد أن استغنى من الوظيفة وذكر أنه لا يملك
صفراء ولا بيضاء .

وفرغت هذه السنة والأسعار رخيصة ، غير أن البلاد ، غير مطمئنة ، والفتن واقعة
في البحيرة بين العرب الطائفة والعاصية ، والسبل مخافة ، وذلك لعدم اكتراث
الملك لذلك ولليته .

// وفيها كان الفراغ من مدرسة الأمير بردك الدوادر الثاني بخط قناطر [٣١٨]
السباع خارج القاهرة .

(١) في ١ : دواوان .

ومبشر الحاج في هذه السنة شخص من النجابة ، وقد عوق عن الحضور أياماً ، ثم قدم في أواخر العشر الأخير من ذي الحجة .

أمر النيل في هذه السنة

كان الماء القديم سعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأحد عشر إصبعاً ، وكان ذلك في مستهل شوال الموافق لسابع عشرين توت أحد شهور القبط . والله الموفق .

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الأمير يلبغا الجاركسي^(١) ، أحد أمراء الطبلخانات في يوم السبت رابع شهر ربيع الآخر بعد مرض طويل .

كان تركي الجنس ، أصله من مماليك الأمير جاركس القاسمي المصارع ، ثم صار خاصكياً بعد موت الملك المؤيد شيخ ، وأقام على ذلك سنين عديدة إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق ، قرب يلبغا المذكور لكونه من جملة مماليك أخيه جاركس المصارع ، وأنعم عليه بإمرة عشرة ، وجعله من جملة رءوس النوب ، ثم ولاه رأس نوبة ولده المقام الناصري محمد مدة ، ثم عزل واستقر على إمرته ووظيفة رأس نوبة السلطان إلى أن ولاه الملك الظاهر بعد سنين نيابة دمياط ، وجعله من جملة أمراء الطبلخانات ، وطالت مدته بدمياط إلى أن عزله الملك الظاهر قبل موته بمدة يسيرة ، وقدم إلى القاهرة ودام بها ، ثم مرض وطال مرضه إلى أن أخرج الملك الأشرف إينال إقطاعه وأنعم به على الأميرين : تنم الحسيني الساقبي الأشرفي ، وقلمطاي الإسحافي الأشرفي ، واستمر يلبغا مريضاً بطلاً إلى أن مات في التاريخ المذكور ، وسنه نيف على السبعين .

وكان مسرفاً على نفسه ، لم يشتهر بدين ولا شجاعة ولا كرم ، عفا الله عنه .

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٩٥ تر ٢٦٧٨ ، المنهل الصافي مج ٣ في ٣٠٦ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٠ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ تر ١١٣٣ .

(٢) وتوفي القاضي ناصر الدين محمد بن... (١) ابن قاضي القضاة فخر الدين أحمد بن عبد الله ، الشهير بابن المخلطة (٢) - أحد نواب الحكم المالكية ، وناظر البيمارستان المنصوري - في يوم الأحد تاسع عشرين شهر ربيع الآخر .

ومولده (قريباً من سنة تسعين وسبعمائة) (٣) . وكان فقيهاً عارفاً بمذهبه ، [٣١٩] وعنده دربة بالشروط والأحكام ، وولى الحكم سنة سبع عشرة وثمانئة ، // وحدث سيرته ، وصحب الملك الأشرف إينال قديماً قبل سلطنته ، فلما تسلطن ولاه نظر البيمارستان من غير سعي ، بعد عزل شرف الدين موسى التتائي الأنصاري عنها ، فلم تطل مدته ومات - رحمه الله - في التاريخ المذكور .

وكان - رحمه الله - من بيت علم وفضل ورياسة وأصل عريق ، وكان جده قاضي القضاة فخر الدين أحمد من أعيان فقهاء المالكية في زمانه ، ذكره العلامة الحافظ برهان الدين ابن فرحون في كتابه المسمى بالديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، فيمن اسمه أحمد ، من الطبقة الأخيرة من أصحاب مالك ، فقال :

«كان فاضلاً في مذهب مالك، إماماً في الأصول والعربية، رحل إلى الشام، وسمع من الحافظ أبي الحجاج المزني وشمس الدين الذهبي وغيرهما، وقرأ الأصول على شيخ الفن شمس الدين الأصبهاني (٤)، والعربية على القاضي عماد الدين أبي الحسن (٥)، الكندي، وعلى أثير الدين أبي حيان، وتفقه بالإمام

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٠ - ١٧١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٧ تر ٨٠ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٩ .

(٢) بياض في داء ، وهو في السخاوي . الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٧ تر ٨٠ : «محمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن ناصر الدين بن العز المحبوبي أبي زكريا السكندري ثم القاهري» ، كما أشار في ترجمته لابنه «محمد» - المصدر السابق ج ١٠ ص ٨ تر ١٣ إلى أن «يحيى» جده - فيما يظن - أخو قاضي إسكندرية «الفخر أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله» ، وهو مما لا يستقيم معه النص المثبت في المتن هنا .

(٣) مبيض له في داء ، مثبت من المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٧ تر ٨٠ .

(٤) في داء : الأصفهاني .

(٥) في داء : الحسين .

أبي حفص عمر ابن قدامح^(١)، وتفقه بقاضي القضاة فخر الدين المذكور جماعة منهم العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر بن علي بن هلال الربيعي وغيره.

وتوفي القاضي ناصر الدين المذكور في التاريخ المذكور، ولم يخلف بعده مثله ضخامة وعلماً ومعرفةً وديناً وعفة، رحمه الله تعالى.

والمخلطة بالخاء المعجمة واللام المشددة المكسورة والطاء المهملة، كذا ضبطه الحافظ برهان الدين ابن فرحون في ترجمة جده قاضي القضاة فخر الدين^(٢)، رحمه الله - تعالى - وعفا عنا وعنه .

(٣) وتوفي المقام الغرسي خليل^(٣) ابن السلطان الملك الناصر فرج ابن السلطان الملك الظاهر برقوق بن أنص الجاركسي الأصل، المصري المولد، الإسكندراني المنشأ، الدمياطي السوفاة، في يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادي الأولى بشفر دمياط ودفن به .

ومولده في سنة أربع عشرة وثمانمائة بقلعة الجبل في حياة والده، وأمه أم ولد تسمى لا أفلاح من ظلم، فدام بقلعة الجبل إلى أن أخرجه الملك المؤيد شيخ مع أخيه محمد إلى ثغر الإسكندرية فحبسا بها مدة سنين إلى أن سألت عمتها خوند زينب زوجها الملك المؤيد شيخ في حضورهما. فأحضرهما إلى قلعة الجبل فختنا بها، واستمررا بقلعة الجبل إلى أن أخرجهما الملك الظاهر ططر ثانياً إلى الإسكندرية في أواخر سنة ثلاث^(٤) // وعشرين وثمانمائة فدما بها إلى أن توفي [٣٢٠] أخوه محمد بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين، وبعد مدة أطلق خليل هذا من الحبس، ورسم له الملك الأشرف برسباي بالسكني بالإسكندرية من غير أن يركب إلا إلى صلاة الجمعة، فيركب فرس نائبا ويصلي الجمعة ثم يعود إلى داره.

(١) في واه: فراح.

(٢) راجع: ابن فرحون. الديباج المذهب ت. عمد الأحدي أبي النور. القاهرة، دار التراث جـ ١ ص ٢٥٦ تر ١٤١.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٢ تر ١٠٠٤، المنهل الصافي مج ٢ ق ٥٢ ب، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧١ - ١٧٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢١١ تر ٧٦١، ابن أبياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٩.

(٤) في هامش واه: وحاشية: صوابه: سنة أربع وعشرين.

واستمر على ذلك إلى أن رسم له الملك الظاهر جقمق بالركوب، وبعث إليه بفرس عليه قماش ذهب، ثم منع من ذلك مدة طويلة، ثم رسم له ثانياً بذلك، وأذن له في الحج، فتهيأ للحج في سنة ست وخمسين، وقدم إلى القاهرة بعد نصف شوال، ونزل بيت صهره زوج أخته خوند شقراء بحدرة البقر، وطلع إلى السلطان بعد مجيئه بيومين، فلما رآه السلطان بالغ في تعظيمه - حسبما ذكرناه في وقته في هذا الكتاب - حتى إنه جلس بين يديه وخلع عليه كاملية مخمل بمقلب سمور، ونزل إلى بيت أخته إلى أن توجه إلى الحج صحبة الحاج، وعاد، ففي يوم عودته إلى بركة الحاج خلع الملك الظاهر نفسه وسلطن ولده عثمان، فقدم خليل هذا من بركة الحاج ونزل بتربة جده الظاهر برقوق حتى أصبح من الغد وطلع إلى القلعة وسلم على الملك المنصور عثمان، ثم خرج من عنده، وخرج ليعود الملك الظاهر في مرضه، ثم نزل بعد أن ألبسه الملك المنصور كاملية بمقلب سمور، وفي حال نزوله رسم الملك المنصور بتوجهه إلى ثغر دمياط في يومه، فنزل بتربة جده، وسافر من ليلته في بحر النيل إلى دمياط، وكان ذلك في ليلة خامس عشرين المحرم، فدام بدمياط إلى أن مرض بالبطن، ومات بدمياط ودفن بها أياماً، ثم أخرج في سحلية، وحضرت رمته إلى القاهرة في يوم الجمعة ثالث جمادي الآخرة من السنة، ودفن بتربة جده بالصحراء، وصلى عليه القضاة ثانياً قبل نزوله إلى القبر.

وكان صفته: أخضر اللون، للطول أقرب، نحيف البدن، أسود اللحية، وعنده تمقل ودهاء مع كبر وجبروت كان فيه، مع إسراف على نفسه وانهماك في اللذات.

وهو زوج كريمي، ومات عنها وخلف منها بنتاً في السادسة من العمر، وخلف جارية حاملاً، فولدت من بعده ولداً ذكراً يسمى خليلاً^(١) باسم أبيه، رحمه الله - تعالى - وعفا عنا وعنه.

[٣٢١] (٤) وتوفي القاضي شمس الدين محمد بن عامر^(٢)، قاضي / / قضاة

(١) في ١: «١» : خليل.

(٢) هو محمد بن محمد بن عامر، له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ =

المالكية بصفد ، وبها مات في أوائل جمادي الآخرة .

وكان معدوداً من فقهاء المالكية ، وناب في الحكم بالقاهرة سنين عديدة ، وولى في بعض الأحيان قضاء المالكية بالإسكندرية غير مرة ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .
(٥) وتوفي الشريف معزا أمير مدينة الينبع^(١) في أواخر جمادي الآخرة بها ، وتولى عوضه إمرة الينبع ابن أخيه مقبل ، رحمه الله تعالى .
(٦) وتوفي الأمير جانبك الزيني عبد الباسط^(٢) بالقاهرة في يوم الأربعاء لعشر^(٣) بقين في شهر رجب .

وكان قد ولى الأستاذارية في الدولة الأشرفية برسباي في أيام أستاذه عبد الباسط ؛ وسببه أن الأشرف كان قصد تولية عبد الباسط - المذكور - الأستاذارية فلما ألح عليه ورأى منه الجد قال : يلبسها مملوتي وأنا أتكفل بأمرها ، فقال الملك الأشرف : القصد سد [اتب] بيت السلطان ، فوليها جانبك - المذكور - حساً والمعنى عبد الباسط ، فدام فيها إلى أن قبض الملك الظاهر جقمق على أستاذه عبد الباسط ، وصادره - قبض على جانبك هذا - أيضاً - مع من قبض عليه من حواشييه ، وتولى الأستاذارية من بعده دواداره محمد بن أبي الفرج ، فلما أفرج عن عبد الباسط ، ورسم له بالحج حج صحبته جانبك المذكور ، وتوجها إلى الشام ، فدام جانبك بدمشق إلى أن قدم أيام الملك الأشرف إينال ، وأقام بالقاهرة مدة ، ومات ودفن بترية أستاذه بالصحراء خارج باب النصر .

= ص ١٧٢ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٩ ص ٨٧ - ٨٨ تر ٢٤٦ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٠ .

(١) هو ومعزى بن هجار بن وبيد بن نخيار الحسيني ، له ترجمة في : السخاوي . الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٢ تر ٦٦١ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤١ تر ٨٢٩ ، المنهل الصافي ج ٤ ص ٥٦ تر ٢٢٦ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٦ تر ٢٢٦ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٣) في ١٤ ، لعشران ، والتصويب عن النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢ .

ولم يكن جانبك من أعيان الدولة لتشكر أفعاله أو تذم، رحمه الله تعالى .

(٧) وتوفي قاضي قضاة الحنابلة بحلب ، مجد الدين سالم بن سلامة^(١) الحموي الحنبلي خنقاً بقلعة حلب بحكم الشرع ، بسبب قتله لابن قاضي عيتاب ، وقد سقنا حكايته مع ابن قاضي عيتاب في حوادث هذه السنة في صفر فلتراجع هناك .

وكان مجد الدين هذا له مشاركة، ويذاكر بالشعر، وعنده معرفة بالأحكام بحسب الحال، إلا أنه كان مهوراً وعنده حدة مزاج ومحنة للمنصب، عفا الله عنه .

(٨) وتوفي الأمير سليمان^(٢) ابن ناصر الدين بك محمد بن دلغادر نائب أبلستين وأمير التركمان بها في يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان ، وحضر سيفه إلى القاهرة ، وأخبر القاصد أنه عهد لابنه ملك أصلان بنيابة أبلستين ، فأقره السلطان عليها ، وأرسل إليه خلعة النيابة على يد يشبك الخاصكي الأشرفي .

[٣٢٢] وكان // سليمان - المذكور - أميراً جليلاً ، إلا أنه كان قد صار لا يطبق الركوب من فرط السمن ، رحمه الله تعالى .

(٩) وتوفي الأمير سودون بن عبد الله الجكمي^(٣) بطالاً بالقاهرة .

وهو أخو الأمير إينال الجكمي نائب الشام لأمه وأبيه، وكانوا جماعة أخوة أصغرهم سودون هذا، وهو ممن تأمر في الدولة الظاهرية جقمق، ووجهه الملك الظاهر جقمق لأخيه إينال الجكمي بخلعة الاستمرار، وعاد إلى القاهرة، وأقام بها مدة يسيرة وعصى أخوه إينال، فاتهمه الملك الظاهر جقمق بأنه يتآلف الجند والأمراء على أخيه إينال - وليس ذلك ببعيد - فقبض عليه وحبسه أكثر من عشر

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٤٢ تر ٩٠٨ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٣ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٨ تر ١٠٥٦ .

سنين، ثم أطلقه وأنعم عليه بإقطاع هين بدمشق، فاستمر بها إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال، قدم سودون هذا مع من قدم من المنفيين، فلم تتحرك ريجيه ولا أقبل عليه السلطان، فدام بطلاً إلى أن مات يوم السبت رابع ذي القعدة فقيراً، فأرسل إليه السلطان بعشرة دنانير حتى جهز بها وأخرج.

وكان لنا به صجة قديمة، رحمه الله.

(١٠) وتوفي قاضي قضاة الحنفية بدمشق قوام الدين محمد بن قوام^(١) الدمشقي المولد والمنشأ والوفاة، الحنفي، مولده بها قبل سنة ثمانمائة تخميناً، لثمان خلون من ذي القعدة، ومات وهو غير قاض.

وكان فقيهاً فاضلاً، ديناً، خيراً، مشكور السيرة في أحكامه، نشأ بدمشق وتفقه^(٢) بها علي القاضي ركن الدين دخان، وأخذ النحو عن الشيخ علاء الدين العائدي الحنفي، وقرأ الأصول على العلامة أوجد زمانه الشيخ علاء الدين محمد البخاري الحنفي، وفضل وأفتى ودرس، وولى قضاء دمشق استقلالاً مرتين من غير سعي ولا بذل مال، ثم صرف ولزم داره إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان عنده قوة وهمة عالية ورجلة، رحمه الله.

(١١) وتوفي ناصر الدين محمد المعروف بمحمد الصغير^(٣) في ليلة الجمعة ثالث عشرين ذي الحجة، ودفن من الغد، وقد زاد منه على ثمانين سنة.

وكان يحسن رمي الشباب إلى الغاية، ولذلك سمي بالمعلم لتعليمه الرمي، وكان يجيد هذه الصناعة علماً وعملاً. ومات ولم يخلف بعده مثله في ذلك، وكانت له مشاركة، وعنده^(٤) // محاضرة حسنة، ويجيد قراءة المحراب، وكان [٣٢٣]

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٣.

(٢) وتفقه: مكررة في ١٠١.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٣.

(٤) وعنده: مكررة في ١٠١.

في صوته طرب ولقراءته رونق، وصحب الملك الظاهر جقمق في أيام إمرته، فلما نسلطن قربه وجعله نديمه، وولاه في أوائل دولته نيابة دمياط، ثم عزله وأهانته قليلاً، ثم أعاده إلى رتبته وجعله من جملة الحجاب، فدام على ذلك إلى أن مات الملك الظاهر جقمق، فلزم داره حتى مات، وورثه ابنه عبد العزيز بن محمد الصغير، فرد فيه الرمق بموت أبيه وعود إقطاعه إليه؛ فإنه كان في بجموحة من الفقر والديون التي يستحي من ذكرها كثرة، وكان له سنين ينتظر ذلك، ولا أعرف والد محمد الصغير هذا، غير أن أصله من القازانية، لم يمسه رقى، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه.

* * *

سنة تسع وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الأشرف إينال، والخليفة القائم بأمر الله حمزة أبو البقاء، والقضاة والأمراء ونواب البلاد الشامية وغيرهم من أرباب الوظائف على حالهم كما هو مذكور في السنة الماضية.

المحرم

أوله السبت.

في يوم الأحد ثانيه عزل السلطان الملك الأشرف إينال - ناصر الدين محمد ابن أبي الفرج عن الاستدارية بالزيني قاسم الكاشف، وكان قاسم - هذا - صيباً^(١) من الحوشة، ثم عمل غلاماً مدة سنين إلى أن اتصل بخدمة صاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ، فرأى فيه النجابة فرقاه إلى أن ولي كشف الوجه الغربي، وباشر ذلك سنين، وأثرى، وتمول، وترشح إلى الاستدارية ووليها.

وفي يوم الاثنين عاشره لبس الأمير آقبردي الساقى الظاهري جقمق أتابك حلب خلعة السفر، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، ورسم له بالسفر في يوم الجمعة إلى محل إقامته بحلب، فسافر هو يوم الخميس لكلام بلغه، وأشيع بالقاهرة أن الممالك الظاهرية خجداشيته يريدون الوثوب على السلطان، فسافر هو واستراح وأراح، ثم بعد خروج آقبردي - أيضاً - أشيع بالقاهرة بوقوع فتنة، وشاع ذلك عند الناس حتى علم السلطان، وتحدث به

(١) في داء : دصي .

مع الأمراء ، وأوصاهم بأمور ، ونقلت الأعيان أموالهم وأقمشتهم إلى الخواصل .
[٣٢٤] وفي يوم الثلاثاء // حادي عشره نودي بالقاهرة بأن لا يتكلم أحد فيما لا
يعنيه ، ولا يحمل أحد سلاحاً بعد العشاء وعشي به في الطرقات ، وأشياء من
هذا النمط .

وفي يوم الاثنين سابع عشره ورد إلى القاهرة قاصد السلطان إبراهيم بن
قرمان وعلى يده كتاب مرسله يتضمن الشكوى من محمد بن مراد بك بن عثمان
متملك الروم ، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه وأجابه بجواب هين .
وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره نودي بالقاهرة بخروج المماليك البطالة من
القاهرة ، وهدد من تخلف منهم بعد ثلاثة أيام ، فلم يخرج منهم أحد .

وبعد نصف هذا الشهر تغير لون نيل مصر ، وغلبت عليه الحمرة حتى
صار يُرى ذلك من بعد ، وصار الشخص إذا أخذ منه في إناء ينظره كفضلات
ماء المطر الماكثة في البرك من شدة تغيره ، واختلف في ذلك ، فقيل : إن هذا
من سيل دقق فيه في أوائل مجراه ، فكيف يكون قدر هذا السيل الذي غير لون
النيل^(١) مع بعد المسافة ؟ واستمر على ذلك أياماً .

وفي يوم السبت ثاني عشرينه وصل الركب الأول من الحاج وأميره خيربك
الدوادار الأشرفي أحد الخاصكية ، ووصل من الغد أمير حاج المحمل بالمحمل
بعدما قاسى الحج في هذه السنة شدائد من كثرة السيل ، وموت الجمال ، وقطع
الطريق . وأخذ في هذه السنة من الحاج خلائق لا تحصى ، حتى إنه أخذ ركب
التكروري^(٢) بكامله ، ولم يرجع من التكرارة ولا الرجل الواحد ، وكانوا في كثرة إلى
الغاية ، وأما المغاربة فتقاتلوا مع العرب قتالاً عظيماً ، وأخذوا من العرب وأخذت
العرب منهم ، بخلاف ركب التكروري ، فإنه أخذ جميعه ، فإنهم كانوا اندفعوا
وأخذوا على حين غفلة ، فأسر الجميع وقتل منهم من قتل ، فلا قوة إلا بالله .
وهذا شيء لم نسمع بمثله في هذه الأيام .

(١) في د أ : : السيل .

(٢) التكرور : قبيل من السودان يسكنون أقصى جنوب المغرب .

راجع : ياقوت . معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨ .

وكل ذلك لعدم اكتراث السلطان بأمر الحاج ، وايضاً لضعف من يلي إمرة الحاج ، فإن أمير [الركب] الأول في هذه السنة خير بك المقدم ذكره ، وهو من جملة الأجناد ، وأمير الحاج كان جانبك الخازندار الأشرفي من جملة أمراء الطبلخانات ، غير أنه حدث السن ، وفيه طيش وخفة مع عدم معرفة بالحروب والأمور ، على تيه فيه وشمم .

وفي أواخر هذا الشهر مات جماعة من عماليك الأمير بردبك صهر السلطان ، الدوادار الثاني بالطاعون ، ولم نسمع بذلك إلا عنده فقط .

وفي هذه الأيام زاد سعر الذهب إلى أن بلغ الأشرفي في المعاملة // [٣٢٥] ثلاثمائة درهم وسبعون درهماً ، وهو الأشرفي الذي زنته درهم وقيراطان .

صفر

أوله الاثنين .

ففي يوم الأحد رابع عشره ثارت الممالك الجلبان الذين بالأطباق من قلعة الجبل ، وأرادوا النزول إلى الرميطة ، فمنعهم نائب القلعة الأمير قاني باي الناصري الأعمش من النزول ، ورد باب القلعة ، فأوسعوه سباً ، وقيل : بل ضربه بعضهم ، وطلبوا من السلطان زيادة الجامكية ، وقالوا : ما نأخذ إلا كل واحد سبعة أشرفية حساباً عن ألفي درهم بسعر ما كان الذهب أولاً بمائتين وثمانين درهماً الدينار ، فأجابهم السلطان بأن السعر كان في تلك الأيام بشيء واليوم بخلافه ، فلم يلتفتوا إلى كلامه ، وأغلظوا في الجواب ، وامتنعوا يوم الاثنين من أخذ الجامكية .

وترددت الرسل - أيضاً - بينهم وبين السلطان ، والسلطان لا يسمح بالزيادة ، وهم مصرّون على الزيادة .

وأرادوا الفتك بجماعة من مباشري الدولة ، فامتنعوا من النزول ، وأقاموا بالدهيشة بعد أن كانوا خرجوا إلى قرب الباب ، فتقدم بعضهم إلى عظيم الدولة الجمالي ناظر الجيوش والخاص وضربه ورمى بعمامته عن رأسه ، فعاد هو ومن رافقه من وقتهم وأقاموا بالدهيشة ، ثم نزلوا على دفعات من باب الميدان وغيره ، ونزل الحمالي ناظر الخاص إلى بيته بين الظهر والعصر ، وانقطع في داره أياماً ،

ولما نزل من القلعة نزل معه جماعة من الأمراء والخاصكية إلى أن أوصلوه إلى داره بسوقة صاحب.

ومضى يوم الاثنين والحال على ما هو عليه، وماج الناس بسبب ذلك، وخشى الناس أن يكون وثوب الجلبان ووقوفهم في هذا الأمر باتفاق من الممالك الظاهرية.

قلت: ولا يبعد ذلك، فإن في النفس من ذلك شيء، وكثر الكلام في ذلك، هذا مع أن البلاد في غير طائل من الحكام، والسبل مخيفة، وقطع الطريق فاش بظواهر القاهرة، بل وفيها، والآراء مفلوكة.

ولما أصبح يوم الثلاثاء جلس السلطان بالحوش واجتمع عليه الأشرية. وأظهروا له النصح، فقوى قلبه بهم، فأرسل أغلظ في الجواب للمالك الجلبان واستمز بمن حوله من الأمراء والخاصكية، فلما سمعوا كلامه تكلم بعضهم مع بعض، ثم أذعنوا وقبضوا جوامكهم، ومشى // الحال .

وفي يوم الأربعاء رابع عشرينه وصل مملوك الأمير جانبك التاجي نائب غزة إلى القاهرة، وأخبر بموت الأمير جلبان - نائب الشام - قبل أن يصل سيف جلبان المذكور، ثم وصل بعد ذلك على يد يشبك المؤيدي الحاجب الثاني بدمشق .

وفي يوم الخميس خامس عشرينه رسم السلطان أن يكتب بانتقال الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب إلى نيابة الشام، عوضاً عن الأمير جلبان بحكم وفاته، ورسم للأمير يونس العلاني الناصري المعزول عن نيابة الإسكندرية قبل تاريخه أن يحمل إليه التقليد والتشريف بنيابة الشام، ثم أخلع على الأمير جانم أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وقريب الملك الأشرف برسباي بنيابة حلب، عوضاً عن الأمير قاني باي الحمزاوي - المذكور - على كره منه وامتناع كثير، ثم لبس ونزل إلى داره وهو أكثر من الإقالة ويستعفي ويتعلل بالضعف والفقر، إلى أن أرسل إليه السلطان بألفي دينار تقوية، ووعدته بكل جميل .

وفي يوم السبت سابع عشرينه أنعم السلطان على الأمير يونس العلاني

- المذكور - بتقدمة ألف ، عوضاً عن الأمير جانم المتولي نيابة حلب ، وأنعم بإقطاع يونس ، المذكور - على مملوكه وصهره الأمير بردبك الدوادار الثاني ، ورسم له بأن يتوجه مسافراً للأمير جانم ، وأن يضبط موجود الأمير جليان نائب الشام ، وأنعم بإمرة بردبك - وهي إمرة عشرة - على السيفي تنبك الأشرفي وعلى السيفي أرغون شاه الأشرفي ، نصفين بالسوية ، وهما من ممالك الملك الأشرف برمباي .

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه استقر شمس الدين نصر الله الأسلمي القبطي ناظر الدولة - المعروف بابن النجار - وزيراً بالديار المصرية ، عوضاً عن فرج بن النحال بحكم عجزه ، فلم تر عيني فيما رأت من لبس خلعة الوزر أغلس ولا أقدر ولا أقل حرمة من فرج بن النحال المعزول .

وفيه أنعم السلطان على الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش بإمرة طبلخاناه ، وأخلع عليه باستقراره رأس نوبة ثانياً ، وكلاهما عوضاً عن الأمير يشبك الناصري بحكم وفاته .

وأنعم بإمرة سودون المذكور - وهي إمرة عشرة - على الأمير مغلباي المؤيدي // المعروف بطاز . [٣٢٧]

وأنعم بإمرة مغلباي - المذكور - على السيفي طوخ النوروزي رأس نوبة الجمدارية ، وما انتقل عنها مغلباي ، والذي أخذه كلاهما إمرة عشرة ، لكن شيء أحسن من شيء .

وفيه - أيضاً - لبس الأمير يونس خلعة السفر لتقليد قاني باي الحمزاوي .
وفيه - أيضاً - لبس الأمير بردبك خلعة السفر للتوجه إلى الشام بسبب موجود جليان .

وكان بلغنا أن شاد بك دوادار جليان وابن جليان الأكبر وصلا إلى قطيا قاصدين إلى الديار المصرية بسبب المصالحة عن موجود الأمير جليان ، فرسم بعودهما فعادا .

وسبب ذلك أن السلطان بلغه أن جليان - المذكور - لم يخلف موجوداً عيناً ، بل اعترف أن عليه نحواً من ثلاثين ألف دينار ديناً ، وثبتت الوصية على قاضي

قضاة الشام جمال الدين الباعوني، وهذا بخلاف ما في خواطر الناس، والقياس على موجود جلبان مئين ألف من الذهب، فلما بلغ السلطان هذا الخبر حنق على الباعوني وعزله بالقاضي سراج الدين عمر الحمصي الشافعي، وندب بردبك للتوجه إلى الشم والفحص عن أموال الأمير جلبان.

شهر ربيع الأول

أوله الثلاثاء.

فيه ظهر بعض طاعون بالقاهرة غير فاش.

وفي يوم الخميس ثالثه استقر الأمير بردبك بالجمقدار الظاهري جقمق أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة أمير حاج المحمل.

وفيه رسم لسيد محمد بن الأمير جرياش المحمدي الأمير آخور الكبير بأن يكون أمير الركب الأول وسنه دون العشرين بكثير. وسبب ذلك أن والدته خوند شقراء بنت الملك الناصر فرج كانت عزمت في هذه السنة على الحج في ركب^(١) هائل، ولا بد من سفر ابنها معها، فولاه السلطان إمرة الركب الأول بهذا المقتضي.

وفي يوم الجمعة رابعه سافر الأمير بردبك إلى الشام.

وفي يوم الاثنين سابعه سافر الأمير يونس إلى حلب بتقليد قاني باي الحمزاوي وتشريفه.

وفي هذه الأيام رسم السلطان بتوجه أبي الخير النحاس من دمشق إلى طرابلس على حاله بطلاً من غير إكرام ولا احترام، فوصل إلى طرابلس في أواخر الشهر المذكور.

وفي يوم الأربعاء تاسعه أحضر السلطان القضاة الأربعة^(٢) بالحوش السلطاني وتكلم معهم في سعر الذهب وزيادته، فقال القضاة: الأمر للسلطان. فأمر السلطان من وقته أن ينادى بالقاهرة وشواؤها بأن كل دينار بثلاثمائة، وهو

(١) في د أ : « في برك هائل » .

(٢) في د أ : « الأربع » .

الذي // وزنه درهم وقيراطان، وكان قد بلغ سعره إلى ثلاثمائة وسبعين درهماً [٣٢٨] الدينار، فشق ذلك على الناس، وهُدِّد من خالف المرسوم بأنواع العذاب، وكتب بذلك إلى الأقطار من البلاد الشامية وغيرها، وأضر ذلك بحال الناس كثيراً، لا سيما الفقير الذي ما كان قد قبض في بعض مبيعاته الذهب بذلك السعر، وأصبح اليوم بهذا السعر.

وفي يوم الأحد ثالث عشره عمل المولد السلطاني على العادة .
وفي يوم الثلاثاء خامس عشره قدمت إلى السلطان هدية الأمير ملك أصلان بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر نائب أبلستين، وهي مائة إكديش وخمسون بغلاً وخمسون جلاً بختياً، وغير ذلك.
وفي يوم الأربعاء، سادس عشره نوادي - أيضاً - بالقاهرة على الذهب بالسعر المذكور، وهدد من خالف ذلك .

وفيه كانت بالقاهرة وضواحيها زلزلة خفيفة، تحركت الأرض منها غير مرة، ثم بعد أيام عادت في الليل أخف من الأول.

وفي يوم السبت سادس عشرينه أحضر السلطان الوزير شمس الدين نصر الله^(١) ووبخه وأغلط عليه في الخطاب، وأخشن عليه في اللفظ؛ لكونه لم يقيم باللحم الراتب للمماليك السلطانية مدة ثلاثة أيام، وكان قد تخلف عن الطلوع إلى القلعة في هذه المدة، وقال له السلطان ما معناه: وكم باشرت حتى عجزت، ثم هدده بالضرب بالمقارع، فقال ابن النجار: أنا يا مولانا السلطان أعجز عن مباشرة أصاغر الأمراء، فكيف الوزر؟! وأشيء من هذه المقولة، فلم يلتفت السلطان ورسم عليه، فاستمر ابن النجار في الترسيم إلى يوم الاثنين ثامن عشرينه، لبس خلعة الاستمرار على كره منه لمعرفته من نفسه بعدم الأهلية لذلك، وقد صرح هو بهذا اللفظ غير مرة .

وفي عشر هذه الأيام استقر أبو الفضل ابن كاتب السعدي في نظر الدولة، وسعد الدين محمد بن عبد القادر بن أبي بكر البليبيسي^(٢) الحنبلي

(١) في «أ»: «الوزير شمس الدين نصر الله الوزير».

(٢) في هامش «أ»: «حاشية: تصغير بليس».

كاتب العليق في كتابة الممالك السلطانية مضافاً لكتابة العليق ، عوضاً عن عبد الرحمن ابن عم فرج المعزول عن الوزير ، وسعد الدين هذا لا بأس به ، فإنه من أولاد الفقهاء المسلمين .

شهر ربيع الآخر

أوله الخميس .

فيه وقع حادثة طريفة ، وهو أن السلطان كان في ليلة الخميس المذكورة بلغ - أيضاً - عجز ابن النجار عن القيام بالكلف السلطانية ، فأمر بإحضار ابن النجار - المذكور - من الغد ، وإحضار الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ، وإحضار [٣٢٩] فرج بن // النحال ليستقر من يختاره منهم في الوزير ، فأصبح من الغد في يوم الخميس المذكور طلب شمس الدين ابن النجار ، فقبل له : هرب ، فطلب ابن الهيصم ، فقبل له : مات في هذه الليلة ، فطلب فرج بن النحال ، فحضر ، وهو الذي فضل من الثلاثة على قاعدة المثل السائر ، فكلمه في استقراره في الوزير ، فامتنع واعتذر بقلة محصول الدولة ، وأن بلاد الوزير غالبها حرب ، وأن راتب اللحم خاصة للممالك السلطانية وغيرهم في كل يوم ثمانية عشر ألف رطل ، خلا تفرقة الصرر وما يلحق الدولة من الكلف ، وكان هذا الكلام من فرج المذكور لبعض أعيان الدولة في مجلس السلطان ليكلموا السلطان في ذلك ، فسمع السلطان بعض الكلام من فرج ، فلم يستم كلامه حتى أمر به السلطان وأنزل إلى الأرض وتناولته رءوس النوب ، فضرب نحو ثلاثمائة عصاة حتى أشرف على الهلاك ، ثم أقيم ورسم عليه عند فيروز النوروزي الزمام الخازندار إلى أن عملت مصلحته وأعيد إلى الوزير على ما سيأتي ذكره إن شاء الله .

وفي يوم الخميس ثامنه برز الأمير جانم الأشرفي نائب حلب من القاهرة إلى ظاهرها قاصداً محل ولايته .

وفي ليلة السبت عاشره نزلت زوجة السلطان الملك الأشرف خوند زينب بنت علاء الدين علي بن خصبك من قلعة الجبل في محفة إلى البيت المعروف بابن قطينة بساحل بولاق - وهو ملك لهم - لمرض تمادى بها .

وفي يوم السبت صبيحته سافر الأمير جانم نحو حلب من الريدانية .
وفيه أعيد الوزير فرج بن النحال إلى الوزر وخلع عليه ، ونزل إلى داره ،
وكان بالقلعة من يوم ضرب إلى يوم تاريخه ، على أن السلطان يساعده في كل
شهر بأربعة آلاف دينار وستمائة رأس من الغنم الضأن ؛ لعجز بلاد الدولة
ومتحصلها عن القيام بالكلف .

وفيه - أيضاً - استقر شرف الدين حمزة بن البشير ناظر الدولة ، وعزل
أبو الفضل .

وفي يوم الثلاثاء العشرين منه ورد الخبر على السلطان بدخول الأمير قاني
باي الحمزاوي إلى دمشق على نيابتها ، وكان قد كثر الكلام في شأنه من مدة
سنتين ، من أيام الدولة الظاهرية جقمق ، ولهج الناس بعصيانه وأنه لا يدخل
دمشق ولا يفارق حلب ، فوقع بخلاف ما خطر ببال الناس .

قلت : // والأقوى عندي أنه لا يظهر بعصيان ولا يدوس بساط [٣٣٠]
السلطان ، وهو في الطاعة ما لم يطلب إلى القاهرة ، وهذا على ما أظن ، والله
أعلم .

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه قبض السلطان على علاء الدين علي بن
الأناسي المعزول عن الاستادارية قديماً ، ورسم عليه عند فيروز الخازندار ، لكونه
سعي في الاستادارية والوزر معاً على ما قيل ، وكان لما ولي الاستادارية حصل منه
تَشَكُّ (١) ، ثم أصلح أمره على أنه يقوم للخزانة الشريفة بثلاثة آلاف دينار ،
وأطلق إلى حال سبيله .

وفي العشر الأخير من هذا الشهر عوفيت خوند زينب زوجة السلطان ،
ودخلت الحمام - حمام دارها - ببولاق ، وتردد إليها أعيان الدولة من الأمراء
والقضاة والأكابر في هذه الأيام ، وأما ولدها المقام الشهابي أحمد وأخواته ، زوجة
الأمير يونس الدوادار الكبير ، وزوجة الأمير بردبك الدوادار الثاني فبهن عندها
من يوم نزلت من القلعة ، وبقي المقام الشهابي يتوجه بحضور الخدمة السلطانية

(١) في الأصل : « تشكي » .

بقلعة الجبل ثم يعود إلى عندها، ولما صح مزاجها وردت عليها التهانن من المنبول والزمر وغير ذلك، وعظم سرور حواشيها بعافيتها، وازداد تردد الناس إلى بابها، فسيما لما عمل لها مرامي النفط من المزهرات والصوارخ وغير ذلك في ليلة الأربعاء ثامن عشرينه، وتسامع الناس بذلك وقصدوا التفرج على النفط المذكور من الأماكن البعيدة، واندفعوا إلى ساحل بولاق من كل فج، حتى ضاقت عليهم شوارع بولاق وسواحلها مع سعتها، وازدحم الناس في الطرقات، وصار كأيام دوران المحمل أو بعض ليالي وفاء النيل، بل أعظم، حتى جاءته جماعة من أعيان الأمراء وأرباب الدولة، وأما النسوة فكن كأضعاف الرجال، ودام ذلك من أول النهار إلى بعد عشاء الآخرة، ووقع في تلك الليلة من القبايح والمفاسد والأمور الشنعة ما لا مزيد عليه، وأعيب عليهم ذلك فلم يلتفت أحد إلى ما قيل، وأنشد لسان الحال:

من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور
[مخلع البسيط]

ولم يكن النفط المذكور بذاك، وندم غالب الناس على مجيئه إليه.

[٣٣١] وفي يوم // الخميس تاسع عشرينه أنعم السلطان على الأمير قائم من صفر خجا المؤيدي المعروف بالتاجر بإمرة مائة وتقدمة ألف، بعد موت الأمير خيربك المؤيدي الأجروء، وأنعم بإقطاع قائم - المذكور - على الدولة مساعدة لما عليها من الكلف.

وفيه - أيضاً - استقر الأمير تمرباي الحسني الناصري أحد أمراء العشرات معلم تجار الممالك وغيرها عوضاً عن قائم المذكور.

وفيه - أيضاً - استقر آقباي السيفي جار قطلو نائب سيس وخشكلكدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز دوادار (أ) للسلطان بدمشق، كلاهما على مال بذلاء.

وفرع هذا الشهر والطاعون موجود بالقاهرة، غير أنه قليل جداً، على حالة ابتدائه من غير تزايد، ومن يموت به الصغار والرقيق.

جمادى الأولى

أوله السبت.

في ليلة الأحد ثانيه بين المغرب والعشاء طلعت خوند زينب بنت علاء الدين علي بن خصبك زوجة السلطان الملك الأشرف. إنال من دارها بساحل بولاق إلى القلعة بعد أن نصلت من مرضها، وسار ولدها المقام الشهابي أحمد، وزوج بنتها الأمير يونس الدوادار الكبير، والزمَام الخازندار فيروز النوروزي أمام محفتها بحواشيهم، وجماعة آخر من الطواشية والخدم والماليك، وبين يدي المحفة المشاعل والشموع والفوانيس، وخلف المحفة من الحریم عدد كثير من الخوندات ونساء الأمراء، وسارت في أهبة عظيمة إلى أن شقت صليبة ابن طولون وطلعت إلى قلعة الجبل بعد عشاء الآخرة، فكان لطلوعها وقت مشهود، ولعل الذي وقع لها لم يقع لغيرها من نساء الملوك من نفوذ الكلمة ووفور الحرمة في الدولة، وعدم مخالفة السلطان لها فيما تأمره به، وكونه - أيضاً - منذ تزوج بها من حدود سنة خمس وعشرين إلى يومنا هذا لم يتزوج بغيرها، حتى ولا تسرى أبداً أميراً ولا سلطاناً، وهذا شيء لم نعهد مثله في سالف الأعصار، فإن عادة الملوك الزواج بأربع نسوة، وأما الحظيات فكثير، فمنهم من وصل إلى أربعمئة وأكثر وأقل، وقد حكى عن المعتصم ابن الرشيد هارون أنه اقتنى ثمانية آلاف جارية موطوءة وغير موطوءة - انتهى .

وفي يوم الثلاثاء رابعه سافر الأمير جانبك الظاهري إلى الحجاز لشد // بندر [٣٣٢] جدة على عادته في كل سنة، ورفيقه في النظر بالبندر القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن نصر الله .

وفي أوائل هذا الشهر شكى بعض الماليك السلطانية إلى السلطان من غلو سعر البعلبكي والزموط^(١)، فكلم السلطان الشيخ علي العجمي المحتسب في ذلك وأغلط عليه، فنزل الشيخ علي - المذكور - وأباد التجار، وكلمهم في بيع أثواب البعلبكي بالرطل، وهذا - أيضاً - شيء لم نسمع بمثله. فقفلت التجار

(١) الزموط : جمع الزمط، وهو قلنسوة حمراء.

راجع : ماير. الملابس المملوكية ص ٥٨ - ٦٠.

حوانيتهم أياماً، ثم استقر الحال على أن المحتسب كتب على التجار قسائم أنهم لا يشترون البعلبكي من تجار الشام بالجريدة - يعني لأجل - فأصر ذلك بحال التجار قاطبة.

وفي يوم الجمعة سابعه - الموافق لآخر برمودة آخر شهور القبط - لبس السلطان القماش الأبيض الصيفي على العادة في كل سنة .

وفي يوم الخميس العشرين منه وصل الأمير يونس العلاني الناصري أحد مقدمي الألف إلى الديار المصرية من دمشق المحروسة بعد أن قلّد نائبها الأمير قاني باي الحمزاوي، وعاد يونس - المذكور - وهو راضٍ عن قاني باي - المذكور - فإنه أعطاه اثني عشر دينار غير القماش والخيل والجمال على ما قيل .

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه خلع السلطان علي الشيخ شرف الدين يحيى المناوي باستقراره في تدريس المدرسة الصلاحية^(١) المجاورة لقبه الإمام الشافعي - رضي الله عنه - عوضاً عن السراج الحمصي بحكم توجهه إلى قضاء دمشق قبل تاريخه .

وفي هذا الشهر خف الطاعون من القاهرة، وكان قليلاً جداً، بحيث أي لم أر أحداً ممن طعن، غير أي سمعت أنه مات به جماعة من الخدم .

وفي هذا الشهر - أيضاً - انحطت الأسعار بعد أن سعر السلطان والمحتسب غالب المأكولات، ما عدا الشعير فإنه غلّ وعز وجوده، وسببه قلة حاصل الشعير في شونة السلطان، وأخذ زين الدين قاسم آستادار السلطان في شراء الشعير من الأعيان وغيرهم، إلى أن اشترى من مباشري الأمير بردبك صهر السلطان والدوادار الثاني ألف وخمسمائة أردب شعيراً، وأقبض ثمنها، وأراد أخذها

(١) المدرسة الصلاحية : وتعرف بالناصرية - كذلك - أنشأها الناصر صلاح الدين الأيوبي بجوار قبة الإمام الشافعي ، ورتب فيها عدة معيدين وطلبة ومدرساً لتدريس الفقه الشافعي ، وأوقف عليها أوقافاً مغلة، وأشار السيوطي إلى أنه « ينبغي أن يقال لها تاج المدارس، وهي أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعي ، ولأن بانيها أعظم الملوك » .
راجع المقرئزي . الخطط ج ٢ ص ٤٠٠ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٧ .

في الليل من حاصل بردبك المذكور حتى يصبح // يفرقها في يوم السبت ثاني (٣٣٣)
عشرينه على الممالك السلطانية، فتسامعت الممالك الجلبان بذلك، فنزل منهم
جماعة كبيرة ليلاً، ونهبوا شونة بردبك المذكور وهو مسافر في الشام، وعادوا من
الغد بعد أن لم يدعوا فيها شيئاً من الشعير وغيره على ما قيل، ولم تنتطح في ذلك
عززان، فعز وجود الشعير حتى أبيع بمائة وأربعين درهماً الإردب بعد أن كان
بما بين الستين إلى الثمانين لا غير، ثم نادى قاسم الأستاذار بأن لا يشتري
الشعير أحد من العلافين، وهدد من اشتراه، فعدم بالكلية .

وأما الأمراء فإنهم لما سمعوا بما وقع في شونة بردبك من النهب فتحوا
شونهم وفرق كل واحد على ممالكه علق عدة شهور احتياطاً من أن يطرقهم ما
طرق بردبك من النهب .

وفي يوم الأحد سلخه نزل من القلعة جماعة من الممالك الجلبان من
الأطباق وساقوا بشوارع القاهرة، وحصل منهم غاية التشويش في حق الناس من
أخذ العمائم والقماش، وفعلوا ذلك مع جماعة من أعيان الناس وأنزلوهم عن
خيولهم. وأخذوا منهم حتى لجم خيولهم، وفعلوا ذلك بأزقة القاهرة وبولاق،
وكان ذلك في ضحى النهار، فتأثر الناس لذلك غاية التأثير، وتهاى بعض العامة
للإيقاع بهم، وبلغ السلطان ذلك، فأصبح من الغد كلم الأمير مرجان العادلي
المحمودي مقدم الممالك السلطانية في أمرهم، وأمر المنادي أن ينادي فيهم: من
عاد إلى مثل ذلك كان جزاؤه العقوبة. ثم شرع السلطان في تهديدهم مع لين
جانب وميل ظاهر إليهم.

جمادى الآخرة

أوله الأحد.

ففي يوم الخميس تاسع عشره خلع السلطان على الزيني قاسم كاملية
بمقلب سمور، خلعة استمراره على وظيفة الأستاذارية، وأنعم عليه بعشرة آلاف
إردب شعير، وكان الناس قد تحدثوا بعزله لعجزه عن القيام بالكلف
السلطانية، إلى أن عمل السلطان مصلحته في مبلغ يساعده به .

وفي يوم الاثنين: خامس عشره^(١) استقر عبد العزيز بن محمد الصغير نقيب
الجيش المنصورة في حبة القاهرة بعد عزل يار علي الخراساني ، مضافاً إلى
نقابة الجيش ، وذلك على مال بذله في ذلك .

[٣٣٤] وفي يوم السبت ثامن عشرينه // ضرب السلطان الملك الأشرف فخر
الدين المعروف بابن السكر والليمون ناظر ديوان المفرد علقه كبيرة بسبب تعويق
بعض جامكية الماليك السلطانية .

وفي يوم الاثنين سلخه كانت الوقعة بين السلطان الملك الأشرف إينال
وبين عماليكه الجلبان ومن انضاف إليهم من الماليك الظاهرية، ولذلك أسباب
منها:

أن السلطان كان قبل تاريخه عين تجريدة إلى البحيرة نحو خمسمائة مملوك
وعليهم الأمير خشقدم المؤيدي أمير سلاح، والأمير قرقماس الأشرفي رأس نوبة
النوب، وعدة من أمراء الطبلخانات والعشرات، ورسم لهم السلطان بالسفر في يوم
الاثنين هذا، ولم يفرق على الماليك السلطانية المعينين للسفر جمالا على العادة،
فعظم ذلك على الماليك، وامتنعوا من السفر إلا أن يأخذوا الجمال، فسافر
الأمير خشقدم في فجر يوم الاثنين المذكور، وتبعه الأمير قرقماس في عصر يومه
إلى مخيمه بير منبابة، ولم يتبعهما أحد من الماليك السلطانية، بل وقف غالبهم
بسوق الخيل بالرميلة ينتظر تفرقة الجمال، وجلس السلطان باكر يوم الاثنين
المذكور بالقصر على العادة للخدمة إلى أن انفض الموكب ونزل الأمراء إلى
دورهم، فلما صار الأمير يونس الأقبائي الدوادار تجاه باب السلسلة أحاطت به
الماليك السلطانية وهو بقماش الموكب، وكذلك عماليكه، وداروا حوله حلقة كبيرة،
وهم في كثرة إلى الغاية تزيد عدتهم عن خمسمائة نفر أو أكثر، وأرادوا الكلام
معه بسبب جوامكهم، وأنه يكلم السلطان في أمرهم، فبين لماليكه الغدر منهم
له، فتحلقوا عليه ومنعوه من الوصول إليه، فصار يونس في حلقة من عماليكه
وعماليكه في حلقة من الماليك السلطانية الجلبان لا غير، وطال الأمر بينهم

(١) في هامش «أ»: «صوابه: سادس عشره».

ويونس لا يطيق الخروج، فلما تحقق يونس أنهم يريدون الفتك به أمر مماليكه بإشهار السيوف والرد عنه، فشهرت مماليكه سيوفهم ودافعوا عنه أشد مدافعة، فتكاثرت الممالك السلطانية // فوضعوا فيهم السيوف، فخرج من الممالك [٣٣٥] السلطانية جماعة، وقطعت أصابع واحد، وشق بطن واحد فمات - على ما قيل - وانفجر ليونس فرجة خرج منها غارة في مماليكه إلى داره، وقلع ما عليه من الكلفتاة والقماش ولبس تخفيفته، وطلع من على الكبش إلى السلطان وأعلمه الخبر، وقامت قيامة الممالك السلطانية عند إشهار السيوف، وقالوا: نحن ضربناهم بالدبابيس فيضربونا هم بالسيوف؟! وعظم عليهم الأمر جماعة من الممالك القرائيص، لما في نفوسهم أموراً، أحدها عدم تفرقة الجمال.

ولما أن فات الممالك يونس الدوادار، وبلغهم طلوعه إلى القلعة - تنظم عليهم ذلك، واجتمعوا ووقفوا تحت القلعة وأفحشوا في حق السلطان وهددوه إن لم يسلم إليهم يونس الدوادار، فأرسل إليهم السلطان الأمير جانبك الناصري المعروف بالمرتد، أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة، والأمير مرجان مقدم الممالك السلطانية، فسألهم عن وقوفهم وما رضاهم؛ فقالوا كلهم على لسان واحد: نريد غريمنا الأمير يونس الدوادار، بعد أن خشنوا على جانبك المذكور في القول. فعاد جانبك والمقدم إلى السلطان بالجواب، فبعث إليهم الأمير نوكار الزردكاش، فأعادوا عليه القول من طلب يونس الدوادار، وأغلظوا عليه في الكلام، ثم ساقوا غارة إلى بيت الأمير يونس المذكور - تجاه الكبش على بركة الفيل - وأرادوا نهبه، فحماه ممالك يونس المذكور ومنعوه من الدخول، فتوجه أحدهم وأق بنار ليحرق الباب، فلم يصل إلى ذلك، وغادوا إلى سوق الخيل، فوافوا المنادي من قبل السلطان ينادي بالأمان للممالك السلطانية، فمالوا على المنادي بالدبابيس، فسكت لوقته، وطلعت أمراء الألف من كل ناحية إلى القلعة عند السلطان من ضحوة النهار، وتكلم السلطان مع بعض الممالك بأنه يعطي لكل واحد من جرح مائة دينار، ويعطي للذي قطعت أصابعه إقطاع حلقة ومائة دينار أخرى، فرضوا المجروحين، فنهاهم خشداشيتهم عن الصلح، فلم يقع الصلح، وانفض الأمر على غير طائل، وحى الحر لأن الوقت كان في حادي عشرين بثونة أحد شهور القبط، وتوجه كل واحد إلى إصطبله، ونزلت

الأمراء من القلعة إلى دورهم بين الظهر والعصر ما خلا الأمير يونس الدوادار.

[٣٣٦] // فلما كان من الغد، وهو يوم الثلاثاء أول شهر رجب ضرب السلطان الكرة بالخشوف مع الأمراء إلى أن انتهى اللعب وانفض الموكب، وأراد الأمراء النزول إلى دورهم بلغهم أن الممالك وقوف في انتظارهم بسوق الخيل من كل جهة، فأنشئ عزمهم عن النزول وعادوا إلى القلعة.

وكانت الممالك لما أصبحوا في يوم الثلاثاء ركبوا بغير سلاح كما كانوا بالأمس، على أن في أمه لبس بعضهم السلاح ثم قلعه بسرعة، ووقفوا على خيولهم من غير سلاح ولا سيوف في انتظار الأمراء، وكنت أنا حاضراً فلم يتكلم أحد منهم كلمة في حق السلطان ولا غيره، غير أنهم في أمر مهم في الباطن، واستمروا على ذلك إلى أن تضحى النهار، أرسل إليهم السلطان أربعة من الأمراء، وهم: الأمير يونس العلاني الناصري أحد مقدمي الألوف، والأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش الرأس نوبة الثاني وأحد أمراء الطبلخانات، والأمير يلباي الإينالي المؤيدي أحد أمراء الطبلخانات - أيضاً - ورأس نوبة، والأمير بردبك البجمقدار الظاهري جقمق أحد أمراء الطبلخانات - أيضاً - ورأس نوبة، وأمرهم بالكلام مع الممالك الجلبان على قدر خاطر السلطان.

فلما رأى الممالك - الأمراء المذكورين توجهوا نحوهم وداروا عليهم حلقة، ووقفوا تجاه باب السلسلة، وطال الكلام بينهم وكثر الغوغاء، ثم بعد ساعة هجموا على الأمراء المذكورين وأخذوهم وتوجهوا بهم إلى حيث قصدهم، فتمنع منهم الأمير يونس وساروهم حوله، وهم يريدون ضربه إن لم يرجع معهم إلى قرب صليبة ابن طولون، (و) عادوا به غضباً، وأوقفوا الأمراء الأربعة معهم في الترسيم حتى فتحوا بيت الأمير خشقدم أمير سلاح، الذي هو بيت قوصون تجاه قلعة الجبل بجوار مدرسة السلطان حسن، وأدخلوهم إلى البيت المذكور ورسموا عليهم جماعة، كل ذلك والممالك الظاهرية وغيرهم وقوف على بعد. فلما رأوا ذلك تحققوا مخالفتهم على السلطان، فانتهزوا الفرصة لكمين كان في قلوبهم وانضافوا إلى الممالك الجلبان، وعرفوهم بأن الأمر لا يتم إلا بحضور

الخليفة ويلبس السلاح، فساق جماعة منهم إلى الخليفة القائم بأمر الله حمزة وأحضره في الوقت حتى كأنه كان // في انتظارهم، ولم يتمنع عن الحضور، [٣٣٧] بل حضر سرعة، وحرض على القتال - على ما قيل - وتوجه في الحال كل واحد منهم ولبس سلاحه في أسرع ما يكون، وحضروا بالسلاح وقد صاروا جمعاً عظيماً إلى الغاية والجميع بالسلاح، وخرجوا من القول إلى الفعل، فلم يشك كل أحد في زوال ملك السلطان من كثرة ما انضاف إلى هؤلاء الممالك من الناس ممن يريد شن الغارات.

وبلغ السلطان ذلك، فركب من وقته في أمرائه من الممالك الأشرفية وغيرهم وخاصيته حتى نزل إلى الإسطبل السلطاني، وتناوش القوم بالنشاب، وعندما أرادوا المصادمة تشتتوا، وطلع إلى السلطان جماعة كبيرة^(١) ممن كان أسفل، فوقع عليهم من الله الخذلان وانكسروا من غير قتال في أسرع وقت. فلما رأى جمع السلطان آراءهم المفلولة حطموا عليهم، ودخلوا بيت الأمير خشقدم وأخذوا الأمراء والخليفة، وطلعوا بهم إلى السلطان بعد أن جرح جماعة بالنشاب، ولم يمض أحد فيما نعلم، وانفض جمعهم، وساق كل واحد إلى إسطبله متكرراً بعد ما كاد أمرهم أن يتم.

وكل ما وقع هؤلاء الممالك من عدم رئيس يدبر أمرهم من الأمراء، ولو كان كذلك لكان لهم شأن، فإن عسكر السلطان صار خلفهم مثل السلطان والطلبخانات^(٢) تضرب، وهؤلاء أقوام مجمعة بغير رأس ولا طلبخانات^(٣) ولا صنجق، غير أن جمعهم كان جمعاً هائلاً إلى الغاية. وكان عوقفهم ولبسهم السلاح ومسكهم الأمراء وقتافهم، كل ذلك من باكر النهار إلى قبل الظهر من يوم الثلاثاء المذكور.

ولما تبدد جمعهم ركب السلطان وطلع إلى الدهشة، وأمر بالخليفة فحبس بقاعة البحرة من الحوش السلطاني، ورسم عليه، ونودي في القاهرة بالأمان

(١) في د أ : : وكثيراً .

(٢) في د أ : : الطلبخانة .

(٣) نفسه .

والإطمئنان، البيع والشراء، ودقت البشائر بطبلخانات السلطان، وبأبواب
الأمراء ثلاثة أيام.

وأصبح السلطان من الغد في يوم الأربعاء، وهو ثاني الشهر المذكور، جلس
على الدكة بالحوش من القلعة، وطلع إليه الأمير خشقدم أمير سلاح بعدما عدى
النيل من مخيمه ببر منبابة ومعه الأمير قرقماس رأس نوبة النوب، وهنا كل منها
[٣٣٨] السلطان بالنصر، وافتتح السلطان الكلام مع // الأمراء في حق الخليفة، ولهج
بخلعه من الخلافة، واستشار الجمالي ناظر الجيش والخاص فيمن يجعله خليفة،
ومن هو من إخوته أهل للخلافة؟ فلم يتكلم الجمالي بشيء، ثم كلم السلطان
الأمير خشقدم في ذلك، فأعاد عليه خشقدم الجواب بأن الخاطر خاطر مولانا
السلطان، فقال الأمير يونس الدوادار: يا مولانا السلطان أخو الخليفة سيدي
يوسف هو فيه أهلية كذلك، ثم انطلقت ألسنة الأشرفية في الوقعة في المماليك
الظاهرية وحرّضوا السلطان عليهم بكل أمر، وعرفوه عاقبة العفو عنهم، وحذّروه
من ذلك، فمن جملة ما قال له بعضهم: يا مولانا السلطان، إن كانت روح
السلطان عنده هيئة فنحن أرواحنا ليست علينا هيئة، ومتى ظفروا بنا هؤلاء
الظاهرية وضعوا فينا السيف وأمعنوا في ذلك إلى أن انحرف السلطان على
الظاهرية ومال إلى كلامهم، ثم تكلم مع الأمير يونس الدوادار وناظر الخاص
وكتب السر كلاماً طويلاً بسبب الظاهرية سرّاً، فعلم كل أحد بميل السلطان
إلى الأشرفية وانحرافه على الظاهرية، ونزل الأمير خشقدم وقرقماس كل منهما
إلى داره ومخيمه مضروب ببر منبابة، وقد رسم السلطان بتفرقة الجمال على
المماليك السلطانية المعينين إلى تجريدة البحيرة صحبة الأمير خشقدم، ففرقت.
ثم نزل الأمير يونس الدوادار إلى بيته وبين يديه وجوه الأمراء والخاصكية.

وأما ما كان من أمر المماليك الجلبان، فإنهم صاروا فرقتين، فرقة تقاتل
أخرى وتمنعهم من الطلوع إلى الأطباق، والتي تقاتل هم مشتراوات السلطان في
أيام سلطنته، والذين يقاتلونهم هم الذين اشتراهم من كتابية الملك الظاهر
جقمق والملك المنصور عثمان، ولا زالوا بهم حتى منعوهم من الطلوع إلى

(١) في «أ»: «والاطمان».

الأطباء ، وقالوا لهم : سودتم وجوهنا عند أستاذنا بقبح فعالكم . وأعجب السلطان ذلك لما بلغه .

ثم سأل الأمراء الأشرفية السلطان في إطلاق الأمير تمتاز الدوادار الثاني الأشرفي من سجن المرقب ، فأجابهم إلى ذلك بشرط // أن يتوجه إلى غزة [٢٣٩] يعمل ما يحتاجه ويسافر إلى الحجاز .

ثم سألوا السلطان ثانياً في الطواشي لؤلؤ الأشرفي المعزول عن تقدمه الممالك قبل تاريخه في الرضا عنه ، وأنه يطلع إلى الخدمة ، فأجابهم بأن يركب وينزل حيث شاء ولا يطلع إلى الخدمة .

وفي يوم الخميس ثالثه ، فيه كان عزل الخليفة القائم بأمر الله حمزة بسبب مجيئه مع الممالك السلطانية إلى بيت قوصون تجاه القلعة ، ومطاعته لهم حسب ما تقدم ذكره .

فلما كان يوم الخميس جمع السلطان القضاة الأربعة^(١) بالفصر السلطاني من قلعة الجبل ، وأحضر الجمالي يوسف ابن المتوكل على الله محمد أخو الخليفة القائم بأمر الله حمزة المذكور ، وجلس الجمالي يوسف المذكور عن يسار السلطان الملك الأشرف (إينال) ، فوق قاضي القضاة الحنفي ، وحضر جميع أعيان الأمراء ومباشري الدولة ، ولم يحضر المجلس أحد من الفقهاء غير القضاة الأربعة^(٢) وجماعة من موقعي الحكم ليشهدوا على السلطان بما يفعله من خلع الخليفة حمزة وولاية أخيه يوسف ، فلما تم المجلس وقف القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر بين يدي السلطان وقال : نشهد عليك يا مولانا السلطان أنك خلعت أمير المؤمنين القائم بأمر الله حمزة ووليت أخاه المتوكل على الله يوسف . فقال السلطان : نعم . فشهد عليه الموقعون بذلك ، وقام الجمالي يوسف من وقته ولبس خلعة الخلافة على العادة ، وعاد إلى السلطان وسلم عليه ، وانفض المجلس ، ولم يتكلم القضاة في شيء من ولايته ولا خلع أخيه ، بل قيل : إن

(١) في ١٠ : الأربع

(٢) نفسه .

القاضي الشافعي علم الدين صالح البلقيني ذكر عن علماء مذهبه أن للسلطان أن يعزل الخليفة ويولي غيره، وما أدري ما حجة من قال هذا القول مع ما ورد أن النبي ﷺ قال: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»، أخرجه مسلم في صحيحه.

ولقب (الجمالي يوسف) بالمتوكل على الله على لقب أبيه، ثم غير بعد أيام بالمستنجد، ونزل إلى داره وبين يديه القضاة وجماعة من أعيان الفقهاء، ولم ينزل أحد من الأمراء حتى ولا مباشري الدولة لشغلهم مع السلطان في أمر الممالك الظاهرية وغيرهم.

ولم يقع في عزل القائم شيء غير ما ذكرناه، لأنه لما أخذ من بيت قوصون [٣٤٠] وطلع به // إلى القلعة وافاه السلطان عند الرديني وقال له: أف عليك، وكررها ثلاث مرار، ولم يتكلم الخليفة القائم بأمر الله لمسكة في لسانه تمنعه من سرعة الجواب إلا بعد ساعة، حتى قال: قالوا لي كلم السلطان، فظننت ذلك عن حقيقة، وقمت معهم. فقال له السلطان: هل جاءك أحد من حجاب السلطان أو من أمراء السلطان، تسمع كلام الصغار؟ ثم افترقا.

واستمر القائم بالبحر من الحوش السلطاني محتفظاً به إلى ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

قلت: وفي خلع القائم هذا على هذه الصورة من الملك الأشرف عبدة لمن اعتبر، فإنه كان لما وثب الملك الأشرف إينال على الملك المنصور عثمان وافقه القائم المذكور على ذلك، وصار هو المتكلم في خلع الملك المنصور من الملك والمحرض على قتاله، وبه قويت شوكة الملك الأشرف إينال، فأخلع على القائم وأنعم عليه بزيادات على إقطاعه، وعظم أمره حتى تجاوز الحد، ونال من الحرمة ما لم ينله أحد من إخوته ولا أجداده من خلفاء مصر فيما فعله، حتى كان من أمره ما كان، فعمل من جنس فعله مع المنصور عثمان، والجزء من جنس العمل.

ولا نعلم خليفة اسمه حمزة غير القائم هذا، ولا نعلم خامس أخ ولي الخلافة بعد إخوته غير يوسف المستنجد هذا المتولي، فإن أول من ولي من إخوته المستعين بالله العباسي الذي تسلطن بعد قتل الملك الناصر فرج، ثم خلع في

سنة خمس عشرة وثمانمائة من السلطنة، ودام في الخلافة محتفظاً به بقلعة الجبل إلى أن خلع منها في سنة ست^(١) عشرة وثمانمائة بأخيه المعتضد داود، وكان خلع المستعين - أيضاً - بصورة ملفقة وحيلة، فكان المستعين يزعم أنه باقٍ على خلافته إلى أن مات بسجن الإسكندرية في سنة ثلاث وثلاثين، وعهد لابنه يحيى بالخلافة فلم يلتفت إلى ذلك، ولما مات المعتضد بالله داود عهد إلى أخيه شقيقه المستكفي بالله سليمان، وولي الخلافة بعد المعتضد في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين بعد أن نازعه ابن أخيه يحيى بعهد أبيه // نستعين بالله إليه [٣٤١] وبالمال، فلم يلتفت إليه الملك الظاهر جقمق، ولم ينتج أمره، فكان المستكفي هو الثالث، ودام في الخلافة إلى أن مات في يوم الجمعة ثاني المحرم سنة خمس وخمسين، ولم يعهد لأحد من إخوانه، فوقع اختيار الملك الظاهر جقمق^(٢) على تولية القائم بأمر الله حمزة، فولي الخلافة، فكان هو الرابع من أولاد المتوكل، ودام في الخلافة حتى خلع بأخيه يوسف هذا، فكان يوسف الخامس من أولاد المتوكل.

ولم يقع ذلك لأحد من الخلفاء، فهو من النوادر، ولا وقع لأحد من خلفاء بني العباس أن أربعة إخوة ولوا الخلافة، وإنما وقع ذلك لبني أمية، فإن عبد الملك بن مروان رأى في نومه أنه بال في محراب النبي ﷺ أربع بولات، فأولوه له المعبرون بأنه يلي الخلافة من ولده لصلبه أربعة، فكان كذلك، وهم : الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك المذكور، ولم يعرف أن أربعة إخوة ولوا الخلافة غيرهم، وأما ثلاثة إخوة : فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد، والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل، والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر، وأكثر الخلفاء ولداً عبد الرحمن بن الحكم، كان له خمسون ذكراً وخمسون أنثى، وأطولهم عمراً القادر، بلغ ثلاثاً وتسعين سنة، ولم يصح عن خليفة غيره أنه تجاوز السبعين، وأقصرهم عمراً معاوية بن يزيد، لم يجاوز العشرين سنة، وكانت ولايته أربعين يوماً.

(١) في د أ : ستة عشر .

(٢) في هامش د أ : وحاشية : بواسطة قانباي الجاركسي أمير أخور كبير،

ومن نوادر الخلفاء . أيضاً - أن المستنجد ابن المقتفي رأى في حياة والده
كان ملكاً نزل من السماء فكتب في كفه أربع خاءات معجمات ، فلما استيقظ
عبرها له بعض العلماء بأنه يلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، فكان
كذلك - انتهى .

وأما السلطان الملك الأشرف إينال (فيإنه) استمر في هذا اليوم جالساً
بالقصر السلطاني إلى قريب الظهر بغير العادة ، ورسم للأمراء بقلع الكلفتاه
ولبس قماش الجلوس ، ثم نزل كل أمير إلى بيته قبل الظهر من اليوم المذكور ،
بعد أن قبض السلطان بحضرته على جماعة كثيرة من المماليك الظاهرية وجلسوا
بالبرج من القلعة .

وفيه رجعت المماليك المجردون^(١) إلى البحرية من بر منبابة إلى القاهرة
[٣٤٢] بسبب حركة الوقعة / لعود الأمير خشقدم أمير سلاح وقرقماس رأس نوبة النوب
إلى القاهرة بسبب حركة الوقعة ، على أن خيامهم دامت^(٢) ببر منبابة حتى
يعودوا إلى سفرهم بعد خمود الفتنة .

وفي يوم الجمعة رابعه نودي بشوارع القاهرة بتهديد من أخفى من
المماليك الظاهرية أحداً .

وتوالى قبض السلطان على المماليك الظاهرية .
وفي هذا اليوم - أيضاً - بشر بزيادة النيل بعد أن أخذ القاع ، فجاءت
القاعدة سبعة أذرع وخمسة أصابع .

ولم يمكس السلطان بعد يوم الخميس أحداً من المماليك ، وسكن الحال...
على أن جماعة من أكابرهم اختفوا مدة أيام ، ثم ظهرُوا بعد ذلك .

وفي يوم الاثنين سابعه أنزل أمير المؤمنين القائم بأمر الله حمزة - المخلوع عن
الخلافة بأخيه يوسف - من قلعة الجبل على فرس من غير أن يركب معه عليه أحد
من الأوجاقية على عادة الأمراء المقبوض عليهم . وهو بقمماش جلوسه ومعه

(١) في : أ . : : المجردين .

(٢) في : أ . : : دامت .

حاجب الحجاب ووالي القاهرة لا غير إلى أن أوصلاه إلى جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطانية ، وأنزلوه من تجاه بولاق التكروري إلى حراقة أعدت له ، وسافر إلى الإسكندرية من وقته ، وكان وقت نزوله إلى الحراقة بين الظهر والعصر ، وكثر أسف الناس عليه ، وبكوا عليه كثيراً رافة له .

وفيه - أيضاً - قبض السلطان على سودون أمير آخور الظاهري ، أحد الأمراء آخورية الصغار .

وفي يوم الجمعة حادي عشره وصل الأمير بردبك الدوادار الثاني وصهر السلطان من البلاد الشامية إلى القاهرة، وصحبته ولده ابن بنت السلطان، بعد أن قلّد الأمير جانم الأشرفي نائب حلب، وصالح علي موجود الأمير جليان نائب الشام، وجمع لنفسه من الأموال والهدايا ما يستحي من ذكر كثرته؛ لما في نفسه من الشره والطمع في جمع الأموال، بحيث إنه كان الشخص هناك يأتيه بالهدية الهائلة فيقبلها ثم يقول لمهديها: هذه الهدية لي أم لابن بنت السلطان؟ يعني ولده، فيستحي الرجل ويجعلها لأحدهما، ثم يأخذ في تجهيز هدية أخرى للآخر، وعلى هذا المتوال سلك من حين خروجه من الديار المصرية إلى أن وصل إلى حلب، وإلى أن عاد إلى الديار المصرية أيضاً، هذا مع علم الناس بمكانته عند أستاذه الملك الأشرف وصهارته منه وانقياده إليه، فلذلك لم // [٣٤٣]

يتأخر أحد عن خدمته من أرباب الخواج وغيرهم .

ووصل معه الأمير زين الدين بجي الاستادار بطلب من السلطان، وطلع معه إلى القلعة - أيضاً - في اليوم المذكور، وقبل الأرض، وأخلع عليه السلطان فوقاني مخمل أحمر بوجه أخضر بطرز زركش يلبغاوي، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، واستقر به آستاداراً على عادته أولاً، وعزل قاسم الكاشف عن الآستادارية، ونزل زين الدين من القلعة إلى داره التي كان باعها في أيام مصادرتة لبعض التجار بمبلغ له جرم، وتصرف التاجر في الدار المذكورة، وهدم المقعد الذي بها وجعله قاعة، فلما وصل زين الدين في هذه المرة إلى القاهرة واستقر على عادته آستاداراً أنزل إلى داره على قماش التاجر ومتاعه، واستولى على ذلك بطريق غصبي، وألزم التاجر بإعادة المقعد المذكور على ما كان عليه

أولاً ، بعد أن قاسى هذا التاجر من الذل والإخراق والبهذلة من^(١) حاشية الأمير زين الدين ما لعله يتذكره إلى أن يموت ويبعث .

وفي يوم الاثنين رابع عشره أدير المحمل بالقاهرة ، ولعبت الرماحة على العادة في كل سنة ، وكان الناس في وجل بسبب دورانه وأيام زينة القاهرة من أجل الممالك الأجلاب ، فلم يقع شيء مما ظنوه .

وسببه أنهم كانوا قبل تاريخه أثاروا تلك الفتنة مع الأمير يونس الدوادار حسبما قدمناه آنفاً، حتى عظم الأمر وخرج عن الحد، وصار الهزل جداً، وأمسك السلطان فيها جماعة من الممالك الظاهرية وغيرهم، ثم أنزل السلطان من ممالكه جماعة كثيرة من الأطباء من قلعة الجبل، ممن كان اشتراهم من تركة الملك الظاهر جقمق ليلهم إلى الممالك الظاهرية، ولما بلغه عن بعضهم أنه يقول: نحن عتقاء الملك الظاهر وتربيته ولا أصير عتيق الملك الأشرف إينال بقطعة ورقة، يعنون بذلك عتاقة الملك الأشرف لهم، فنزلت هذه الطائفة منهم إلى إصطبلاتهم وانضموا على الظاهرية، وأوقع السلطان بجماعة من أعيان الممالك الظاهرية، فتخوفت الجلبان // من السلطان فانكفوا عن الفحش والتعرض للعمامة ولله الحمد.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره خرج الأمير خشقدم أمير سلاح ورفيقه الأمير قرقماس رأس نوبة النوب بمن انضاف إليهم من الممالك السلطانية والأمراء إلى بر منبابة، وسافروا يوم الجمعة إلى جهة البحيرة، وكانت خيامهم مضروبة ببر منبابة من سلخ جمادي الآخرة حسبما تقدم ذكره.

وفي يوم الخميس سابع عشره أفرج الأمير زين الدين الأستاذار عن الناصري محمد بن أبي الفرج المعزول عن الأستاذارية قبل تاريخه، بعد أن ألزمه بحمل ثلاثة آلاف دينار، وذلك بعد أن أقام عنده في الترسيم أياماً، وبعد معاتبات خشنة وتهديد وأمور، ومن أساء لا يستوحش، مع أن الأمير زين الدين

(١) في ما : ما .

لو عامل ابن أبي الفرج هذا بما يستحقه منه لأهلكه، لكنه صفح عنه صفحاً
جَمِلاً ، وعامله بطباعات الرؤساء .

وفي اليوم المذكور كتب السلطان بالأمان لأربعة من المماليك الظاهرية
المختفين بعد الوقعة، ورسم لهم بالخروج إلى البلاد الشامية على إقطاع هين،
وهم: يشبك القرمي، وقاني باي المشطوب، وسودون البجمقدار، وشخص
آخر، فخرجت الثلاثة ولم يظهر سودون، وسافروا الثلاثة، واستمر سودون
مختفياً .

وفي هذه الأيام أخلع بكشف الجيزية على الزيني قاسم المعزول عن
الأستادارية بزين الدين .

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشره عزل قطب الدين الخيضر عن كتابة سر
دمشق بالقاضي نور الدين علي ابن القاضي صلاح الدين محمد بن السابق .

شعبان

أوله الخميس .

ففي يوم الخميس ثامنه رسم السلطان بإخراج من في سجن القلعة بالبرج
من المماليك الظاهرية، وهم: الأمير قوزي الساقى الظاهري، ونحو عشرين
نفرأ، ورسم بتوجههم إلى البلاد الشامية، فسافروا من الغد في يوم الجمعة
تاسعه .

وفي يوم السبت سابع عشره - الموافق لتاسع مسري - أوفى النيل المبارك
ستة عشر ذراعاً ، وزاد ستة أصابع من الذراع السابع عشر ، ونزل المقام
الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من القلعة وبين يديه وجوه
الدولة حتى خلق المقياس وفتح خليج السد // على العادة في كل سنة . [٣٤٥]

وفي هذا المعنى يقول الشيخ بدر الدين ابن الصاحب :

النيل ألبس حلة حمراء في تخليقه
وله أصابع زينت وتختمت بعقيقه

[مجزوء الكامل]

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه وصل نجاب من طرابلس يخبر بالقبض على نائبها الأمير يشبك النوروزي . وكان السيقي إينال الجلباني القجقي الخاصكي توجه قبل تاريخه إلى طرابلس وعلى يده مثالات في الباطن لأمراء طرابلس بالقبض عليه ، فقبض عليه من دار السعادة ، وأخرج ماشياً مع الحاجب والأمراء إلى بيت الأمير مغلباي البجاسي حاجب حجاب طرابلس بعد أن امتنعت محاليكه من تسليمه حتى نهرهم استأذهم المذكور ؛ لعلمه أن ذلك لا فائدة فيه ، وقيد وحمل إلى سجن المرقب .

ثم في يوم الخميس ثاني عشرينه رسم بنقل الأمير حاج إينال الشبكي نائب حماه إلى نيابة طرابلس عوضاً عن يشبك المذكور ، وحمل إليه التقليد والتشريف على يد الأمير يشبك من سليمان شاه الفقيه المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، ونقل نائب صفد الأمير إياس الناصري الطويل إلى نيابة حماه عوضاً عن حاج إينال المذكور ، ومسفره الأمير قانصوه المحمدي الساقبي الأشرفي أحد أمراء العشرات ، ونقل الأمير جانبك التاجي المؤيدي نائب غزة إلى نيابة حماه عوضاً عن إياس ، ومسفره الأمير تمرباي الحسني الناصري أحد أمراء العشرات ، وهو أحد من بقي من أمراء الأتراك في زماننا هذا لا غير ، ورسم بإعادة خيربك النوروزي أحد أمراء صفد إلى نيابة غزة كما كان في الدولة الظاهرية ، ومسفره سنقر الخاصكي الدوادار الأشرفي المعروف بقرق شبق .

وكل ما ذكرناه من انتقال هؤلاء بالبذل ، من إينال إلى خيربك ، وأخلع على هؤلاء المتوجهين بالتقاليد المذكورة في هذا اليوم جملة واحدة ، وصولح الجميع ، ما خلا يشبك الفقيه فإنه سافر إلى حاج إينال ، فصولح قانصوه بأربعة آلاف دينار ، وتمرباي بنحو ذلك ، وسنقر قرق شبق بألفي دينار .

وكثر الكلام بالقاهرة في قبض يشبك النوروزي هذا ، واختلفت الأقاويل ، ولهج الناس بأنه عزله بسبب ممالاته في الباطن إلى الأمير قاني باي الحمزاوي - [٣٤٦] نائب // الشام .

وترقب الناس خروج قاني باي المذكور عن الطاعة ، فلم يقع شيء من ذلك ، واستقر الحال على أن السلطان لا يطلب قاني باي المذكور إلى الديار

المصرية، وقاني باي ما لم يطلبه السلطان هو قانع بنبابة دمشق، وبما هو فيه من الانهماك ببلذاته ولا يطلب زيادة على ذلك، وكل منها يغالط الآخر، فاسلطان مطمئن بأن قاني باي في طاعته ويمثل مراسيمه وهو الواقع، وقاني باي في طاعة السلطان ومتى طلبه حضر وفي الباطن بخلاف ذلك.

ثم رسم السلطان في هذه الأيام بانتقال يشبك السيفي قاني باي البهلوان من نبابة المرقب إلى حجوبة الحجاب بطرابلس، عوضاً عن مغلباي البجاسي، بحكم انتقال مغلباي إلى أتابكية طرابلس عوضاً عن سودون من سيدي بك الناصري المعروف بالقرماني، بحكم انتقاله إلى أتابكية حلب بعد ولاية الأمير أقبردي السافي الظاهري نبابة ملطية، بعد عزل الأمير قاني باي الناصري.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه انقطع جسر بحر منجا^(١) وغرق ما تحتهها من البلاد، ثم عظمت المصيبة بأن الماء لما سار على الأراضي استند على سد جييين القصر فلم يثبت سد جييين - أيضاً - وطغي الماء حتى غرق الأراضي، وضر سد جييين أن بحر منجا انفتح قبل ميعاده^(٢) بنحو ستة عشر يوماً، فلم يلبشوا إلا والماء قد أتاها طوفان، فغرقهم وغرق للناس من الزرع والغلال ما لا يحصى، ويش الناس من عود النيل إلى ما كان، وخرج الأمير زين الدين بجيى الأستاذار والمقطعون بجييين القصر وغيرهم، وأقاموا على سد جييين أياماً حتى سدوا من قناطر جييين البعض، وأما منجا فلا سبيل إلى تعويقه، وراح على من راح ولا انتطحت في ذلك شاتان، فسبحان الحليم على عباده. ونقص البحر نقصاً فاحشاً، وتحرك سعر الغلال، وأخذ الناس في شراء الغلال، ونفق سوقها بعد الكساد، وخزنت الخزانون شيئاً كثيراً، ومع ذلك لم يزد سعر الإردب القمح على مائة وخمسين درهماً وما دونها، وال فول بمائة وعشرة وما دونها، والشعير بمائة وثلاثين وما دونها، ثم عن قليل تراجع البحر بإذن الله تعالى إلى زيادته كأحسن ما يكون، وانحط سعر كل صنف من الغلة، حتى أبيع القمح بمائة

(١) المقصود بذلك بحر أبى المنجا، وهو خليج حفره «الأفضل ابن أمير الجيوش» سنة ست وخمسمائة للهجرة.

راجع المقرئزي. الخطط ج ١ ص ٧١-٧٢.

(٢) في الأصل : «ميجاله».

[٣٤٧] وأربعين وما دونها // والفول بتسعين وما دونها، والشعير بمائة وخمسة وما دونها،
ولله الحمد.

شهر رمضان

أوله الجمعة.

ففي يوم السبت ثانيه - الموافق لثالث عشرين مسرى - نودي على البحر
بزيادة أربعة أصابع من النقص ، فسكن حينئذ روع الناس قليلاً ، ولم ينحط
سعر الغلال إذ ذاك .

وفي يوم الأحد ثالثه استقر شخص من أصاغر الكتبة يعرف بابز وجيه في
نظر جيش حلب ، عوضاً عن سراج الدين عمر بن السفاح .

ثم في يوم الاثنين رابعه^(١) نودي على النيل - أيضاً - بزيادة إصبعين ،
وذلك لتمة سبعة أصابع من الذراع السابع عشر^(٢) ، وهذا هو القدر الذي كان
نقصه البحر بعد قطع بحر منجا ، وأخلع السلطان على منادي البحر .

وفيه قدم الأمير زين الدين بحى الأستادار من ترميم سد جيبين القصر ،
وأخلع عليه السلطان .

وفيه - أيضاً - أخرج سنطاي الظاهري جقمق الخاصكي رأس نوبة
الجمدارية - كان - في دولة أستاذه إلى طرابلس منفياً . وهذه نفيته الثانية بعد
موت أستاذه الظاهر جقمق .

وفي يوم الأحد عاشره قدم الخير على السلطان بموت الشريف بركات بن
حسن بن عجلات أمير مكة ، وتولى بعده ابنه محمد على ما يأتي ذكره في وفيات
هذه السنة .

وفيه رسم بنفي الناصري محمد بن أبي الفرج المعزول عن الأستادارية ،

(١) في هامش « أ » : « يوم الأحد ثالثه » .

(٢) في هامش « أ » : « صوابه الثامن عشر » .

فتسحب واختفى مخافة من الأمير زين الدين يحيى الأستاذار .

وفي يوم السبت سادس عشره - الموافق ليوم النوروز أول توت - نودي على النيل بزيادة ثلاثة أصابع من الذراع التاسع عشر .

وفيه وصل الأمير جانبك الظاهري المتكلم علي بندر جدة منها إلى القاهرة، وأخلع عليه وعلى رفقته على العادة، واستقر مسفر الشريف محمد ابن الشريف بركات باستقراره في إمرة مكة، وأمر بنقل التقليد والتشريف بعد ذلك مع أحد عماليكه ولم يسافر هو.

وكانت ولاية الشريف محمد إمرة مكة على مال بذله نحو خمسين ألف دينار، وسألت الأمير جانبك المتكلم علي بندر جدة - وهو الساعي للشريف محمد هذا - عن ذلك فقال: نعم، لكن يحمل في هذه السنة عشرين ألف دينار، ثم ما بقي على نقداً متفرقة، ولخوند وولدها خمسة آلاف دينار، وليونس الدوادار ثلاثة آلاف دينار. قلت: فماذا يحمل لعظيم الدولة - أعني ناظر الخواص - وليردبك؟ قال: مهما أرادا.

// وفي يوم السبت ثالث عشرينه وصل إلى القاهرة الأمراء المجردون إلى [٣٤٨] البحيرة بمن معهم من المماليك السلطانية، وهم الأمير خشقدم الناصري المؤيدي أمير سلاح، والأمير قرقماس الأشرفي الجلب رأس نوبة النوب، وعدة من أمراء العشرات .

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه استقر الناصري محمد بن أبي الفرج المعزول عن الاستدارية قبل تاريخه في ولاية قطيا بسعي في ذلك - قلت : وهذه عادته ، يرتفع إلى السها ، ثم ينزل إلى البهموت ، فتوجه إليها وباشرها .

وفيه - أيضاً - كتب بعزل القاضي جلال الدين أبي السعادات الشافعي عن قضاء مكة، وكتب باستقرار قاضي القضاة محب الدين محمد الطبري إمام مقام إبراهيم بالحرم الشريف في قضاء الشافعية عوضاً عن أبي السعادات المذكور، وكتب - أيضاً - باستقرار الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن نور الدين

على ابن ظهيرة في نظر الحرم الشريف، بعد استعفاء طوغان شيخ الأشراف في ذلك.

شوال

أوله الأحد.

في يوم الثلاثاء عاشره [كان] انتهاء الكسوة التي أمر السلطان للمقر الجمالي ناظر الجيوش والخواص بعملها برسم القبر الشريف النبوي محمد ﷺ ، وحملت على رؤوس عدة كبيرة من الحمالين إلى القلعة في أبهج زي وأحسن منظر ، حتى عرضت على السلطان ، وخلع على صاحب جمال الدين المذكور كاملية خضراء بمقلب سمور ، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش ، ونزل إلى داره وبين يديه وجوه الدولة .

وفي يوم الجمعة ثالث عشره - الموافق لسابع عشرين توت - نودي على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة أربعة عشر إصبعاً من عشرين ذراعاً ، وهذا منتهى زيادة النيل في هذه السنة ، وأخذ في النقص كما زاد ، وتماسك إلى أواخر بابه .

وفي يوم الأحد خامس عشره أمر السلطان بعبد العزيز بن محمد الصغير نقيب الجيوش ومحتسب القاهرة فضرب بين يدي السلطان ضرباً مبرحاً ، تجاوز فيه عن الحد حتى أشفى على الهلاك .

وسبب ذلك أنه كان قبل تاريخه في يوم فتنة المماليك الظاهرية مع الأمير يونس الدوادار - المتقدم ذكرها - قد نقل للسلطان أنه دخل متنكراً إلى بيت يونس [٣٤٩] الدوادار المذكور فوجده قد تهيأ // للركوب على السلطان ، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه لعلمه بجنه وخفة دماغه وكذبه ، وأمر بكنم ذلك ، ثم أخذ في الفحص عن يونس المذكور ظاهراً وباطناً فلم يجد لما قاله عبد العزيز المذكور صحة ، ثم وقع من عبد العزيز - أيضاً - ما أوجب غضب السلطان عليه حتى كان من أمره ما كان ، ثم رسم بنفيه ، فنفي إلى دمياط على أقبح وجه ، وأشيع موته لعظم ما به من الضرب والنكال .

قلت : وما هذه بأول واقعة وقعت له لأنه مخمول الحركات من مبدء أمره إلى منتهاه ، وقد حبس بالبرج بقلعة الجبل في أوائل دولة الظاهر ، ثم أمر بنفيه مع

أبيه غير مرة، وأما ما وقع له من السب والبهذلة من أرباب الديون والنقباء فلا يعد ولا يحصى، لمضربنا عن ذلك لكونه لم يكن من أعيان الناس لتشكر أفعاله أو تذم، وإنما والده المعروف بمحمد الصغير كان من أولاد الناس الغازانية، وكان في مبادئ أمره يركب هماراً إلى أن عرف بحسن رمي الشباب، فترقى وركب فرساً، وصار كآحاد أجناد الحلقة، وتربى عبد العزيز هذا في الأزقة، وكان على وجهه قبول لجماله، حتى تسلطن الملك الظاهر جقمق وقرب أباه وناداه، فصار عبد العزيز هذا يسعى في الخدم والوظائف ويبذل فيها الأموال، ويتحمل من الديون ما شاء الله إلى أن يأخذ بغير رضى والده، حتى كان من أمره ما حكيناه.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير بردبك البجقمقدار الظاهري جقمق، أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة بالمحمل إلى بركة الحاج، وأمير الركب الأول الناصري محمد ابن الأمير جرباش المحمدي الناصري الأمير آخور الكبير المعروف بكرت، والناصري محمد هذا سبط الملك الناصر فرج بن برقوق، وحجت والدته خوند شقراء بنت الملك الناصر فرج صحبة ولدها بتجمل زائد إلى الغاية، وسافر - أيضاً - الأمير بيبرس الأشرفي أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة، وخال الملك العزيز يوسف بن الملك الأشرف برساي إلى الحجاز ومقدم الممالك السلطانية المقيمين بمكة المشرفة .

وفي يوم الثلاثاء هذا أخلع // على الشيخ علي ابن نصر الله الخراساني [٣٥٠] الطويل بإعادته إلى حبة القاهرة، واستقر السيفي خشكلدي السيفي قجقار جغتاي الزردكاش نقيب الجيوش المنصورة، كلاهما عوضاً عن عبد العزيز بن محمد الصغير بعد نفيه إلى دمياط حسبما تقدم .

وفي يوم الجمعة، العشرين منه رحل الأمير بيبرس بالممالك من بركة الحاج، ثم رحل أمير (الركب) الأول في يوم السبت، وأمير الحاج في يوم الأحد .

وفي أواخر هذا الشهر ورد الخبر بأن الملك خلف ابن السلطان محمد ابن

السلطان الملك العادل سليمان الأيوبي ملك قلعة حصن كيفا ومدينتها من ابن أخيه الملك الكامل أحمد ابن الملك الكامل صلاح الدين خليل ابن الملك العادل سليمان . [وهو الذي] قتل^(١) ابن عمه الملك حسن ابن السلطان عثمان ابن الملك العادل سليمان ، وهرب الملك الكامل أحمد إلى حال سبيله ، وتلقب الملك خلف بالملك (العادل)^(٢) .

ذو القعدة

أوله الاثنین .

فيه نودي على الذهب بالقاهرة بأن لا يتعامل به أحد بأكثر من ثلاثمائة درهم الدينار، وهدد من زاد على ذلك بأنواع الضرب والنكال .

وفي أوائل هذا الشهر برز المرسوم الشريف باستقرار القاضي جمال الدين يوسف الباعوني الشافعي في قضاء دمشق، بعد عزل القاضي سراج الدين عمر الحمصي، وتوجهه إلى حمص بطلاً . وولاية الباعوني هذا على مال كبير بذله في ذلك .

وفي هذا الشهر رسم السلطان بهدم الإيوان القبلي من تربته التي بناها بالصحراء في أيام إمرته خارج باب النصر بالقرب من تربة كوكاي، وأمر أن تعمّر مدرسته بأربعة^(٣) أواوين ويجعلها خانقاه ، وخلع على الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص باستقراره في نظر عمارتها .

وفي يوم الجمعة سادس عشرينه - الموافق لعاشر هاتور - لبس السلطان القماش الصوف الملون ، وألبس الأمراء على العادة في كل سنة .

(١) في «أ»: قتل .

(٢) مزيد من «ب» .

(٣) في الأصل : « بأربع » .

ذو الحجة

أوله الثلاثاء .

ففي يوم الخميس ناله استقرار علي بن إسكندر في نقابة الجيوش المنصورة بعد عزل خشكلدي السيفي قجقار جغتاي الزردكاش .

وعلي بن إسكندر هذا يعرف بابن الفيسي لكون والده // كان ابن أخت [٣٥١] زوجة كمشيفا الفيسي .

وفي يوم الخميس عاشره، وهو يوم عيد الأضحى صلى السلطان الملك الأشرف إينال بجامع القلعة الناصري صلاة العيد، وخرج عائداً إلى الحوش السلطاني من قلعة الجبل، ونحر ضحايه به خوفاً من المماليك الجلبان الذين بالأطباق ، لما وقع منهم في العام الماضي من الإخراق وكسر الحرمه .

وكانت العادة أن السلطان إذا خرج من الجامع جلس بالإيوان وبين يديه الأمراء وينحر به ضحايه، ثم يتوجه إلى باب الستارة وينحر به - أيضاً - ثم يدخل بعد ذلك إلى الحوش وينحر به، وكلما نحر بمكان من هذه المواضع تفرقه الخدام والمماليك ومن له عادة بالأخذ، فبطل ذلك كله، ونحر السلطان دفعة واحدة بالحوش، وهذا شيء لم يعهد مثله فيما مضى، وأظن ذلك صار عادة إلى الأبد .

وفي يوم الأحد العشرين منه نودي بالقاهرة وشوارعها: من ظلم من قهر فعليه بالأبواب الشريفة، وقد شرع السلطان ينزل في يومي السبت والثلاثاء إلى الإسطبل السلطاني للحكم بين الناس .

وفي يوم الجمعة خامس عشرينه وصل مبشر الحاج سنقر الأشرفي أحد الدوادارية المعروف بقرق شبق وأخبر بالأمن والسلامة، وأخبر - أيضاً - بأن الناس وقفوا بعرفات يوم الخميس، ووقف أمير الركب الأول الأربعاء والخميس احتياطاً، ووقف أمير المحمل الأمير بردبك الظاهري الخميس لا غير .

قلت : فهذا يدل على أن هلال ذي الحجة أرخ^(١) بمكة ليلة الأربعاء بخلاف الديار المصرية ، فإنه أرخ^(٢) بها الثلاثاء على اختلاف المطالع ، لكن وقوف أمير (الركب) الأول مرتين يدل على اضطراب الناس في رؤيته بمكة .

وورد الخبر - أيضاً - بموت العلامة محب الدين الأقصري الحنفي في يوم الجمعة ثالث ذي الحجة على حسب تأريخ مكة ، ورابع ذي الحجة على حسب ما أرخ^(٣) بديار مصر ، وصلى عليه بالحرم الشريف ، وكانت جنازته مشهودة ، ومات - رحمه الله - محرماً بعد السعي وطواف القدوم ، وكثر أسف الناس عليه بالديار المصرية ؛ لأنه كان من محاسن الدنيا ديناً وعلماً وفضلاً وعبادة ، رحمه الله .

وفي هذه السنة وقع بدمشق حريق عظيم في عدة أماكن منها ، احترق فيها [٣٥٢] دور كثيرة ، وحوانيت وأملاك ، وتداول ذلك شيئاً / بعد شيء ، ولم يعلم أحد من هو فاعل ذلك ، واختلف الناس فيه ، فمنهم من قال : إنهم النصارى الذين أمر بهدم كنائسهم ، ومنهم من قال : الغرباء الذين نودي بدمشق بخروجهم منها ، ومنهم من قال غير ذلك . وبعد قليل أخبرني بعض الناس أنه مسك منهم جماعة ونكل بهم غاية النكال .

وفرغت هذه السنة وقد عز وجود الخطب جداً ، حتى إنه أبيع الحمل منه بنحو المائة وعشرين درهماً ، وهو الخطب الطرفاء ، وأما الكاري فلم يوجد أصلاً من أواخر رمضان إلى الآن ، وقد أضر ذلك بحال الناس كثيراً ، وقد صارت الممالك تفتح الشون ومخازن الخطب وتهجم بيوت الناس ببولاق ومصر وتأخذه من غير رضى أصحابه - أميراً كان صاحبه أو فقيراً - بثمن وغير ثمن ، وهذا - أيضاً - من الأشياء التي لم يعهد مثلها من قلة وجود الخطب بالديار المصرية .

أمر النيل في هذه السنة

كان الماء القديم سبعة أذرع وخمسة أصابع ، (و) مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً ، والله - تعالى - أعلم .

(١) في داء : : ورخ .

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكرهم رحمة الله - تعالى - عليهم

(١) توفي الأمير سيف الدين مغلباي^(١) بن عبد الله الشهابي الناصري ،
أحد أمراء العشرات بديار مصر - بطلاً - في يوم الخميس في ليلة عاشور
المحرم .

وكان أصله من عماليك الشهابي أحمد ابن جمال الدين يوسف البيري
الاستادار ، ثم أخذه الملك الناصر فرج وجعله من جملة عماليكه ، فاستمر من
جملة المماليك السلطانية إلى أن صار خاصكياً بعد موت الملك المؤيد شيخ ، ثم
صار رأس نوبة الجمدارية في دولة الملك الظاهر جقمق ، ودام على ذلك إلى أن
أنعم عليه الملك الظاهر بإمرة عشرة في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، فدام على
ذلك إلى أن كانت الوقعة بين الملك المنصور وبين الأمير الكبير إينال العلاني
صار مغلباي هذا عند المنصور ، فلما غلب الملك الأشرف إينال أخرج إقطاعه ،
فدام بطلاً حتى مات في التاريخ المذكور من غير مرض ، لكن شبه الفجاءة ،
رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(٢) وتوفي الشهابي أحمد ابن الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد البيري^(٢) ،

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٣٧ تر ٢٥١٧ ، المنهل الصافي
مج ٣ ق ٢٤٧ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٥
تر ٦٧٦ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم ، له ترجمة في :
السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ٨٣ تر ٢٤٧ .

أحد الحجاب بالقاهرة ، المعروف بابن أخي جمال الدين الأستاذار ، في صبيحة [٣٥٣] يوم الاثنين / / ثاني عشرين صفر ، وله سبعون سنة تخميناً ، ودفن بتربة عمه جمال الدين الأستاذار بالصحراء خارج القاهرة ، رحمه الله .

(٣) وتوفي الأمير سيف الدين جلبان^(١) بن عبد الله نائب الشام بها في يوم الثلاثاء سادس عشر صفر ، وله نحو ثمانين سنة تخميناً .

وكان يعرف بالأمير آخور ، وفي معتقه أقوال ، أحدها : أنه من ممالك الأمير تنبك الأمير آخور الظاهري المتوفى في سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، واستتره بعده سودون طاز الظاهري الأمير آخور وأعتقه ، وتقل في الخدم حتى صار بخدمته الأمير جاركس القاسمي المصارع ، ثم اتصل بخدمة الملك المؤيد أيام إمرته ، فجعله من جملة أمراء آخوريته ، وهذا القول أحسن الأقوال وأصحها في معتقه .

ودام جلبان بخدمة الملك المؤيد شيخ إلى أن تسلطن ، جعله من حملة الأمير آخورية ، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم جعله أمير آخوراً ثانياً . وهذا كان لا يعرف إلا بالأمير آخور ، ثم نقله الملك المؤيد إلى مقدمة ألف في حدود سنة عشرين وثمانمائة ، واستقر بعده في الأمير آخورية الثانية الأمير آقبا التمرازي ، ودام جلبان على مقدمة ألف إلى أن أخرج الملك المؤيد عسكرياً إلى الشام في سنة ثلاث وعشرين ، وجعل مقدم العسكر الأتابك الطنبغا القرمشي الظاهري ، وأضاف إليه عدة من مقدمي الألوف ، فكان جلبان هذا ممن انضاف إليه ، وساروا إلى البلاد الشامية ، ومات الملك المؤيد في محرم سنة أربع وعشرين وهم بتلك البلاد ، ولأزالوا بها حتى توجه الأمير ططر بالملك المظفر أحمد إلى الشام ، وقبض على القرمشي ورفقته ، فكان جلبان هذا ممن قبض عليه ، وحمل إلى قلعة صفد فحبس بها إلى أن أطلقه إينال نائب صفد ، لما خرج عن طاعة الملك الأشرف برسبائي ، فهرب جلبان المذكور من إينال وقدم دمشق داخلاً في طاعة الملك الأشرف ، فرسم الملك الأشرف بالقبض عليه ثانياً وجسه ، فوقع ذلك إلى

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ نر ٨٥٤ ، المنهل الصافي مج ٢ ص ٣ ، النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ١٧٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٧٧ - ٧٨ نر ٣٠٢ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

أن أطلقه الملك الأشرف - أيضاً - بعد مدة يسيرة، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، ثم نقله إلى نيابة حماه بعد الأمير جارقطلو، في يوم العشرين من شهر رجب سنة ست وعشرين، وانتقل جارقطلو إلى نيابة حلب بحكم انتقال تنبك البجاسي إلى نيابة الشام بعد موت الأمير تنبك // ميق العلائي الظاهري ^(١) [٣٥٤] بعد موته فدام جلبان في نيابة حماه سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إلى نيابة طرابلس. بعد موت الأتابك طرباي في العشر الأوسط من شعبان سنة ثمان وثلاثين وثمانائة، وتولى بعده نيابة حماه الأمير قاني باي الحمزاوي أحد مقدمي الألوف بديار مصر، فاستمر في نيابة طرابلس إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة حلب، بعد عصيان حسين بن أحمد المدعو تغري برمش التركماني في سلخ شهر رمضان من سنة اثنتين وأربعين، فلم تطل مدته في نيابة حلب ونقل إلى نيابة دمشق، بعد موت الأمير آقبا التمرآزي في شهر ربيع الآخر، وحمل إليه التقليد والتشريف دولات باي المحمودي المؤيدي، وعاد منه بأموال كثيرة إلى الغاية، فدام جلبان في نيابة الشام من يومئذ، وتردد إلى القاهرة غير مرة، واستمر في نيابته إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان أميراً جليلاً، عاقلاً، سيوساً، عارفاً بمداواة الملوك، وياشر وقائع، وحضر حروباً، وقاسى خطوب الدهر ألواناً، في أيام خدمته للملك المؤيد شيخ أيام إمرته، وكان متجملًا في مركبه ومماليكه وحشمه، غير أنه كان قصيراً جداً، ومع هذا وقع له ما لم يقع لغيره من أبناء جنسه، منها أنه أقام أميراً بمصر والشام نحواً من ثلاث ^(٢) وأربعين سنة، وهذا لم يقع لغيره إلا نادراً جداً، ومنها أنه طالت مدة ولايته لبلاد الشام ^(٣) منتقلاً من بلد إلى أعظم منها نحواً من ثلاث ^(٤) وثلاثين سنة، وهذا - أيضاً - لم يقع لغيره، ومنها أنه أقام نائباً بدمشق نحو خمس ^(٥) عشر [ة] سنة، وهذا شيء لم يقع لغيره - أيضاً - من أيام تنكز الناصري، ومنها

(١) في د. أ. : « بعد موت الأمير ميق العلائي الظاهري بعد موته »

(٢) في د. أ. : « ثلاثة »

(٣) في د. أ. : « لبلاد بالشامية »

(٤) في د. أ. : « ثلاثة »

(٥) في د. أ. : « خمسة »

أنه لم ينتقل من بلد إلى غيرها إلا والأمير قاني باي الحمزاي يلي تلك البلد التي خرج منها عوضه، حتى إن قاني باي - المذكور - ولي نيابة الشام - أيضاً - بعد موته، وهذا - أيضاً - من الاتفاقات الغربية، ومنها أنه باشر نيابة دمشق في ثلاث دول، وهذا - أيضاً - لم يقع لغيره.

وبالجملة إنه كان من بقية الأمراء، ومن رأى تلك الأعصار - رحمه الله تعالى .
(٤) وتوفي الأمير سيف الدين يشبك الناصري^(١) أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ثاني بعد مرض طويل، في يوم الأحد ثامن عشر صفر وقد ناهز السبعين تحميماً.

وكان أصله من ممالك الملك الناصر فرج، ثم انحط قدره، وخدم في بيوت الأمراء مدة طويلة، إلى أن رده الملك الظاهر ططر إلى بيت السلطان، وجعله من جملة الخاصكية، فدام على ذلك دهنًا طويلًا إلى أن // أنعم عليه الملك الظاهر جقمق في أوائل أمره بإمرة عشرة، وجعله من جملة رؤوس النوب، واستمر على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك المنصور عثمان بإمرة طبلخاناه، عوضاً عن جانبك القرماني، بحكم انتقال جانبك القرماني إلى طبلخانات يونس المشد، بحكم انتقال يونس إلى مقدمة ألف بديار مصر، ثم صار رأس نوبة ثانياً في دولة الملك الأشرف إينال، إلى أن مرض ومات في التاريخ المذكور .

وكان مهملاً، مسرفاً على نفسه، لم يعرف بشجاعة ولا كرم ولا دين، عفا الله - تعالى - عنه .

(٥) وتوفي الوزير صاحب أمين الدين إبراهيم ابن الرئيس محمد الدين عبد الغني بن الهيصم^(٢) وزير الديار المصرية ورئيسها بطالاً في ليلة الخميس مستهل شهر ربيع الآخر.

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٦ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٨٠ تر ١٠٩٩ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٣ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ١ ص ٢١ تر ٤٩ ، المنهل الصافي ج ١ ص ١١٣ - ١١٦ تر ٥٠ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٥ - ١٧٦ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ٦٧ تر ٦٨ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٣ .

وكان مولده في أوائل القرن تخميناً بالديار المصرية، (و) نشأ في الرياسة تحت كنف والده، ثم عمه الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم إلى أن كبر وعرف الحساب، وكتب الخط المنسوب وباشر في عدة جهات إلى أن نقل إلى نظر الدولة بعد القاضي كريم الدين عبد الكريم بن كاتب حكيم، بحكم انتداله إلى نظر الخاص بعد الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، في يوم الاثنين ثاني عشر جمادي الأولى سنة ثمان وعشرين، ودام في وظيفة نظر الدولة إلى سنة سبع وثلاثين أخلع عليه باستقراره وزيراً بعد عزل الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ، واستقل بوظيفة الاستدارية، فبشر الصاحب أمين الدين - هذا - الوزير مدة أشهر، فلم ينتج أمره وتسحب واختفى أشهراً، ثم ظهر بشفاعه الأمير إينال الأبو بكري الخازن دار فيه، ثم ولي بعد ذلك نظر المفرد، ثم أعيد إلى نظر الدولة ثانياً، ودام فيها - أيضاً - سنين إلى يوم الاثنين ثامن جمادي الآخرة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة أخلع عليه الملك الظاهر جقمق باستقراره وزيراً، عوضاً عن الصاحب كريم الدين ولزومه الفراش. وهذه ولايته الثانية، فبشر الوزير في هذه المرة مباشرة جيدة لا سيما لما وقع الشراقي والغلاء بديار مصر في سنة أربع وخمسين وسنة خمس وخمسين، ودام في الوزير إلى أن عجز واستغنى فأعفى، واستقر عوضه تغري بردي القلاوي في يوم الخميس رابع شوال سنة ست وخمسين، فدام معزولاً إلى أن استغنى القلاوي وأعيد الصاحب أمين الدين إلى الوزير // من قبل الملك المنصور عثمان في يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة [٣٥٦] سبع وخمسين، فدام في الوزير إلى أن عجز واختفى في يوم الأربعاء أول شهر رمضان من سنة سبع وخمسين وثمانمائة، واستقر عوضه في الوزير كاتب الممالك السلطانية، فدام الصاحب أمين الدين في اختفائه مدة ثم ظهر بأمان، وأعيد إلى الوزير بعد عزل فرج بن النحال المذكور في يوم الاثنين حادي عشرين جمادي الأولى سنة ثمان وخمسين، فلم تطل مدته - أيضاً - في الوزير، وأظهر العجز واستغنى فلم يعف. فاختفى في يوم السبت حادي عشر ذي القعدة من سنة ثمان وخمسين، وأعيد فرج بن النحال في الوزير من بعده، فدام في اختفائه مدة إلى أن مرض ومات.

وكان بمعزل عن الأقباط، وتزوج من المسلمين، وكان يحب الفقراء

والصالحين ، وله فيهم اعتقاد عظيم ، وحج .

وفي الجملة ، إنه كان أصلح الموجودين من أبناء جنسه الأقباط ، وأخفهم ظمأً ، وأكثرهم تجملاً في ملبسه ومركبه ، وكان ترفاً إلى الغاية - رحمه الله - تعالى - وعفا عنه .

(٦) وتوفي الأمير سيف الدين خيربك بن عبد الله المؤيدي^(١) - أحد مقدمي الألوף بديار مصر - في يوم الخميس تاسع عشرين شهر ربيع الآخر بداره التي تجاه مصلاة المؤمني ، ولم يحضر السلطان الصلاة عليه ولا ولده المقام الشهابي أحمد ، ومات وهو في حدود الستين سنة .

وأصله من ممالك الملك المؤيد شيخ ، وصار خاصكياً من بعده مدة طويلة ، إلى أن وقع بينه وبين جانبك الشبكي المعروف (ب) جحا - بتقديم الجيم - فتنة ، وشكاه جانبك المذكور إلى الملك الأشرف برسباي فنفاه الأشرف إلى الشام ، ثم أنعم عليه بعد ذلك بإمرة ، فدام خيربك المذكور من جملة أمراء دمشق سنين ، إلى أن جعله الملك الظاهر جقمق أمير مائة ومقدم ألف بدمشق ، ثم نقله بعد سنين إلى الأتابكية بها بعد موت إينال الششمان في حدود سنة خمسين وثمانمائة ، فدام أتابك دمشق إلى سنة ست وخمسين - رسم الملك الظاهر جقمق بمسكه وجبسه لأمر اقتضى ذلك ، وصار الأمير يشبك من جانبك المؤيدي المعروف بالصوفي أتابكاً عوضه // ، فاستمر خيربك هذا محبوساً إلى أن أطلقه الملك الأشرف إينال في أوائل سلطنته ، واستقدمه إلى الديار المصرية في شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين ، وبعد أيام أخلع عليه بناية طرسوس ، فلبس الخلعة على كره ، ثم استعفى فأعفى لم واقام بطالا أياماً إلى أن مات الأمير دولاب باي المؤيدي الدوادار - كان - فأنعم بتقدمته على خير بك هذا .

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ تر ١٠٩ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٥٦ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٦ - ١٧٧ ، السخاوي . الفوائد اللمعة ج ٣ ص ٢٠٩ - ٢١٠ تر ٧٨٤ .

قلت : بش السديل ، والفرق بينهما واضح ؛ هما طرفا^(١) نقيض في الشكل والفعل .

فدام خيربك هذا من جملة أمراء الألف بالقاهرة إلى أن مرض ، وطال مرضه لمواراد أن يتعافى غصباً غير مرة فلم يقدر على ذلك ؛ فإنه لما طال مرضه بلغه أن السلطان أنعم بإقطاعه على الأمير قانم التاجر المؤيدي ، فلما سمع ذلك لبس قماشه وركب وطلع إلى القلعة بعد العصر في بعض ليالي الخدم وهو يتجلد لما به من شدة المرض ، فحال جلوسه تقياً وأغمي عليه ، فحمل وأنزل إلى داره ، ومكث أياماً وترجع قليلاً ، وأشيع - أيضاً - ما ذكرناه من خروج إقطاعه ، فلبس ثيابه وركب فرسه وسير بحوشه فأغمي عليه ، وأنزل من على فرسه على أقبح حال ، ولزم الفراش أياماً أخرى ، ووجد في نفسه خفة ، وبلغه القول - أيضاً - فلبس ثيابه وركب فرسه وخرج من داره وبين يديه عماليكه على خيولهم ، وسير حتى وصل إلى ساحل بولاق ، وعلى رأسه تحفيفة كبيرة وعليه سلاري وشتق ، ورأيت ذلك اليوم بالجزيرة الوسطى وسلمت عليه فلم أر فيه أثر ضعف ؛ لأن وجهه كان قديماً أصفر ، وهو أجروود ، وفي حنكه شعيرات قليلة ، قلت : هذا هو على حاله . ثم عاد إلى بيته ولم أدر ما وقع له ، غيز أني ركبت بعد أيام قليلة إلى سوق الخيل ، فقال لي شخص : خيربك مات ، فظننته يستفهم مني حاله ، فقلت : لا ، بل طيب ، ورأيت طاب وركب الفرس وسير ، فبينما أنا أحادثه ، قبل تمام الكلام تحرك جماعة من الأمراء الوقوف بسوق الخيل ، فالتفت فإذا بنعشه قد خرج من باب داره ، فسرت نحوه مسرعاً حتى وافيت نعشه وقد وصل إلى مصلاة المؤمني ، فصلى عليه ودفن بالصحراء من يومه .

ومات قهراً على رغم أنفه ، واستراح وأراح ؛ لأنه كان لا ذات ولا أدوات ، ولا دين // ولا دنيا ، وأنعم بإقطاعه على الأمير قانم التاجر . [٣٥٨]

(٧) وتوفي الشيخ الإمام الأديب الفقيه شمس الدين محمد بن حسن بن

(١) في ١ : ١ : ١ : طرفي .

علي النواجي^(١) الشافعي الشاعر المشهور ، في يوم الأربعاء سادس عشرين جمادي الأولى بداره بالقاهرة .

ومولده بقرية نواج بالغربية ، بالوجه البحري ، من أعمال القاهرة ، سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، نشأ بالقاهرة ، واشتغل وقرأ ودأب وسمع الحديث الكثير حتى برع في العربية والأدب ، وقال الشعر الفائق الرائق ، ومدح الأكابر ، وكتب الكثير بخطه ، وقرأ بنفسه ، واستجاز وأجاز ، واستجزته أنا في استدعاء ، فكتب إلي بعد أن عدد مسموعاته وأسماء مشايخه يقول :

لك الله المهيمن كم أبانت خلال اليوسفية عن معال
وسقت حديث وصلك عن يراع تسلسل عنه أخبار العوالي

[الوافر]

قلت : وأنشدني الشيخ شمس الدين - المذكور - كثيراً من شعره لطول ترداده إلي في مدة السنين ، فمن ذلك قوله :

طلبت وصاله فدنا لحربي يهز من القوام اللدن ربحا
وسل من اللواظ مشرفياً ليضرب ، قلت : لا بالله صفحا

[الوافر]

ومن ذلك قصيدة يمدح النبي - ﷺ - منها :

لله كم في حي ليل فتاه شاهدها المضي عيانا فتاه
غزالة الحسن ولكنها تقنص باللحظ أسود الشراه
لو برزت للشمس في ضحوها لفت حياء وجهها في ملاه

(١) له ترجمة في : ابن نغري بردى : الدليل الشافي ج ٢ ص ٦١٥ - ٦١٦ تر ٢١١٤ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٩٨ - ٩٩ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٧ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٢٩ - ٢٣٢ تر ٥٧١ ، السيوطي . نظم العقيان ص ١٤٤ - ١٤٨ تر ١٤٤ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

وما رنت للبدر إلا لكي
 قد حير النظام من ثغرها
 وزان طرس الخد صدغان قد
 يا من لصب في مبادي الصبا
 شب هواه إذ مضى عمره
 كالقلم المشوق وهنا فما
 // مضي معنى القلب ما قصده
 أو شفة تشفى جواه عسى
 حاشاه يصحو من هوى بعدما
 يا كعبة الحسن البديع التي
 يا ربة (١) الخدر ومن سترها
 ويلاه إن مت غراماً وما
 وكيف يخشى الموت من موته
 مستسلماً لله مستشفعاً
 صفوة باري الخلق كهف النهي
 غيث ندى الأفضال بحر العطا
 من خصه الله بقرآنه
 أرسل للخلق شفيعاً فعم
 وفاه بالحق فله من
 فشد أزر الدين واستوسق الشر
 وانجاب غيم الشك عن غيب الـ
 لله ما أولاه للبر من
 أغر وضاح جبين كريم

تبصر منه وجهها في مرآه
 در أجاد الجوهري منتقاه
 زاده حسناً عندما رق ماه
 قد بلغ العشق به منتهاه
 وشاب وجداً رأسه في صباه
 زال به السقم إلى براه
 إلا لمى ثغر حبيب وفاه
 تروي أحاديث هواه شفاه
 قد ملأ الوجد شجوناً حشاه
 لنحوها تسجد غر الجباه
 أسبل فوق الخلق طراً غطاه
 رشفت من ريقك ماء الحياه
 في حب من يهواه أقصى مناه
 بالمصطفى الهادي رسول الإله
 عصمة دين الحق ذخر العصاه
 معدن در الجود كنز العفاه
 فضلاً وبالسبع المثاني حباه
 الإنس والجن جميعاً دعاه
 حقق معنى قوله واقتفاه (٢)
 ع وزدت بعد فصم عراه
 شرك وجلى بهداه دجاه
 بر يفوق البحر جوداً عطاه
 الأصل سهل حسن ملتقاه

[٣٥٩]

[السريع]

وهي أطول من هذا، حذفنا أكثرها خشية الإطالة والملل.

(١) في واء: يا رب.

(٢) في هامش واء: «وقت فاه».

ومن نظمه اكتفاء بحرف مع بديع التورية:

خليلي هذا ربيع عزة فاسعيا إليه وإن سألت به أدمعي طوفان
فجفني جفا طيب المنام وجفنها جفاني، فيالله من شرك الأجفان
[الطويل] ومن نظمه - أيضاً - قوله:

لئن أفرطت في حسن ابتدائي ورمت تخلصي يوم الزحام
فبالمختار أرجو عفو ربي ليرشدني إلى حسن الختام
[الوافر]

واستوعبنا كثيراً من شعره في ترجمته في تاريخنا المسمى بالذهل الصافي، فمن أراد ذلك فليراجعه، لأن التاريخ المذكور جدير بالتطوير، لأنه بصدد ذكر [٣٦٠] التراجم // خاصة، بخلاف هذا الكتاب، فإنه محل ذكر الحوادث، وهو جدير بالاختصار على العادة، والله الموفق بمنه وكرمه.

(٨) وتوفي الشيخ المعتقد محمد المغربي المجذوب^(١)، في صبيحة يوم الجمعة خامس جمادي الآخرة، ودفن من يومه قبل صلاة الجمعة، وصلى عليه بمصلاة باب النصر - أحد أبواب القاهرة - ورسم السلطان الملك الأشرف إينال أن يدفن الشيخ محمد هذا في تربته التي أنشأها بالصحراء خارج باب النصر بجوار تربة كوكاي، فدفن بها.

وكان الشيخ محمد مقيماً على قاعدة البغادة تحت السباط تجاه الربع المعروف قديماً بدار الجوالي بالقرب من جامع الحاكم داخل باب النصر، (و) أقام في الموضع المذكور سنين طويلة، ومن عمري أعرفه هناك لا يتحرك صيفاً ولا شتاء، ليلاً ولا نهاراً، وهو جالس على مكان عال، وتحته حجارة مرصوفة، والناس تأتيه بالمأكول والمشرب، وله أناس تخدمه، وللناس فيه اعتقاد كبير، وكنت أزوره على بعد، لدناسة مكانه وثيابه، فإن حاله كان حال المجاذيب.

وذكر بعض الناس أنه ظهر له بعض ما يدل على الصلاح، غير أنني بلغني أنه وجد بعد موته مكان جلوسه جملة كبيرة من الفضة والذهب، نحو خمسة

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٧ - ١٧٨، السخاوي: الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٢٥ تر ٥٢٣، ابن أبياس: بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٥.

وعشرين ألف درهم، فهذا من العجائب؛ لكونه كان من المجاذيب المستغرقة، ويعرف تحصيل الدراهم .

قلت: لعله كان يحب الجمع بالطبع على قاعدة المغاربة، والله أعلم.

(٩) وتوفي القاضي الرئيس صلاح الدين محمد المعروف بابن السابق الحموي^(١) الشافعي - كاتب سر دمشق - بها بطلاً بعد مرض طويل ، في يوم الأحد ثامن عشرين جمادي الآخرة ، عن أربع وثمانين سنة .

ومولده بحماه، وبها نشأ في الرياسة إلى أن ولى في أوائل الدولة الظاهرية جقمق كتابة سر حلب، ثم نقل إلى كتابة سر دمشق، فبشرها سنين عديدة، وشكرت سيرته وحمدت طريقته، إلى أن عزل بقطب الدين محمد الخيضرى في سنة سبع وخمسين ، فلزم داره مكباً على العبادة والانقطاع عن الناس ، إلى أن توفي بدمشق في التاريخ المذكور .

وكان من محاسن الدنيا ، لما اشتمل عليه من الحشمة والرياسة والتواضع والبشاشة والدين ، مع حسن الشكل - رحمه الله تعالى .

وخلف ولداً نجيباً.

(١٠) وتوفي محب الدين محمد ابن الشيخ العلامة // زين الدين أبي [٣٦١] بكر ابن عمر بن عرفات القمني^(٢) الشافعي ، في يوم الاثنين رابع عشر رجب - رحمه الله تعالى .

(١١) وتوفيت خوند شاه^(٣) زاده بنت الأمير أرخن بك بن محمد كرشجي بن يلدرم بايزيد بن عثمان ، الرومية الأصل والمولد ، المصرية الدار والمنشأ والوفاة - في أواخر شهر رجب .

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٨ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن عمر بن عرفات ، له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٨ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ١٨٧ - ١٨٨ تر ٤٤٢ .

(٣) لها ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٨ .

وكانت قدمت مع أخيها سليمان من بلاد الروم إلى الديار المصرية، فأكرمها الملك الأشرف برسبائي وأنزلها بقلعة الجبل في الدور السلطاني سنين إلى أن حسن بعض الأروام لمتولي تربيتهما الهرب بهما إلى بلاد الروم واستعدوا لذلك، وحضر شيني إلى ثغر رشيد مشحون بالزاد والمقاتلة لأخذهم في الباطن، وفي الظاهر في زي التجار، ولا زال اللالا يترقب الفرصة حتى أمكنه ذلك، وأخذهما من وسط القلعة وذهب بهما إلى الثغر المذكور، ولم يبق إلا نزولهما في الشيني وسفرهما. وكان عند نزولهما بلغ السلطان الملك الأشرف ذلك، فعظم عليه هروبهما على هذا الوجه، فإن مراد بك بن عثمان متملك بلاد الروم أرسل إلى الأشرف يطلبها غير مرة، فامتنع الأشرف من إرسالهما لئلا يقتل سليمان هذا خوفاً على مملكته على جاري عاداتهم من قتل أخوتهم وأقاربهم، وكان ابن عثمان يخاف من سليمان هذا ليأخذه أعداؤه ويقاتلونه به، فوقع ذلك من غير رضا الأشرف، وصار الأشرف متحيراً؛ هل الذي أخذهما من أعداء ابن عثمان أم مكيدة من ابن عثمان حتى يظفر بسليمان هذا وأخته شاه زاده المذكورة؟ فندب الأشرف في الحال عسكرياً من خاصكيته في أثر القوم إلى أن أدركوهم بثغر رشيد وقد منعوا من السفر لعدم الريح، فوقع بين الطائفتين قتال عظيم انتصر فيه عسكري السلطان، وأخذت الأروام وسليمان وأخته شاه زاده المذكورة، وعادوا بالجميع إلى الديار المصرية، فأبدع الملك الأشرف في الأروام، وقتل منهم جماعة، وقطع أيدي جماعة كبيرة، وأعاد سليمان وأخته هذه إلى مكانهما، إلى أن مات سليمان بالطاعون في سنة إحدى وأربعين.

وأما شاه زاده هذه، فإنها لما كبرت أراد تزويجها ببعض أكابر الأمراء لكونها من أولاد الملوك، ثم تزوجها هو، ودامت عنده من جملة الخوندات مدة [٣٦٢] يسيرة، ومات الأشرف // فتزوجها بعده الملك الظاهر جقمق، واستولدها عدة أولاد، ثم طلقها بعد سنة ثلاث وخمسين، ونزلت دارها بالجودرية إلى أن تزوجها الأمير برسبائي البجاسي - أحد مقدمي الألوف بالقاهرة - فدامت عنده إلى أن مرضت وطال مرضها حتى ماتت في التاريخ المذكور، وسنها نيف على ثلاثين سنة، وخلفت مالا كثيراً من أنواع الأقمشة، من جملة ذلك: شد جبين مرصع

قيمته خمسة عشر ألف دينار مصرية ، وقس على هذا ، وخلفت من الورثة والدتها وزوجها لا غير ، مع ابن عمها محمد بك بن عثمان متملك بلاد الروم ، رحمهما الله تعالى .

(١٢) وتوفي السيد الشريف بركات^(١) بن حسن بن عجلان بن رميثة ، واسم رميثة محمد بن أبي غني محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن أبي عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي طالب المكي الحسني . زين الدين أبو زهير ، أمير مكة المشرفة وابن أميرها بدر الدين حسن - في بطن مر^(٢) خارج مكة ، في يوم الاثنين تاسع شعبان ، فحمل إلى مكة ليلاً وغسل وكفن وأخرج إلى الحرم الشريف في نعشه في يوم الثلاثاء ، وطيف به أسبوعاً ، وصلى عليه عند باب الكعبة ، ثم دفن (بالمعلقة)^(٣) ، وكان له مشهد عظيم إلى الغاية .

ومولده بمكة في سنة إحدى وثمانمائة ، وأمه أم كامل بنت النصيح من دور عمر .

ولي إمرة مكة شريكاً لوالده ولأخيه أحمد سنة عشر^(٤) وثمانمائة ، ثم استقل بها في سنة تسع وعشرين وثمانمائة من قبل الملك الأشرف برسباي سلطان الديار المصرية ، بعد وفاة والده بديار مصر ، فدام بركات - المذكور - في إمرة مكة إلى سنة خمس وأربعين - عزله الملك الظاهر جقمق بأخيه علي بن حسن ، فخرج بركات من مكة وتسلمها علي من غير قتال ، ثم وقع بينهما بعد ذلك أمور

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٨ - ١٨٩ تر ٦٥٧ ، المنهل الصافي ج ٣ ص ٣٤٢ - ٣٤٦ تر ٦٥٨ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٩ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ١٣ - ١٤ تر ٥٠ ، السيوطي . نظم العقيان ص ١٠٠ تر ٥٩ ، ابن أبياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٩ .

(٢) في دأ : د مرو .

(٣) مكان ما بين القوسين بياض في دأ ، والمثبت من النجوم ج ١٦ ص ١٧٩ .

(٤) في دأ : د عشرة .

ووقائع، وعزل الشريف علي بأخيه أبي القاسم بن حسن، ودام بركات نازحاً عن مكة إلى أن طلب بركات الأمان من السلطان الملك الظاهر جقمق مع ولده محمد، [٣٦٣] فأرسل إليه السلطان الأمان، فأخذه الشريف // بركات وتوجه قادماً إلى القاهرة حتى وصل إليها في شهر رجب من سنة خمسين، ونزل السلطان إلى لقائه وأكرمه غاية الإكرام، حتى إنه قام له ومشى إليه خطوات كثيرة، وجلس معه من غير مرتبة مراعاة لسلفه الظاهر، ثم أخلع عليه بإمرة مكة، ودام بركات بالقاهرة مقيماً والرواتب السنية تصل إليه إلى أن سافر يوم عاشر شعبان إلى مكة المشرفة، فدام بها إلى أن مات في التاريخ المذكور، وتولى بعده إمرة مكة ولده محمد، على أنه يحمل إلى الخزانة الشريفة خمسين ألف دينار على نقداً متفرقة، على طول.

وكان الشريف بركات رجلاً طويلاً حسن الشكل، عادلاً في أحكامه، مدبراً سيوساً شجاعاً مقداماً، وفيه سكينه، وعليه حشمة ووقار، وخلف شيئاً كثيراً من المواشي والسلاح، فكان ما خلفه من النقد نحو ثلاثين ألف دينار، ومن النياق الخاص نحو عشرة آلاف ناقة، ومن الخيل نحو ستمائة فرس، ومن السلاح والخيم والأغنام والقماش شيئاً كثيراً.

ومات وهو رأس بني عجلان بلا مدافعة، عفا الله عنه.

(١٣) وتسوفي الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله الشمسي^(١) المؤيدي - أحد أمراء الطبلخانات بدمشق - في أواخر ذي القعدة أو في أوائل ذي الحجة بدمشق.

وكان أصله من عماليك الملك المؤيد شيخ، اشتراه في أيام أتابكيته، وترقى من بعده حتى صار من أمراء طرابلس، ثم ولى حجوية حجاب حلب، ثم عزل وتوجه إلى دمشق، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بها إلى أن مات في التاريخ المذكور، وكان قد قدم إلى الديار المصرية غير مرة.

ولم يكن من أعيان الأمراء لتعرف أحواله، وأنعم بإقطاعه على الماس

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٩ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٧ تر ٢٢٩

الأشرفي أحد أمراء حلب ودوادار السلطان بها .

(١٤) وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة محب الدين محمد ابن الشيخ الإمام العالم العلامة زادة أحمد بن أبي يزيد بن محمد السيرامي^(١) ، الحنفي ، المصري المولد والمنشأ ، المكي الوفاة ، المعروف بابن مولانا زاده .

مولده بالديار المصرية في شهور سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، ونشأ بالقاهرة ، وحفظ القرآن العزيز وعدة مختصرات ، وتفقه بمشايع عصره كالعلامة عز الدين محمد بن جماعة ، وقاضي القضاة شمس الدين البساطي وغيرهما من علماء عصره ، إلى أن برع في الفقه والأصولين والعربية والمعاني والبيان وعلم الحديث ، وتصدر للتدريس ، وتولى عدة وظائف جليلة من التصديرات وغيرها / [٣٦٤] كتدريس الصرغتمشية والجانبكية والأيتمشية والمارداني ، وتدريس الحديث بالمؤيدية ، وانتفع به الطلبة كثيراً إلى أن طلبه الملك الأشرف برسباي في حدود سنة ثلاثين وولاه إمامته ، ونالته بذلك السعادة والشهامة ، وباشر ذلك إلى صدر من دولة الملك الظاهر جقمق ، ثم استعفى وأكب على العبادة والإشغال والتدريس ، ثم طلبه الملك الأشرف إينال في أوائل دولته ، واستقر به إماماً على ما كان ، فبأشر مدة يسيرة امتثالاً للمرسوم ، ثم استعفى ولزم داره على الحالة الأولى من الإقراء والتدريس والعبادة إلى أن حج ، (و) تجهز للحج في هذه السنة^(٢) ، وهي غير حجة الفرض ، لأنه حج قبلها غير مرة ، فمرض بالبطن في أثناء الطريق بالقرب من مكة ، وطلب من أمير الحاج أن يرسله في أناس ليسرع إلى دخول مكة ففعل ، واجتهد إلى أن وصل إلى مكة المشرفة قبل الحاج بأيام ، فطاف طواف القدوم وسعى ، ودام محرماً إلى أن مات في يوم الجمعة ثالث ذي الحجة الحرام على حسب ما أرخوا^(٣) بمكة ، ورابع ذي الحجة على حسب ما أرخوا^(٤) بديار مصر .

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٠ .

(٢) أي سنة تسع وخمسين وثمانمائة من الهجرة .

(٣) في الأصل : « ورخوا » .

(٤) نفسه .

وكان - رحمه الله - فقيهاً إماماً ، عالماً بارعاً ، مفنناً ، ذكياً ، ديناً خيراً ، من بيت علم وفضل ورياسة . وهو ابن أخت العلامة أمين الدين يحيى الأقصراني ، والشيخ بدر الدين الأقصراني .

وكان بيني وبينه محبة أكيدة ومودة وصداقة قديمة . وبالجهد كان من محاسن الدنيا : ديناً ، وعفة ، ومروءة ، وهمة عالية ، وعدية ، وشهامة - رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(١٥) وتوفي الأمير سيف الدين أقبردي^(١) بن عبد الله الساقى الظاهري - نائب ملطية - بها يوم الخميس خامس عشرين ذي الحجة ، وحمل من ملطية إلى حلب فدفن بترتبه التي عمرها بها . ومات وسنه نحو ثلاثين سنة تخميناً . وأصله من ممالك الملك الظاهر جقمق ، اشتراه في سلطنته وجعله في الأطباق مع ممالكه الجلبان إنياً لقاني باي الجارکسي ، حتى جعله خاصكياً ، ثم ساقياً ، كل ذلك في مدة يسيرة من السنين ، ثم ندبه إلى إمرة بحلب تتعلق بالسلطنة ، فلما وصلها بعث إليه خلعة بنياة قلعة حلب دفعة واحدة ، وهو ماطرٌ شاربه ، فدام في نيابة قلعة حلب سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إينال إلى أتابكية حلب في سنة ثمان وخمسين بعد الأمير سودون القرماني ، بحكم توجه سودون - المذكور - إلى أتابكية طرابلس ، ثم قدم أقبردي إلى القاهرة في السنة المذكورة وأقام بها مدة ، ثم خلع عليه وتوجه إلى حلب ، وأقام بها إلى أن نقل في سنة تسع وخمسين إلى نيابة ملطية ، فتوجه إليها ودام بها إلى أن مرض في أثناء السنة ، ومات بها في التاريخ المذكور .

وكان عفيفاً ، عاقلاً ، ساكناً ، بالنسبة إلى أبناء جنسه ، رحمه الله تعالى .

* * *

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٠ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٥ تر ١٠٠٤ .

سنة ستين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال العلاني الظاهري ثم الناصري، والخليفة المستنجد بالله أبو المحاسن يوسف، والقاضي الشافعي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، والحنفي قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري، والمالكي قاضي القضاة ولي الدين محمد السنباطي، والحنبلي قاضي القضاة عز الدين أحمد الكنائي، والأمير الكبير تنك البردبكي الظاهري برقوق، وأمير سلاح خشقدم من ناصر الدين المؤيدي، وأمير مجلس طوخ من تمتاز الناصري، والأمير // آخور الكبير جرياش [٣٦٥] المحمدي المعروف بكرد، والدوادار الكبير يونس السيفي آقباي المؤيدي نائب الشام، وحاجب الحجاب جانبك القرمانى الظاهري برقوق، ورأس نوبة النوب قرقماس الأشرفي المعروف بالجلب وبقریب الملك الأشرف برسباي، وبقية مقدمي الألوف المقام الشهابي أحمد ولد المقام الشريف، وهو رأس ميسرة، وبرسباي السيفي تنك البجاسي، ويونس العلاني الناصري، وقانم من صفر خجا المؤيدي المعروف بالتاجر.

ومباشرو الدولة: كاتب السر القاضي محب الدين محمد بن الأشقر، وناظر الجيش والخاص جمال الدين يوسف بن كاتب جكم، وإليه أمر المملكة وتديرها، والوزير فرج بن النحال القبطي، والأستادار الأمير زين الدين يحيى الأشقر قريب ابن أبي الفرغ.

ونواب البلاد الشامية: نائب الشام قاني باي السيفي سودون الحمزاوي

الظاهري، ونائب حلب جانم الأمير آخور قريب الملك الأشرف برسبائي،
ونائب طرابلس حاج إينال السيفي يشبك الحكمي الأمير آخور، ونائب حماه
إياس الطويل الناصري، ونائب صفد جانبك التاجي المؤيدي، ونائب غزة
خيربك السيفي نوروز الحافظي، ونائب الكرك يشبك طاز المؤيدي، ونائب
ملطية الأمير آبردي الساقبي الظاهري جقمق، ونائب أبلستين ملك أصلان بن
حزة بك بن ناصر الدين بك بن دلغادر، وبقية نواب القلاع بالبلاد الشامية
والسواحل والقدس والرملة فكثير، والعمدة على ما ذكرنا.

ونائب الإسكندرية جانبك النوروزي المعروف بنائب بعلبك... (١) وأمير
مكة المشرفة الشريف محمد بن بركات الحسني، وأمير المدينة النبوية الشريف
زبيري بن قيس الحسني، وأمير ألبنك الشريف هجان بن محمد.

وملوك الشرق التتار مع خانات ثلاثة: محمد خان الكبير، ومحمد خان
الصغير، وأبو الخير. وممالك العجم والعراقيين، فملوك ما وراء النهر والعجم
أولاد باي ستقرين شاه رخ بن تيمور، وهم: بابور صاحب سمرقند، وعلاء
الدولة، وأعظمهم بابور، وصاحب العراقيين: عراق العرب وعراق العجم
وأذربيجان وغيرها جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد، وقد اتسعت مملكه
من حدود أرزن إلى شيراز.

[٣٦٦] وأما ديار بكر ففيها عدة ملوك كثيرة، أشهرهم // وأجلهم الملك العادل
خلف الأيوبي صاحب حصن كيفا - وقد ملكها في العام الماضي - وجهان كبير بن
علي بك بن قرايلك صاحب مارددين، وأخوه الشيخ حس بن علي بك صاحب
آمد وغيرها، وعدة ملوك آخر، كل واحد منهم مستقل بعدة قلاع .

وبلاد الروم بها ملوك ثلاثة، أعظمهم وأجلهم خوندكار محمد بك بن
مرز بك بن عثمان صاحب برصا وأدرنا بولي وما والاهما إلى إسطنبول،
وإسماعيل بن إسبنديار متملك طرف من بلاد الروم إلى البحر الغربي، وسلطان
إبراهيم بن محمد بن قرمان صاحب قونية ولارندة وغيرها .

(١) يباشر في نهاية السطر السابع عشر وبداية الثامن عشر من نسخة د.

وملوك الغرب كثير، فالمشهور منهم السلطان عثمان بن أبي عبد الله بن أبي فارس بتونس، والسلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني بفاس، والسلطان أحمد بن أبي حمو بتلمسان.

المحرم

أوله الخميس.

في يوم الاثنين خامسه نزلت الممالك السلطانية الجلبان من أطباقيهم بالقلعة إلى بيت الوزير فرج بن النحال ونهبوا ما فيه، وكأنه كان قد حس بالأمر، فلم يمدوا إلا شيئاً يسيراً، فخرجوا من داره ونهبوا جماعة كبيرة من جيرانه، فأصر ذلك بحال المذكورين إلى الغاية، وكل ذلك لعجزه عن القيام بالكلف السلطانية.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرين ورد الخبر بموت الأمير آقبردي الساقى الظاهري نائب ملطية، واستقر عوضه في نيابة ملطية الأمير جانبك الحكمي نائب طرسوس، وكان وليها قبل ذلك، واستقر في نيابة طرسوس آقباي السيفي جار قتلوا أحد أمراء دمشق. وكان آقباي - أيضاً - ولي نيابة طرسوس قبل ذلك.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه وصل الناصري محمد بن جرباش المحمدي الأمير آخور الكبير المعروف بكرد أمير حاج [الركب] الأول بالركب الأول من الحاج، وأخلع عليه السلطان على العادة، وقدم من الغد أمير الحاج بالمحمل، وهو بردبك البجمقدار الظاهري جقمق أحد أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة، وأخلع عليه - أيضاً - ولم تحمد سيرة بردبك المذكور في الحاج، ولم يحج أحد في هذه السنة من المغاربة والتكرارة لما وقع بهم في العام الماضي من النهب والأسر من قطاع الطريق - حسبما ذكرناه في السنة الماضية في محله - وأيضاً لم يحج أحد من العراق في هذه // السنة ولا الماضية خوفاً من الأعرابي المسمى بالشعشاع. [٣٦٧]

وشعشاع هذا له أزيد من عشرين سنة يدعو للقيام معه، ويزعم أنه شريف، وأنه المهدي، واجتمع عليه خلائق كثيرة، وعجز عنه ملوك الشرق، وهو أنه متى قصدوه بالعساكر هرب في مراكب واختفى بالجزائر، وليس له دأب

إلا هذا مع قطع الطريق وإخافة السبيل، وقتل من ظفر به من أهل السنة، وهو شيخ كبير رافضي خبيث، بل كافر لا يقتدى بدين، وقيل: إنه مات، والقائم بهذا الأمر بعده، يأتي تحرير ذلك في أول سنة إحدى وستين وثمانمائة.

وكان أمير حاج دمشق في هذه السنة الأمير علان المؤيدي المعروف بجلق أحد مقدمي الألف بدمشق، وأمير حاج حلب الأمير يشبك: البجاسي الأشرفي إينال أحد مقدمي الألف بحلب.

صفر

أوله الجمعة.

في يوم الأربعاء ثالث عشره أخرج المماليك الجلبان بعظيم الدولة صاحب جمال الدين يوسف بن كاتب حكيم ناظر الجيش والخاص، وأخذوا عمامته من على رأسه حتى نجده مقدم المماليك مرجان ونائبه عنبر الطنبدي، فأخرقوا بالمذكورين - أيضاً - واشتغلوا بهم، فهرب ناظر الجيش المذكور.

وسبب هذا الأمر أن شخصاً من الدوايرية الصغار يسمى سنقر فرق شبك ضرب بعض إنياته الذين بالأطباق، فاجتمع عليه بقية إنياته عصبة للمضروب، وأرادوا قتله، فهرب منهم واشتكاهم إلى السلطان، فأحضر السلطان منهم جماعة وضربهم ضرباً مبرحاً، فنزلت أصحابهم من الأطباق ووقفوا عند باب القلعة، فصادف ذلك خروج ناظر الجيش - المذكور - من الخدمة، فأوقعوا به من غير سبب.

ثم أصبح في يوم الخميس رابع عشره هرب الوزير فرج بن النحال، ولم يعمل في ذلك اليوم أحد رواتب اللحم المقرر للمماليك السلطانية القرانيص - أعني غير الجلبان - وطلع غلام كل واحد أو عبده لأخذ راتب أستاذه من اللحم فلم يجد شيئاً، وبلغهم أن المماليك الذين بالأطباق حضروا وأخذوا رواتبهم^(١)، فعز ذلك على الغلمان والعبيد ونزلوا من فورهم من القلعة، وعاثوا بشوارع القاهرة، ونهبوا عدة حوانيت، حتى وصلوا إلى سوق أمير

(١) في «أ»: «الذين بالأطباق حضروا رواتبهم».

الجيوش بقرب باب الفتوح ، ولم يمنعهم مانع ، ثم عادوا بعد أن خطفوا عدة عمائم وشدود وغير ذلك ، فكان ذلك أقبح من // فعل المالك بكثير ، ولم [٣٦٨] نعهد بمثل هذه الحادثة في سائر الأعصار.

وطلع الوزير فرج من اختفائه في يوم الأحد سابع عشره ، وأخلع عليه كاملية سمور - خلعة الاستمرار على الوزر - بعد أن عمل له دائرة على جماعة من الأعيان حصل فيها جملة كبيرة ، وزاده السلطان من الذخيرة حتى صار له في كل يوم أربعين ألف درهم يأخذها من الذخيرة ، كل ذلك وهو يظهر العجز ، هذا مع ما للدولة من الإقطاعات والمكوس ، وأيضاً مع الظلم وقبح السيرة وعدم التجمل في أموره وحواشيه ، حتى إنه يسير في الوزر كسير أولاد الأقباط ، وما أظن ذلك كله إلا كذباً وبهتاناً^(١) .

وفي يوم الخميس حادي عشرينه أمر السلطان الأمير يونس العلائي - أحد مقدمي الألوف - أن يخرج إلى المنصورية بالجيزة ، لحفظ خيول السلطان والعساكر من عرب البحيرة الخارجة عن الطاعة ، فخرج من يومه إلى المنصورية ، وأقام بها ، وألزم السلطان - أيضاً - جماعة من الأمير آخورية بالتوجه إلى بر الجيزة والإقامة بها لهذا المعنى .

شهر ربيع الأول

أوله - الأحد ، ويوافقه ثالث عشر أمشير .

في أوائل هذا الشهر ارتفع سعر الغلال ، حتى أبيع القمح بمائتين وسبعين درهماً الإردب ، بعد أن كان بمائة وعشرين الإردب ، وعز وجوده بساحل مصر وبولاقي ، وأبيع الشعير والبقول بمائة وسبعين درهماً وما دونها ، وليس لهذه الزيادة في سعر المغل سبب ؛ فإن الزروع كثيرة والأراضي مغلقة بالزراع ، وهي في نتاج ، وقد قرب أوان الحصاد . غير أن البلاد الشامية ، وأيضاً جزائر الفرنج كان بها في السنة الماضية ، وأيضاً في هذه السنة بغلاء وقحط ، حتى شمل ذلك جميع البلاد الشامية من العريش إلى الفرات ، فحمل الناس من غلال مصر إلى

(١) في « أ » : « كذب وبهتان » .

الجهات المذكورة شيئاً كثيراً في البر والبحر بسبب التجارة ، وأمعنوا في ذلك ، حتى إنهم حملوا من مغل ديار مصر إلى هذه البلاد مئين ألوف من الأراذب ، فضر ذلك بحال الناس ، فهذا هو كبير الأسباب ، وأيضاً تداول الهواء^(١) المريسي^(٢) في هذه السنة .

أخبرني من أثق بقوله أنه حدثه شخص من رؤساء المراكب يبحر النيل ، ويسمى محمد الصلف وسنه نيف على ثمانين سنة : أن له في رياضة البحر فوق [٣٦٩] ستين سنة // وما رأى الريح المريسي تداول هبوه أكثر من ستين يوماً غير في هذه السنة . فلهذا قل الواصل من المراكب بساحل مصر ويولاقي .

وفي يوم الأحد ثامنه عمل السلطان المولد النبوي بالحوش من قلعة الجبل على العادة .

(و) فيه أمطرت القاهرة وغالب قراها كالمنطق المعتاد في كل سنة ، وسر الناس بذلك ، فلما كان من الغد ورد الخبر بأنها أمطرت حصي على عدة بلاد من القليوبية من ضواحي القاهرة ، زنة الواحدة خمسون درهماً بالمصري وما دونها ، فأهلكت زروعهم عن آخره ، وكان ذلك ببلاد يسيرة مثل نوي وسنديون ونامل وغيرها . وأما باقي بلاد القليوبية وغيرها فإنهم انتفعوا بالمطر كما هي العادة .

وبلغني - أيضاً - أن هذا المطر الحصي ، وهي البرد الذي أمطر على الناس المقدم ذكره قتل جماعة من الناس بالقرى المذكورة ، لكنني لم أثق بقول القائل ولا استبعد ذلك .

وفي يوم الأربعاء حادي عشره غيب الوزير فرج بن النحال ، وأصبح من الغد في يوم الخميس طلع العبيد موالي أرباب الرواتب لأخذ اللحم ، فلم يجدوا الوزير ذبح شيئاً ولا طلع في اليوم المذكور رطلاً من اللحم لجميع المماليك الجلبان والقرانيص ، فنزلوا العبيد والغلمان إلى شوارع القاهرة وفعلوا بها

(١) في «أ» : المرى .

(٢) الريح أو الهواء المريسي نسبة إلى « مريس » ، أدنى بلاد النوبة مما يلي أسوان . راجع ابن منظور . لسان العرب ص ٤١٨٠ .

أضعاف ما فعلوه في تلك المرة، وأخذوا عمائم الناس من على رؤوسهم
وشدودهم من على أكتافهم، وأفحشوا غاية الإفحاش.

وأصبحوا يوم الجمعة الحال بالحال، لم يطلع إلى القلعة من رواتب اللحم
شيء^(١)، ولم تأكل الممالك فيه إلا فول حار، فاستغاثت الممالك وأرادوا الوثوب
والنزول مع العبيد، فمنعهم بغلاق باب القلعة، ونزلت العبيد على عاداتهم وعاثوا
بالشوارع حتى وصلوا إلى باب اللوق، فقاموا عليهم أهل باب اللوق وقتلهم
حتى هزمهم أقبح هزيمة وضربهم وعروهم، فعادوا على أقبح وجه.

ثم ظهر الوزير فرج في آخر يوم الجمعة المذكورة، وطلع إلى القلعة يوم
السبت رابع عشره، فخلع عليه السلطان كاملية بسمور - خلعة الاستمرار في
الوزر - بعد أن أضاف السلطان إليه جميع المساميح التي^(٢) للأمراء وغيرهم الذين^(٣)
كان لهم المكوس والمذابح والإقطاعات، ومتحصل // ذلك شيء كثير، حتى [٣٧٠]
صار بهذا الذي أضيف إليه يحمل إليه في اليوم خمسة وسبعون ألف درهم
تفصيلها: من الذخيرة أربعون ألف درهم، الذي كان يأخذها قبل ذلك، ومن
هذا الوجه الذي ذكرناه من المساميح خمسة وثلاثون ألف درهم، هذا غير
إقطاعات الدولة وحماياتها والهوائيات من الموارث والمكوس وغير ذلك، وهو مع
هذا كله يتشكى ويقول: أحمل في كل يوم ثمانية عشر ألف رطل لحم غير الصرر
والكلف السلطانية من الأسطة والإسطبلات السلطانية وغير ذلك. وهو يكذب
في شكواه ودعواه، غير أنه كما قاله الله عز وجل: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾
(٥٤: الزخرف).

ثم إن السلطان لما أضاف له ذلك هده إن هرب أو عجز بعد ذلك
بالتوسيط. قلت: اللهم ثبت مولانا السلطان على قوله، فإن فرج المذكور يعجز
عن قريب ويطلب الزيادة، فإنه بورك له في الشكوى، وتكون القاصبة عليه إن
شاء الله تعالى.

(١) في أ. : شيء .

(٢) في أ. : الذي .

(٣) في أ. : الذي كان لهم .

وفي يوم الخميس تاسع عشره أخلع السلطان على شادبك دوادار الأمير جلبان نائب الشام - كان - باستقراره في دوادارية السلطان بدمشق، عوضاً عن خشكلدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز، بحكم انتقال خشكلدي إلى دوادارية السلطان بحلب، بعد موت محمد والي الحجر قبل مباشرته دوادارية حلب، وشادبك هذا هو الذي صودر بعد موت أستاذة وأخذوا منه جملاً كثيرة، فلما عرف شادبك المذكور أن القوم تحققوا كثرة ماله، علم أنه لا بد له من وزن المال في كل قليل بمندوحة سعى في الدوادارية وبذل فيها حتى وليها، واستراح من الطمعة فيه وفي ماله - انتهى .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه أخلع السلطان علي فخر الدين المعروف بابن السكر والليمون، المعزول عن نظر ديوان المفرد قبل تاريخه باستقراره ناظر الدولة، وكانت وظيفة نظر الدولة شاغر (ة) من مدة أشهر.

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين .

فيه رخص سعر سائر الغلال حتى أبيع القمح بمائتي درهم الإردب وما دونها، وأبيع الفول والشعير بمائة وخمسين درهما الإردب وما دونها، ولله الحمد.

[٣٧١] وفي العشر الأول من // هذا الشهر عين السلطان جماعة من الأمراء وصحبته جماعة كبيرة من المماليك السلطانية للسفر إلى الجون في البحر بسبب مجيئه الأخشاب، وغزو الفرنج إن صدقهم في طريقهم.

وفي أوائل هذا الشهر أخذ السلطان الربيعين والخوانيت التي^(١) بسوق الدجاجين^(٢) بالقاهرة من عند حمام البيسري^(٣) إلى تجاه جامع الوزير أبي عبد

(١) في « أ » : « الذي » .

(٢) سوق الدجاجين : كانت سوقاً لبيع مختلف الطيور في شارع الأمشاطية بالقرب من الجامع الأحمر .

راجع المقرئزي . الخطط ج ٢ ص ٩٦ ، علي مبارك . الخطط ج ٢ ص ٨٨ .

(٣) نسبة إلى الأمير « يسري الصالحي النجمي » (ت ٦٩٨ هـ) ، وكانت تقع أول شارع السمك .

راجع علي مبارك . الخطط ج ٦ ص ٦٩ .

الله بن البطائح الملقب بالمأمون، وزير الأمر بأحكام الله العبيدي، المعروف بجامع الأقرم^(١)، الذي على يسرة الخارج من القاهرة إلى باب الفتوح، استبدل السلطان جميع هذه الحوانيت والربيعين بمبلغ معين، وأذن له بعض القضاة أن يصرف المبلغ المذكور في عمارة ربع ما سيكون من العمارة التي ينشئها مكان الربيعين والحوانيت المذكورة.

وحاصل الأمر أن السلطان اشترى هذه الأماكن المذكورة على أن يهدمها ويعمرها لنفسه ثانياً، ويكون لأربابها قديماً الربع في البناء الجديد، ووجد تاريخ بناء هذه الحوانيت والأرباع التي هدمت من سنة سبع وعشرين وستمئة، أعني في سلطنة الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، ووقع الهدم في هذه الأماكن المذكورة في أوائل هذا الشهر.

وفي يوم الأربعاء رابع عشره عرض السلطان جماعة من المماليك السلطانية، وعين منهم ثمانين نفرأ إلى الجهاد - أعني مضافاً لمن عين من الأمراء قبل تاريخه لسفر الجون - ووعد أنه يكملهم ثلاثمائة مملوك في عرض آخر.

ثم في يوم الأحد ثامن عشره عرض السلطان - أيضاً - المماليك السلطانية، وعين منهم جماعة أخرى مضافاً لمن تقدم ذكره. وفيه عين جماعة من أمراء العشرات مع هؤلاء المذكورين أيضاً.

جمادى الأولى

أوله الأربعاء.

في يوم الخميس ثانيه أبطل السلطان العرض، وسفر الأمراء والمماليك المعينة قبل تاريخه لسفر الجون، وسببه أن المماليك والأمراء تكلّموا بأن هذا السفر ليس هو بسبب الجهاد، وإنما هو لمصالح صاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص لإحضار الأخشاب من الجون. واحتجوا - أيضاً - بأن المراتب المعينة للسفر قديمة قد عتقت، ويخاف الركوب فيها من الغرق. وكثر الكلام في

(١) هذه النسبة إلى الوزير خطأ، إذ البناء تنفيذاً لأمر الخليفة الفاطمي « الأمر بأحكام الله ». راجع المقرئزي. الخطوط ج ٢ ص ٢٩٠ - ٢٩٣، علي مبارك. الخطوط ج ٢ ص ٨٦.

ذلك وأشباهه ، فحسم السلطان المادة وأبطل السلطان الجهاد بالكلية ، فكان هذا
[٣٧٢] أعظم // وهن^(١) وقع في الدولة من إشاعة الغزو ثم إبطاله .

وفي يوم الجمعة عاشره - الموافق لحادي عشرين برمودة ، أحد شهور القبط -
لبس السلطان القماش الأبيض البعلبكي المعد لأيام الصيف على العادة في كل
سنة .

وفي يوم الاثنين ثالث عشره نودي بأمر السلطان أن لا يتوجه أحد من
الممالك السلطانية في يوم السبت والثلاثاء إلى تفرقة العليق السلطاني ، ومن
كانت نوبته في أخذ العليق يرسل غلامه لأخذ راتبه ، وكانوا قبل ذلك يتوجهون
إلى بولاق إلى جهة الشون السلطانية من الليل ، ويحصل بتوجههم بعض فساد
منهم ومن غلمانهم في حق الناس والبيعة .

وفي يوم السبت وصل إلى القاهرة المحروسة الخواجا جمال الدين
عبدالله بن القابوني ، قاصد السلطان محمد بن مراد بك بن عثمان متملك بلاد
الروم بعدما احتفل أهل الدولة لملاقاته ، ونزل بدار الأمير قراجا الظاهري ،
بالقرب من الجامع الأزهر .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه طلع القاصد المذكور إلى القلعة وتمثل بين
يدي السلطان ، وقبل الأرض ، وأوصل إلى السلطان كتاب مرسله وهديته ،
وكانت الهدية تشتمل على ثلاثين مملوكاً أو نحوها ، وعدة كبيرة من الفراء
والسمور والوشق والحريز والصوف على رءوس الحماليين من كل صنف تسعة^(٢)
من الحماليين على قاعدة ملوك الشرق ، فإن العادة عندهم العدة تسعة تسعة .

ونص كتاب ابن عثمان المذكور :

«بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، واشترى من المؤمنين أنفسهم

(١) في د أ : : وهنا .

(٢) في د أ : : تسع .

وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون (ويقتلون)، والصلاة على من
سن في سنائن الشرائع بسنته سنناً سنياً ، ورفع بيت الإسلام بدعائم الفطرة
الخمس مكاناً علياً ، والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ، وعلى
أصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم صراطاً سوياً ، صلاة منتظمة
بغرر درر الدوام في قلائد مغاور الليالي والأيام ، ما طلع نجم في الخضراء ،
ونجم طلع في الغبراء ، زين الله سماء الجلال بكواكب مواكب إقبال ، المعيني
المغيثي ، المثاغري ، المجاهدي ، // فلكي اللهم ، ملكي الشيم ، سيف الله [٣٧٣]
القاطع بزمان الله القاطع ، شعر :

يا من يراه ملوك الأرض فوقهم كما يرون على أبراجها الشهباء
وكاد يحكيه صوب الغيث منسكباً لو كان طلق المحيا يطر الذهباء
واندهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصل والبحر ولو عذبا
[البسيط]

انضحت بطبعه رقائق النعمان ، وافترضت بأزمان لطفه شقائق
النعمان .

كالبدور من حيث التفت رأيت يهدي إلي عينيك نوراً ثاقباً
كالبحر^(١) يقذف للقريب جواهرأ جوداً ويبعث للبعيد سحائبأ
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشي البلاد مشارقأ ومغاربأ
[الكامل]

ناشراً ألوية ولاية الإسلام ، محيي عظام الملوك العظام ، باسط بساط
جناح النجاح بأمن في الأمان ، المتلى بمصدق^(٢) : ﴿إن الله يأمر بالعدل
والإحسان﴾ ، قاص قصر القياصرة ، كاسر جماجم الأكاسرة ، إمام الثقلين ،
سلطان الحرمين ، قهرمان الماء والطين ، ظل الله تعالى في الأرضين ، جعل الله
خيام مجده المؤيد مضروبة على سمك السماك ، وأعلام عزه الأمل منضوبة فوق
الأفلاك ، ما دارت مدارات^(٣) القباب الدوارة ، وسارت ثواقب الكواكب

(١) ساقط من الأصل .

(٢) في «أ» : «بمنطاء» .

(٣) في «أ» : «مدارات» .

السيارة ، وأشرق شوارق مطالبه بازغة^(١) مسفرة ، وأسفر مسافر مآربه
ضاحكة مستبشرة ، ما مسك جرم^(٢) : القرطاس بغالية الأقلام ، وطرز رداء نهاره
بطراز الظلام ، ولا زال مصر الإقبال ، محرمة الرياض ، بنيل شامل أفضاله ،
وصل نية الآمال ، مترعة الحياض ، بنيل وإبل نواله ، ما تغازل نسيم الأسحار
مع أغصان الأشجار ، وركن السعادة ركيناً بأركان دولته ، ومتن السيادة متيناً
بأعوان شوكته ، ما لمع آل وملع زال .

بعد إيصال تحف غيمات تقررها مصاقع الأنفس القدسية ، وتصيح لها
الارواح العلوية ، ويتهلل بها وجه الابتهاج . وينترح صدر السرور ، وتلألاً
خلال الولاء كأنها : «شعر» :

تحية بشموم الود فائحة كأن أذياها حمالة العطر

[البسيط]

وغب إرسال هدايا تسليمات تقصر عدد العدد عن إحصائها ، ويضيق
نطاق الطاقة عن استقصائها ، وتصيح أطيب من حديقة ضاحكة الخزامى
والبهار ، مفتوقة الأكمام والأزهار ، بنسيم مهبها من جنات تجري من تحتها
الأنهار «شعر» :

[٣٧٤] / / سلام ارتدى برداء شوق يحاكي عرفه نفثات مسك

[الوافر]

وأثر دعوات خالصة أفرغت في قالب الإخلاص ، والبست من الصدق
حلة الاختصاص ، مرشحة بمحيا الفلج ، موشحة برياء الفرج ، ترمي ظلام
الخطب بالضياء ، بمصداق نعم السلاح الدعاء ، ينهي إلى المقام الشريف
والموقف المنيف ، أنه إن استكشف المولى الكريم بلطفه العليم ، لا زال موفقاً
بمناه فوق ما يتمناه ، عن أحوال عبة المخلص ، ووجه المتخصص ، وعن أوضاع
المجاهدين لارتفاع راية الدين ، واتساع ساحة اليقين ، فإننا من إبان أمرنا
وريعان ريعان عمرنا ، نحفد بالأحفاد الجياد ، على الصافنات الجياد ، إلى إراء

(١) في د أ : « بازغة » .

(٢) في د أ : « جرم » .

زناد الجهاد ، على ديان^(١) من آبائنا الكرام ، وشناشن^(٢) أسلافنا العظام ،
رغبة فيما نطق به الكتاب الحكيم والقرآن الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في
سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (١٠ - ١١ :
الصف) ، وفيما حرض النبي - صلوات الله عليه وسلامه - حين قيل : يا رسول
الله ، أي الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله » .
وقال - عليه الصلاة والسلام : « مثل المجاهد في سبيل الله - وهو أعلم بمن
يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم ، وتكفل الله تعالى للمجاهد بأن يتوفاه أو
يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة » .

ومن الأحوال الواقعة في حولنا هذا وما قبلها أن تمتلك مملكة لان
المسمى بتوركي ما فتىء تصالح معنا وتبصص لنا ، ويظهر الصداقة ، ويؤكد مع
شيطانه العلاقة ، ويجهز أبطال مكرهم بكيد الإنفاق ، وينبذ العروة الوثقى ،
ويستمسك بسلسلة النفاق ، بل بجل صناعته ، وكل بضاعته ، أراه أضعف أعدائنا
فرياً وأجبن أضدادنا جرياً ، فلما عايناه سداً يسد منهج السداد ، وشد الحجر صوب
صواب الجهاد ، على بني الأصفر ، عليهم الموت الأحمر ، فأنسناه // أنتن من ريع [٣٧٥]
الجورب ، وأضل من تراب في مهنب ، وأذنا أنه لا تقبل الحمر لأدب ، ولا يثمر
الشوك العنب ، لا جرم نبذناه ، مراعيأ مصالح دين الله الذي من توكل عليه
كفاه ، ومن وثق به أغناه ، وعزمنا على الانطلاق ، وعقدنا للرحيل جبل النطاق ،
وتوجهنا تلقاء مدائنهم لتصطاد ليوثنا في عرائنهم ، ونزلنا دارهم ، وسرنا على
قربهم بيؤس عظيم وهوش يريم ، كرياح مشتدة الهبوب ، ونيران مشطته
الأهوب ، يشرح السنة ألسنتهم في جدالة المجادلة مثوى الطحون ، وتفتح أيدي
سيوفهم من عيون الدروع دماء كالعيون ، تفرقوا ثلاث فرق راكبين طبقاً على
طبق ، هربت فرقة من بينهم إلى أقصى بلاد إبليسهم ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت

(١) في «أ» : «دياد» .

(٢) في «أ» : «وشاشن» .

من قسورة، ورضيت فرقة بأن يعطوا الجزية، وتشبثت فرقة بأذيال شاذات بقاع لا يلين لواحد عريكتها، وتحصنت بقلل راسخات، قلاع لا تنقاد لقاصد قرونتها، ومن جملتها القلعة المسماة بنوبردي، التي هي أحسن القلاع وأصعب البقاع، فهجمنا عليها كقطع الليل ودفع السيل، وأمطرنا عليهم حجارة وأخذناهم بغتة بالنهب والإغارة، ففتحناها في ثلاثة أيام، ونصبنا عليها أعلام الإسلام «شعر»:

قد جاء نصر الله والفتح الذي تزهى بكتبة وصفه الأعلام
بأجل أحوال وأيمن مقدم وأنتم إقبال يليه دوام
[الكامل]

وارتحلنا منها إلى القلعة المسماة بترجة، ذات سور زلت على موازاتها أجنحة النور، علت بينان مرصوص على فنن الأخشب، حتى عرجت عن عروج بروجها عوارم السحاب، التي لم يسكنها غير كافر، ولم يطأها للإسلام خف ولا حافر، ونزلنا بساحتهم وقت الصباح، «فساء صباح المذرين»، وفتحناها قبل طلوع الشمس بعناية رب العالمين، وجعلنا عاليها سافلها ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ :

تجري الجياد من القتلى على جبل [و] من دمانهم يدحضن في وحل
ومن جاجهم يصعدن في نشز [و] من ذوائبهم يقمصن في شكل
[البسيط]

[٣٧٦] أحرز المجاهدون في سبيل الله المتعال نفائس الخزائن، وكرائم الأموال، //
يسبون الأساري أفواجا، ويتموجون بذخائر أموالهم امواجاً، يخربون بيوتهم
وضياعهم^(١)، ويكسرون أعلامهم وأصنامهم، بحيث لم يبق عام ولا شام،
ولم نترك أنيس ولا سام.

ومن القلاع التي فتحناها قلعة أمول، وسفر بجه حصار، وببهور،
وبزردين، استقبل بعض أهاليها بمفاتيح صاحبها، وبعضهم أحرقوا أوطانهم
بأيديهم وتفرقوا.

(١) في (١) : «وضيعهم» .

وبالجملة ما بقي من الفرقة الثالثة أحد قطعا إلا دخل تحت حكمنا كرها وطوعاً، ﴿فقطّع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين﴾ (٥٤: الأنعام).

فلما نشر الله علينا - يمين همتك العلية - أعلام الحسنة ، وأقر عيون آمالنا بأنوار المكرمات ، خطر في خاطرنا تذييل حلة فرض الجهاد بسنة الختان ، الذي قرره نبينا على سنة خليل الرحمن - عليهما السلام - من دار^(١) السلام ، والرحمة والرضوان ، للبدرين الأزهرين في درجة الوفاء ، والدورتين الأنورين في برج الصفاء ، بايزيد ومصطفى - متع الله المسلمين بطول بقائهما - فأردنا تحلية مسامعكم الكريمة بدرر بشارة الغزوة الكبرى ، وتحليلة صفاء صبح منيرة الوليمة بشموس همتكم العليا ، فبعث لهذا المرام العظيم ، رسول كريم صدر المحافل ، بدر الأفاضل ، المعروف بالأمانة ، المحفوف بالديانة ، المخصوص بعناية رب العالمين ، الأمير جمال الدين القابوني ، ضاعف الله أجره ويسر أمره . هدية يسرة من الأساري والغلمان ، والأقمشة وغيرها ، ذكرها في تفصيلها ، والمرجو من أكرم الكرام ، حسن القبول والاهتمام ، والدعاء معاد والله الموفق للرشاد .

محورا في ثاني ذي الحجة سنة تسع وخمسين وثمانمائة .

انتهى كتاب ابن عثمان بنصه ، وأظن منشئه غير كاتبه ، لأنه ارتج عليه في كثير من السجع ، فكتبه غير محور ، فتعب وأتعب .

جواب كتاب ابن عثمان - المذكور - من إنشاء القاضي معين الدين عبد اللطيف بن العجمي نائب كاتب السر الشريف بالديار المصرية .
قال بعد البسملة :

«... أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالي الكبير العالِم العادل المؤيدي العوني الغياثي الممهدي المشيدي الظهيري الناصري عز الإسلام والمسلمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، ملجأ الفقراء والمساكين ، زعيم // [٣٧٧] جيوش الموحدين ، مهده الدول ومشيد الممالك ، عون الأمة ، غياث الملة ، ظهير

(١) في ١ : « آدار » .

الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين، ولازالت بشائر غزواته المبرورة تسري إلينا وتسر بأطيب الخير، وعزماته المؤيدة (مقرونة من فضل الله بالنصر والظفر، وفتوحاته بحمد الله قد زادت الإسلام قوة وتمكيناً، ولسان الحال يتلو عليه : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [١ : الفتح] .

فتوحاته مشهودة بملائك له كم بنصر الله فيهما مشاهد

[الطويل]

ولا برحت سيوف جهاده راکعة في محاريب الأضلع بنصره ، وأقلام النعم ساجدة في صدور الطروس لأمره، وعساكره المؤيدة قائمة بفرض الجهاد تحت لوائه، على السنن القويم، تالية: ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ [٢٦ : آل عمران]، ولا فتت أعداء الدين لأسود أسنة رماحه فرانس، ومعابد^(١) الشرك بفتكات سيوفه لابسـة شعار الإسلام، فتصبح البيع مساجد ، والصوامع مآذن، والكنائس مدارس، فإنه بحمد الله قد طهر ديار الإسلام من الأدناس، وتلا قوله تعالى : ﴿ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ﴾ (٣٨ : يوسف)، شعر:

له عزمات في الجهاد صوادع عداها ومن فوق النجوم صواعد

[الطويل]

أصدرنا هذه المفاوضة إلى المقر الكريم، وشاهد مودتنا قد وضع رسم شهادته وكتب، وأثبت مقدمات إخلاصنا، فحكم له قاضي المحبة بالموجب، يصف ما نحن منظون عليه من الابتهاج بما جده الله لكم لمن أنبأ إنباء السار، وتعدد هذه الفتوحات الذي صار الشفق مخلقاً بخبره السار، وتهدي إليه سلاماً يعطر الأكوان نشره، ويسفر في وجوه المحامد بشره، وتكمل صلات المودة بتحياته، ويعترف له المسك بالعبودية، إذا كاتبه في النسيم برسالة من نفحاته، وتبدي لعلمه الكريم ورود مكاتبته التي ملأت الدنيا عرفاً أرجأ، والعيون منظراً بهجاً على يد المجلس السامي الأميري الكبير المؤيدي المؤتمني المقربي الجمالي

(١) كتبت في «١»: «ومعا بعده»، هكذا وقد توهم الناسخ وجود سقط، فيضـر له.

يوسف القابوني الناصري، أحسن الله وفادته، ويسر بخبر إلى مقركم الكريم إعادته، فشمنا من ظاهرها نشر ولانها العاطر، ولاح لنا من عنوانها وجه معناها الذي هو عن صدق المحبة سافر، وتحققنا أنها بحر وفاء لما أطلعنا على ألفاظها الجواهر، وشاهدنا منها الجنة التي أزلت، والرياض // التي زينت [٣٧٨] بالأزهار وزخرفت، والفضائل التي فرقت فضائلها على المحاسن التي تألفت، فسرحنا النظر في زهر الخمائل من تلك السطور، وشرحنا الخواطر فيما حوته من بديع الترصيع، والتوشيح الذي أزري بالدر في المنظوم والمنثور، وأمعنا التأمل في ذلك الأفق، فإذا الشهب وأضواؤها، والسحب وأنوارها، والبروق وقد خفق على رؤوس ملوك الكلام لواؤها، وقالت فصاحتها وتلك البلاغة التي جاءت بسحر البيان: هل يفتى لنا بصدق المحبة؟ فقال لهما القلب: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان، ووجدنا ما أشرتم إليه من تجريد عزمانكم المؤيدة لغزو أعداء الله برأ وبحراً، ونثر ما اجتمع من شملهم قتلاً وأسرأ، فزلزلتم - بعون الله - أقدامهم، وأزلتم إقدامهم، وقدحتم عليهم من بيض صفاحكم، وسمر رماحكم ناراً، وتلا لسان نصركم: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ (٢٦): (نوح)، وسلكتكم في ذلك سنن أسلافكم الكرام المجاهدين، الذين أصبحوا في درج المتقين مرتقين، سقى الله عهدهم صوب الرحمة والرضوان، وأسكنهم أعلى غرف الجنان، فقد فاز المقر الكريم وجيوشه الموحدون بقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ (٢٠: التوبة)، وبما يحصل به غاية السعادة يوم العرض، بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».

وانتهينا إلى ما أشار إليه من أن اللعين متملك لان سولت له نفسه وشيطانه سلوك سبيل الغدر، فخاب به مكره، وخربت أوطانه، وأنه كان يظهر لكم الصداقة ويبطن مع اعداء الدين الاتفاق، وتمسك بسلسلة النفاق، وأن المقر الكريم توجه تلقاء مدائنهم بعزم لا يفتر عن المسير، وجيش أقسم النصر أن لا يفارقه، وأنه يصير معه حيث يصير، وصار بين عساكره - أعز الله أنصاره -

كالبدر بين النجوم، والملائكة لكرام تحمي^(١) جيوشه المؤيدة بإذن الله، والنصر [٣٧٩] عليها يحوم، وتلا: ﴿ربنا // أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ (٢٥٠: البقرة)، وأخذل عدونا فقد بايعناك على المضاربة، والله مع الصابرين، وابتهل إلى الله في طلب التأيد، وتضرع إليه في ذلك الموقف الذي ما رآه إلا من هو في الأخرى شهيد وفي الدنيا سعيد، هذا والسيوف قد فارقت الأغمد، والاسنة أقسمت أنها لا تخطر إلا في فؤاد، فلا ترى إلا بحراً من حديد، ولا تشاهد إلا لمع أسنة أو بروق سيوف تصيب الصيد، وهو - أدام الله تأييده - قد أرهف ظباه ليسعربها في قلوب العدى جراً وإلا إنه لا يورد سيوفه في نحور المشركين بيضاً إلا ويصدرها حمراً، فضربت عليهم الذلة، وصار بحمد الله جمعهم جمع قلة، وأصبح من كان يحميهم يتحاماهم، وقيل لسيوفه الناصرية: دونك وإياهم. وأقامت عساكره تقتل فيهم وتأسر، وتكشف عنهم ستر النجاة وتحسر، وتفتك وتنهب، وتذهب في استرقاقهم كل مذهب، إلى أن نصر الله دينه، وأذل الشرك وشياطينه، فممنهم من محصن بتلك الجبال، وولى الأدبار، ومنهم من هال عليه الأمر فعاجل بالفرار، ومنهم من قيل فيه:

شرى نفسه منه وقر وجزية عليه، بها قد عاد وهو معاهد
[الطويل]

ثم لما أمكنته من قلاع المشركين الفرصة، أخذها بعون الله بالعزيمة دون الرخصة، وسار عليها بجيوشه الموحدة كالسيل إذا طما، والسحاب إذا همي، والليل ونجومه، والليث وهجومه، فتسلمتها سيوفه التي هي لما استعصى من الحصون مفاتيح، ولما استسلم إليها أقفال، ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال﴾ (٢٥: الأحزاب).

وأما ما عزمت عليه من ختان النجلين الكريمين الأصليين العريقين،

(١) في د. أ. : : : تحمي .

فرعى الأصول الملوكية، طرازي العصابة الإسلامية، أقر الله بهما العيون، وبلغ
 فيها أجل الظنون، اتباعاً للسنّة ورغبة في الأجور الحسان، وعملاً بقوله ﷺ :
 «الفطرة خمس»، وبدأ بالختان، فقد علمنا ذلك وقابلنا ما أشرتم إليه من البشارة
 بالشكر لله الذي أيدكم ونصركم، وملككم رقاب المشركين وظفركم، ﴿وجعل
 كلمة // الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا﴾ (٤٠ : التوبة) ، ويجوم [٣٨٠]
 الضلال آفة ، ومواطن الكفر بالإسلام أهلة ، وأصوات جيوشكم بالتكبير
 والتهليل بها عالية ، فالحمد لله ثم الحمد لله الذي منحكم بهذا النصر الجديد ،
 والفتح الذي هو في كل وقت للأعداء مبيد ، والغزوات التي صارت في جيد
 الدهر كالعقد النظيم ، فقد أيدتم هذا الدين المحمدي بعزمات لا تفتّر طرفه
 عين ولا سنة ، وفزتم بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : « مقام الرجل في
 الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة رجل ستين سنة »

وقد أنشد شاعر حضرتنا مهناً لمفركم الكريم ، ومادحاً لما منحتكم به من
 هذا الفتح العظيم :

| | |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| هنيئاً بما خولت من عاجل النصر | هي النعمة العظمى تجل عن الحصر |
| فيا ملك الإسلام بشراك هذه | فتوح توات مثل منتظم الدر |
| فقد جاءك النصر العزيز كما تشا | وأصبح من عاداك في قبضة الأسر |
| ولو أنهم كالبحر حالة مدة | لقابلتهم من حد سيفك بالجزر |
| وكل الورى يدعو ويسأل ربه | لك النصر والتأييد والبسط في العمر |
| فلازلت يا نجل الملوك مؤيداً | سعيداً شهيداً رأيته دائم النصر |

[الطويل]

وأما أنواع الهدية التي انحف بإرسالها فقد وصلت، وشكرنا عجة مهديها،
 وأثنينا على حسن مولاته التي لم يزل يديها، وقد أعدنا المجلس السامي الجمالي
 قاصدكم المشار إليه، بعد ان عاملناه بمزيد الإكرام، ووافر الإحسان والإنعام،
 وجهزنا صحبته المجلس السامي الأميري الكبير الأعرى الأخصى الأكمل
 المقربي السيفي قاني باي المهندار الأشرفي - ادام الله سعاده، وكتب سلامته -
 ليشافه عنا المقر الكريم بالتهنئة بختان النجلين السعدين والبدرين النيرين،

أطلعهما الله نبات الكمال، وبلغهما غاية الجمال، وجعله ختانا مباركا موصولاً
بسرور الأبد، وغمو العدد، وتوالى الخيرات، وتضاعف المسرات، وتواصل
[٣٨١] السعادات، وشد بهما عضد الإسلام والمسلمين، // وجعلهما من عباده
الصالحين.

وقد جهزنا هذا الجواب الشريف على يد الأمير قاني باي المهندار صحبته
هدية تؤكد أسباب الوداد، وتوثق عمد^(١) الاتحاد، وحملناه وهي من السلام ما
يتبسم ثغر الزهر عند أدائه، ويسفر وجه البشر عند إيدائه، والله تعالى يؤيده
بملائكته وجنده، وينصره، وما النصر إلا من عنده.

ثم الجواب، وتسلمه قاني باي اليوسفي المهندار المذكور أعلاه ليتوجه به
رسولاً إلى ابن عثمان المذكور، وتهياً للسفر، وقبل خروجه بيوم أو يومين ورد
الخبر من الإسكندرية بموت السلطان محمد المذكور وقاصد ابن عثمان جمال
الدين القابوني - أيضاً - بديار مصر، وقد نجز أمره وتهياً للخروج من مصر، فلما
وصل هذا الخبر أبطل السلطان سفر قاني باي المهندار وجمال الدين القابوني إلى
أن يتحقق من أمر ابن عثمان حسبما يأتي ذكر ذلك في محله من هذا الكتاب إن
شاء الله تعالى.

وفي هذا الشهر طلع في السماء نجم ذو^(٢) ذؤابة شمالي المشرق بمقدار علو
الشمس في الساعة الثالثة من النهار، وكان طلوعه في الثلث الأخير من الليل،
وأقام على ذلك إلى العشر الأوسط من شهر رجب، انتقل وصار يطلع بعد
المغرب من شمالي المغرب بمقدار علو الشمس فيما بين العصر والمغرب، ثم
يغرب بعد العشاء بساعة، واستمر على ذلك إلى ما سيأتي ذكره.

وكثر الكلام في طلوع هذا النجم، واختلفوا في أمره على أقوال كثيرة،
وقد سألت عنه بعض أهل التقويم فقالوا: ليس هذا نجم معروف، وإنما هو
منعقد من شعاع الشمس في فلك النهار.

وكتب إلي - أيضاً - بعض علماء هذا الفن ما صورته:

(١) في ١٤: عمر.

(٢) في ١٤: دات.

إبتداء ظهور الكوكب ذو^(١) الذؤابة كان عند طلوعه في أواخر برج الشور في العشر الآخر من شهر جمادي الآخر سنة ستين وثمانائة، ثم انتقل إلى برج الجوزاء فأقام بها أياماً قليلة، ثم اختفى من جهة المشرق وظهر بجهة المغرب في برج السرطان، وهو عن قليل ينتقل إلى الأسد، ونسأل الله تعالى أن يكفيننا شره - انتهى .

قلت : وكان صورة هذا الكوكب أنه كهيئة النجوم وله ذنب طويل إلى فوق طول رمح وأكثر، وليس // الذنب رقيقاً^(٢)، وإنما هو صفة جريان الصارخ [٣٨٢] من النقط عند إفلاته إلى جهة السماء على هيئته وعرضه، وفي الذنب ميلا إلى جهة الشمال، في أول طلوعه من الشرق، ثم لما طلع من شمالي المغرب صارت ميلته إلى جهة المغرب، وكان له ضوء ونور بحيث يراه من قصد رؤيته ومن لم يقصده .

جمادي الآخر

أوله الخميس .

في يوم السبت ثالثه أضاف السلطان قاصد ابن عثمان بقلعة الجبل في حضرته . وفي ليلة الاثنين خامسه ركب الأمير يونس الدوادار من بيته تجاه الكبش إلى قاعة ابن قطينة المطللة على بحر النيل بببلاق، والقاعة المذكورة على ملك أم زوجته خوند زينب بنت ابن خصبك زوجة السلطان الملك الأشرف إينال، وتوجه يونس إلى القاعة المذكورة للترهه بها من مرض غمادي به، وتردد إليه بها أعيان المملكة من المقام الشهابي أحمد ولد السلطان إلى من دونه .

وفي ليلة الخميس ثامنه سافر الأمير جانبك الظاهري أحد أمراء الطبلخانات والمتكلم علي بندر جدة إليها على عادته كل سنة .

وفي يوم الخميس خامس عشره تعوقت فيه جوامك الممالك السلطانية، ولم ينفق لأحد منهم شيء، فعند طلوع الأستاذار زين الدين بحى إلى القلعة

(١) نفسه .

(٢) في : أ : : رقيق .

تشغبت عليه الممالك السلطانية، فقاتهم، فلما دخل إلى السلطان عرفه بذلك، وأظهر العجز عن حمل الجايكية، فاستشاط السلطان غيظاً، وأمر به في الحال فضرب نحو العشرين عصاة، فلما أقيم أمره السلطان أن يستمر على وظيفته، فلم^(١) يبش لذلك، فأمر به السلطان ثانياً فحط إلى الأرض، لكنه لم يضرب شيئاً، وجعل في عنقه جنزير وحبس بالقلعة عند الأمير فيروز الخازندار، وكل ذلك كان بقاعة الدهيشة.

وفي الحال رسم السلطان للوزير زين الدين فرج بن النحال باستقراره استاداراً عوضاً عن زين الدين المذكور، ولعلاء الدين علي بن الأهناسي المعزول قبل تاريخه عن الاستدارية باستقراره وزيراً عوضاً عن فرج المذكور، وخلع على كل منهما كالمية بمقلب سمور، ووعدهما بأنه يخلع // عليهما في يوم السبت كل واحد بخلعة وظيفته المعتادة.

وأما الممالك السلطانية فإنهم لما تعوقت^(٢) جوامكهم نزلوا من وقتهم إلى بيت زين الدين المذكور لينبوه، فأغلقت ممالكه الدروب ورموا عليهم ومنعواهم من الدخول إلى جهة بيت زين الدين ومدرسته، فلما عجز الممالك عن الدخول إلى بيت زين الدين المذكور وحارته نهبوا بيوت الناس من جوانب بيت زين الدين إلى قنطرة أمير حسين^(٣) وغيرها، حتى مدرسة فخر الدين بن أبي الفرج، فإنهم دخلوها ونهبوا ما فيها من تعلقات المدرسة وقماش الصوفية وغيرهم، فما عفا ولا كفوا، ثم إنهم ظفروا ببيت زين الدين المذكور لما كثر جمعهم وفعلوا في ناره ومدرسته ورباطه ودور جيرانه ما لا تفعله الكفرة في المسلمين، وأخذوا للناس من الأقمشة والمتاع والأواني وغير ذلك حمل مستكثرة لا تدخل تحت حصر، واستمروا في النهب من باكر النهار إلى قريب العصر، ولم يستجر أحد أن يمد يده إليهم بسوء، بل صاروا يأخذون ما قدروا على أخذه ويحملونه على

(١) في «أ»: «فلم يبش».

(٢) في «أ»: «تعوقت».

(٣) قنطرة أمير حسين : كانت تقع على الخليج الناصري، أنشأها الأمير سيف الدين حسين بن أبي بكر بن إسماعيل بن حيدر بك الرومي ليتوصل بها إلى جامع في حكر جوهر النوبي.
راجع المقرئزي. الخطوط ج ٢ ص ١٤٧.

الخيول والبغال والحمير، ويسخرون الناس في حمله، وعيون أربابها تنظر إليهم في الملأ من الناس، ولم يرسل السلطان لكفهم عن ذلك أحداً^(١) من الأمراء ولا غيرهم. فكانت هذه الحادثة من أقبح الأمور وأبشعها، ولم ينتطح في ذلك، عزاز.

وفي يوم السبت سابع عشره أخلع السلطان على زين الدين فرج المذكور خلعة الأستاذية عوضاً عن زين الدين المقبوض عليه قبل تاريخه، وعلى علاء الدين علي بن الأهناسي خلعة الوزير عوضاً عن فرج المذكور.

وفي يوم السبت هذا ورد الخبر بموت شهاب الدين أحمد المحلي الشافعي قاضي الإسكندرية بقرية إدكو من المزارحيتين متوجهاً إلى الإسكندرية، وولى ابنه بعده قضاء الإسكندرية ببذل مال كثير، وهو شاب حدث السن، جاهل، يأتي ذكر والده في وفيات هذه السنة، والتعريف بحاله في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه حدث بالقاهرة واقعة عجيبة مضحكة، وهو أن الناس بقوا من يوم نهب بيت زين الدين الأستاذار وجيرانه في رجيء عظيم من جهة الممالك، واتفق في هذا اليوم خروج جهاز بنت المرحوم ناصر الدين محمد بن الثلاث الأمير آخور إلى // بيت زوجها الأمير جانبك قرا الأشرفي [٣٨٤] على رؤوس الحمالين والبغال على العادة، فجفل فرس جندي من الأجناد من الحمالين المذكورين، فحقق الجندي على فرسه وساقه، فرآه بعض العامة فلم يشك أن الممالك نزلت لنهب القاهرة، فأشاع ذلك، فأغلقت القاهرة بتمامها، وانزعجت الناس غاية الانزعاج، وتعطلت المعاش من غلق حوانيت القاهرة، فكانت هذه الواقعة من غريب ما وقع بديار مصر.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه رسم السلطان بعمل مدة^(٢) وقراءة ختمة شريفة بمدرسته التي أنشأها بالصحراء لفراغ عمارتها، وحضر فيها أعيان الدولة من القضاة والأمراء وغيرهم، وكان السلطان أوعد أنه ينزل لرؤيتها فلم يتهيا له

(١) في ١٠١ : واحد،

ذلك لأمر من الأمور. وكان السلطان قد أنشأ هذه المدرسة أولاً تربة في أيام أتابكيته، فلما تسلطن بدا له أن يخرب ما عمره قديماً وأن يجعلها مدرسة، ففعل ذلك، وباشر عمارتها عظيم الدولة صاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص الشريف إلى أن كملت.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه ركب الأمير يونس الدوادار من قاعة ابن قطينة بساحل بولاق، بعد أن أقام بها مدة أيام لتوعك كان به، وتوجه إلى بيته تجاه الكبش على بركة الفيل، وزينت بولاق لركوبه وتخلق حواشيه بالزعفران.

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه استقر قاسم الكاشف المعزول قبل تاريخه عن الاستدارية في كشف الغربية من الوجه البحري من أعمال القاهرة على عادته قديماً، واستقر عوضه في كشف الجيزية يوسف شاه العلمي.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه، فيه طلع الأمير يونس الدوادار إلى القلعة، وأخلع السلطان عليه كاملية بمقلب سمور خلعة العافية، واحتفل أهل الصليبة إلى نزوله بالزينة الهائلة والطبول والزمور والتهاني.

شهر رجب

أوله السبت.

في يوم الاثنين ثالثه أطلق السلطان الأستاذار زين الدين يحيى من محبسه بقلعة الجبل، ونزل إلى دار عظيم الدولة الجمالي ناظر الجيوش والخاص الشريف [٣٨٥] على أنه يغلق ما بقي عليه مما ألزمه السلطان // بحمله إلى الخزانة الشريفة، وهو مبلغ عشرة آلاف دينار، ثم ينفي بعد تغليقها إلى حيث يرسم السلطان من البلاد.

وفي يوم الاثنين عاشره أدير المحمل، ولعبت الرماحة على العادة في كل سنة، وشاهده قاصد خوندكار ابن عثمان الأمير جمال الدين عبد الله القابوني، وتخوف الناس من الممالك السلطانية الجلبان، فلم يقع منهم ما يكره.

وفي يوم الخميس ثالث عشره نزل السلطان من قلعة الجبل بقماش الموكب إلى الصحراء، ونزل بمدرسته التي أنشأها، وأقام بها ساعة ثم ركب من المدرسة

المذكورة ودخل من باب النصر، وشق القاهرة، وخرج من بابي زويلة، وطلع إلى القلعة في مركبه والصنjq على رأسه .

وفيه توفيت ملكباي الأشرفية أم محمد ولد الملك الأشرف برسباي، زوجة الأمير قرقماس رأس نوبة النوب ، ولهجت العامة بتوجه ولدها محمد ابن الملك الأشرف إلى عند أخيه الملك العزيز يوسف بثغر الإسكندرية .

وفي يوم الأحد سادس عشره - الموافق لسادس عشرين بثونة - أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة - أعني الماء القديم - سبعة أذرع وستة عشر إصبعاً .

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه، فيه ورد الخبر بموت السلطان محمد بن عثمان متملك بلاد الروم بالطاعون، وبلغ ذلك قاصده جمال الدين عبد الله القابوني وهو بالقاهرة وقد تهبأ إلى السفر، وعيّن السلطان صحبته قازي باي اليوسفي المهندار رسولاً إلى ابن عثمان المذكور.

شعبان

أوله الاثنين.

فيه سافر زين الدين يحيى الاستادار من سبيل ابن قيماز إلى الحجاز من طريق الطور في البحر المالح منفياً من مصر، وأموراً بالتوجه إلى المدينة الشريفة للإقامة بها.

وفي أوائل هذا الشهر ترادفت الأخبار بعدم موت السلطان محمد بن عثمان متملك الروم، ودقت البشائر لذلك بقلعة الجبل ثلاثة أيام.

وفي هذه الأيام وردت عدة مطالعات من الأمير قازي باي الحمزاوي نائب الشام وغيره بأن الفرنج في استعداد كبير للتوجه إلى سواحل البلاد الشامية .

وفي هذه الأيام - أيضاً - غاب النجم ذو^(١) الذنب // المقدم ذكره . [٣٨٦]

وفي يوم الجمعة خامسه سافر الأمير جمال الدين عبد الله القابوني قاصد السلطان محمد بن عثمان إلى جهة مرسله ، وصحبته قازي باي اليوسفي المهندار قاصداً برد جوابه من قبل السلطان .

(١) في «أ»: «ذات» .

وفيه ورد الخبر على السلطان بأن الصارمي إبراهيم بن قرمان متملك لارنده وغيرها من بلاد الروم طرق معاملة السلطان، واستولى على مدينة طرسوس وأدنة وكولك، فأمر السلطان بخروج تجريدة إلى قتاله، وعين أربعة أمراء من مقدمي الألوف وعدة طبلخانات وعشرات مع ما يضاف إليهم من الممالك السلطانية، وأمرهم بالإسراع في السفر، والذين^(١) عينهم السلطان من مقدمي الألوف، وهم: الأمير خشقدم المؤيدي أمير سلاح، وجانبك القرماني الظاهري برقوق حاجب الحجاب، وقرقماس الأشرفي برسباي رأس نوبة النوب، ويونس العلائي الناصري، ودام هذا الأمر إلى يوم الأحد سادس عشره أبطل السلطان التجريدة المذكورة، وأخر السفر إلى بعد الربيع، خوفاً من هجوم الشتاء، فإن الوقت آخر أبيب أحد شهور القبط.

وفي يوم الجمعة سادس عشرينه - الموافق لسادس مسرى - أوفى النيل ستة عشر ذراعاً وخمسة أصابع من الذراع السابع عشر، ونزل المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال في وجوه أمراء الدولة حتى عدى النيل وخلق المقياس، ثم عاد وفتح الخليج على العادة، ثم طلع إلى القلعة وخلع عليه السلطان. وفي معنى النيل يقول الشيخ صلاح الدين الصفدي:

قالوا علا نيل مصر في زيادته حتى لقد بلغ الأهرام حين طما
فقلت: هذا عجيب في بلادكم أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما
[البسيط]

وفي هذا الشهر وصل إلى الديار المصرية مملوك الأمير جانم الأشرفي نائب حلب، وأخبر السلطان أن جماعة من عوام^(٢) حلب وثبوا عليه وأخذوا من مباشرينه ثلاثة نفر ذبحوهم باليد العادية، ثم أحرقوهم، وأنه منتظر ما يرد عليه من

(١) في «أ» : «والذي»

(٢) في «أ» : «دعوام» .

الجواب الشريف في أمرهم، وذكر أشياء محصلها أن السلطان إذا لم // ينصفه [٣٨٧]
ممن فعل ذلك وإلا ليس له حاجة بنيابة حلب. فلما سمع السلطان ذلك طيب
خاطر المملوك، ورسم أن يجهز على يده خلعة لأستاذه الأمير جانم المذكور
باستمراره على نيابة حلب، ورسم بأن تكتب مراسيم شريفة لحكام حلب
بتحصيل الغرماء المذكورين وجسهم بقلعة حلب حتى يرد عليهم ما يعتمدونه
من أمر هؤلاء

وسبب هذه الفتنة أن جماعة من الحلبيين تقربوا إلى الأمير جانم المذكور
وباتسروا ببابه، وساءت سيرتهم، وهم ابن الرقيق، وولده، وابن الحصوني، فشكا
أهل حلب من هؤلاء ومن كثرة ظلمهم وأفعالهم القبيحة، فحبس الأمير جانم
أحد الثلاثة المشكو عليهم، فلم يقنع (أهل حلب)^(١) ذلك لما في نفوسهم منهم،
ومضوا في الحال إلى واحد منهم في بيته، فهرب الرجل من بيته واستجار برجل
من الحلبيين مشهور بالصلاح والدين، فحماه الرجل المذكور، فألح الحلبيون
عليه في أخذه منه، قال الرجل الصالح: قد تاب عن المباشرة. فقالوا: يخرج
ويخلف لنا على ذلك بحضرتك، فلما خرج إليهم أخذوه من يد الرجل وذبحوه
ثم أحرقوه، ثم توجهوا في الحال إلى الذي في الحبس فأخرجوه من الحبس،
وفعلوا به كذلك هو وولده، وبلغ النائب ذلك فلم يحرك ساكناً، وكتب يعرف
السلطان بما وقع، والذين أحرقوهم: ابن الرقيق، وابن الحصوني وولد واحد
منهما - انتهى.

وكان هذا الخبر زيادة في التكاية على السلطان لما كان بلغه من استيلاء
ابن قرمان على طرسوس وغيرها حسبما تقدم ذكره.

وفي يوم الاثنين تاسع عشر ربيع طلع إلى القلعة قاصد الأمير بير بضع بن
جهان شاه بن قرا يوسف متملك بغداد والعراق من قبل أبيه جهان شاه المذكور،
وتمثل بين يدي السلطان وأدى رسالة مرسله، وقرأ كتابه، ولم يتضمن كتابه
كثيراً من غير التردد والسلام.

(١) - سقط من النص .

شهر رمضان

أوله الثلاثاء.

في يوم الجمعة رابعه وصل السيقي خشقدم دوا دار الأمير قاني باي [٣٨٨] الحمزاوي نائب الشام إلى القاهرة وهو مريض، فأحضر السلطان // الكتب الواصلة على يده من قبل أستاذه وأمر بقراءتها، فإذا هي تتضمن أمر ابن قرمان، وأخذه لطرسوس وغيرها. ثم سأل السلطان في عدم إخراج تجريدة من الديار المصرية إلى البلاد الحلبية بسبب ابن قرمان المذكور، وأنه يتوجه بعد الربيع هو وجماعة النواب بالبلاد الشامية إلى جهة ابن قرمان المذكور، ويكفي السلطان أمره، ويسترجع منه ما أخذه من البلاد الحلبية، فسر السلطان بذلك، وتزايد شكره على نائب الشام لهذه المقالة.

وفي يوم الأحد عشرينه وصل الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش ثاني رأس نوبة النوب، وهو ومن معه من الممالك السلطانية من إقليم البحيرة بعد أن أقام بها نحو الشهر ونصف لأمر اقتضى ذلك، وأخلع عليه السلطان في يوم الخميس رابع عشرينه خلعة السفر.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه نودي بالقاهرة من قبل السلطان بعدم تعرض الممالك الجلبان إلى الناس والتجار والبيعة، فلم يلتفتوا إلى مناداته، واستمروا على ما هم عليه من أخذ بضائع الناس بأبخس الأثمان، وأفعالهم القبيحة، وقد تغير غالب خاطر الرعية على السلطان بسببهم، فإنه زاد بسبب ذلك أسعار أشياء كثيرة من المأكولات والعلوفات والغلال، فإنهم صاروا يخرجون إلى ظاهر القاهرة ويأخذون ما لقوا من الشعير والدريس والتبن بأقل ثمن إن سمحوا بذلك، ومنهم من لا يزن شيئاً^(٢)، ثم شرعوا في نهب حواصل البطيخ وغيره، وعز وجود أشياء كثيرة بسبب ذلك، حتى أبيع الشعير بمائتين وأربعين درهماً الإردب، بعد أن كان بثمانين درهماً الإردب، وأما التبن فإنه عز وجوده بالكلية، وزاد سعر البطيخ الصيفي أضعاف ما كان، هذا مع ما

(١) في : : : : : ساكن .

(٢) في : : : : : شي .

بأخذونه من التجار والسوقة والبيعة من سائر الأصناف بأرخص ثمن ، فضر ذلك بحال الناس قاطبة ، والسلطان مع ذلك لا يزداد في مماليكه المذكورين إلا عجة ، والقيام بنصرتهم بما تصل قدرته إليه ، فلا قوة إلا بالله .

وفي يوم الأحد سابع عشرينه // وصل إلى القاهرة الأمر جانبك [٣٨٩] الظاهري أحد امراء الطبلخانات نائب بندر جدة منها ، وأخلع السلطان عليه ، ونزل إلى داره في وجوه الناس .

وفي يوم الأحد هذا - الموافق له من اشهر القبط أول توت ، وهو يوم النوروز - نودي على النيل فيه بزيادة إصبعين من عشرين ذراعاً .

وفرغ هذا الشهر وسعر الذهب الدينار الأشرفي ثلاثمائة وستين درهماً في المعاملة ، وثلاثمائة وخمسون في الصرف ، وهو في زيادة . وسعر القمح الإردب بمائتين^(١) وستين درهماً إلى ما دونها ، والفلول والشعير بمائتين^(٢) وعشرين درهماً الإردب إلى ما دونها ، والجميع في انحطاط لكثرة الغلات بالساحل وعظم زيادة النيل .

شوال

أوله الخميس .

في يوم الجمعة ثانية - الموافق لسادس توت - انتهى زيادة النيل إلى اثنتي عشرة أصبعاً من عشرين ذراعاً ، وأخذ في النقص والزيادة والثبات إلى آخر توت .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره أمر السلطان بتوسيط عشرة نفر من الزعر ما بين عبيد وأحرار ، وكان الوالي قد قبض عليهم في شهر رمضان وحبسهم بأمر السلطان فداموا في السجن إلى هذا اليوم ، فطلبهم السلطان وأمر بتوسيطهم ، فوسطوا عن آخرهم ببركة الكلاب خارج سور القاهرة ، بالقرب من باب المعروق ، ثبت على أحدهم قتل نفس في الظاهر .

وفي يوم الاثنين تاسع عشره برز أمير حاج المحمل بالمحمل من القاهرة

(١) في ١ : بمائتي .

(٢) نفسه .

إلى بركة الحاج. وهو الأمير قانم من صفر خجا المؤيدي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، المعروف بقانم التاجر، وأمير الركب الأول عبد العزيز ابن المعلم محمد الصغير، أحد أجناد الحلقة، وعليه (من) الديون جمل مستكثرة.

وفي يوم السبت رابع عشرينه ضرب السلطان خيربك القصري والي القاهرة أزيد من مائتي عصاة، لشكوى الأمير قرماس الأشرفي الجلب رأس نوبة النوب عليه أنه أخذ من بابه بعض الشكاة.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه ركب صاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص الشريف من داره وطلع إلى القلعة وقبل // الأرض، وأخلع عليه السلطان كالمية تحمل أخضر بمقلب سمور خلعة العافية، فإنه كان انقطع عن الخدمة ملازماً الفراش من العشر الأول من شهر رمضان إلى هذا اليوم، واشتد مرضه حتى خيف عليه. وكان الذي اعتراه الذرب، ونزل إلى داره في وجوه الناس. بعد أن احتفل الناس لتزوله خارجاً عن الحد احتفالاً زائداً، وزينت شوارع القاهرة حيث يمر بأفخر الزينة، ووقدت الشموع بين يديه بالخوانيت، وعلقت فيها القناديل الموقودة، وعظم فرح الناس بعافيته، وتحلقوا بالزعفران، وأكثروا من الابتهاج والسرور والتهاني من الطبول والزمور وغيرهما، وازدحم الناس لرؤيته، فكان هذا النهار من الأيام المشهودة التي قل أن يقع مثلها.

ذو القعدة

أوله السبت.

في أوائل هذا الشهر رسم السلطان برد قاصد الصارمي إبراهيم بن قرمان فرد من قريب مدينة قطيا، وكان قدوم القاصد - المذكور - ليتقصى خاطر السلطان على مرسله ابن قرمان المذكور، وسبب رد هذا القاصد أنه بلغ السلطان أن ابن قرمان أرسل يسأل السلطان في القلاع التي استولى عليها قبل تاريخه باليد العادية أن يكون فيها نائباً عن السلطان، فلم يرض السلطان ذلك، وأمر بعوده وأعد بخروج مجريدة إلى قتاله في أوائل فصل الربيع.

وفي يوم الخميس سادسه فعلت الممالك الجلبان بالناس والأعيان تلك الأفعال القبيحة ، من خطف العمائم وأخذ الخيول من تحت الفقهاء ، وأفحشوا وأمعنوا في ذلك إلى الغاية حتى كثر الكلام في ذلك ، وترامى الناس على حمل القضاة والفقهاء في أن يتكلموا مع السلطان ، فلم يجيبهم إلا جماعة من أعيان الحنفية ، فكلّموه في كفهم عن الناس وخشن له بعضهم في القول ، فتأثر السلطان لذلك ، وأصبح من الغد جلس على الدكة من الحوش السلطاني ، وضرب منهم جماعة ووبخ الأمير مرجان العادلي مقدم الممالك وخشن له في القول بسبب أفعال هؤلاء الممالك ، ثم طلب السلطان منهم جماعة وأوسعهم سباً // وأكثر [٣٩١] لهم من الوعيد ، وحبس بعضهم بالبرج من القلعة .

ثم في يوم الأربعاء ثاني عشره طلب السلطان شخصاً خارجاً عن الحد ، وأمر بنفيه إلى طرسوس ، ثم فعل ذلك مع جماعة آخر من الممالك البطالة وغيرهم ، فارتدع القوم وانكفوا عن المساوىء والقبائح ، فشكر الناس علماء الحنفية وأكثروا من الثناء عليهم .

وفي يوم الأحد سادس عشره نودي بمصر والقاهرة بخروج الممالك البطالة من الديار المصرية ، وهدد من أقام بعد ذلك ثلاثة أيام بها .

وفي يوم الخميس سابع عشره توفي الأمير قاني باي الناصري نائب قلعة الجبل حسبما يأتي ذكره في وفيات هذه السنة ، وأنعم السلطان بإمرة وهي إمرة عشرة على ولده الصغير ، وأخلع على الأمير سودون النوروزي المعروف بالسلاح دار أحد أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة باستقراره في نيابة قلعة الجبل ، عوضاً عن قاني باي المذكور .

وفي العشر الأخير من هذا الشهر كان عرس ابن الأمير بردبك الأشرفي الدوادار الثاني على بنت الأمير دولات باي الدوادار ، وقام بمهم العرس المذكور جده الملك الأشرف إبنال ، وعمل السلطان السباط للأمراء بالجوش السلطاني أياماً ، وكان المهم - أيضاً - عند جدته خوند زينب بنت ابن خصبك في الدور السلطانية ، ولم يقع بالمهم المذكور ما يتحاكاه الناس من كثرة المآكل

والأشربة^(١)، والفواكه، وإنما كان المهم المذكور مثل أفراح الأمراء والأعيان، غير أن الوزراء كانت كثيرة من دون المشارب لا غير.

ذو الحجّة

أوله الأحد.

في يوم الجمعة سادسه - الموافق لتاسع هاتور - لبس السلطان القماش الصوف برسم الشتاء ، وألبس أمراء الألف على العادة .

وفي يوم الاثنين تاسعه أخلع السلطان علي الزيني أبي بكر بن مزهر ناظر الإسطنبول السلطاني باستقراره في نظر الجوالي ، بعد عزل محمد بن أصيل مضافاً على نظر الإسطنبول .

وفي هذه الأيام ورد الخبر بموت الأمير جانبك المحمودي المؤيدي أحد أمراء الطبلخاناه بطرابلس، وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمر تمراز الإنالي الأشرفي الدوادار الثاني - كان - وهو يومئذ أحد الأمراء البطالين بالقدس الشريف، [٣٩٢] وقد توجعت لفلاحه هذا الإقطاع // لوقوعهم في يد جانبك المتوفي قبل تاريخه، ثم ما حل بهم من قدوم تمراز هذا عليهم، فإنها أعني جانبك المتوفي وتمراز هذا من أقبح الناس سيرة وأسوئهم سريرة لما اشتملا عليه من المساوىء. وقد ذكرنا أمر تمراز هذا عندما نفاه السلطان في سنة ثمان وخمسين إلى القدس نبذة، ويعرف منها حاله، ويأتي ذكر جانبك في وفيات هذه السنة مفصلاً كما هي عادة هذا الكتاب.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، فيه طلع قاصد جهان شاه بن قرا يوسف متملك غالب بلاد الشرق (و) العراقيين وغيرهما، وقبل الأرض بين يدي السلطان، وأدى رسالة مرسله بعد السلام، فكان ما يتضمنه كتابه وسؤاله أن جهان شاه يسأل صدقات السلطان في إرسال الأمير حسن بك بن سالم الدوكاري نائب عجلون إليه، ومنها ما معناه أن عنده بعض عتب كون السلطان من يوم نسلطن لم يكتابه، ومنها أن الشيخ حسن بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد

(١) في «أ»: والمأكلة، ولأشربة، مع إسقاط الألف.

يقع منه أمور قبيحة في حق جهان شاه وعماله من ضرب أطراف بلاد، وأن الشيخ حسن المذكور قد انتمى إلى السلطان. فأجابه السلطان بما معناه: أما إرسال حسن بك بمن سالم الدوكاري إليه فإنه يرسل إلينا عربشاه أحد أمراءه، ونحن نرسل إليه حسن بك، وأما عدم مكابتننا له فإننا جلسنا على تخت الملك وكان الأولى أنه هو يبدأ بالمكاتبة والتهنئة، وأما شكواه من الشيخ حسن صاحب آمد فما كان يحتاج أن يكلمنا في أمره. ولو كاتب بعض نوابنا بالبلاد الشامية لكان كفاه أمره، وأشياء أخرى من هذه المقولة، والذي ذكرناه معنى مقالة السلطان، واللفظ لنا. انتهى.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه نزل السلطان الملك الأشرف إينال من قلعة الجبل بقماش الخدمة، وتوجه إلى مطعم الطير بقبة النصر خارج القاهرة، ونزل على المصطبة، وطعمت طيور الصيد بحضرته على العادة، ومد السماط فأكل الناس، وركب وعاد إلى القلعة بعدما شق القاهرة ودخل من باب النصر وخرج من باب زويلة في موكب هائل.

ولما كان بالمصطبة وافاه مبشر الحاج السيقي // جانبك الظاهري المعروف [٣٩٣] بالأبلق، وأخبر بسلامة الحاج.

أمر النيل

في هذه السنة (كان) الماء القديم سبعة أذرع وستة عشر إصبعا، (وكان) مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً واثني عشر إصبعا.

* * *

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

(١) وفيها توفي القاضي شهاب الدين أحمد المحلي^(١) الشافعي، قاضي قضاة الإسكندرية، في قرية إدكو بالمزاحميتين في ليلة الثلاثاء ثالث عشر جمادي الآخرة، ودفن برشيد، وهو في عشر السبعين تخميناً.

وشهاب الدين هذا أحد من ولي قضاء الإسكندرية من الشافعية بالسعي وبذل المال، وكانت بضاعته مزجاة من العلم كثيرة من المال.

ومولده ومنشؤه بالمحلة الغربية بالوجه البحري من أعمال القاهرة، ثم تنقل حتى ولي قضاء الإسكندرية بعد سنة أربعين وثمانمائة، ودام على ذلك إلى هذه السنة، عزم على الحج لأجل المتجر، فقدم القاهرة وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الإسكندرية لإصلاح شأنه، فتوجه وأقام بها مدة، ثم عاد إلى القاهرة فمرض بها بالبطن مدة طويلة إلى أن عوفي ودخل الحمام، وثنى عزمه عن سفر الحجاز وعاد إلى الإسكندرية، فمات في طريقه بإدكو حسبما تقدم ذكره.

ولم يكن من أعيان الدولة لتحمد سيرته أو تدم، وكان به صمم غير فاحش. انتهى.

(١) هو أحمد بن محمد بن علي بن هارون بن علي، له ترجمة في :
ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ١٥٢ -
١٥٣ تر ٤٣٤ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣٢ .

(٢) وفيها توفي القاضي ظهير الدين محمد ابن قاضي القضاة أمين الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أبي بكر الطرابلسي^(١) الأصل ، المصري المولد والوفاة ، الحنفي ، المعروف بابن الطرابلسي ، أحد نواب الحكم الحنفية ، في يوم الجمعة سادس عشرين شعبان ، ودفن من الغد بتربة الصوفية خارج باب النصر - رحمه الله .

ومولده في أوائل القرن ثمانيناً ، ونشأ بالقاهرة تحت كنف والده ، وقرأ بعض متون في مذهبه ، إلى أن تولى والده في سنة تسع عشرة وثمانمائة - ناب بعد ذلك في نيابة الحكم عن قضاة^[٢] الحنفية عدة سنين .

وكان لا بأس به في أحكامه ، على أنه كان قليل العلم ، ثم ترك الحكم في أواخر عمره واعتراه أمراض دامت به مدة طويلة إلى أن مات في التاريخ المذكور - رحمه الله تعالى .

وكان من أعيان الناس ، وعنده رياسة وحشمة ، عفا الله تعالى عنه .

(٣) وفيها توفي الأمير آسنباي بن عبد الله الجمالي // الظاهري ، [٣٩٤] المعروف بالساقم^(٢) في شعبان بالقدس الشريف بطلاً وسنه دون الأربعين سنة .

وأصله من مماليك الملك الظاهر جقمق ، اشتراه في أوائل سلطنته وأعتقه ، ثم جعله خاصكياً ، ثم سلاح داراً ، ثم ساقياً ، فدام على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه بإمرة عشرة في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة بعد موت إينال أخي قشتم ، فاستمر على ذلك إلى أن توفي الملك الظاهر جقمق ، وأمسك الملك المنصور الأمير دولات باي المحمودي الدوادار مع من أمسك ، ونقل الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الثاني إلى الدوادارية الكبرى عوضاً عن دولات باي المذكور ، استقر

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١ . السخاوي . الضوء اللامع ج ٨ ص ١٣٥ - ١٣٦ تر ٣١٤ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ١٣١ تر ٤٥٨ ، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٣٥ تر ٤٦٠ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١١ تر ٩٨١ .

أسنباي هذا دواداراً ثانياً عوضاً عن تمربغا، وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة، فلم تطل أيامه في الدوادارية الثانية، ووقعت الفتنة بين الملك المنصور والأتابك إينال العلاني في يوم الاثنين أول شهر ربيع الأول من السنة، فكان أسنباي هذا ممن انضم على ابن أستاذه الملك المنصور عثمان، ودام عنده بقلعة الجبل إلى أن انكسر في يوم الأحد سابع ربيع الأول المذكور، وتفرق عنه أصحابه - اختفى أسنباي هذا ونزل من القلعة، ودام في اختفائه أياماً إلى أن أصلح الأمير جانبك القجماسي المشد أمره مع السلطان وظهر، فرسم له بالتوجه إلى القدس بطلاً، فسار إليه بعد أيام ودام به إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان شاباً طويلاً عاقلاً، وفيه سكينة ووقار، وعفة عن المنكرات، مع لين وعدم شهرة بالشجاعة، وكان من أخصاء الملك الظاهر جقمق، ولم تطل أيامه في السعادة لشكر أفعاله أو تدم، رحمه الله تعالى.

(٤) وفيها توفي الأمير سيف الدين قاني باي الناصري المعروف بالأعمش^(١)، أحد أمراء العشرات ونائب قلعة الجبل، في ليلة الخميس سابع عشرين ذي القعدة من السنة، ودفن في بكرة يوم الخميس.

واصل قاني باي هذا من ممالك الملك الناصر فرج، وترقى في دولة الملك [٣٩٥] الأشرف برسبي، وصار من جملة // الخاصكية، ثم تأمر عشرة في دولة الملك الظاهر جقمق، وصار من جملة رؤوس النوب دهرأ طويلاً إلى أن أخلع عليه الملك الأشرف إينال في أوائل سلطنته بناية قلعة الجبل، عوضاً عن يونس العلاني، بحكم انتقاله إلى نيابة الإسكندرية بعد قرا جانبك الظاهري، فاستمر قاني باي هذا مدة يسيرة وأنعم عليه السلطان بإقطاع يونس المذكور، بحكم انتقال يونس إلى إقطاع جانبك الشيبكي والي القاهرة بحكم وفاته. والإقطاع الذي أنعم به

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٣٢ نر ١٨٢٤، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٧، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١ - ١٨٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٧ نر ٦٦٨، ابن أبياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣.

على قاني باي المذكور إمرة عشرة، وكذلك الذي خرج عنه، لكن شيء أحسن من شيء، وكل ما وقع استقرار قاني باي في نيابة القلعة وتغيير الإقطاع في شهر واحد وهو شهر ربيع الأول من سنة سبع وخمسين، ودام قاني باي على إقطاعه ووظيفته إلى أن مات في التاريخ المذكور، وسنه نيف (علي) نحو السبعين سنة. وكان مهملاً في الدولة، وما وقع له من الترقى فهو بواسطة الجنسية وكونه من الحزقة.

(٥) وفيها توفي الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله المحمودي^(١) المؤيدي أحد أمراء الطبلخاناه بطرابلس، في أواخر ذي القعدة بها، وقد ناهز الستين سنة من العمر تخميناً.

وأصل جانبك من مماليك المؤيد شيخ، اشتراه هو وأخاه الأمير قانبك المحمودي وأعتقهما وجعلهما من جملة المماليك السلطانية.

قلت : وقانبك - المذكور - هو الأسن فيما أظن، وهو الآن أحد مقدمي الألو ف بدمشق، وهو وارث جانبك هذا - انتهى.

واستمر جانبك - المذكور - من جملة المماليك السلطانية إلى أن صار خاصكياً بعد موت أستاذه الملك المؤيد، ودام على ذلك دهنراً طويلاً لا يؤبه إليه، إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق بعد خلع الملك العزيز يوسف في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمره عشرة وجعله من جملة رؤوس النوب، لكونه كان ممن ثار معه على الملك العزيز وحرص على القيام مع الملك الظاهر جقمق وخوفهم عاقبة المماليك الأشرفية إن دام ابن أستاذهم الملك العزيز المذكور في السلطنة حتى تم له ذلك؛ فلهذا أمره الملك الظاهر وقربه وأدناه، وصار له كلمة في الدولة؛ مع طيش وخفة وعدم احتشام، فأخذ في [٣٩٦] القبض على الأشرفية وتبعهم من الأماكن، وبالع في أذهامهم، ووجد المجال فجال، والسultan مطاوع له ولخشداشيته كما هي عادة أوائل الدول، ثم لما

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٢، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٦٠ تر ٢٤١.

هرب الملك العزيز يوسف من سجنه بقلعة الجبل واختفى بالقاهرة أخذ جانبك هذا في الفحص عليه، وهجم بيوت الناس هو وجماعة من خشداشيته. وأفحش أيضاً وبالع في أذى الناس، وتسبب عند السلطان في عقوبة جماعة كثيرة من الأشرية وغيرهم، وحرص السلطان على طوغان الأشرفي الزردكاش وبخايربك الأشرفي حتى وسطهما بعد عقوبات مهولة، ثم لما عصى الأمير إينال الحكمي نائب الشام والأمير حسين بن أحمد بن المصري البهسي المدعو تغري برمش نائب حلب سافر إلى البلاد الشامية ليقلد بعض نوابها وعاد، ثم سافر إلى (أن) خرجت التجريدة لقتال إينال الحكمي ولفقتال حسين بن أحمد نائب حلب المقدم ذكرهما، وانتصر عسكر السلطان عليهما وقتلا، وعاد العسكر إلى ديار مصر، وجانبك هذا صحبته أو قبله بمدة يسيرة، واستمر على إمرته ووظيفته فركضت ريمحه لسكون الفتنة، وصار من جملة الأمراء، ليس يتكلم إلا فيما يتعلق به، وهو مع ذلك يتقرب من السلطان ويتكلم معه فيما لا يعنيه، وقد ظهر على السلطان الملل منه في الباطن، غير أنه لم يسهه إلا الاحتمال، وكان يقال: «من حبك لشيء ملك عند انقضاءه». واستمر بعد ذلك إلى سنة سبع وأربعين وثمانمائة قبض عليه السلطان وسجنه بالبرج من قلعة الجبل، بعد أن تحقق إغراض المؤيدية عنه لقبضه على جانبك المذكور، وربما يثير بعضهم فتنة بسببه، فلم ينتطح في ذلك شاتان، وقبض عليه وجسه، وأنعم بإقطاعه على السيفي خيربك المؤيدي الأشقر أحد الدوادارية الصغار.

قلت : وحساب الملك الظاهر في ذلك على قدر شهامته ورجولته^(١) فحسب ، إن في السويداء رجال ، والقوم أجانب عن ذلك .

ثم نقل جانبك من البرج إلى الإسكندرية، ثم نقل إلى البلاد الشامية، [٣٩٧] وبعد مدة // أنعم عليه السلطان بإمرة مائة وتقدمة ألف بحلب، فعندما توجه جانبك المذكور إلى حلب وأقام بها مدة يسيرة، وأثار فتنة عظيمة، ووثب على الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب، ولبس السلاح، فلم ينتج له أمر، وقبض عليه

(١) في ١٠١ : «ورجلته» .

وسجن بالبلاد الشامية من يوم تاريخه في عدة سجون إلى أن أفرج عنه الملك الأشرف إينال في أوائل سلطنته أو الملك الظاهر في أواخر عمره، ثم أنعم عليه الملك الأشرف بأمرة طبلخاناه بعد انتقال الأمير حطط عنها إلى أتابكية طرابلس، فدام جانبك هذا على الإقطاع نحو ستين ، ومات في التاريخ المذكور .

وكان جانبك هذا مربوع القامة، أصفر الوجه، صغير اللحية، عبوساً، عديم البشاشة، سيء الخلق، حاد^(١) المزاج، سريع الحركة، كثير الشر قديماً وحديثاً، كان أولاً في أيام قصر يده يتخاصم مع شركائه في الإقطاعات فلا يزال يتحاكم معهم عند الحكام، فقل أن يجده الشخص في بيته للراحة، وإنما كان شأنه الركوب والدوران لشروور الناس، فلما طالت يده ما عف ولا كف، حتى قبض ووقع له ما ذكرناه، فاستراح وأراح، وأنعم بإقطاعه على تمتاز الأشرف في الدوادار - كان - أحد البطالين بالقدس .

ولله در أبي الطيب أحمد بن الحسين الجعفي حيث يقول:

بذا قضت الأيام^(٢) ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

[الطويل]



(١) في دأء : و حد .

(٢) في دأء : و الدنيا .

وفي هذه السنة كان الفراغ من المدرسة التي أنشأها الملك الأشرف إيتال
بالصحراء.

وفي هذه السنة زالت دولة بني رسول^(١) من ممالك اليمن بعد أن ملكوها
نحواً من مائتين وثلاثين سنة - حسبما يأتي بيانه - وآخر ملوكهم الملك المسعود،
اختلف عليه في أوائل هذه السنة عساكره وعبيده، فضعف أمره وتسحب من
بلادته ونزل عند جماعة من المشايخ والصلحاء، وهو إلى الآن مقيم عندهم،
وملك بلاد اليمن رجل عربي من العرب يقال له: طاهر - وهو من القرشية - وهو
يدعى بالجودة والصلاح، وملك البلاد بالمال، وسكن عدن، وبلاد القرشية
تزرع القوه التي يزرع بها. انتهى.

وأول من ملك اليمن من بني رسول الملك المنصور نور الدين أبو الفتح
[٣٩٨] عمر بن علي بن رسول، وقيل: اسم رسول محمد بن // هارون بن أبي الفتح
ابن نوح بن رستم التركماني الغساني من ذرية جبلة بن الأيهم، قيل: إن جده
محمد المعروف برسول كان انضم لبعض الخلفاء العباسية، فاختصه بالرسالة إلى
الشام وغيرها، فعرف بالرسول وغلب عليه ذلك، ثم انتقل من العراق إلى الشام
ثم إلى مصر، وانضم هارون هو وأولاده لبعض بني أيوب لما ملكوا مصر، وهو
مع ذلك له حاشية وحفدة إلى أن أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب
أخاه الملك المعظم تورانشاه إلى اليمن، أرسل الملك المنصور عمر هذا معه
(١) أشار إلى ذلك إجمالاً في النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٢ .

كالوزير، واستحلفه على المناصحة لبني أيوب، فسار معه إلى اليمن، فلما ملك الملك المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بعد تورانشاه اليمن قرب عمر هذا وزاد في تعظيمه وولاه الحصون الوصائية، ثم ولاه مكة المشرفة، ورتب معه فيها ثلاثمائة فارس، وحصل بين المنصور هذا وبين حسن بن قتادة أمير مكة وقعة انكسر الشريف حسن المذكور فيها ورجع، ودخل المنصور مكة واستولى عليها، وعمر في ولايته مكة - المسجد الذي اعتبرت منه عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وذلك في سنة تسع عشرة وستمائة، وعمر - أيضاً - في ولايته مكة الدار التي^(١) يقال لها دار سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في الزقاق المعروف بزقاق الحجر، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ثم استناب الملك المسعود نور الدين هذا على بلاد اليمن لما توجه منها إلى الديار المصرية، واستناب بصنعاء بدر الدين حسن بن علي بن رسول أمها نور الدين المذكور. ولما عاد الملك المسعود إلى اليمن قبض على نور الدين هذا، وعلى أخيه بدر الدين حسن المذكور، وعلى أخيه الآخر فخر الدين أبي بكر، وعلى شرف الدين موسى، تخوفاً منهم لما ظهر من نجابتهم في غيبته، وأرسلهم إلى الديار المصرية محتفظاً بهم ما خلا نور الدين صاحب الترجمة، فإنه أطلقه من يومه لأنه كان يأنس إليه، ثم استحلفه وجعله أتابك عساكره.

فلما عزم الملك المسعود إلى التوجه إلى مصر ثانياً استنابه - أيضاً - على جميع بلاد اليمن، وقال له: إن مت فأنت أولى بالملك من إخوتي لخدمتك لي، وإن عنت // فأنت على حالك، وإياك أن تترك أحداً من أهلي يدخل اليمن، ولو [٣٩٩] جاءك الملك الكامل.

ثم سار الملك المسعود إلى مكة فمات بها قبل دخوله مصر، فلما بلغ نور الدين هذا خبر موته أضمصر الاستقلال بمملكة اليمن، وأظهر غير ذلك، واستوثق أمره، واستولى على غالب بلاد اليمن وحصونها، فعند ذلك دعا لنفسه بالملك (المنصور)^(٢)، وذلك بعد موت الملك المسعود في سنة تسع وعشرين وستمائة

(١) في د أ هـ : الذي .

(٢) بياض بأصل د أ هـ، مثبت من ابن علي، غاية الأمان في أخبار القطر اليمني ص ٤٢٠، ومن قوله بعد: وثم قوى أمر المنصور هذا.

ثم ارسل إلى الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي في خلعة وتقليد، فأجيب بعد مدة، واستمر في الملك، ولم يزل ممالكه تتسع حتى ملك من عدن إلى عيذاب.

وجرى بينه وبين الملك الكامل والد الملك المسعود حروب، ثم مات الملك الكامل وتسلطن ولده الملك الصالح بالديار المصرية، وجرى بينهما أيضاً - حروب وخطوب يطول شرحها بسبب مكة المشرفة، وصار تارة يولي إمرة مكة الملك المنصور هذا، وتارة الملك الصالح صاحب مصر، واستمر ذلك سنين، وقدم مكة مراراً.

ثم قوى أمر المنصور هذا، واشترى قلعة ينبع من صاحبها أبي سعد، وأمر بخرابها حتى لا يبقى قرار المصريين فيها، واستولى على مكة، وأبطل منها سائر المكوس والمظالم، ولم يزل مستولياً^(١) عليها إلى أن قتل في ليلة السبت تاسع ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة، قتله مماليكه باتفاق من ابن أخيه أسد الدين محمد ابن بدر الدين حسن .

وملك بعده ابنه الملك المظفر يوسف، فحكم بلاد اليمن ستة وأربعين سنة، ومات في يوم الثلاثاء ثالث عشرين شهر رمضان (سنة أربع وتسعين وستمائة)^(٢) .

وملك بعده ابنه الملك الأشرف نجم الدين عمر، ومات بعد سنة.

وملك بعده أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر يوسف في محرم سنة ست وتسعين وستمائة، وملك نيافاً وعشرين سنة إلى أن مات في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

وملك بعده ابنه الملك المجاهد، واضطربت مملكة اليمن مدة، ووقع له أمور إلى أن مات في يوم السبت خامس عشرين جمادي الأولى سنة أربع وستين وسبعمائة بعدن.

(١) في ١ : : مستولي .

(٢) ساقط من ١ : : مثبت من ابن علي . غاية الأمان ص ٤٧٥ .

وملك بعده ابنه الملك الأفضل عباس في جمادي الأولى سنة // أربع [٤٠٠] وستين (وسبعمائة) إلى أن مات في شعبان سنة ثمان وسبعين وسبعمائة.

وملك بعده ابنه الملك الأشرف إسماعيل إلى أن مات في ليلة السبت ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانمائة بمدينة تعز.

وملك بعده ابنه الملك الناصر أحمد إلى أن مات في سادس عشر جمادي الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة من صاعقة سقطت على حصنه قوارير خارج مدينة زبيد، فارتاع من سقوطها وأقام أياماً مريضاً إلى أن مات.

وملك بعده ابنه الملك المنصور عبد الله إلى أن مات في جمادي الأولى سنة ثلاثين وثمانمائة.

وملك بعده أخوه الملك الأشرف إسماعيل، فلم يتم أمره وخلع بعد مدة يسيرة.

وأقيم بعده الملك الظاهر هزبر الدين يحيى ابن الملك الأشرف إسماعيل في ثالث شهر رجب من السنة، إلى أن مات في يوم الخميس سلخ رجب سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة. وضعفت ممالك اليمن في أيامه، لقلة تجاري أموالها، واستيلاء العربان على أعمالها.

وأقيم بعده ابنه الملك الأشرف إسماعيل وله من العمر نحو العشرين سنة، فأكثر من سفك الدماء وأخذ الأموال وغير ذلك من أنواع الفساد، وقتل الأمير برقوق القائم بدولتهم في عدة آخر من الأتراك، ووقع له أمور في أيامه، وتلاشت اليمن من بعده، وملكها جماعة اختلفت في ولاياتهم لقصر مدتهم ولاضطراب دولتهم، ولا زال أمرهم في إدار من هذه السنة، وهي سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة إلى أن زال ملكهم من ممالك اليمن في هذه السنة، وهي سنة ستين وثمانمائة في أيام الملك المسعود.

وقد تقدم أن الملك المسعود هذا ترك ممالك اليمن لما ضعف أمره وخرج هارباً إلى الصالحين، وأقام عندهم إلى يومنا هذا، وملك اليمن بعده رجل من الأعراب القرشية يسمى طاهر.

قلت: نادرة، كان ابتداء ملك بني رسول لبلاد اليمن على يد الملك
المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب، وكان زوال ملكهم من
بلاد اليمن على يد الملك المسعود هذا، فكان إقبال سعدهم من مسعود وإدبار // ٠١١
سعدهم من مسعود.
انتهى، والله أعلم، والحمد لله وحده.

* * *

تم الجزء الأول المسمى بحوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، على يد تلميذ مؤلفه ونشو صدقاته، وعبد إحسانه، العبد الفقير إلى الله تعالى، الحقير الراجي عفوره الكريم، وشفاعة نبيه محمد - ﷺ - محمد بن أحمد بن محمد الطندائي الشافعي، غفر الله له ولوالديه، ولمن قرأ فيه أو نظرفيه، ودعا له بالتوبة والمغفرة، وللمسلمين أجمعين آمين .

وكان الفراغ من كتابته في يوم الخميس المبارك، حادي عشرين شهر ربيع الآخرة سنة إحدى وستين وثمانمائة، ونقلت من ثاني نسخة كتبت من خط المؤلف في حياته، حفظه الله تعالى، ورحم سلفه الكريم بمحمد وآله .

وذلك تأليف الجنب الكريم العالي المولوي الأميري الكبير العالمي الفاضلي الرئيسي العريقي الجمالي أبو المحاسن سيدي يوسف ، ولد المقر المرحوم السيفي الأتابكي أتابك العساكر بالديار المصرية ، وكافل المملكتين^(١) الشامية والحلبية - كان - عظم الله شأنه ، ورحم سلفه الكريم بمحمد وآله وصحبه وسلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً ، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كتب هذا الجزء المبارك لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده العبد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير، الراجي عفوره العفو القدير، محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب، البهاء بن علي بن شافع

(١) في الأصل : المملكتي .

الإخميمي الانصاري ، الخزرجي الحنفي ، عامله الله تعالى والمسلمين بلطفه الجلي والحنفي ، ورحم والديه وأولاده وإخوته وأخوانه وأقاربه والمسلمين بمه وكرمه ، آمين .

وكان الفراغ منه في يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر شعبان المكرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ، حامداً لله - تعالى - ومصلياً على رسوله المصطفى ، مسلماً ومحسبلاً ومحوقلاً ومهللاً .

* * *

آخر الجزء الثاني

يتلوه - بإذن الله - الجزء الثالث :
الفهارس العلمية ومصادر التحقيق

فهرس الجزء الأول من حوادث الدهور

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| الإهداء | ٥ |
| مقدمة التحقيق | ٧ |
| تمهيد | ٩ |
| ابن تغري بردي - دراسة حياة | ١٣ |
| مؤلفاته | ٢٧ |
| حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور | ٣٢ |
| النص المحقق | ٤٧ |
| مقدمة المؤلف | ٥١ |
| سنة خمس وأربعين وثمانمائة | ٥٣ |
| ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة | ٦١ |
| سنة ست وأربعين وثمانمائة | ٦٩ |
| ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة | ٧٨ |
| سنة سبع وأربعين وثمانمائة | ٨٩ |
| ذكر من مات في هذه السنة من الأعيان | ٩٨ |
| سنة ثمان وأربعين وثمانمائة | ١٠٣ |
| ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة | ١١٣ |
| سنة تسع وأربعين وثمانمائة | ١١٧ |
| ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة | ١٢٦ |

| | |
|-----------|--|
| ١٣٢ | سنة خمسين وثمانمائة |
| ١٣٨ | ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان |
| ١٤٩ | سنة إحدى وخمسين وثمانمائة |
| ١٥٩ | ذكر من توفي في الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكرهم |
| ١٦٤ | سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة |
| | ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكره |
| ١٨٦ | على سبيل الاختصار |
| ٢٠٠ | سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة |
| ٢٢٩ | ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان |
| ٢٤٦ | سنة أربع وخمسين وثمانمائة |
| | ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان المقدم ذكرهم |
| ٣٠٤ | رحمهم الله - تعالى - وعفا عنهم |

فهرس الجزء الثاني من حوادث الدهور

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| سنة خمس وخمسين وثمانمائة | ٣١٧ |
| ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة | ٣٤٤ |
| سنة ست وخمسين وثمانمائة | ٣٥٦ |
| ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة | ٣٨٤ |
| سنة سبع وخمسين وثمانمائة | ٣٩٧ |
| سلطنة السلطان الملك المنصور فخر الدين أبي السعادات عثمان .. | ٤٠٠ |
| ذكر سلطنة السلطان الملك الأشرف، سيف الدين أبي النصر، | |
| إينال العلائي الظاهري، ثم الناصري | ٤٢٣ |
| ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة | ٤٦٠ |
| سنة ثمان وخمسين وثمانمائة | ٤٧٨ |
| ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة | ٥٠٧ |
| سنة تسع وخمسين وثمانمائة | ٥١٥ |
| ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكرهم | |
| رحمة الله - تعالى - عليهم | ٥٤٩ |
| سنة ستين وثمانمائة | ٥٦٥ |
| ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة | ٥٩٨ |